

الجزء السابع

شعراء الغدير في

القرن التاسع وهم ثلاثة حلّيون

وفي هذا الجزء من الدروس العلميّة الدينيّة التاريخيّة ما
تدعم به الحقائق، ويحقّ للباحث أن يكون به أعنى.

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ، وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا، يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَ مَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ، وَ مَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يُحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَ اتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، وَ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ، يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُوهَا، فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيهَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ، لَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيرًا، أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً، وَ يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا، الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ.

الامين

(شعراء الغدير)

في القرن التاسع

٧١

ابن العرندس الحلبي

أضحى يمس كغصن بانٍ في حُلَى
سلب العقول بناظرٍ في فترةٍ
وانحلَّ شدُّ عزائمي لمّا غدا
وزهى بها كافور سالف خدّه
وتسلسلت عبثاً سلاسل صدغه
قمرٌ قويم قوامه كفناته
وجناته جورٌ عيونته وغيونته
أهوى فواترها المراض إذا رنت
جارت وما صفحت على عشّاقه
ملككت محاسنه ملوكاً طالما
كسرى بعينيه الصّاح وخدّه
كتب العليُّ على صحائف خدّه
فرمى بها في عين غنج عيونته
فاعجب لعين عبير عنبر خاله
وسلا الفؤاد بحرّ نيران الجوى
فمتى بشير الوصل يأتي منجحاً
ولقد برى منّي السقام وبثّ في
وجرت سحائب عيرتي في وجنتي

قمرٌ إذا ما مرّ في قلبي حلا
فيها حرام السحر بان محلّلا
عن خصره بند القباء محلّلا
لمّا برحمان العذار تسلسلا
فلذاك بثّ مقيّداً ومسلّلا
ولحاظه في القتل تحكي المنصلا
حوريّة تسبي الغزال الأكحلا
وأحبّ جفنيها المراض الغزّلا
فتكاً وعامل قدّه ما أعدلا
أضحى لها الملك العزيز مذلّلا
النعمان بالخال النجاشيّ خوّلا
نوني قسيّ الحاجبين ومثّلا
سهم السهام أصاب منّي المقتلا
في جيم جمرة خدّه لن تشعلا
منّي فذاب وعن هواه ما سلا
وأبيت مسروراً سعيداً مُقبلا
لجج الغرام معالجا كرب البلا
كدم الحسين على أراضيه كربلا

الصائم القائم القوام والمتصدق الطعمام
رجلٌ بصيوان الغمامة جدّه
وأبوه حيدر الذي بعلموه
والأم فاطمة المطهرة الـرة الـتي
نسبُ كمنبلج الصباح يزينه
السيد السند السعيد الساجد
قمرٌ بكت عين السماء لأجله
تالله لا أنساه فرداً ظامياً
والسيد العباس قد سلب العدى
والطفل شمس حياته قد أصبحت
وبنو أمية في جـوم صحابه
شربوا بكاساة القنا خمر الفنا
وتقاطعت أرحامهم وجـومهم
وتوارثوا من بعد سلب نفوسهم
والسبط شاك ماله من ناصرٍ
ظامٍ إلى ماء الفرات فإن يرم
والقـوم محذقةً عليه بحفـلٍ
متلاطمٌ سـغت^(٢) به أسـيافهم
ومن العجائب أنه يشكو الظما
حامت عليه للحمام كواسرٌ
أمست به سمر الزمـاح وزرقها

أفرس من على فرسٍ علا
المختار في حرّ الحجير تظلاً
وبفضله شرح الكتاب تفصلاً
بالمجد تاج فخارها قد كلاً
حسبٌ شبيه الشمس زاهلي المجتلى
السبط الشهيد المستظام المبتلى
أسفاً وقلب الدهر بات مقلقاً
والماء ينهل منه ذيبان الفلا
عنه اللباس وصيروه مجدلاً
بالخسف في طفلٍ وجلّ مؤثلاً^(١)
قد حطّموا السمر اللدان الذبلاً
مزج البلاء به فأمسوا في البلاء
كرمياً وأوصلت الرؤس الأرجلا
دار المقامة في القيامة مؤثلاً
شاكٍ إلى ربّ السموات العلى
نهلاً يرى البيض الصوارم منها
كالبحر آخره يحاكي الأولا
فغدا لهم لحم الفوارس مأكلاً
وأبوه يسقي في المعاد السلسلا
ظمئت فأشربت الحمام دم الطلا^(٣)
حمرّاً وشهب الخيل دهماً جفلاً^(٤)

١ - الطفل من طفلت الشمس: دنت للغروب. المؤثّل: الدائم.

٢ - السغوب والسغب: الجوع.

٣ - الكواسر جمع الكائرة مؤنث الكائر: العقاب. الطلا: ولد الظبي ساعة يولد. الصغير من كل شيء.

٤ - الشهب والشهباء: بياض يتخلله سواد. الدهمة: السواد. الجفل من جفل الشعر: شعث وثار.

هاتيك بالدم قد صبغن وهذه
عقدت سنانك صافنات خيوله
ودجت عجاجته ومد سواده
وكأتمم لمع الصوارم تحته
جيش ملا فوة الفلا وأتى فلا
أبناء من جحد الوصي وكذب
بذلوا النفوس وبذلوا من جهلهم
فمحلل قد صبروه محرمأ
وتعمدوا قتل الوصي وحرفوا
وأتوا إلى قتل الحسين وأججوا
فسطا عليهم بالنزال بعزيمة
من فوق طرف أعوجي سابح
فرس حوافره بغير جماجم الـ
أضحى بمبيض الصباح مجللا
وبكفه سيف جراز باتر
فقر الجماجم والطلا بغيره (٤)
فكأته وجواده وحسامه (٥)
شمس على الفلك المدار بكفه

صُغت بنقع صبغة لن تنصلا
من فوق هامات الفوارس قسطلا (١)
حتى أعاد الصبح ليلاً أليلا
برق تألق في غمام فأنجلي
أمست سنانك خيله تقلي الفلا
الهادي النبي وكان حقاً مرسلا
ما ليس في الإسلام كان مبذلاً
ومحرّم قد غادروه محللاً
ما كان أحمد في الكتاب له تلا
ناراً لهيب ضرامها لن يسطلي
تذر الحسام المشرفي مفللاً
كالبرق يسبق في سوره الشمألا (٢)
فرسان في يوم الوغى لن تنعلا
وغدا بمسوّد الظلام مسربلا
عضب يضم الغمد منه جدولا (٣)
من كل كفار وأبرى المفصلا
يا صاحبي لمن أراد تأملا
قمر منازل الجماجم والطلا

١ - السنبك: طرف الحافر. ج السنانك. الصافنات جمع الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم مطرفاً حافر الرابعة. القسطل: المنية. الغبار الساطع في الحرب.

٢ - الطرف من الخيل: الكريم الطرفين. السابح من سبح في الماء: عام وانبسط فيه و يستعار لمر النجوم وجرى الفرس. الشمال: ربح الشمال.

٣ - الجراز بضم المعجمة: السيف القاطع. الباتر: السيف القاطع ج بواتر. العضب: السيف القاطع.

٤ - الفقر: الحز. الطلا بضم المهلة وكسرهما: قشرة الدم. الغرار: حد السيف.

٥ - سبقه الى مثل هذه البداة شيخنا علاء الدين الشفهي بما هو أوسع وأبلغ راجع ج ٦ ص ٣٦٢ ط ٢.

والخيل محذقةٌ بجسيم جماله
والسبب يخرق المواكب حاملاً
فبسين سمر الخطّ يطعن أنجلاً
فتخال طاء الطعن أنى أعجمت
حتى إذا ما السبب آن مماته
داروا به النفر الطغاة بنو الزنات
ورماه بعض المارقين بعيطل
وأتى بغى بني ضباب صائلاً
وجثى على صدر الحسين وقلبه
فبرى بسيف البغي رأساً طالماً
واسودّ قرص الشمس ساعة قتله
ونعاه جبريل وميكال وإسرا
والطير في الأغصان ناح مغرداً
وأتى الجواد ولا جواد فوقه
عالي الصهيل بمقلّة إنسانها
فسمعن نسوان الحسين صهيله
ينثون من جئون العيون مدامعاً
حتى إذا قُتل الحسين وأصبحت
ومنازل التنزيل حلّ بها العزا
بغت البغاة جهالة سبي النسا

وقلوبهم في الغلي تحكي المرجلا (١)
بعزيمة تردى الخميس الجحفاً
وبياء بيض الهند يضرب أهلاً (٢)
نقطاً وضاد الضرب كيف تشكلاً
وعليه سلطان الحمام توكلأ
العاهرات وطبقوا رحب الفلا
سهماً فخرّ على الصعيد مجدلاً
بالقسّ تغميض القطامي الأجدلاً
حقدأ وعدواناً عليه قد امتلاً
لثم النبيّ ثنيتيه وقبلاً
أسفاً وشهب الفلك أمست أقلاً
فيل والعرش المجيد تزلزلاً
والووحش في القيعان ناح وأعولاً
متوجّعاً متفجّعاً متوجّلاً
باكٍ يسحّ الدمع نقطاً مهملاً
فيرزن من خلل المضارب ثكلاً
حمرأ على بيض السوالف هطّلاً (٣)
من بعده غرّ المدارس غطّلاً
ومن الجليس أنيس مربعها خلا
وبغت وحقّ لمن بغى أن يجهاً

١ - المرجل: القدر.

٢ - الانجل من نجل الرجل نجلاً: وسعت عينه وحسنت. الاهدل: المسترخى المشفر أو الشفة.

٣ - ينثون من نثى نثوا: فرق ونشر. الجون: الأبيض. الاسود. السوالف جمع السالفة صفحة العنق، وسالفة الفرس: ما تقدم من عنقه. هطل المطر: نزل متتابعاً متفرقاً عظيم القطر فهو هاطل والجمع هطل.

نصبوا بمرفوع القناة كريمه (١)
وسروا بنسوته السراة بلا مالا
وغدوا بزين العابدين الساجد
وسكينة أمست وساكن قلبها
وبدال دمع العين منها غرقت
وديارهنّ الأنسات بلاقع
والصبر عني ضاعن مترحل
ومدامعي فوق الحدود نوازل
تسري بمنّ إلى الشئام عصاة
ترضي يزيد لكي يزيد لها العطا
فلألعننّ بني أمية ما حدا
ولألعننّ زيادها ويزيدها
تبّاً لهم فعلوا بآل محمّد
ولأبكينّ على الحسين بمدمع
يا طفّ طاف على ثراك من الحيا
ذو هيدب متراكب متلاحم (٥)
يشفيك إذ يسقيك منه بوابل
ثمّ السّلام من السّلام على الذي

جهراً وجروا للمعاصي أذيلا
حسرى يلاحظهنّ الحاظ الملا
الحبر الأمين مقيّدا ومغللا
متحرّك فيه الأسى لن يرحلا
صاد الصعيد وأنبتت كاف الكلا
أقوت (٢) وكنّ بها الأحبة نزلا
لما شددن على المطي الأرحلا
لما زمن جمالهنّ البرزلا (٣)
أمويّة تبغي العطاء الأجزلا
جهلاً ويتحفها السؤال معجّلا
الحادي وما سرت الركائب قفلا
ويزيدنها ربّي عذاباً منزلا
ما ليس تفعله الجبابة الأولى
قان أبّل به الصعيد المحلا
هامّ تسير به السحائب جفلا (٤)
عالي البروق يسحّ دمعاً مُسبلا
عذب له أرنج يُحاكي المنذلا (٦)
نُصبت له في (خم) رايات الولا

١ - الكريمة: كل جارحة شريفة.

٢ - أقوت الدار: خلت من ساكنيها.

٣ - زعم الجمال: خطمها. بزل البعير: انشق نابه. فهو بازل ج بوازل وبزل.

٤ - الحيا: المطر. هام فاعل من همي يهمني همياً أى سال لا يثنيه شيء. جفل: أى أسرع. والجفيل: الكثير.

٥ - الهيدب من السحاب: المتدلى الذي يدنو من الارض. المتلاحم: المتلاصق والمتلائم.

٦ - الوابل: المطر الشديد. الارج: الرائحة الطيبة المندل بفتح الميم. العود الطيب الرائحة.

تالي كتاب الله أكرم من تلا
زوج الرسول أخ الرسول مطلق
رجلٌ تسربل بالعفاف وحبذا
تلقاه يوم السلم غيثاً مُسبلاً
ذو الراحة اليمنى التي حسناها
والمعجزات الباهرات النيرت
منها رجوع الشمس بعد غروبها (٢)
ولسيره فوق البساط فضيلة (٣)
وخطاب أهل الكهف منقبة غلت
وصعود غارب أحمد فضل له
هذا الذي حاز العلوم بأسرها
هذا الذي بصّلاته وصلاته
هذا الذي بحسامه وقناته
وأباد مرحب في النزال بضربة
وكتائب الأحزاب صيرّ عمروها
وتبوك نازل شوسها فأبادهم
وبه توسّل آدم لما عصى
وبه دعا نوح فسارت فلكه
وبه الخليل دعا فأضحت ناره
وبه دعا موسى تلقفت العصا
وبه دعا عيسى المسيح فأنطق

وأجلٌ من للمصطفى الهادي تلا
الدينيا وقالها بنيران القلا
رجلٌ بأثواب العفاف تسربلا
وتراه يوم الحرب ليشاً مُشبلاً
مدّت على كيوان باعاً أطولا (١)
المشركات المعذرات لمن غلا
نبأ تصير له البصائر دُهلاً
أوصافها تُعيي الفصيح المقولا
وعلت فجاوزت السماك الأعزلا
دون القرابة والصحابة أفضلا
ما كان منها مُجماً ومفصلاً
للدين والدينيا أتم وأكماً
في خير صعب الفتوح تسهلاً
ألقت على الكفار عبئاً مُثقلا
بدمائمه فوق الرمال مُرملاً
ضرباً بصارم عزيمة لن يُفلاً
حتى اجتبهاه رُئنا وتقبلاً
والأرض بالطوفان مفعمة ملا
برداً وقد أذكت حريقاً مُشعلا
حيات سحر كُنَّ قدماً أحبلا
الميت الدفين به وقام من المبالا

١ - كيوان: زحل تحيط به منطقة نيرة يضرب به المثل في العلو والبعد. الباع: قدر مد اليدين.

٢ - مر حديث رد الشمس في الجزء الثالث ص ١٢٦ - ١٤١ ط ٢.

٣ - أخرجها الثعلبي والفقهاء المغازلي والقزويني عن ابن عباس وأنس بن مالك وستأني بلفظها في محلها انشاء الله تعالى.

وبخم وأخاه النبي محمّد
عذل النواصب في هواه وعنفوا
ومدحتهم رغباً على آناهم
وتراب نعل أبي تراب كلّما
فعليه أضعاف التحيّة ما سرى
سمعاً أمير المؤمنين قصائد
عربيّة نشأت بحلّة بابل
سادت فشادات للعنّس صالح
وسمت قلوب حواسدي وسمت على
وعلت بمدحك يا عليّ ووازنت
حقّاً وذلك في الكتاب تنزّلاً
فعصيتهم وأطعت فيه من غلا
مدحاً به ربّي صدا قلبي جلا
مسّ القذا عيني يكون لها جلا
سار وما سحّ السحاب وأهملا
تزداد ما مرّ الزمان تجمّلا
فغدت تُججّل بالفصاحة جرولا
مجداً على هام النجوم مؤثّلا
[نمّ العذار بعارضيه وسلسلا] (١)
[لم أبك ربّاً للأحبة قد خلا] (٢)

(ما يتبع الشعر)

ذكر شاعرنا ابن العرندس في قصيدته هذه جملةً من مناقب مولانا أمير المؤمنين وقد مرّ تفصيل بعضها، وستوافيك كلمتنا
الضافية في بعضها الآخر، ونقتصر في المقام على ما أشار إليه بقوله:

وصعود غارب أحمد فضل له دون القربانة الصّحابة أفضلا

عن عليّ رضي الله عنه قال: انطلق بي رسول الله ﷺ إلى الأصنام فقال: اجلس فجلست إلى جنب الكعبة ثمّ صعد
رسول الله ﷺ على منكي ثمّ قال: انهض بي إلى الصنم فنهضت به فلمّا رأى ضعفي تحته قال: اجلس فجلست وأنزلته
عني وجلس لي رسول الله ﷺ ثمّ قال لي: يا عليّ! اصعد على منكي. فصعدت على منكيه ثمّ نهض بي رسول الله
ﷺ فلمّا نهض بي خيل لي أنّي لو شئت نلت أفق السّماء وصعدت على الكعبة وتنحّى رسول الله ﷺ فألقيت
صنمهم الأكبر صنم قريش وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض فقال لي رسول الله ﷺ: عالجّه فعالجته فما
زلت

١ - مطلع قصيدة للشيخ علاء الدين الحلّي المذكورة في الجزء السادس ص ٣٨٣ ط ٢.

٢ - هي قصيدة جمال الدين الحلّي المترجم في الجزء السادس ص ١٢ - ١٩ والقصيدة في الامام السبط الشهيد تقدّر ب ٧٥ بيتاً كما مرّ في ج ٦ ص

أعاجله ورسول الله ﷺ يقول: إيه إيه إيه. فلم أزل أعاجله حتى استمكنت منه فقال: دَقَّه فدققته وكسرتة ونزلت. وفي لفظ: قال رسول الله ﷺ: اقذف به. فكدفت به فتكسّر كما تنكسر القوارير ثم نزلت. وفي لفظ: ونزوت من فوق الكعبة.

وعن جابر بن عبد الله قال: دخلنا مع النبي ﷺ مكة وفي البيت وحوله ثلاثمائة وستون صنماً فأمر بها رسول الله ﷺ فألقيت كلها لوجوهها وكان على البيت صنمٌ طويلٌ يقال له: هبل. فنظر النبي ﷺ إلى عليّ وقال له: يا عليّ! تركب عليّ أو أركب عليك لألقي هبل. عن ظهر الكعبة؟ قلت: يا رسول الله! بل تركبني: فلما جلس على ظهري لم استطع حمله لثقل الرسالة قلت: يا رسول الله! بل أركبك. فضحك ونزل وطأطأ لي ظهره واستويت عليه فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو أردت أن أمسك السماء لأمسكتها بيدي، فألقيت هبل عن ظهر الكعبة فأنزل الله تعالى: وقل جاء الحق وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً.

وعن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ لعليّ: قم بنا إلى الصنم في أعلى الكعبة لنكسره فقاما جميعاً فلما أتياه قال له النبي ﷺ: قم على عاتقي حتى أرفعك عليه فأعطاه عليّ ثوبه فوضعه رسول الله ﷺ على عاتقه ثم رفعه حتى وضعه على البيت فأخذ عليّ الصنم وهو من نحاس، فرمى به من فوق الكعبة كأنما كان له جناحان.

هذه الأثرية أخرجتها أمة من الحفاظ وأئمة الحديث والتاريخ، وأخذها منهم رجال التأليف في القرون المتأخرة وذكروها في كتبهم مرسلين إيّاها إرسال المسلم من دون أي غمز في سندها وإليك جملة منهم:

- ١ - اسباط بن محمد القرشي المتوفى ٢٠٠ روى عنه أحمد في المسند.
- ٢ - الحافظ أبو بكر الصغاني المتوفى ٢١١ حكاه عنه السيوطي.
- ٣ - الحافظ ابن أبي شيبه المتوفى ٢٣٥ حكاه عنه الزرقاني والسيوطي.
- ٤ - إمام الحنابلة أحمد المتوفى ٢٤١ في مسنده ١: ٨٤ باسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.
- ٥ - أبو علي أحمد المازني المتوفى ٢٦٣ روى عنه النسائي.

- ٦ - الحافظ أبو بكر البزار المتوفى ٢٩٢ كما في الينابيع.
- ٧ - الحافظ ابن شعيب النسائي المتوفى ٣٠٣ في الخصائص ص ٣١.
- ٨ - الحافظ أبو يعلى الموصلي المتوفى ٣٠٧ في مسنده.
- ٩ - الحافظ أبو جعفر الطبري المتوفى ٣١٠ كما في جمع الجوامع.
- ١٠ - الحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفى ٣٦٠ كما في تاريخ الخميس.
- ١١ - الحافظ الحاكم النيسابوري المتوفى ٤٠٥ في المستدرک ٢: ٣٦٧ وصححه.
- ١٢ - الحافظ أبو بكر الشيرازي المتوفى ٤٠٧ / ١٠ في نزول القرآن من طريق جابر.
- ١٣ - الحافظ أبو محمد أحمد بن محمد العاصمي في زين الفتى شرح سورة هل أتى.
- ١٤ - الحافظ أبو نعيم الإصبهاني المتوفى ٣٤٠ روى عنه الخطيب املاءً.
- ١٥ - الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفى ٤٥٨ روى من طريقه الخوارزمي.
- ١٦ - الحافظ الخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣ في تاريخه ١٣: ٢. ٣.
- ١٧ - الفقيه أبو الحسن ابن المغازلي المتوفى ٤٨٣ في مناقبه من طريق أبي هريرة.
- ١٨ - الحافظ أبو عبد الله الفراوي المتوفى ٥٣٠ كما في كفاية الكنجي.
- ١٩ - أخطب خطباء خوارزم المتوفى ٥٦٨ في المناقب ص ٧٣ من طريق الحافظين: البيهقي والحاكم.
- ٢٠ - الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي المتوفى ٥٩٧ في صفة الصفوة ١ ص ١١٩.
- ٢١ - الحافظ رضي الدين أبو الخير الحاکمي في أربعينه في فضائل عليّ عليه السلام.
- ٢٢ - الحافظ أبو عبد الله ابن النجار المتوفى ٦٤٣ كما في الكفاية.
- ٢٣ - أبو سالم ابن طلحة الشافعي المتوفى ٦٥٢ في مطالب السؤول ص ١٢.
- ٢٤ - أبو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي المتوفى ٦٥٤ في التذكرة ص ١٧].
- ٢٥ - الحافظ أبو عبد الله الكنجي المتوفى ٦٥٨ في الكفاية ص ١٢٨. وقال: رواه الحاكم والبيهقي، وهو حديث حسن ثابت عند أهل النقل.
- ٢٦ - الحافظ الصالحاني كما في تاريخ الخميس.
- ٢٧ - الحافظ محب الدين الطبري المتوفى ٦٩٤ في الرياض النضرة ٢: ٢٠٠ نقلاً عن أحمد وابن الجوزي والحاكمي

٢٨ - جمال الدين أبو عبد الله ابن النقيب المتوفى ٦٩٨ في تفسيره والعبر.

٢٩ - شيخ الإسلام الحموي المتوفى ٧٢٢ في فرائد السمطين.

٣٠ - الحافظ شمس الدين الذهبي المتوفى ٧٤٨ في تلخيص المستدرک و قال: إسناده نظيفٌ والمتن منكّرٌ. قال الأُميني: لم يك يعرف أيّ حافظ هذه النكارة في تلك القرون الخالية إلى أن جاد الدهر بالذهبي، وكوى الحديث بعينه، فكوّه نار حقه، غير أنّ تلك النكارة الموهومة دفنت معه ولم يتبع أثره فيها أيّ محدّث بعده.

٣١ - الحافظ الزرندي المتوفى بضع و ٧٥٠ في نظم درر السمطين.

٣٢ - الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١ في الجامع الكبير كما في ترتيبه ٦: ٤٠٧ عن ابن أبي شيبة، وعبد الرزاق، وأحمد، وابن جرير، والخطيب، والحاكم وقال: صححه. وذكره في الخصائص الكبرى ١: ٢٦٤.

٣٣ - الحافظ أبو العباس القسطلاني المتوفى ٩٢٣ في المواهب اللدنية ١ ص ٢٠٤ نقلاً عن ابن النقيب.

٣٤ - القاضي الديار بكري المالكي المتوفى ٩٦٦ / ٨٢ في تاريخ الخميس ٢ ص ٩٥ نقلاً عن الطبراني والزرندي والصالحاني وابن النقيب المقدسي والمحّب الطبري وصاحب شواهد النبوة فقال: ثمّ إنّ عليّاً أراد أن ينزل فألقى نفسه من صوب الميزاب تأدّباً وشفقةً على النبي ﷺ ولما وقع على الأرض تبسّم فسأله النبي ﷺ عن تبسّمه؟ قال: لأني ألقيت نفسي من هذا المكان الرفيع وما أصابني ألمٌ. قال: كيف يصيبك ألمٌ وقد رفعتك محمد وأنزلك جبريل؟ وقال الشاعر:

قيل لي: قل في عليّ مدحاً	ذكره يخمد ناراً موصدّه
قلت: لا أقدم في مدح امرئ	ضلّ ذو اللبّ إلى أن عبده
والنبيّ المصطفى قال لنا:	ليلة المعراج لمّا صعدّه
وضع الله بظهوري يده	فأحسّ القلب أن قد برده
وعليّ واضع أقدامه	في محلّ وضع الله يده

٣٥ - نور الدين الحلبي الشافعي المتوفى ١٠٤٤ في السيرة الحلبية ٣: ٩٧.

٣٦ - أبو عبد الله الزرقاني المالكي المتوفى ١١٢٢ في شرح المواهب ٢: ٣٣٦ عن

إبن أبي شيبه والحاكم فقال: قد أجاد القائل:

يا ربّ بالقدم التي أوطأتها من قاب قوسين المحلّ الأعظم
وبجرمة القدم التي جعلت لها كتف المؤيّد بالرسالة سلّم
ثبّت على متن الصراط تكزّماً قدمي وكن لي منقذاً ومسلّم
واجعلهما ذخري فمن كانا له ذخراً فليس يخاف قطّ جهنّم

٣٧ - السيّد أحمد زيني دحلان المكي المتوفّي ١٢٣٢ في السيرة النبويّة هامش الحليّة ٢: ٢٩٣ فقال: وقد أجاد القائل:

يا ربّ بالقدم التي أوطأتها إلى آخر الأبيات المذكورة

٣٨ - شهاب الدين الألوسي المتوفّي ١٢٧٠ في شرح العينيّة ص ٧٥ وقد مرّت كلمته في ج ٦ ص ٢٢.

٣٩ - خواجه كلان القندوزي المتوفّي ١٢٩٣ في ينابيع المودّة ص ١٩٣ عن البزار وأبي يعلى الموصلي.

٤٠ - الشيخ أبو بكر بن محمّد الحنفي المتوفّي ١٢٧٠ في قرة العيون المبصرة ج ١ ص ١٨٥.

٤١ - السيّد محمود القراغولي الحنفي في جوهرة الكلام ص ٥٥، ٥٩.

(الشاعر)

الشيخ صالح بن عبد الوهاب بن العرندس الحلي الشهير بابن العرندس، أحد أعلام الشيعة ومن مؤلّفي علمائها في الفقه والأصول، وله مدائح ومراثي لأئمة أهل البيت عليهم السّلام تنمّ عن تفانيه في ولائهم ومناوئته لأعدائهم، ذكر شطراً منها شيخنا الطريحي في «المنتخب» وجملة منها مبثوثة في المجاميع والموسوعات، وعقد له العلامة السماوي في «الطلیعة» ترجمة اطراه فيها بالعلم والفضل والتقوى والنسك والمشاركة في العلوم. وأشفع ذلك الخطيب الفاضل اليعقوبي في «البابليات» وأثنى عليه ثناءً جميلاً، وذكر في «الطلیعة» أنّه توفّي حدود ٨٤٠ بالحلة الفيحاء ودفن فيها وله قبرٌ يزار ويتبرّك به.

كان ابن العرندس يحاول في شعره كثيراً الجناس على نمط الشيخ علاء الدين الشافعي المترجم في الجزء السادس ص ٣٥٦ وتعلوه القوّة والمتانة، ويُعرب عن تضلّعه من العربيّة واللغة، ولولا تهالكه على ما تجده في شعره من الجناس الكثير لكان ما ينظمه أبلغ وأبرع ممّا هو الآن.

ومن شعر شيخنا الصّالح رائيّة اشتهر بين الأصحاب أنّها لم تقرأ في مجلس إلّا وحضره الإمام الحجّة المنتظر عجّل الله تعالى فرجه، توجد برمتها في منتخب شيخنا الطريحي ٢: ٧٥ وهي:

طوايا نظامي في الزّمان لها نشرُ	يعطّرها من طيب ذكراكم نشرُ
قصائدُ ما خابت لها مقاصدُ	بواطنها حمدُ ظواهرها شكرُ
مطالعها تحكي النجوم طوالعاً	فأخلاقها زهرُ وأنوارها زهرُ
عراس تجلي حين تجلي قلوبنا	أكاليلها درُ وتيجانها تبرُ
حسان لها حسان بالفضل شاهد	على وجهها تبرُ يُزان بها التبرُ
أنظّمها نظم اللّالي وأسهر الليالي	لي ليحي لي بها وبكم ذكرُ
فيا ساكني أرض الطفوف عليكم	سلامُ محبّ ما له عنكم صبرُ
نشرت دواوين الثنا بعد طيّها	وفي كلّ طرس من مديحي لكم سطرُ
فطابق شعري فيكم دمع ناظري	فمبيضُ ذا نظمٍ ومحمّرُ ذا نشرُ
فلا تتهموني بالسّلوّ فإنّما	مواعيد سلواني وحقّكم الحشرُ
فذلّي بكم عزّ وفقري بكم غيّ	وعسري بكم يسر وكسري بكم جبرُ
ترقّ بروق السّحب لي من دياركم	فينهل من دمعني لبارقها القطرُ
فعيناي كالخنساء ^(١) تجري دموعها	وقلبي شديدٌ في محبّتكم صخرُ
وقفت على الدّار التي كنتم بها	فمغناكم من بعد معناكم فقرُ
وقد دُرست منها الدُّروس وطالما	بها درس العلم الآلهي والذكرُ
وسالت عليها من دموعي سحائبُ	إلى أن تروى البان بالدمع والسّدرُ

١ - هي الخنساء بنت عمرو بن الحارث شاعرة صحابية شهيرة لها شعر كثير في رثاء أخيها لابيها صخر وقد قتله بنو أسد.

فَإِذَا فَرَّقَ الْفَرَقَ لِي بَعْدَ بَعْدِكُمْ
 وَقَدْ أَفْلَعْتَ عَنْهَا السَّحَابُ وَلَمْ يُجِدْ
 إِمَامَ الْهَدَى سَبَطَ النُّبُوَّةَ وَالِدَ الْأُمَّةِ
 إِمَامًا أَبَوَهُ الْمُتَرْضَى عَلِمَ الْهَدَى
 إِمَامًا بَكَّتْهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَالسَّمَاءُ
 لَهُ الْقَبَّةُ الْبَيْضَاءُ بِالطُّفِّ لَمْ تَنْزِلْ (١)
 وَفِيهِ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ وَقَوْلُهُ
 : حُجِّي بِثَلَاثِ مَا أَحَاطَ بِمَثَلِهَا
 لَهُ تَرْبَةٌ فِيهَا الشِّفَاءُ وَقَبَّةٌ
 وَذُرِّيَّةٌ ذُرِّيَّةٌ مِنْهُ تَسْعَةُ
 أَيْقَتِلْ ظِمَانًا حَسِينًا بِكَرْبَلَا
 وَوَالِدَهُ السَّاقِي عَلَى الْحَوْضِ فِي غَدٍ
 فَوَاهِفَ نَفْسِي لِلْحَسَنِ وَمَا جَنَى
 رَمَاهُ بِجَيْشِ كَالظَّلَامِ قَسِيَّةَ الْأُ
 لِرَايَاتِهِمْ نَصَبٌ وَأَسْيَافُهُمْ جَزْمٌ
 تَجَمَّعَ فِيهَا مِنْ طَغَاةِ أُمِّيَّةٍ
 وَأَرْسَلَهَا الطَّاغِي يَزِيدُ لِيَمْلِكُ الْ
 وَشَدَّ لَهُمْ أَزْرًا سَلِيلَ زِيَادِهِمَا
 وَأَمَّرَ فِيهِمْ نَجْلَ سَعْدٍ لِنَحْسِهِ
 فَلَمَّا التَّقَى الْجَمْعَانِ فِي أَرْضِ كَرْبَلَا
 فَحَاطُوا بِهِ فِي عَشْرِ شَهْرٍ مُحَرَّمٍ
 فَقَامَ الْفَتْحُ لِمَا تَشَاجَرَتِ الْقَنَا
 وَجَالِ بِطَرْفٍ فِي الْمَجَالِ كَأَنَّ

وَدَارَ بِرَسْمِ الدَّارِ فِي خَاطِرِي الْفَكْرُ
 وَلَا دَرَّ مِنْ بَعْدِ الْحَسَنِ لَهَا دُرٌّ
 رَبِّ النَّهْيِ مَوْلَى لَهُ الْأَمْرُ
 وَصِيُّ رَسُولِ اللَّهِ وَالصَّنَو وَالصَّهْرُ
 وَوَحْشُ الْفَلَا وَالطَّيْرِ وَالْبَرْ وَالْبَحْرُ
 تَطُوفُ بِهَا طَوْعًا مَلَأَتْكَ غُرٌّ
 صَحِيحٌ صَرِيحٌ لَيْسَ فِي ذَلِكَ نَكْرُ
 وَلِيٌّ فَمَنْ زَيْدٌ هُنَاكَ وَمَنْ عَمْرُو؟
 يُجَابُ بِمَا الدَّاعِي إِذَا مَسَّ الضَّرُّ
 أُمَّةٌ حَقٌّ لَا ثَمَانٌ وَلَا عَشْرُ
 وَفِي كُلِّ عَضْوٍ مِنْ أَنْأَمْلِهِ بِحُرٍّ؟
 وَفَاطِمَةُ مَاءِ الْفَرَاتِ لَهَا مَهْرُ
 عَلَيْهِ غَدَاةُ الطُّفِّ فِي حَرْبِهِ الشَّمْرُ
 هَلَّةٌ وَالْخَرْصَانُ أَنْجَمُهُ الزَّهْرُ
 وَلِلنَّقْعِ رَفْعٌ وَالرِّمَاحُ لَهَا جَرُّ
 عَصَابَةُ غَدَرٍ لَا يَقُومُ لَهَا عَذْرُ
 عِرَاقٍ وَمَا أَغْتَنَاهُ شَامٌ وَلَا مَصْرُ
 فَحَلَّ بِهِ مِنْ شَدِّ أَزْهَمِ الْوَزْرُ
 فَمَا طَالَ فِي الرِّيّ الْعَيْنُ لَهُ غُمْرُ
 تَبَاعَدَ فَعَلَ الْخَيْرِ وَاقْتَرَبَ الشَّرُّ
 وَبَيْضُ الْمَوَاضِي فِي الْأَكْفِ لَهَا شَمْرُ
 وَصَالٍ وَقَدْ أَوْدَى بِمَهْجَتِهِ الْحُرُّ
 دَجَى اللَّيْلِ فِي الْأَلَاءِ غَرَّتْهُ الْفَجْرُ

١ - تلك القبة المقدسة كانت بيضاء في تلك القرون وأما اليوم فقد تغشيتها صفائح النضار، فهي صفراء لونها تسر الناظرين كما أن باطنها سرح ممر من قوارير.

له أربع للريح فيهن أربع
ففرق جمع القوم حتى كأثم
فأذكرهم ليل الهير فاجمع الكلا
هناك فذته الصالحون بأنفس
وحادوا عن الكفار طوعاً لنصره
ومدوا إليه ذبلاً سمهريّة (٤)
فغادره في مارق الحرب مارق
فمال عن الطرف الجواد أخو الندى
سنان سنان خارق منه في الحشا
تجرّ عليه العاصفات ذيولها
فرجّت له السبع الطباق وزلزلت
فيالك مقتولاً بكته السّما دماً
ملا بسه في الحرب حمز من الدما
ولففي لزين العابدين وقد سرى
وآل رسول الله تسبي نسائهم

لقد زانه كز و ما شأنه الفر
طيور بغاث (١) شتّ شملهم الصقر
ب على الليث الهير وقد هروا (٢)
يضعف في يوم الحساب لها الأجر
وجاد له بالنفس من سعه الخر (٣)
لطول حياة السبط في مدّها جزر
بسهم لنحر السبط من وقعه نحر
الجواد قتيلاً حوله يصهل المهر (٥)
وصارم شمّر في الوريد له شمّر (٦)
ومن نسج أيدي الصافنات له طمر (٧)
رواسي جبال الأرض والتطم البحر
فمغبر وجه الأرض بالدم محمّر
وهنّ غداة الحشر من سندس خضر
أسيراً عليلاً لا يفكّ له أسر
ومن حولن الستر يهتك والخدر

١ - البغاث بتثليث الباء: طائر أبغث أصغر من الرخم بطيئ الطيران ج بغثان.

٢ - ليلة الهير من ليالى صفين قتل فيها ما يقرب من سبعين ألف قتيل ولمولانا أمير المؤمنين ولاصحابه في تلك الليلة موقف شجاعة يذكر مع الابد.

الهير كأمير. هير الكلب صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد.

٣ - الحر بن يزيد الرياحي التميمي البربوعى كان سلام الله عليه شريف قومه جاهلية و اسلاماً كما قاله ابن الاثير.

٤ - الذبّل بضم المعجمة ثم الموحدة المفتوحة جمع الذابل: الرقيق. السمهري: الرمح الصلب.

٥ - الطرف كما مر من الخيل: الكريم الطرفين: الاب والام. المهر: ولد الفرس.

٦ - الشمر بفتح المعجمة من شمر تشميراً: مر مسرعاً. وأشمره بالسيف: أدرجه.

٧ - العاصفات: الارياح الشديدة. الصافنات « راجع ص ٥ » الطمر: الثوب البالي.

سببايا بأكوار المطايا حواسراً
ورملة^(١) في ظلّ القصور مصونة
فويلّ يزيدٍ من عذاب جهنّم
ملابسها ثوبٌ من السمّ أسودّ
تنادي وأبصار الأنام شوأخصّ
وتشكو إلى الله العليّ وصوتها
فلا ينطق الطاعي يزيد بما جنى
فيؤخذ منه بالقصاص فيحرم النعم
ويشدد له الشادي فيطر به الغنا
فذاك الغنا في البعث تصحيفه الغنا
أيقع جهلاً ثغر سبط محمّد
فليس لأخذ الثار إلا خليفة
تحفّ به الأملاك من كلّ جانب
عوامله في الدار عين شوارع
تظللّه حقّاً عمامة جدّه
محيطٌ على علم النبوة صدره
هو ابن الإمام العسكريّ محمّد التـ
سليل علي الهادي ونجل محمّد الجـ
عليّ الرضا وهو ابن موسى الذي قضى
وصادق وعبد أنّه نجل صادق
وبهجة مولانا الإمام محمّد

يلاحظهنّ العبد في الناس والحرّ
يُباط على أقرطها الدرّ والتبرّ
إذا أقبلت في الحشر فاطمة الطهر
وأخرُ قانٍ من دم السبط محمّر
وفي كلّ قلبٍ من مهابتها دُعر^(٢)
عليّ ومولانا عليّ لها ظهر
وأنتى له عذرٌ ومن شأنه الغدر؟
سيم ويُخلّى في الجحيم له قصر
ويسكب في الكاس التّضار له خمّر
وتصحيف ذاك الخمر في قلبه الجمر
وصاحب ذاك الثغر يُحمى به الثغر؟
يكون لكسر الدين من عدله جبر
ويقدمه الإقبال والعزّ والنصر
وحاجبه عيسى وناظره الخضر
إذا ما ملوك الصيد ظلّ لها الجبر
فطوبى لعلم ضمّه ذلك الصدر
ققيّ النقي الطّاهر العلم الحبر
واد ومن في أرض طوس له قبر
ففاح على بغداد من نشره عطر
إمامٌ به في العلم يفتخر الفخر
إمامٌ لعلم الأنبياء له بقّر

١ - رملة بنت معاوية بن أبي سفيان، شبيب بها عبد الرحمن بن حسان بأبيات أولها:

رمل هل تذكرين يوم غزال
اذ قطعنا مسيرنا بالتمنى

ولهذا التشبيب قصة توجد في معاجم التراجم.

٢ - الشواخص من شخص البصر، أى: فتح عينيه فلم يطرف. الذعر: الفزع والخوف.

سلالة زين العابدين الذي بكى
سليل حسين الفاطمي وحيذر الـ
له الحسن المسموم عمُّ فحبَّذا الإِ
سميُّ رسول الله وارث علمه
هم التَّور نور الله جلَّ جلاله
مهابط وحي الله خزَّان علمه
وأسمائهم مكتوبةٌ فوق عرشه
ولولاهم لم يخلق الله آدمًا
ولا سطحت أرضٌ ولا رُفعت سما
ونوحٌ به في الفلك لما دعا نجا
ولولاهم نار الخليل لما غدت
ولولاهم يعقوب ما زال حزنه
ولان لداؤد الحديد بسرهم
ولما سليمان البساط به سرى
وسحَّرت الريح الرِّحاء بأمره
وهم سرُّ موسى والعصا عندما عصى
ولولاهم ما كان عيسى بن مريم
سرى سرهم في الكائنات وفضلهم
علا بهم قدرى وفخري بهم غلا
مصائبكم يا آل طه! مصيبةٌ
سأندبكم يا عدَّتِي عند شدَّتِي
عرَّائس فكر الصالح بن عرندس
وكيف يحيط الواصفون بمدحكم
ومولدكم بطحاء مكَّة والصَّفا

فمن دمعه يُبس الأعاشيب مُحضُرُ
وصيِّ فمن طُهر نعى ذلك الطُّهرُ
مائمٌ الذي عمَّ الورى جوده الغمرُ
إمامٌ على آبائه نزل الذِّكرُ
هم التين والزيتون والشَّفع والوترُ
ميامين في أيَّاتهم نزل الذِّكرُ
ومكنونةٌ من قبل أن يُخلق الذرُّ
ولا كان زيْدٌ في الأنام ولا عمرو
ولا طلعت شمسٌ ولا أشرق البدرُ
وغيض به طوفانه وقضى الأمرُ
سلاماً وبرداً وانطفئ ذلك الجمرُ
ولا كان عن أيُّوب ينكشف الضرُّ
فقدرٌ في سردٍ يحير به الفكرُ
أسيلت له عينٌ يفيض له القطرُ
فغدوتها شهرٌ وروحتهَا شهرُ
أو امره فرعون والتقف السِّحرُ
لعازر من طيِّ اللحود له نشرُ
وكلُّ نبيٍّ فيه من سرهم سرُّ
ولولاهم ما كان في الناس لي ذكرُ
ورزءٌ على الإسلام أحدثه الكفرُ
وأبكيكم حزناً إذا أقبل العشرُ
قبولكم يا آل طه له ما مهرُ
وفي مدح آيات الكتاب لكم ذكرُ؟
وزمزم والبيت المحرَّم والحجرُ

جعلتكم يوم المعاد وسيلتي
سئيلي الجديدان الجديد وحبكم
عليكم سلام الله ما لاح بارق
وله من قصيدة يرثي بها الحسين عليه السلام :

بات العذول على الحبيب مسهدا
ورأى العذار بسالفه مسلسلا
هذا الذي أمسى عذولي عاذري
ريم^(١) رمى قلبي بسهم لحاظه
قمر هلال الشمس فوق جبينه
وقوامه كالغصن رنحه الصبا
فإذا أراد الفتك كان قوامه
تلقاه منعطفاً قضيماً أميداً
في طاء طرته وجيم جبينه
ليل وصبح أسود في أبيض
لا تحسبوا داود قدير سرده
لكنما ياقوت خاء خدوده
يا قاتل العشاق يا من طرفه
قسماً بثناء الثغر منك لأتته
وبراء ريق كالمدام مزاجه

فطوبى لمن أمسى وأنتم له ذخّر
جديد بقلبي ليس يُخلقه الدهر
وحلت عقود المزن وانتشر القطر

فأقام عذري في الغرام ومهدا
فأقام في سجن الغرام مقيدا
فيه وراقد مقلتيه تسهدا
عن قوس حاجبه أصاب المقصدا
عال تغار الشمس منه إذا بدا
فيه حمام الحبيبات مغردا
لدينا وجردت اللحاظ مهندا
وتراه ملتفتاً غزلاً أغيدا^(٢)
ضد ان شأنهما الضلالة والهدى
هذا أضلّ العاشقين وذا هدى
في سين سالفه فبات مسردا
نم^(٣) العذار به فصار زبرجدا
الرشاق يرشقنا سهاماً من ردى^(٤)
ثغر به جيم الجمال تنضدا^(٥)
شهد به تروى القلوب من الصدى

١ - الريم: الظبي الخالص البياض.

٢ - منعطفاً: منثنياً. القضيبي: السيف القطاع. القوس عملت من قضيبي أو غصن غير مشقوق. الاميد من ماد يعيد ميذاً: تحرك واضطرب. الاغيد من غيد يغيد غيداً: مالت عنقه لانت أعطافه فهو أغيد وهي غيداء.

٣ - نمّ نمّا: زين.

٤ - الرشق: الرمي. الردى: الهلاك.

٥ - الثغر: مقدم الاسنان. الجمال: اللؤلؤ.

إِنِّي لَقَدْ أَصْبَحْتُ عَبْدُكَ فِي الْهَوَى
فَاعْدِلْ بَعْدَكَ لَا تَجْرِ واسْمَحْ وَلَا
وَابِدِ الْوَفَا وَدَعْ الْجَفَا وَدَرِ الْعَفَا
وَفَجَعْتَ قَلْبِي بِالتَّفَرُّقِ مِثْلَمَا
سَبَطَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى الْهَادِي الَّذِي
وَهُوَ ابْنُ مَوْلَانَا عَلِيِّ الْمُرْتَضَى
أَسْمَا الْوَرَى نَسَباً وَأَشْرَفَهُمْ أَباً
بَحْرٌ طَمَأ. لَيْثٌ حَمَى. غَيْثٌ هَمَى
السَّيِّدُ السَّنْدُ الْحُسَيْنُ أَعْمُ أَهْلِ
لَمْ أَنْسَهُ فِي كَرْبَلَا مِتْلَظِيماً
وَالْمَقْنَبُ الْأَمْوِيُّ حَوْلَ خَبَائِثِهِ
عَصَبٌ عَصَتْ غَضَّتْ بِخَيْلِهِمُ الْفَضَا
حَمَّتْ كِتَابَتُهُ وَثَارَ عَجَاجُهُ
لِلنُّصَبِ فِيهِ زَمَاجِرٌ مَرْفُوعَةٌ
صَامَتْ صَوَافِنُهُ وَبَيِضَ صَفَاحُهُ
نَسَجَ الْغُبَارُ عَلَى الْأَسْوَدِ مَدَارِعاً
وَالْخَيْلُ عَابَسَتْهُ الْوَجُوهُ كَأَنَّهَا
حَتَّى إِذَا لَمَعَتْ بِرُوقِ صَفَاحِهَا
صَالَ الْحُسَيْنُ عَلَى الطُّغَاةِ بِعَزْمِهِ
وَعَدَا بِإِلَامِ اللَّدَنِ يَطْعُنُ أَنْجَالاً
فَأَعَادَ بِالضَّرْبِ الْحَسَامَ مَفْلَلاً

وَعَدُوتُ فِي شَرْحِ الْحَبَّةِ سَيِّداً
تَبَخَّلَ بِقُرْبٍ مِنْ وَفَاكَ الْأَبْعَدَا
فَلَقَدْ غَدُوتُ أَخَا غَرَامٍ مَكْمَداً
فَجَعَلْتُ أُمِّيَّةً بِالْحُسَيْنِ مُحَمَّدَاً
أَهْدَى الْأَنَامُ مِنَ الضَّلَالِ وَأَرْشَدَا
بِحَرِّ النَّدَى مَرْوِي الصَّدَا مُرْدِي الْعَدَا
وَأَجَلَّهُمْ حَسَباً وَأَكْرَمَ مُحْتَدَاً
صَبَحُ أَضَا. نَجْمٌ هَدَى. بَدْرٌ بَدَا
لِلْخَافِقِينَ نَدَى وَأَسْمَحَهُمْ يَدَا
فِي الْكَرْبِ لَا يَلْقَى لِمَاءٍ مَوْردَا
النَّبِيُّ قَدْ مَلَأَ الْفِدَافِدُ فِدْفِداً (١)
غَصَبَتْ حَقُوقُ بَنِي الْوَصِيِّ وَأَحْمَدَا
فَحَكَّى الْخَضَمُ الْمَدْلَهُمُ الْمَزِيدَا
جَزَمَتْ بِهَا الْأَسْمَاءُ مِنْ حَرْفِ النَّدَا
صَلَّتْ فَصَيَّرَتْ الْجَمَاجِمَ سَجَّداً
فِيهِ فَجَسَّدَتْ النَجِيعَ وَعَسَّجَدَا
الْعَقِيَانِ تَخْتَرَقُ الْعِجَاجُ الْأَرِيدَا
وَعَدَ الْجَبَانُ مِنَ الرِّوَاعِدِ مُرْعَدَا
لَا يَخْتَشِي مِنْ شَرْبِ كَاسَاتِ الرَّدَا
وَبَغَيْنَ غَرَبَ الْعَضْبِ يَضْرِبُ أَهْودَا (٢)
وَتَنَى السَّنَانُ مِنَ الطَّعَانِ مَقْصَّداً (٣)

١ - المقنب: الجماعة من الخيل تجتمع للغارة. الفدافد بفتح الفاء: الفلاة. فدغد بضم الفاء الجاني الكلام المرتفع الصوت.

٢ - الانجل: الواسع الطويل العريض، يقال: طعنه طعنة نجلاء. أي واسعة. الاهدود من الهوادة: اللين والرفق.

٣ - المقصدة من القصدة بالكسر: القطعة مما يكسر. يقال رمح قصدو قصيد وأقصاد: أي متكسر.

فكأتمنا فتكاتته في جيشهم
جيشٌ يريد رضى يزيد عصاةً
جحدوا العليّ مع النبيّ وخالفوا
وغواهم شيطانهم فأضلّهم
ومن العجائب أنّ عذب فرائها
طامٍ وقلب السبط ظامٍ نحوه
وكأنته والطّرف والبتّار والخمر
شمسٌ على فلكٍ وطوع يمينه
والسيدّ العباس قد سلب العدا
وابن الحسين السبط ظمآن الحشا
كالبدرٍ مقطوع الوريد له دمٌ
والسّادة الشهداء صرعى في الفلا
فأولئك القوم الذين على هدى
والسبط حرّان الحشا لمصاحبهم
حتّى إذا اقتربت أباعيد الرّدى
دارت عليه علوج آل أميّة
فرموه عن صفر القسيّ بأسهم^(٤)
فهوى الجواد عن الجواد فرجّت
واحتزّ منه الشمر رأساً طالما
فبكته أملاك السّماوات العلى

فتكات (حيدر) يوم أحدٍ في العدى
غصبت فأغضبت العليّ وأحمدا
الهادي الوصيّ ولم يخالفوا الموعدا
عمداً فلم يجدوا وليّاً مرشداً
تسري مُسلّلةً ولن تتقيّداً
وأبوه يسقي الناس سلسله غداً
صان في ظلّ العجاج وقد بدا^(١)
قمرٌ يقابل في الظّلام الفرقدا^(٢)
عنه اللباس وصيّروه مجرّداً
والماء تنهله الذناب مُبرّداً
أمسى على ترب الصعيد مُبدّداً
كلٌّ لأحقاف^(٣) الرمال توسّداً
من ريّهم فمن اقتدى بهم اهتدى
حيران لا يلقى نصيراً مُسعداً
وحياته منها القريب تبعّداً
من كلّ ذي نقص يزيد تمرداً
من غير ما جُرم جناؤه ولا اعتداً
السبع الشداد وكان يوماً أنكداً
أمسى له حجر النبوة مرقداً
والدهر بات عليه مشقوق الرّداً

١ - الطرف. راجع ص ٥. البتار: السيف القاطع. الخرصان: جمع الخرص، الرمح القصير السنان.

٢ - هذه البداعة مأخوذة من علاء الدين الشفهيّ كما مرت في ج ٦ ص ٣٦٢ ومرت لابن العرندس ايضاً في هذا الجزء ص ٥.

٣ - الاحقاف جمع الحقف: ما اعوج من الرمح واستطال.

٤ - الصفر: الدائرة: القسي جمع القوس: آلة معروفة ترمى بها السهام.

وارتدَّ كَفُّ الجود مكفوفاً وطر
والوحش صاح لما عراه من الأسى
وسروا بـزين العابدين الساجد
وسكينة سكن الأسى في قلبها
وأسال قتل الطفّ مدمع زينب
ورأيت ساجعة تنوح بأيككة (٤)
بيضاء كالصبح المضيء أكفها
ناشدتها يا ورق! ما هذا البكا
والطوق فوق بياض عنقك أسود
لما رأث ولهي وتسألني لها
رفعت بمنصوب الغصون لها يداً
: قُتل الحسين بكربلا يا ليتـه
فاذا تطوَّق ذاك دمعـي أحمر
ولبست فوق بياض عنقي من أسى
فالآن هاذاي قصّتي يا سائلي
فاندب معي بتقرُّحٍ وتحرقٍ
فلألعننّ بني أمية ما حدا
ولألعننّ يزيدا وزيادها
ولأبكينّ عليك يا بن محمّد
ولأحلينّ على غلاك مدائحاً

ف العلم مطروفاً (١) عليه أرمدا
والطير ناح على عزاه وعددا (٢)
الباكي الحزين مقيّداً ومُصقداً
فغدا بضامرها (٣) مقيماً مُقعداً
فجرى ووسط الخد منها خدداً
سجعت فأخرست الفصيح المنشدا
حمرّ تطوّقت الظلام الأسودا
ردّي الجواب فجعت قلبي المكمد
وأكفك حمراً تحاكي العسجد
ولهيب قلبي ناره لن تخمدا
جزمت به نوح النوائح سرمد
لاقى النجاة بها وكنث له الفدا
قان مسحّت به يديّ توردا
طوقاً بسين سواد قلبي أسودا
ونجيع دمعـي سائل لن يجمدا
وابكي وكن لي في بكائي مُسعدا
حادٍ وما غار الحجيج وأنجدا (٥)
ويزيدُها ربي عذاباً سرمد
حتى أوسد في التراب ملحد
من درّ ألفاظي حسناً خردا

١ - المطروفة من العين: التي اصابتها شيء فدمعت.

٢ - عدّد الميت: عدّد مناقبه ووصفها.

٣ - ضمّر فهو ضامر: هزل ودقّ وقلّ لحمه.

٤ - الايككة: الشجر الكثير الملتفّ.

٥ - غار الرجل: سار. انجد الرجل: اتى نجدا: قرب من اهله.

عُرباً فصاحاً في الفصاحة جاوزت قُسّاً^(١) وبات لها لبيد^(٢) مُبلّدا
 قلّدتها بقلائد من جودكم أضحى بها جيد الزمان مُقلّدا
 يرجو بها نجل العرندس صالح في الخلد مع حور الجنان تخلّدا
 وسقى الطفوف الهامرات من الحيا سُحباً تسحّ عيونها دمع الندى^(٣)
 ثم السّلام عليك يا بن المرتضى ما ناح طير في الغصون وغرّدا

وله قصيدة تناهز ٥٦ بيتاً يرثي بها الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه توجد في المنتخب لشيخنا الطريحي ٢ ص ١٩

ط بميء مطلعها:

نوحوا أيا شريعة المولى أبا حسن على الحسين غريب الدار والوطن

١ - قس بن ساعدة الايادي خطيب العرب قاطبة والمضروب به المثل في البلاغة.

٢ - لبيد بن ربيعة العامري توفي في أول خلافة معاوية وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة.

٣ - الها مرات من همر الماء انصب. والهمّار من السحاب: السيل. الحيا: المطر. سح الماء: صبه صبا متتابعاً غزيراً. الندى: المطر.

ابن داغر الحلي

حيّا الإله كتيبة مرتادهـا قصدت أمير المؤمنين بقبّة
وفدت على خير الأنام بحضرةٍ فيها الفتى وابن الفتى وأخو الفتى
فله الفخار قديمه وحديثه مولى البريّة بعد فقد نبيّها
وإذا القروم تصادمت في معركٍ وترى القبائل عند مختلف القنا
والشوس تعثر في الجبال وتحتها فكأنّ منتشر الرعال لدى الوغا
ورماحهم قد شطّيت عيدانها (١) والشهب تغمد في الرؤس نصولها
فترى هناك أخا النبيّ محمّدٍ متردياً عند اللقاء بحسامه
يطوى له سهل الفلا ووهادها يُبنى على هام السّماك عمادها
عند الإله مكرم وفادها أهل الفتوة ربّما مقتادها
والفاضلات طريفها وتلادها (٢) وإمامها وهماها وجوادها
والخيل قد نسج القتام طرادها منه يحذر جمعها آحادها
جرّد تجذّ إلى القتال جياها (٣) زجلّ تنشّر في البلاد جرادها
وسيوفهم قد كبرت أغمادها والسمر تصعد في النفوس صعادها (٤)
وعليه من جهد البلاء جلاها متصدياً لكماتها يصطادها

١ - الطريف: المكتسب حديثاً. التلاد والتليد: ما كان من قديم.

٢ - الشوس ج أشوس: الشديد الجرى في القتال. تعثر يقال: عثر الرجل عثوراً إذا هجم لمى امر لهم يهجم عليه غيره. المجال: محل الجولان أى الميدان. جرد جمع الاجرد: السباق من الخيل. يجذ من جذ في سيره: أسرع: الجياد ج الجواد: السريع من الفرس.

٣ - شطى تشطية: فرق، تشطى العود: تطاير شظايا: عيدان وأعود وأعواد ج العود: الخشب.

٤ - الشهب ج الشهاب: السنان. سمى به لما فيه من بريق. نصول ج النصل: حديدة الرمح والسهم. السمر: الرمح. صعاد ج الصعدة: القناة المستوية.

عضد النبي الهاشمي بسيفه
وأخاه دونهم وسدّ دوينه
وحباه في (يوم الغدير) ولايةً
فغدا به (يوم الغدير) مفضّلاً
قبلت وصيّة أحمد وبصدرها
حتى إذا مات النبي فأظهرت
منعوا خلافة ربهما ووليّهما
واعصو صلبوا في منع فاطم حقّها
وتوفّيت غصصاً وبعد وفاتها
وغدا يُسبّ على المنابر بعلمها
ولقد وقفت على مقالة حاذقٍ
[أعلى المنابر تعلنون بسبّه
يا آل بيت محمّد يا سادةً
أنتم مصاييح الظلام وأنتم
فضلاءها علماءها حلماءها
أمّ العباد فأنتم ساداتها
تلك المساعي للبريّة أوضحت
وإليكم من شاردات (مغامس)
كملت بوزن كمالكم وتزيّنت
ناديتها صوتاً فمذ أسمعته
نفقت لديّ لأتّها في مدحكم
رحم الإله ممّداً أقلامه

حتى تقطّع في الوغا أعضادها
أبوابهم فتّاحها سدادها
عام الوداع وكلّهم أشهادها
بركاته ما تنتهي أعددادها
تحفى لآل محمّد أحقادها
أضغانها في ظلمها أجنادها
ببصائر عميت وضلّ رشادها
فقضت وقد شاب الحياة نكادها (١)
قتل الحسين ودُجّحت أولادها
في أمّة ضلّت وطال فسادها
في السالفين فراق لي إنشادها
وبسيفه نصبت لكم أعوادها (٢)
ساد البريّة فضلمها وسدادها!
خير الأنام وأنتم أمجادها
حكماءها عبّادها زهادها
أمّ الحروب فأنتم أسادها
نهج الهدى ومشيت به عبّادها
بكرراً يقرّ بفضلمها حسّادها
بمحاسن من حسنكم تزدادها
لبّيت ولم يصلد عليّ زنادها
فلذاك لا يخشى عليّ كسادها
ورجاؤه أن لا يخيب مدادها

١ - اعصو صلبوا: اجتمعوا وصاروا عصائب. شاب: خلط وغش. النكاد: الكدر.

٢ - هذا البيت من قصيدة لابي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي الحلبي رحمه الله المتوفى ٤٦٦.

فتشَقُّعوا لكِبائر أسـلَفَتها
جرمـاً لو أنَّ الراسـيات حملنـه
هيهات تُمنع عن شـفاعة جدِّكم
صلى الاله عليكم ما أرعدت
وله قوله من قصيدة تناهز الاثنين والتسعين بيتاً:

كيف السَّلامة والخطوب تنوب
إنَّ البقاء على اختلاف طبائع
العيش أهونه وما هو كائن
والدهر أطوارٌ وليس لأهلـه
ليس اللبيب من استغرَّ بعيشه
يا غافلاً! والموت ليس بغافلٍ
أبدت لهـوك إذ زمانك مقبلٌ
فمن النصير على الخطوب إذ أتت
علل الفتى من علمه مكفوفة
وتراه يكـدح في المعاش ورزقه
إنَّ الليالي لا تزال مجـدة
من سرَّ فيها ساءه من صرفها
عصفت بخير الخلق آل محمـد
أمَّا النبي فخانه من قومه
من بعد ما ردُّوا عليه وصاته
ونسوا رعاية حقِّه في حيدر
فأقام فيهم برهة حتى قضى
ومنها قوله في رثاء الإمام السبط عليه السلام:

بأبي الإمام المسـتظام بكـريلا

قلقت لها نفسي وقلَّ رقادها
دكَّت وذاب صخورها وصالدها
نفسٌ وحبُّ أبي ترابٍ زادها
سحبٌ وأسـبل ممطراً أرعادها

ومصائب الدنيا الغرور تصوب؟
ورجاء أن ينجو الفتى لعصيب
حتمٌ وما هو واصلٌ فقريب
إن فكَّـروا في حالتيه نصيب
إنَّ المفكِّـر في الأمـور لبيب
عش ما تشاء فاتَّك المطلب
زاهٍ وإذ غـضَّ الشـباب رطيب
وعلا على شـرخ الشـباب مشيب
حتى الممات وعمره مكتوب
في الكائنات مقـدَّرٌ محسوب
في الخلق أحداثٌ لها وخطوب
ريبٌ له طول الزمان مريب
نكبـاء إعصار لها وهبوب^(١)
في أقريبه مجانبٌ وصحب
حتى كأنَّ مقالـه مكـذوب
في « خـم » وهو وزيره المصحب
في الغيظ وهو بغيظهم مغضب
يدعو وليس لما يقول مجيب

١ - الاعصار: ريح ترتفع بالتراب. الهبوب من الرياح المثيرة للغبرة.

بأبي الوحيد وماله من راحم
بأبي الحبيب إلى النبي محمد
يا كربلاء أفيك يقتل جهرة
ما أنت إلا كربنة وبلية
لهفي عليه وقد هوى متعقراً
لهفي عليه بالطفوف مجدلاً
لهفي عليه والخيلول ترضه
لهفي له والرأس منه مميز
لهفي عليه ودرعه مسلوبه
لهفي على حرم الحسين حواسراً
حتى إذا قطع الكريم بسيفه
لله كم لطمت خدوداً عنده
ما أنس إن أنسى الزكية زينباً
تدعو وتنذب والمصاب تكظها
ءأخي بعديك لا حييت بغبطة
ءأخي بعديك من يدافع جاهلاً
حزني تذوب له الجبال وعنده
يشكو الظما والماء منه قريب
ومحمد عند الله حبيب
سببط المطهر؟ إن ذا لعجيب
كل الأنام بجهلها مكروب
وبه أوام فادح ولغووب^(١)
تسفي عليه شمأل وجنوب
فلهن ركض حوليه وخيب^(٢)
والشيب من دمه الشريف خضيب
لهفي عليه ورحله منهوب
شعثاً وقد ريعت لهن قلوب
لم يثنه خوف ولا ترعيب
جزعاً وكم شقت عليه جيوب؟
تبكي له وقناعها مسلوب
بين الطفوف ودمعها مسكوب^(٣)
واغتالي حتف إلى قريب
عني ويسمع دعوتي ويحيب
يسلو وينسى يوسفاً يعقوب

(الشاعر)

الشيخ مغامس بن داغر الحلبي، طفح بذكر المغامس في حب آل الله صلى الله عليه وسلم غير واحد من المعاجم المتأخرة
كالخصون المنبئة للعلامة الشيخ علي آل كاشف الغطاء، والطليعة للعلامة السماوي، والبابليات للخطيب اليعقوبي، وذكر
شطرًا من شعره

١ - الاوام: العطش. الفادح: الصعب المثقل. اللغو: المتعب المعني.

٢ - الخبيب من خب الفرس في عدوه: راوح بين يديه ورجليه أى قام على احدها مرة وعلى الاخرى مرة.

٣ - تكظها من كظ الامر كظاً: غمّ وبمظ الطفوف ج الطف. ما اشرف من الارض.

شيخنا فخر الدين الطريحي في المنتخب، والأديب الإصبهاني في التحفة الناصريّة، و تضمّن غير واحد من المجاميع قريضه المتدفّق بمدح أهل بيت الوحي أئمة الهدى و رثائهم صلوات الله عليهم حتّى جمع منها الشيخ السماوي ديواناً باسم المترجم يربو على ألف وثلثمائة وخمسين بيتاً ولعلّ التالف منها أكثر وأكثر.

فهو من شعراء أهل البيت المكثرين المتفانين في حبّهم وولائهم غير أنّ الدهر أنسى ذكره الخالد، ولعلّ هذا الإنقطاع عن غيرهم عليهم السلام هو الذي قطع إطراد ذكره في جملة من الموسوعات أو المعاجم لمن لا يألّف إلى ودّهم كما فعلوا ذلك بالنسبة إلى كثيرين من أمثال المترجم فتركوا ذكره أو أثبتوه بصورة مصعّرة، وعندهم مكبّرات لذكريات أناس هم دون أولئك في الفضيلة والأدب، وكم للتاريخ من جنائيات في الخفض والرفع، والجّر والنصب، لا تستقصى؟

كان الشيخ مغامس من إحدى القبائل العربيّة في ضواحي الحلة الفيحاء فهبطها للدراسة، ولم يبارحها حتّى قضى بها نحبّه شاعراً خطيباً، في أواسط القرن التاسع و يُعرب شعره عن أنّه كان له شوطٌ في مضمار الخطابة كما كان يركض في كلّ حلبة من حلبات القريض قال:

فتارةً أنظّم الأشعار ممتدحاً وتارةً أنثر الأقوال في الخطب
وكان أبوه داغر شاعراً موالياً وهو الذي علّمه قرض الشعر ومزّنه على ولاء العترة الطاهرة كما يأتي في قوله:
أعملت في مدحكم فكري فعلمني نظم المديح وأوصاني بذاك أبي
فحجّي الله الوالد والولد. وإليك فهرست قصائده التي وقفنا عليها في مجاميع الأدب:

عدد القصائد	المطلع	عدد الأبيات
١ - محبّ الليالي في مساعيه متعبٌ	يساق اليه حتفه وهو يدأبُ	٩٣
٢ - تذكّر ما أحصى الكتاب فتابا	وحاذر من مسّ العذاب عقابا	٩٢
٣ - أصبحت للتقوى بجهلك تدّعي	دعواك باطلّة إذا لم تقلع	٨١
٤ - هل حين عمّمه المشيبُ وقنّعا؟	أتراه يصنع في الهداية مصنعا؟	٩٠

وتذكر أياماً مضت وليالي؟ ٩٢

وأصاب سـهم النائبات مقاتلي
قطع الزمان فما له من واصل ٧٧

وذاك لأمر عن غناك عناني ٩٩

في غـدٍ ورواحـي
ما حـزني من بـراح ١٠٥
وكـوى الحـزن فـؤادي
لقتيل ابلابـن زياد ٦٢
وهو بالطـفّ قـطيع الـودجين
ينظر النسوة بين العـسكرين ١٠٦
ولا لـدروس منزلة خـراب
ولا لفراق زينب والـرباب ٨٠
فبني فـغيري في هـواك المتيم ٨٨
وفراغه عند النفوس عـظيم ٨١
فهل أنت للبـيض الحسان خليل؟ ٧٥

عرج على خير مبعوث وخير نبي
عرج على الصادق المنعوت في الكتب
عرج على الابـطحي الطاهر النسب
لألأوها فوق ساق العرش من كـثب
قول المحب وما في القول من ريب

٥ - أتطلب دنياً بعد شيب قدال؟^(١)

توجد جملة من هذه القصيدة في المنتخب ٢: ٤٥ ط بمبي.

٦ - فصلت صروف الحادثات مفاصلي
قطع الزمان عرى قواي وكـلما

هذه القصيدة ذكرها شيخنا الطرحي في المنتخب ٢: ٣٦.

٧ - لغيرك يا دنيا ثنيت عناني
توجد هذه القصيدة برمتها في المنتخب ٢: ٥٨.

٨ - لبني الهادي مناحي

صاح ما قلبي بصاح

٩ - هجر الغمض وسادي

فحياتي في نكـادي

١٠ - ليتني كنت فداءً للحسين

ينظر الشمر بعينٍ وبعينٍ

١١ - بكيت وما لربعان الشباب

ولا لفـوات عـيش مسـتطاب

١٢ - صـحبتك لا اتي بـودك مغـرم

١٣ - رحل الشباب واتـه لكـريم

١٤ - أزال الشباب الغض عنك مزيل

١٥ - يمدح بها النبي الأعظم ﷺ قوله:

عرج على المصطفى يا سائق النجب

عرج على السيد المبعوث من مـضر

عرج على رحمة الباري ونعمته

راه آدم نوراً بين أربعـة

فقال: يا رب من هذا؟ فـقيل له

١ - القذال بفتح القاف: ما بين الاذنين من مؤخر الرأس.

: هم أوليائي وهم ذريّة لكم
أما وحقّهم لولا مكّانهم
كلّا ولا كان من شمس ولا قمر
ولا سماء ولا أرض ولا شجر
ولا جنّان ولا نار مؤجّجة
وقال للملأ الأعلى: ألا أحد
فلم يجيبوا فأنبأ آدم بهم
فقال للملأ الأعلى: اسجدوا كملاً
وصيّر الله ذاك النور ملتجعاً
وخاف نوح فنجى ربه فنجى
وفي الجحيم دعا الله الخليل بهم
وقد دعا الله موسى إذ هوى صعقاً
فظلّ من تقلّ الله حافظه
حتى تقسّم في عبد الإله معاً
فأودع الله ذاك القسم آمنّة
حتى إذا وضعته انهدّ من فرع
وانشقّ أيوان كسرى وانطفئت حذراً
تساقطت أنجم الأملاك مؤذنة
حتى إذا حاز سنّ الأربعين دعا
فقال: لبيك من داع وأرسله
فأظهر المعجزات الواضحات لهم
أراهم الآية الكبرى فواعجباً
رامت بنو عمّه تبيّته سحراً

فقرّ عيناً ونفساً فيهم وطب
مبيّ لما دارت الأفلاك بالقطب
ولا شهاب ولا أفق ولا حجب
للناس يهمني عليه واكف السحب^(١)
جعلت أعداءهم فيها من الخطب
يُبيّ بأسمائهم صدقاً بلا كذب
لها بعلم من الجبار مكتسب
لآدم واطيعوا وأنقّوا غضبي
في الوجه منه بوعد منه مرتقب
بهم على دسر الألواح والخشب
فأخمدت بعد ذاك الحرّ واللهب
بحقّهم فنجى من شدّة الكرب
على تنقله من حادث النوب
وفي أبي طالب عن عبد مطلق
يوماً إلى أجل بالحمل مقرب
ركن الضلال ونادى الشرك بالحرب
نيرانهم وأقرّ الكفر بالغلب
بالرّجم فاحترق الأصنام باللهب
ربيّ به في لسان الوحي بالكتب
إلى البريّة من عجم ومن عرب
بالبيّنات ولم يحذر ولم يهيب
ما بالهم خالفوا؟ من أعجب العجب
فعاذ منهم رسول الله بالهرب

١ - همى الماء يهيم همياً: سال لا يثنيه شيء. الواكف. المطر المنهل.

وبات يفديه خير الخلق حيدر^(١)
فأدبروا إذ رأوا غير الذي طلبوا
فراهم عنكب في الغار إذ جعلت
حتى إذا ردهم عنه إلا له مضى
فحل دار رجال بايعوه على
في كل يوم لمولى الخلق واقعة
يمشي إلى حـربهم والله ناصره
في فتية كالأسود المحذرات لها
عافوا المعاقل للبيض الحسان فما
فالحق في فرح والدين في مـرح
حتى استراح نبي الله قاضية
يا من به أنبياء الله قد ختموا
إن كنت في درجات الوحي خاتمهم؟
قد بثرت بك رسل الله في أمم
شهدت أنك أحسنت البلاغ فما
حتى دعاك إلهي فاستجبت له
وقد نصبت لهم في دينهم خلفاً
لكنهم خالفوه وابتغوا بدلاً
ويقول فيها:

على الفراش وفي يمناه ذو شطب^(٢)
وأوغلوا لرسول الله في الطلب
تسدي وتلحم في أبردها القشب
ذاك التجيب على المهرية النجب
أعداؤه فدماء القوم في صـب
منه على عابدي الأوثان والصلب
مشي العفرنة في غاب القنا السلب
برائن^(٣) من رماح الخط والقضب
معاقل القوم غير البيض واليلب^(٤)
الشرك في تـرح والكفر في نصـب
بهم وراحتهم في ذلك التعب
فليس من بعده في العالمين نبي
فأنت أولهم في أول الرتب
خلت فما كنت فيما بينهم بغي^(٥)
تكون في باطل يوماً بمنجذب
حباً و من يدعه المحبوب يستجب
وكان بعدك فيهم خير منتصب
تخيروه وليس النبع كالغرب^(٦)

١ - مر حديث ليلة المبيت في الجزء الثاني ص ٤٧ ط ٢.

٢ - الشطب ج الشطبة بضم الاول وكسره. الخط في متن السيف.

٣ - البرثن من السباع والطيور بمنزلة الاصبع من الانسان. ج: برائن.

٤ - المعقل: ألملجأ. البيض جمع بيضاء: السيف. اليلب: الترس او الدروع اليمانية من الجلود. خالص الحديد.

٥ - المستور: المجهول.

٦ - النبع: خروج الماء من العين. الغرب: الماء المقطر من الدلو بين الحوض والبر.

يا راكب الهوجل المحبوك تحملته (١)
 إذا قضيت فروض الحج مكملاً
 وزرت قبر رسول الله سيدنا
 قف موقفي ثم سلم لي عليه معاً
 واثن السلام إلى أهل البقيع فلي
 وبثهم صبوتي طول الزمان لهم
 : يا قدوة الخلق في علم وفي عمل
 وصلت حبل رجائي في حبائلكم
 دنوت في الدين منكم والوداد فلو
 مديحكم مكسي والدين مكتسي
 فإن عدتي الليالي عن زيارتكم
 قد سيط لحمي وعظمي في محبتكم
 هجري وبغضي لمن عاداكم ولكم
 فتارة أنظم الأشعار ممتدحاً
 حتى جعلت مقال الضد من شبه
 أعملت في مدحكم فكري فعلمي
 فهل أنال مفازاً في شفاعتكم
 فيما مغامس! احبس في مدائحهم

إلى زيارة خير العجم والعرب
 ونلت إدراك ما في النفس من إرب
 وسيد الخلق من ناء ومقرب
 حتى كأني ذاك اليوم لم أغرب
 بها أحبة صبّ دائم الوصب
 وقل بدمع على الخدين منسكب
 وأطهر الخلق في أصل وفي نسب
 كما تعلّق في أسبابكم سبي
 لا دان لم يذن من أحسابكم حسي
 ما عشت والظن في معروفكم نشي
 فإن قلبي عنكم غير منقلب
 وحبكم قد جرى في المبحّ والعصب
 صدقي وحيّ وفي مدحي لكم طري
 وتارة أنثر الأقوال في الخطب
 إذ صغت فيكم قريض القول من ذهب
 نظم المديح وأوصاني بذلك أبي
 ممّا احتقبت له في سائر الحقب
 تلك القوافي وأجر الله فاحتسب

١ - الهوجل: الناقة التي بها هوج من سرعتها. المحبوك: مشدود الوسط.

الحافظ البرسي الحلبي

هو الشَّمس؟ أم نور الضَّريح يلوخ؟
وبحرُ ندا؟ أم روضة حوت الهدى؟
وداودُ هذا؟ أم سليمانُ بعده؟
وأحمدُ هذا المصطفى؟ أم وصيه
محيطُ سماء المجد بدرُ دجنَّة
حبيب حبيب الله بل سرُّ سرِّه
له النصُّ في (يوم الغدير) ومدحه
إمامٌ إذا ما المرء جاء بحبِّه
له شيعَةٌ مثل النجوم زواهرُ
إذا قاوَلت فالحقُّ فيما تقوله
وإن جاولت أو جادلت عن مرامها
عليك سلام الله يا راية الهدى
وتأتي له قصيدة منها قوله:
موليُّ له بغدير خمِّ يعة
خضعت لها الأعناق وهي طوايح

(الشاعر)

الحافظ الشيخ رضي الدين رجب بن محمد بن رجب البرسي الحلبي، من عرفاء علماء الإمامية وفقهائها المشاركين في العلوم، على فضله الواضح في فنِّ الحديث، وتقدمه في الأدب وقرض الشعر وإجادته، وتضلُّعه من علم الحروف وأسرارها واستخراج

فوائدها، وبذلك كله تجد كتبه طافحة بالتحقيق ودقة النظر، وله في العرفان والحروف مسالك خاصة، كما أن له في ولاء أئمة الدين عليهم السلام آراء ونظريات لا يرتضيها لفيق من الناس، ولذلك رموه بالغلو والارتفاع، غير أن الحق أن جميع ما يثبتته المترجم لهم عليهم السلام من الشئون هي دون مرتبة الغلو غير درجة النبوة، وقد جاء عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قوله: إياكم والغلو فينا، قولوا: إننا عبيدٌ مربوبون. وقولوا في فضلنا ما شئتم ^(١) وقال الإمام الصادق عليه السلام: اجعل لنا رباً نؤوب إليه وقولوا فينا ما شئتم، وقال عليه السلام: اجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا ^(٢).

وأنت لنا البلاغ مدية ما منحهم المولى سبحانه من فضائل ومآثر؟ وأنت لنا الوقوف على غاية ما شرفهم الله به من ملكات فاضلة، ونفسيات نفيسة، وروحيات قدسية، وخلائق كريمة، ومكارم ومحامد؟ فمن ذا الذي يبلغ معرفة الامام؟ أو يمكنه اختياره؟ هيهات هيهات ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الأبواب، وخسئت العيون، وتصاغت العظماء، وتحيّرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباء، وكلّت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، وفضيلة من فضائله، وأقرّت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بكله؟ أو ينعت بكنهه؟ أو يفهم شيء من أمره؟ أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه؟ لا. كيف؟ وأنت؟ فهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟ ^(٣).

ولذلك تجد كثيراً من علمائنا المحققين في المعرفة بالأسرار يثبتون لأئمة الهدى صلوات الله عليهم كل هاتيك الشئون وغيرها مما لا يتحمّله غيرهم، وكان في علماء قم من يرمي بالغلو كل من روى شيئاً من تلكم الأسرار حتى قال قائلهم: إن أول مراتب الغلو نفي السهو عن النبي ﷺ إلى أن جاء بعدهم المحققون وعرفوا الحقيقة فلم يقيموا لكثير من تلكم التضعيفات وزناً، وهذه بليّةٌ مُني بها كثيرون من أهل الحقائق

١ - الخصال لشيخنا الصدوق.

٢ - بصائر الدرجات للصفار.

٣ - من قولنا: فمن ذا الذي يبلغ. الى هنا مأخوذ من حديث رواه شيخنا الكليني ثقة الاسلام في اصول الكافي ص ٩٩ عن الامام الرضا صلوات الله عليه.

والعرفان ومنهم المترجم، ولم تزل الفتنة على طرفي نقيض، وقد تقوم الحرب بينهما على أشدها، والصلح خير. وفذلكة المقام أنّ النفوس تتفاوت حسب جبلاتها واستعداداتها في تلقي الحقائق الراهنة، فمنها ما تبهظه العضلات والأسرار، ومنها ما ينبسط لها فيبسط إليها ذراعاً ويمدُّ لها باعاً، وبطبع الحال أنّ الفئة الأولى لا يسعها الرضوخ لما لا يعلمون، كما أنّ الآخرين لا تبيح لهم المعرفة أن يذروا ما حقّقوه في مدحرة البطلان، فهناك ثور المنافرة، وتحدث الضغائن، وتحنّ نقدّر للفريقين مسعاهم لما نعلم من نواياهم الحسنة وسلوكهم جدد السبيل في طلب الحقّ ونقول:

على المرء أن يسعى بمقدار جهده وليس عليه أن يكون موفّقاً
ألا إنّ الناس لمعادن كمعادن الذهب والفضة^(١) وقد تواتر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: أنّ أمرنا، أو حديثنا. صعب مستصعب لا يتحمّله إلّا نبيّ مرسل أو ملك مقرب، أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان^(٢) إذن فلا نتحرى وقية في علماء الدين ولا نمسّ كرامة العارفين، ولا ننقم من أحد عدم بلوغه إلى مرتبة من هو أرقى منه، إذ لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها. وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لو جلست أحدثكم ما سمعت من فم أبي القاسم عليه السلام لخرجتم من عندي وأنتم تقولون: إنّ عليّاً من أكذب الكاذبين^(٣).

وقال إمامنا السيّد السجاد عليه السلام: لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما فما ظنكم بسائر الخلق^(٤) وكلاً وعد الله الحسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً.

وإلى هذا يشير سيّدنا الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام بقوله:

إني لأكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحقّ ذو جهلٍ فيفتننا

١ - حديث ثابت عند الفريقين.

٢ - بصائر الدرجات للصفار ص ٦، اصول الكافي ص ٢١٦.

٣ - منح المنة للشعراني ص ١٤.

٤ - بصائر الدرجات للصفار ص ٧ آخر الباب الحادي عشر من الجزء الاول. اصول الكافي لثقة الاسلام الكليني ص ٢١٦.

وقد تقدّم في هذا أبو حسنٍ إلى الحسين وأوصى قبله الحسننا
فرُبَّ جوهر علمٍ لو أبوح به لقيّل لي: أنت ممّن يعبد الوثنا
ولا ستحلّ رجالٌ مسلمون دمي يرون أفبح ما يأتونه حسناً^(١)

ولسيّدنا الأمين في أعيان الشيعة ٣١: ١٩٣ - ٢٠٥ في ترجمة الرجل كلمات لا تخرج عن حدود ما ذكرناه ومّا نقم عليه به اعتماده على علم الحروف والأعداد الذي لا تتمّ به برهنة ولا تقوم به حجة، ونحن وإن صافقناه على ذلك إلّا إنّ للمترجم له ومن حذا حذوه من العلماء كابن شهر اشوب ومن بعده عذراً في سرد هاتيك المسائل فإنها أشبه شيء بالجلد تجاه من ارتكن إلى أمثالها في ابواب أخرى من علماء الحروف من العامّة كقول العبيدي المالكي في عمدة التحقيق ص ١٥٥: قال بعض علماء الحروف: يؤخذ دوام ناموس آل الصديق وقيام عزّته إلى انتهاء الدنيا من سرّ قوله تعالى: في ذرّيتي. فإنّ عدّها بالجمل الكبير ألف واربعمائة و عشرة و هي مظنة تمام الدنيا كما ذكره بعضهم فلا يزالون ظاهرين بالعزّة والسيادة مدّة الدنيا، وقد استنبط تلك المدّة عمدة أهل التحقيق مصطفى لطف الله الرزناجي بالديوان المصري من قوله تعالى: لا يلبثون خلافاً إلّا قليلاً، قال ما لفظه: إذ أسقطنا مكرّرات الحروف كان الباقي (ل ا ي ب ث و ن خ ف ك ق) أحد عشر حرفاً عددهم بالجمل الكبير ألف وثلثمائة وتسعة وتسعين زدنا عليه عدد الحروف وهو أحد عشر صار المجموع وهو ألف واربعمائة عشرة وهو مطابق لقوله تعالى: ذرّيتي. وسمعت ختام الأعلام الشيخ يوسف الفيشي رحمه الله يقول: قال محمّد البكري الكبير: يجلس عقبنا مع عيسى بن مريم على سجادة واحدة وهذا يقوى تصحيح ذلك الاستنباط. هـ.

ونحن لا ندري ماذا يعني سيّدنا الأمين بقوله: وفي طبعه شذوذٌ وفي مؤلّفاته خبطٌ وخلطٌ وشيءٌ من المغالات لا موجب له ولا داعي إليه وفيه شيءٌ من الضرر وإن أمكن أن يكون له محل صحيح؟ ليت السيّد يوعظ إلى شيء من شذوذ طبع شاعرنا الفحل حتى لا يبقى قوله دعوى مجرّدة. وبعد اعترافه بإمكان محمل صحيح لما أتى به المترجم له فأيّ داعٍ إلى حمله على الخبط والخلط، ونسيان حديث: ضع أمر أخيك على أحسنه؟ و

١ - تفسير اللوسى ٦: ١٩٠.

أيّ ضرر فيه على ذلك تقدير؟ على أنّا سبرنا غير واحد من مؤلّفات البرسي فلم نجد فيه شاهداً على ما يقول، وستوافيك نبذة ممتعة من شعره الرائق في مدائح أهل البيت عليهم السّلام ومراثيهم وليس فيها إلّا إشادة إلى فضائلهم المسلّمة بين الفريقين أو ثناء جميل عليهم هو دون مقامهم الأسمى، فأين يقع الإرتفاع الذي رماه به بعضهم؟ وأين المغالاة التي رآها السيّد؟ والبرسي لا يحذو في كتبه إلّا حذو شعره المقبول، فأين مقيّل الخطب والضرر والغلو التي حسبها سيّد الأعيان؟. وأمّا ما نقم به عليه من اختراع الصّلوات والزيارة بقوله: (واختراع صلاة عليهم وزيرة لهم لا حاجة إليه بعد ما ورد ما يغني عنه ولو سلّم أنّه في غاية الفصاحة كما يقول صاحب الرياض) فإنّه لا مانع منه إلّا ما يوهّم المخترع أنّها مأثورة، وأيّ وازع من إبداء كلّ أحد تحيّيته بما يجريه الله تعالى على لسانه وهو لا يقصد وروداً ولا يريد تشريعاً؟ وقد فعله فطاحل العلماء من الفريقين ممّن هو قبل المترجم وبعده، ولا تسمع أذن الدنيا الغمز عليهم بذلك من أيّ أحد من أعلام الأئمة. وأمّا قول سيّدنا: « وأنّ مؤلفاته ليس فيها كثير نفع وفي بعضها ضررٌ والله في خلقه شؤون سامحه الله وإيانا » فإنّه من شططة القلم صدر عن المشطف (١) سامحه الله وإيانا.

تأليفه القيّمة

- ١ - مشارق أنوار اليقين في حقايق أسرار أمير المؤمنين.
- ٢ - مشارق الأمان ولباب حقايق الايمان ألفه سنة ٨١٣.
- ٣ - رسالة في الصّلوات على النّبّي وآله المعصومين.
- ٤ - رسالة في زيارة أمير المؤمنين طويلة قال شيخنا صاحب الرياض: في نهاية الحسن والجزالة واللطافة والفصاحة معروفة.
- ٥ - رسالة اللمعة من أسرار الأسماء والصفات والحروف والآيات والدعوات فيها فوائد ولا تخلو من غرابة كما قاله شيخنا صاحب الرياض.
- ٦ - الدرّ الثمين في خمسمائة آية نزلت في مولانا أمير المؤمنين باتّفاق أكثر

١ - المشطف كمنبر: من يعرف بالكلام على غير القصد.

المفسرين من أهل الدين، ينقل عنه المولى محمد تقى الزنجاني في كتابه: طريق النجاة.

٧ - أسرار النبي وفاطمة والأئمة عليهم السلام.

٨ - لوامع أنوار التمجيد وجوامع أسرار التوحيد في اصول العقائد.

٩ - تفسير سورة الإخلاص.

١٠ - رسالة مختصرة في التوحيد والصلوات على النبي وآله.

١١ - كتاب في مولد النبي وعلي وفاطمة وفضائلهم.

١٢ - كتاب في فضائل أمير المؤمنين غير المشارق.

١٣ - كتاب الألفين في وصف سادة الكونين.

شعره الرائق

الحافظ البرسي شعرٌ رائع وجلّه بل كلّ في مدائح النبيّ الأقدس وأهل بيته الطاهر صلوات الله عليهم ويتخلّص في شعره بـ (الحافظ) من شعره يمدح به النبيّ الأعظم ﷺ قوله:

أضياء بك الأفق المشرق ودان لمنطقك المنطق
وكننت ولا آدم كائناتاً لأنك ممن كونه أسبق

أشار بهذا البيت إلى ما جاء عنه ﷺ من قوله: كنت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث.

أخرجه ابن سعد في الطبقات. والطبري في تفسيره ٢١: ٧٩، وأبو نعيم في الدلائل ١: ٦ وذكره ابن كثير في تأريخه ٢:

٣٠٧، والغزالي في المصنوع الصغير هامش الانسان الكامل ٢: ٩٧، والسيوطي في الخصائص الكبرى ١: ٣، والزرقاني في

شرح المواهب ٣: ١٦٤

وفي حديث الإسراء: إنك عبيدي ورسولي وجعلتك أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً^(١) وجاء عنه ﷺ: أول ما خلق الله

نوري^(٢) وتواتر عنه ﷺ من طرق صحيحة: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين. أو: بين الروح والجسد. أو: بين خلق آدم

ونفخ الروح فيه.

١ - مجمع الزوائد ١ ص ٧١.

٢ - السيرة الحلبية ١ ص ١٥٩.

ولولاك لم تخلق الكائنات ولا بان غـرب ولا مشـرق

أشار به إلى ما أخرجه الحاكم في المستدرک ٢: ٦١٥ والبيهقي، والطبراني، و السبكي، والقسطلاني، والعزامي، والبلقيني، والزرقاني وغيرهم من طريق ابن عباس قال: أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من امتك أن يؤمنوا به، فلو لا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت الجنة ولا النار.

ومن طريق عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله: يا آدم! وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك. فقال الله: صدقت يا آدم! أنه لأحب الخلق إليّ ادعني بحقه قد غفرت لك. ولولا محمد ما خلقتك.

فمـيمـك مـفـتـاح كـلِّ الـوجـود ومـيمـك بـالـمـنـتهـى يـغـلـو

تـجـلـيـت يا خـاتـم المـرسـلـين بشـأـو مـن الفـضـل لا يـلـحـق

فأنـت لـنـا أوّل آخـر وباطـن ظـاهـرك الأـسـبق

في هذه الأبيات إشارة إلى أسمائه الشريفة: الفاتح، الخاتم. الأول: الآخر. الظاهر. الباطن، راجع المواهب للزرقاني ٣ ص ١٦٣، ١٦٤.

تعاليت عن صفة المادحين وإن أطنبوا فيك أو أغمقوا

فمعناك حول السورى دارة على غيب أسرارها تحديق

وروحك من ملكوت السماء تنزل بالأمر ما يخلق

ونشرك يسري على الكائنات فكل على قدره يعبق

إليك قلوب جميع الأنام تحن وأعناقها تعنق

وفيض إياديك في العالمين بأنهار أسرارها يندفق

وآثار آياتك البينات على جبهات السورى تشرق

فموسى الكلـيم وتوراتـه يـدّـلـان عـنـك إذا اسـتـنـطقـوا

وعيسى وإنجيله بشـرا بأنك أحمد من يخلق

فيا رحمة الله في العالمين
لأنك وجه الجلال المنير
وأنت الأمين وأنت الأمان
أتى رجبك لك في عاتق
وله يمدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

العقل نور وأنت معناه
والخلق في جمعهم إذا جمعوا
أنت الولي الذي مناقبه
يا آية الله في العباد ويا
تناقض العالمون فيك وقد
فقال قوم: بأنّه بشر
يا صاحب الحشر والمعاد ومن
يا قاسم النار والجنان غداً!
كيف يخاف البرسي حراً لظي
لا يختشي النار عبد حيدر
وله في مدح مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه قوله:

أيها اللائيم دعني
كلّما ازددت مديحاً
وإذا أبصرت في الحقيق
آية الله التي في وصفه
كم إلى كم أيها العاذ
يا عذولي في غرامي
رح إلى من هو ناج
إنّ حبي لوصي المصطفى

ومن كان لولاه لم يُخلقوا
ووجه الجمال الذي يشرق
وأنت ترتق ما يفتق
ثقل الذنوب. فهل تعتق؟

والكون سرّ وأنت مبداه
الكلّ عبد وأنت مولاه
ما لعلاها في الخلق أشباه
سرّ الذي لا إله إلا هو!
حاروا عن المهتدي وقد تاهو
وقال قوم: بأنّه الله
مولاه حكم العباد ولأه!
أنت ملاذ الراجي ومنجاة
وأنت عند الحساب غوثاه؟
إذ ليس في النار من تولاه

واستمع من وصف حالي
فيه قالوا: لا تغال
يقيناً لا أبالي
القول حلال
لأكثر جدي؟
خلّني عنك وحالي
وأطرحني وضلال
طفي عين الكمال^(١)

تضئ عين الكمال خ ل

إنّ حبي لعلّي المصطفى

هو زادي في معادي
وبه إكمال ديني

ومن شعره يمدح أمير المؤمنين سلام الله عليه قوله:

بأسمائك الحسنى أروح خاطري
لئن سقمت نفسي فأنت طبيها
رضيت بأن ألقى القيامة خائفاً
أبا حسن لو كان حبك مدخلي
وكيف يخاف النار من كان موقناً
فواعجباً من أمة كيف ترتجي
ووا عجباً إذ أحررتك وقدّمت

وقال في مدح مولانا أبي السبطين سلام الله عليه:

تعالى عليّ في الجلال فرائدُ
ووارد فضلٍ منه يصدر عزلها
تبارك موصولاً وبورك واصلاً
روى فضله الحساد من عظم شأنه
محبّوه أخفوا فضله خيفة الهدى
فشاع له ما بين دين مناقب
إمام له في جبهة المجد أنجم
لها الفرق من فرع السماك منابر
مناقب إذ جلّت جلّت كل كربة
إمام يحار الفكر فيه فعابده
إمام مبين كل أكرومة حوى
عليه سلام الله ما ذكر اسمه

وله في سيّد العترة أمير المؤمنين عليه وعليهم السّلام:

أبديت يا رجب الغريب

ومعادي في مآلي
وبه ختم مقالي

إذا هبّ من قدس الجلال نسيمها
وإن شقيت يوماً فمّنك نعيمها
دماء نفوسٍ حاربتك جسومها
جحيماً لكان الفوز عندي جحيماً
بأنّك مولاهُ وأنت قسيمها؟
من الله غفراناً وأنت خصيمها؟
سواك بلا جرم وأنت زعيمها

يعود وفي كفتيه منه فرائدُ
تضيق بها منه اللهها والأواردُ
له صلة في كل نفسٍ وعائدُ
وأعظم فضلٍ جاء يرويه حاسدُ
وأخفاه بغضاً حاسدٌ ومعاندُ
جُلُّ بأن تُحصى إذا عدّ قاصدُ
علت فعلت إن يدن منهنّ راصدُ
وفي عنق الجوزاء منها قلائدُ
وطابت فطابت من شذاها المشاهدُ
له ومقرّر بالولاء وجاهدُ
بمدحتيه التنزيل والذكر شاهدُ
محبّ وفي البرسيّ ذلك خالدُ

ف قيل: يا رجب المرجّب

أبـدـيت للـسـرِّ المـصـون
وكشـفت أسـتاراً وأسـرا
حلَّ الـوـرى فـاذا الظـوا
إلا قلـيلاً مـن رـجـال
وكتـبت ما بالـنـور مـنـه
فلـذاك أضـحى النـاس قلـه
رجـلٌ يـحـبُّ ومـبـغـضٌ
وطـويـلٌ أنـفٌ إن رآني
في أمـه شـكُّ بـلا
يـزورُ إن سمـع الحـديث
وتـراه إن كـررت ذ

المضـمر الخـافي المـغـيب
رأى عـن الأشـرار ثـجـب
مـهر فضـة والبـطن أسـرب
أصـلهم زاك مـهـذب
علـى خـدود الحـور يـكـتب
بأ مـن قـوى الجهـل المـركـب
قـالٍ وحـزب الله أغـلب
مُقـبلاً ولـى وقـطـب
شـكٌ ولـو صدقت لأنـجب
إلى أمـير النـحل يُنسـب
كـر فضائل الكـرار يـغـضب

وله رائية غراء رثانة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام خمسها ابن السبعي ^(١) نذكرها معه:

أعيت صفاتك أهل الرأي والنظر
أنت الذي دقَّ معناه لمعتبر
وأوردتهم حياض العجز والخطر
يا آية الله بل يا فتنة البشر

وحجة الله بل يا منتهى القدر

عن كشف معناه ذو الفكر الدقيق وهن
أنتي بحدك يا نور الإله فطن؟
وفيك ربُّ العلا أهل العقول فتن
يا من إليه إشارات العقول ومن

فيه الألباء تحت العجز والخطر

ففي حدوثك قومٌ في هواك غووا
حيّرت أذهانهم يا ذا العلا فعلاوا
إن أبصروا منك أمراً معجزاً فعلاوا
هيّمت أفكار ذي الأفكار حين رأوا

آيات شأنك في الأيام والعصر

أوضحت للناس أحكاماً محرّفةً
كما أتيت أحاديثاً مصحّفةً

١ - العلامة الحجة الشيخ فخر الدين أحمد بن محمد الاحسائي نزيل الهند والمتوفى بها من تلمذة ابن المتوج وقرناء ابن فهد الحلبي المتوفى ٨٤١.

أنت المقدم أسلافاً وسالفاً يا أولاً آخراً نوراً ومعرفه
يا ظاهراً باطناً في العين والأثر

يا مطعم القرص للعافي الأسير وما ذاق الطعام وأمسى صائماً كرمها
ومرجع القرص إذ بحر الظلام طما لك العبارة بالنطق البليغ كما
لك الإشارة في الآيات والسور

أنوار فضلك لا تطفئ لهنّ عدا ممّا يكتّمه أهل الضلال بدا
تخالفت فيك أفكار الورى أبدا كم خاض فيك اناس وانتهى فغدا
معناك محتجباً عن كلّ مقتدر؟

لولاك ما اتسقت للطهر ملته كلاً ولا اتضحت للناس شرعته
ولا انتفت عن أسير الشكّ شبهته أنت الدليل لمن حارت بصيرته
في طيّ مشبكات القول والعبر

أدركت مرتبة ما الوهم يدركها وحضت من غمرات الحرب مهلكها
مولاي يا مالك الدنيا وتاركها أنت السفينة من صدقاً تمسكها
نجى ومن حاد عنها خاض في الشرر

من نور فضلك ذو الأفكار مقتبس ومن معالم ربّ العلم مختلس
لولا بيانك أمر الكلّ ملتبس فليس قبلك للأفكار ملتبس
وليس بعدك تحقيق لمعتبر

جاءت بتأميرك الآيات والصحف فالبعض قد آمنوا والبعض قد وقفوا
لولاك ما اتفقوا يوماً ولا اختلفوا نفرّق الناس إلّا فيك وائتلفوا
فالبعض في جنّة والبعض في سقر

خير الخليفة قومٌ نهجك اتبعث وشُرّها من على تنقيصك اجتمعت
وفرقة أولت جهلاً لما سمعت فأناس فيك ثلاث فرقة رفعت
وفرقة وقعت بالجهل والقدر

يا ويجهل فرقة ما كان يمنعها لو أنّها اتبعث ما كان ينفعها
يا فرقة غيها بالشوم موقعها وفرقة وقعت لا النور يرفعها

ولا بصائرهما فيها بذى غورٍ

بعضم شأنك كلَّ الصَّحف تعترفُ ومن علومك ربُّ العلم يقترفُ
لولاك ما اصطلحوا يوماً وما اختلفوا تصالح الناس إلّا فيك واختلفوا

إلّا عليك وهذا موضع الخطرِ

جاءت بتعظيمك الآيات والسُّورُ فالبعض قد آمنوا والبعض قد كفروا
والبعض قد وقفوا جهلاً وما اختبروا وكم أشاروا؟ وكم أبدوا؟ وكم ستروا؟

والحقّ يظهر من بادٍ ومستترِ

أقسمت بالله باري خلقنا قسماً لولاك ما سمَّك الله العليُّ سما
يا مَنْ له اسمٌ بأعلى العرش قدراً أسمائك الغرُّ مثل النيرات كما

صفاتك السبع كالأفلاك ذي الأكرِ

أنت العليمُ إذا ربُّ العلوم جهلُ إذ كلُّ علم فشا في الناس عنك نقلُ
وأنت نجم الهدى تهدي لكلِّ مضلِّ وولدتك الغرُّ كالابراج في فلك الـ

معنى وأنت مثال الشمس والقمرِ

أثمةٌ سور القرآن نطقَتْ بفضلهم وبهم طرق الهدى اتَّسقتْ
طوبى لنفسٍ بهم لا غيرهم وثقتْ قومٌ هم الآل آل الله من علقَتْ

بهم يده نجي من زلة الخطرِ

عليهم محكم القرآن قد نزلَا مفصّلاً من معاني فضلهم جملاً
هم الهداة فلا تبغي لهم بدلاً شطر الأمانة معراج النجاة إلى

أوج العلوم وكم في الشطر من غيرِ؟

بلطف سرِّك موسى فجَّـر الحجرا وأنت صاحبه إذ صاحب الخضرا
وفيك نوحٌ نجى والفلك فيه جـرا يا سرَّ كلِّ نبيٍّ جاء مشتهرا

وسرَّ كلِّ نبيٍّ غير مشتهرِ

يلومني فيك ذو جهل أخو سفيه ولا يضرَّ محقّقاً قول ذي شُبه
ومن تنزّه عن نديٍّ وعن شُبه أجلُّ وصفك عن قدرٍ لمشتبه

وأنت في العين مثل العين في الصورِ

وله قوله يمدح به أمير المؤمنين عليه السلام :

يا منبوع الأسرار يا	سِرَّ المهيمين في الممالك!
يا قطب دأيرة الوجود	وعين منبعه كذلك!
والعين والسرّ الذي	منه تلقّت الملائك
ما لاح صبغ في الدجى ^(١)	إلا وأسفر عن جمالك
يا بن الأطاييب والطواهر	والفواطم والعواتك!
أنت الأمان من الردى	أنت النجاة من المهالك
أنت الصراط المستقيم	قسيم جنّات الأرائك
والنار مفزعهم إليك	وأنت مالك أمر مالك
يا من تجلّى بالجمال	فشقّ بردة كل حالك!
صلى عليك الله من	هادٍ إلى خير المسالك
والحافظ البرسى لا	يخشى وأنت له هنالك

وله أبيات في أهل البيت عليهم السّلام خمسها الشاعر المفلح الشيخ أحمد بن الحسن النحوي تذكرها مع تخميسها:

ولائى لآل المصطفى وبنـيهم	وعـترتهم أركـى الـورى وذويهم
بهم سمّةٌ من جدّهم وأبـيهم	هم القوم أنوار النبوة فيهم

تلوح وآثار الإمامة تلمعُ

نجومُ سماءِ المجد أقمّارُ تَمِّهِ
معالمُ دينِ الله أطـوَادُ حِلْمِهِ

منازلُ ذكرِ الله حَكَّامِ حِكمِهِ
مهابطُ وحيِ الله خِزَانِ عِلْمِهِ

وعندهم سرُّ المهيمن مودعُ

مَدِيحُهُمْ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ مُحْكَمٌ وَعَنْدَهُمْ مَا قَدْ تَلَقَّاهُ آدَمُ
فَدَعَ حُكْمَ بَاقِي النَّاسِ فَهُوَ تَحْكُمُ إِذَا جَلَسُوا لِلْحُكْمِ فَالْكُلُّ أَبْكَمُ

وإن نطقوا فالذُّهْرُ أَذُنٌ ومسمعٌ

و فِي فَضْلِهِمْ جَاءَ الْكِتَابُ الْمَنْزُورُ

١ - ما لاح صبح للهدى. كذا في بعض النسخ.

يَعْمُ شَذَاهُمْ كُلَّ أَرْضٍ وَيَشْمَلُ وَإِنْ ذَكُرُوا فَالْكُونُ نَدُّو مَنْدُلُ ^(١)

لَهُمْ أَزْجٌ مِنْ طَيِّبِهِمْ يَتَذَوَّقُونَ

دَعَا بِهِمْ مُوسَىٰ ففَرَّجَ كُرْبَهُ ۖ وَكَلَّمَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ رَبُّهُ

إذا حاولوا أمراً تسهل صعبه وإن برزوا فالذهر يخفق قلبه

لسطوتهم والأسد في الغاب تفرعُ

فلولا هم ما سار فلک ولا جرى ولا ذرء الله الأنام ولا بـ

كِرَامٌ مَّتَى مَا زَرَعْتَهُمْ عَجَّلُوا الْقِرَى

وإن ذُكِرَ المعروف والجود في السورى

فبحر ندام زاجر يتدفع

أبوهم أخو المختار طه ونفسه وهم فرع دوح في الجلالة عرسه

وَأَمَّهُمُ الزَّهْرَاءُ فَاطِمَةُ عَرَسُهُ أَبَوُهُمُ سَمَاءُ الْمَجْدِ وَالْأُمُّ شَمْسُهُ

نجومُ لها برج الجلالة مطلعُ

لهم نسبٌ أضحى بأحمدُ معرقاً رقا منه للعلواء أبعد مرتقى

وزادهم من رونق القدس رونقا فيا نسباً كالشمس أبيض مشرقا

ويا شرفاً من هامة النجم أرفعُ

كَرَامٌ غَاهِمٌ طَاهِرٌ مُتَطَهِّرٌ وَبُتَّ بِهِمْ مِنْ أَحْمَدِ الطَّاهِرِ عَنَصَرٌ

وَأُمَّهُمُ الزَّهْرَاءُ وَالْأَبُ حَيْدَرٌ فَمَنْ مِثْلَهُمْ فِي النَّاسِ إِنَّ عَدَّ مَفْخَرُ

أعد نظراً يا صاح إن كنت تسمعُ

عَلَيْهِمْ أَمِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُهُمْ وَشُرَكَاهُمْ أَصْلَ التَّقْوَى وَشُرَكَاهُمْ

بَهَا لَيْلٌ صَوَّامُونَ فَاحْ عِبِيرْهُمْ مِيَامِينَ قَوَّامُونَ عَزَّ نَظِيرْهُمْ

هداة^{٢٨} ولاة^{٢٩} للرسالة منبع

مَنَاجِبُ ظِلِّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ظِلُّهُمْ وَهُمْ مَعْدُنُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ كُلُّهُمْ

وَفَضَّلَهُمْ أَحَبِّي الْبَرَايَا وَبَذَلَهُمْ
فَلَا فَضْلَ إِلَّا حِينَ يُذَكَّرُ فَضْلَهُمْ

ولا علم إِلَّا علمهم حين يرفعُ

إِلَيْهِمْ يَفْرُّ الْخَاطِئُونَ بِذُنُوبِهِمْ وَهُمْ شَفَعَاءُ الْمُذْنِبِينَ لِرَبِّهِمْ

١ - النّدّ بفتح المعجمة وكسرهما: عود يتبخّر به. المنديل: العود الطيب الرائحة.

فلا طاعةً ترضي لغير محبّهم ولا عملٌ ينجي غداً غير حبّهم
إذا قام يوم البعث للخلق مجمّع

حلفتُ بمن قد أمّ مكّة وافداً لقد خاب من قد كان للال جاحداً
ولو أنّه قد قطّعت العمر ساجداً ولو أنّ عبداً جاء لله عابداً
بغير ولا أهل العبا ليس ينفع

بني أحمد! مالي سواكم أرى غداً إذا جئت في قيد الذنوب مقيداً
أناديكم يا خير من سمع النداء أيا عترة المختار يا راية الهدى!
إليكم غداً في موقفني أتطلّع

فوالله لا أخشى من النار في غدٍ وأنتم ولاة الأمر يا آل أحمد!
وها أنا قد أدعوكم رافعاً يدي خذوا بيدي يا آل بيت محمد!
فمن غيركم يوم القيامة يشفع؟

وهذه القصيدة خمسها الشيخ هادي المتوفى ١٢٣٥هـ، ابن الشيخ أحمد النحوي المحمّس المذكور أوّل تخميسه:

بنو أحمد قد فاز من يرتضيهم أئمة حقٍ للنجا يرتضيهم
وطوبى لمن في هديه يقتضيهم هم القوم أنوار النبوة فيهم
تلوح وآثار الإمامة تلمّع

وله في العترة الطاهرة صلوات الله عليهم قوله:

فرضي ونفلي وحديثي أنتم وكلّ كلّي منكم وعنكم
وأنتم عند الصّلاة قبلتي إذا وقفت نحوكم أيّمت
خيالكم نصبٌ لعيّني أبداً وحبّكم في خاطري محيّم
يا ساداتي وقادتي أعتابكم بجفن عيني لثراها ألثمّ
وقفاً على حديثكم ومدحكم جعلت عمري فاقبلوه وارحموا
مّنّوا على الحافظ من فضلكم واسـتنقذوه في غدٍ وأنعموا

وله في أهل البيت الطاهر سلام الله عليهم قوله:

يا آل طاهراً أنتم أملّي وعلّيتكم في البعث متكلّي

إن ضاق بي ذنبٌ فحُبُّكم
 بولاءكم وبطيب مَدْحكم
 رجب المحذث عبد عبدكم
 لا يختشي في الحشر حرَّ لظي
 سيشقان وزان صالحه
 لم ينشعب فيكون منطقةً
 وله مسطاً فيهم صلوات الله عليهم قوله:

سركم لا تنالنه الفكركم
 مستصعب فك رمزه خطركم
 وأمركم في الورى له خطركم
 ووصفكم لا يطيقه البشركم
 ومدحكم شرفت به السور

وجودكم للوجود علتنه
 وأنتم للوجود قبلتنه
 ونورك للظهور آيتنه
 وحُبكم للمحب كعبتنه
 يسعى بها طائفاً ويعتمر

لولاكم ما استدارت الأكركم
 ولا تدلى غصن ولا ثمر
 ولا استنارت شمس ولا قمركم
 ولا تندى ورق ولا خضر
 ولا سرى بارق ولا مطر

عنذكُم في الإياب مجمعنا
 وقولكم في الصراط مرجعنا
 وأنتم في الحسب مفزعنا
 وحُبكم في النشور ينفعنا
 به ذنوب المحب تغفر

يا سادة قد زكت معارفهم
 وخاف في بعثه مخالفهم
 وطاب أصلاً وساد عارفهم
 إن يختبر للورى صارفهم
 فأصلهم بالولاء يختبر

أنتم رجائي وحُبكم أملني
 فكيف يخشى حرَّ السعير ولي
 عليه يوم المعاد متكلي
 وشافعا محمداً وعلي؟
 أو يعتريه من شرها شر؟

عبدكم الحافظ الفقير على أعتاب أبوابكم يروم فلا
تخييه يا سادتي! أملا وأقسومه يروم المعاد إلى

ظلّ ظليل نسيمة عطر

صلى عليكم ربّ السماء كما أصفاكم واصطفاكم كرما
وزاد عبداً والاكتم نعماً ما غرّد الطير في الغصون وما

ناح حمام وأورق الشجر

وله في العترة الطاهرة وسيدهم صلوات الله عليه وعليهم قوله:

إذا رمّت يوم البعث تنجو من اللظى ويُقبل منك الدين والفرض والسنن
فوال عليّاً والأئمة بعده نجوم الهدى تنجو من الضيق والحن
فهم عترة قد فوّض الله أمره إليهم لما قد خصّهم منه بالمنن
أئمة حقّ أوجب الله حقّهم وطاعتهم فرضاً بها الخلق تمتحن
نصحتك أن ترتاب فيهم فتثني إلى غيرهم من غيرهم في الأنام من؟
فحبّ عليّ عدّة لولّيه يُلاقيه عند الموت والقبور والكفن
كذلك يوم البعث لم ينج قادم من النار إلّا من تولى أبا الحسن

وله في رثاء الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه قوله:

يميناً بنا حادي السري إن بدت نجدُ يميناً فللعاني العليل بها نجدُ
وعُجّ فعسى من لا عج الشوق يشتفي غريم غرام حشو أحشائه وقد
وسرّ بي لسرّ فيه سرّ جاذر لسري من جهد العهد بهم عهد
ومرّ بي بليّل في بليّل عراصها لأروى بريّة تربة ترها نُد
وقف بي أنادي وادي الأيـك علّني هناك أرى ذاك المساعداً يا سعدُ!
فبالرّبع لي من عهد جيرون جيرة يُجيرون إن جار الزمان إذا استعدوا
هم الأهل إلّا أنّهم لي أهلة سوى أنّهم قصدي والي لهم عبد
عزّزون ربّ العمر في ربّ عزّهم تقضّي ولا روع عراني ولا جهـد
وربعي مخضّر وعيشي مخضّل ووجهي مبيض وفودي مسود
وشملي مـشمول وبـرد شـبـيـتي قشيب وبـرد العيش ما شأنه نكد

معالم كالأعلام معلمة الرُّبى
طوت حادثات الدهر منشور حسنهما
وأضحت تجرُّ الحادثات ذيوها
ولا غرو إن جارت ومارت صروفها
فقد غدرت قِدماً بآل محمّد
وجاشت بجيشٍ جاش طامٍ عرمم
وعمت بأشرار عن الرشيد قد عموا
فيا أُمّة قد أدبرت حين أقبلت
أبت إذ أتت تنأى وتنهى عن النهى
سرت وسرت بغياً وسرت بغيّها
عصابة عصب (٢) أو سعت إذ سعت إلى
أثاروا وثاروا ثار بـــــــــــــــــــــــــــــــــ
بغت فبغت عمداً قتال عميدها
وساروا يستنّون العناد وقد نسوا الـ
فيا قلب قلب الدين في يوم أقبلوا
فركن الهدى هدّوا وقد العلى قدّوا
كأني بمولاي الحسين ورهطه
بكرب البلاء في كربلاء وقد زُمي
وقد حدقت عين الرّدى حين أهدقت (٣)
وقد أصبحوا جالاً لهم حين أصبحوا

فأنهارها تجري وأطيارها تشدو
كما رسمت في رسمها شمأل تغدو
عليه ولا دعْدُ هناك ولا هنْدُ
وغارت وأغرت واعتدت واغتدت تشدو
وطاف عليهم بالطفوف لها جنْدُ
خميسٍ لهامٍ حامٍ يُحمومه اسْدُ (١)
وهل يسمع الصمّ الدعاء إذا صدّوا؟
فراقها نحسّ وفارقها سعدُ
وولّت وألوت حين مال بها الجدُ
بغياً دَعَاهَا إذ عداها به الرشْدُ
خطاء خطاها والشقاء بها يحدو
لحرب بُدورٍ من سناها لهم رشْدُ
صدور طغاة في الصدور لها حقْدُ
معاد فهم من قوم عادٍ إذا عُثّوا
إلى قتل مأمولٍ هو العلم الفرْدُ
وأزر الهوى شدّوا ونهَج التقى سدّوا
حيارى ولا عونٌ هناك ولا عضْدُ
بعادٍ وشطّ دارهم وسطّت جنْدُ
عتاة عداةٍ ليس يُحصى لهم عدُ
خلولاً ولا خلٌّ لديهم ولا عقْدُ

١ - طام من طمى يطمى الفرس: أى أسرع. ويقال: البحر الطامى: أى الغزير. العرمم: الجيش الكثير. الخميس: الجيش ذات خس فرق: المقدمة، القلب، الميمنة، الميسر، الساقة. اللهم: الجيش العظيم. حام أى دار به. اليعموم: اسم فرس الإمام السبط الحسين، وفرس هشام ابن عبد الملك، وفرس حسان الطائي، وفرس النعمان بن المنذر.

٢ - العصابة: الجماعة من الرجال أو الخيل: العصب: الطى واللى. والقبض على الشيء.

٣ - حدق: فتح عينيه وطرف بهما. أهدقت: أحاطت.

فنادى ونادى الموت بالخطب خاطب
يسألهم: هل تعرفوني؟ مُسائلًا
فقالوا: نعم أنت الحسين بن فاطمٍ
وأنت سليل المجد كهلاً ويافعاً
فقال لهم: إذا تعلمون فما الذي
فقالوا: إذا رمت النجاة من الردى!
وإلا فهذا الموت عبّ عبابه (١)
فقال: ألا بُعداً بما جئتم به
فضرب لهُشم الهام تترى بنظمه
فهل سيّد قد شيّد الفخر بيته
وما عذرٌ ليث يهرب الموت بأسه
إذا سام منّا الدهر يوماً مذلةً
وتأبى نفوس طاهرات وسادةً
لها الدم وردّ والنفوس قنائصٌ
ليوث وغىّ ظلّ الرماح مقليلها
حماةً عن الأشبال يوم كريهة
إذا افتخروا في الناس عزّ نظيرهم
أيادي عطاهم لا تُطاول في التدى
مطاعيم للعافى مطاعين في الوغى

وطير الفنا يشدو وحادي الردى يحدو
وسائل دمع العين سأل به الخدّ
وجدك خير المرسلين إذا غُدّوا
إليك إذا غُدّ العلى ينتهي المجد
دعاكم إلى قتلي فما عن دمي بُدّ؟
فبايع يزيداً إنّ ذاك هو القصْد
فخض ظامياً فيه تروح ولا تغدو
ومن دونه بيضٌ وخطيئةٌ ملدّ (٢)
فمن عقده حلّ وفي حلّه عقد
حذار الردى يشقى لعبد له عبدٌ؟
يذلّ ويضحى السيد يرهبه الأسدُ؟
فهيئات يأبى ربُّنا وله الحمْدُ
مواضيعهم هام الكماة لها غمدُ
لها القدم قدمٌ والنفوس لها جنْدُ (٣)
معاوير طعم الموت عندهم شهْدُ (٤)
بدور دجى سادوا الكهول وهم مُردّ
ملوكٌ على أعتابهم يسجد المجد
وأيدي علاهم لا يُطاق لها ردّ
مطاعين إن قالوا لهم حججٌ لُدّ (٥)

١ - عبّ عبابه: كثر موجه وارتفع.

٢ - الملد بالفتح: الناعم اللين.

٣ - الورد: الماء الذى يورد. قنائص: الصيود. القدم بفتح القاف: الشرف القديم. القدم بكسر القاف: الزمان القديم.

٤ - الوغى: الحرب. المغيل: موضع النوم والراحة. معاوير جمع المغوا: كثير الغارة.

٥ - لدّ بضم اللام جمع اللد: الخصم الشديد الخصومة.

مَفَاتِيحُ لِلدَّاعِي مَصَابِيحُ لِلهَدَى
نَزِيلُهُمْ حَرَمٌ مُنَازِلُهُمْ لِقَى
فَضَائِلُهُمْ جَلَّتْ فَوَاضِلُهُمْ جَلَّتْ
مَرَابِعُهُمْ تَسْقَى مُرَابِعُهُمْ تُلْقَى
كَرَامٌ إِذَا عَافٍ عَفَى مِنْهُ مَعَهُدٌ
وَأَمْلُهُمْ رَاجٍ وَأَمٌّ لَهُمْ رَجَاءٌ
زَكُوا فِي الْوَرَى أُمًّا وَجَدًّا وَوَالِدًا
بِأَسْمَائِهِمْ يُسْتَجْلِبُ الْبِرُّ وَالرِّضَا
وَمَالَ إِلَى فِتْيَانِهِ وَرِجَالِهِ
فَسَارَ لِأَخْذِ الثَّارِ كُلِّ شَمْرَدَلٍ
وَكُلِّ كَمِيٍّ أَرْحِيٍّ غَشْمَشْمِ (١)
إِذَا مَا غَدَا يَوْمَ النَّدَا أَسْرَ الْعَدَى
لِيُوثَّ نَزَالٍ بِلْ غِيُوثٍ نَوَازِلُ
إِذَا طُلِبُوا رَامُوا وَإِنْ طَلِبُوا رَمُوا
فَوَارِسَ أَسَدِ الْغِيلِ مِنْهَا فَرَائِسُ
وَجُوهُهُمْ بَيِضٌ وَخَضِرٌ زُبُوعُهُمْ
إِذَا مَا دُعُوا يَوْمًا لِدَفْعِ مُلَمَّةٍ
بِهَآكُلٍ نَدْبٍ يَسْبِقُ الطَّرْفَ طَرْفُهُ

مَعَالِيمُ لِلسَّارِي بِهَا يَهْتَدِي النُّجْدُ (٢)
مَنَازِلُهُمْ أَمْنٌ بِهِمْ يُبْلَغُ الْقَصْدُ
مَدَائِحُهُمْ شَهْدٌ مَنَائِحُهُمْ نَدُّ (٣)
مُطَالَعُهُمْ يُكْفِي مَطَالَعُهُمْ سَعْدُ
وَصَوِّحُ مِنْ خَضِرَائِهِ السَّبْطُ وَالْجَعْدُ (٤)
وَحَلٌّ بِنَادِيهِمْ أَحَلٌّ لَهُ الرِّفْدُ
وَطَابُوا فَطَابَ الْأُمُّ وَالْأَبُ وَالْجَدُّ
بِذِكْرِهِمْ يَسْتَدْفِعُ الضَّرُّ وَالْجَهْدُ
يَقُولُ: لَقَدْ طَابَ الْمَمَاتُ أَلَا اشْتَدُّوا
إِذَا هَاجَ قَدَحٌ لِلْهِجَاجِ لَهُ زَنْدُ (٥)
تَجَمَّعَ فِيهِ الْفَضْلُ وَانْعَدَمَ الضُّدُّ
وَلَمَّا بَدَا يَوْمَ النَّدَى أَطْلَقَ الْوَعْدُ
سِرَاقَةَ كَاسِدِ الْغَابِ لِإِبْلِ هَمِّ الْأَسَدِ
وَإِنْ ضُربُوا صَدُّوا وَإِنْ ضُربُوا قَدُّوا
وَفَتَيَانُ صَدَقِ شَأْنُهَا الطَّعْنُ وَالطَّرْدُ
وَبَيَضُهُمْ حَمَرٌ إِذَا النَّقْعُ مُسْوَدُّ
غَدَا الْمَوْتُ طَوْعًا وَالْقَضَاءُ هُوَ الْعَبْدُ
جَوَادٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ لَهُ أَفْدُ (٦)

١ - النجد: الدليل الماهر.

٢ - الند بفتح النون وكسرها: عود يتبخر به.

٣ - العافي: الوارد. الضيف. كل طالب فضل أو رزق. عفى: درس وبلى. صَوِّحُ: جفف ييس. السبط ضد الجعد. الجعد: القبض خلاف المسترسل.

٤ - الشمردل بالمهملة والشمرذل بالمعجمة: الفتى السريع من الابل وغيره. هاج: ثار و تحرك. القدح: الفولاذة التي تقدح بها النار. الهياج: الحرب. زند النار قدحها واخرجها من الزند.

٥ - الكمي: الشجاع أو لابس السلاح: الغشمشم: المغشم وهو والشجاع الذي يركب رأسه فلا يثنيه شيء عما يريد.

٦ - الندب: السريع الى الفضائل: الظريف النجيب. الطرف بكسر المهملة مرّ ص ١٦. الافد: العجلة والسرعة.

كَأَنَّهُمْ نَبَتِ الرُّبَى فِي سُرُوجِهِمْ
لِبَاسَهُمْ نَسِجَ الْحَدِيدِ إِذَا بَدَوْا
إِذَا لَبَسُوا فَوْقَ الدَّرْعِ قُلُوبُهُمْ
يَخُوضُونَ تَيَّارَ الْحَمَامِ ظُومِيًّا
يَرُونَ الْمَنَآيَا نِيلَهَا غَايَةَ الْمَنَى
إِذَا فَلَلْتَ أَسْـيَافَهُمْ فِي كَرِيهِةٍ
فَمَنْ أَبْيَضَ يَلْقَى الْأَعَادِي بِأَبْيَضٍ
يَذَبُّونَ عَنْ سَبْطِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
يُجَالُ بِرَيْقِ الْبَيْضِ بَرْقًا سَجَالَهُ
إِلَى أَنْ تَدَانِيَ الْعَمْرُ وَاقْتَرَبَ الرَّدَى
أَعَدُّوا نَفُوسًا لِلْفَنَاءِ وَمَا اعْتَدُوا
أَحْلَوْا جَسُومًا لِلْمَوَاضِي وَأَحْرَمُوا
أَمَامَ الْإِمَامِ السَّبْطِ جَادُوا بِأَنْفُسٍ
شَرُّوا عِنْدَمَا بَاعُوا نَفُوسًا نَفَائِسًا
قَضَوْا إِذْ قَضَوْا حَقَّ الْحُسَيْنِ وَفَارَقُوا
فَلَمَّا رَأَى الْمَوْلَى الْحُسَيْنَ رَجَالَهُ
غَدَا طَالِبًا لِلْمَوْتِ كَاللَّيْثِ مَعْضِبًا
وَإِنْ جَمَعُوا سَبْعِينَ أَلْفًا لِقَتْلِهِ
إِذَا كَرَّ فَرَّوْا مِنْ جَرِيحٍ وَوَاقِعٍ
يَنَادِي: أَلَا يَا عَصْبَةَ عَصَتِ الْهَدَى
فَبَعْدًا لَكُمْ يَا شَيْعَةَ الْغَدْرِ إِنَّكُمْ

لَشِدَّةٍ حَزَمٍ لَا يُحْزِمُ لَهَا شُدَّوَا (١)
جَبَالًا وَأَقْيَالًا تَقْلَهُمُ الْجَرْدُ (٢)
وَصَالُوا فَحَرُّ الْكَرِّ عِنْدَهُمْ بَرْدُ
وَيَحْرُ الْمَنَآيَا بِالْمَنَآيَا لَهَا مَدُّ
إِذَا اسْتَشْهَدُوا مَرَّ الرَّدَى عِنْدَهُمْ شَهْدُ
غَدَا فِي رُؤُسِ الدَّرْعَيْنِ لَهَا حَدُّ
وَمِنْ أَسْمَرٍ فِي كَفِّهِ أَسْمَرُ صِلْدُ
وَقَدْ ثَارَ عَالِي النَّقْعِ وَاصْطَخَبَ الْوَقْدُ
الدَّمَاءُ وَأَصْوَاتُ الْكُمَاةِ لَهَا رَعْدُ
وَشَأْنُ اللَّيَالِي لَا يَدُومُ لَهَا عَهْدُ
فَطَوَّبُوا لَهُمْ نَالُوا الْبَقَاءَ بِمَا عَدَّوْا
فَحَلَّوْا جَنَانَ الْخُلْدِ فِيهَا لَهُمْ خُلْدُ
بِمَا دُونَهُ جَادُوا وَفِي نَصْرِهِ جَدَّوْا
فَفِي هَجْرِهَا وَصَلَّ وَفِي وَصْلِهَا نَقْدُ
وَمَا فَرَّقُوا بَلْ وَافَقُوا السَّعْدَ يَا سَعْدُ
وَفَتْيَانَهُ صَرَعَى وَشَادِي الرَّدَى يَشْدُو
يُحَامِي عَنْ الْأَشْبَالِ يَشْتَدُّ إِنْ شَدَّوْا
فِيحْمِلُ فِيهِمْ وَهُوَ بَيْنَهُمْ فَرْدُ
ذَبِيحٍ وَمَهْزُومٍ بِهِ طَوَّحَ الْهَدُّ (٣)
وَخَانَتْ فَلَمْ يُرْعَ الدَّمَامُ وَلَا الْعَهْدُ
كَفَرْتُمْ فَلَا قَلْبَ يَلِينٍ وَلَا وُدَّ

١ - الربي جمع الربوة: ما ارتفع من الارض. الحزم بفتح المهملة: ضبط الامر. الحزم بضم الاول والثاني جمع الحزام بالكسر: ما يشد به وسط الدابة.

٢ - أقيال ج القبيل: الرئيس. تقلهم من قل الشيء قلا: أى حمله. وقله عن الارض: رفعه. الجرد ج الاجرد: السباق من الخيل.

٣ - طوح به: حمله على ركوب المهالك وقذفه. الهد: الكسر. الصوت الغليظ.

ولا يتننا فرضٌ على كلِّ مسلمٍ
 فهل خائفٌ يرجو النجاة بنصرنا
 ويرنو لنحو الماء يشـتاق ورده
 فيحمل فيهم حملةً علويَّةً
 كفعل أبيه حيدرٍ يوم خيرٍ
 إذا ما هوى في لبّة الليث عضبه
 وعاد إلى أطفاله وعياله
 يقول: عليكنّ السلام مودّعاً
 ألا فاسمعي يا أخت إن مسّني الردى
 وإن برحت فيك الخطوب بمصرعي
 فارضي بما يرضي إلـهك واصبري
 وأوصيك بالسجّاد خيراً فأنّه
 فضجّ عيال المصطفى وتعلّقوا
 فقال وكرب الموت يعلو كأنّه
 : ألا قد دنى الترحال فالله حسبكم
 وعاد إلى حرب الطغاة مجاهداً
 إلى أن غدا مُلقى على التّرب عارياً
 وشمّر شمر الذيل في حرّ رأسه
 فواحزن قلبي للكريم علا على

وعصياننا كفرٌ وطاعتنا رُشدٌ
 ويخشى إذا اشتدّت سعيّ لها وقد؟
 إذا ما مضى يبغى الورود له ردٌ
 بها للعوالي في أعالي العدى قصدٌ
 كذلك في بدرٍ ومن بعدها أحدٌ
 فمن نحره بحرٌ ومن جزره مدٌ
 وغرب المنايا لا يقلُّ لها حدٌ ^(١)
 فها قد تنامى العمر واقترب الوعدُ
 فلا تلطمي وجهاً ولا يُخمش الخدُ
 وجلّ لديك الحزن والشكل والفقدُ
 فما ضاع أجر الصابرين ولا الوعدُ
 إمام الهدى بعدي له الأمر والعهدُ
 به واستغاث الأهل بالتدب والولدُ
 ركّام ومن عظم الظما انقطع الجهدُ ^(٢)
 وخير حسيبٍ للورى الصّمد الفرْدُ
 وللبيض والخرصان في قـلده قـدُ
 يُصافح منه إذ ثوى للثرى خدُ
 ألا قُطعت منه الأنامل والزّندُ
 سنان سنان والخيول لها وخدُ ^(٣)

١ - العرب يوصف به السيف أى قاطع حديد. المنايا ج المنية: الموت. الفلّ: الثلمة في حدّ السيف. الحد من السيف: مقطعه.

٢ - الركّام: المتراكم بعضه فوق بعض. الجهد: الطاقة.

٣ - الوخد من وخذ البعير أى اسرع وصار يرمى بقوائمه كالنعام. وهذا البيت في نسخة:

فوالهف نفسي للمحيا علا على سنان سنان والخيول به تعـدو

تزلزلت السَّبع الطِّباق لفقده
وأرجف عرش الله من ذاك خيفةً
وناحت عليه الطير والوحش وحشةً
وشمس الصَّحى أمست عليه عليلةً
فيالك مقتولاً بكته السَّما دماً
شهيداً غريباً نازح الدار ظامياً
بروحي قليلاً غسله من دمائه
ترضُّ خيول الشرك بالحق قد صدره^(٢)
ومذ راح لمّا راح للأهل مهره
ببرزن حيارى نادبات بذلّة
فحاسرة بالبردن تستر وجهها
ومن ذاهل لم تدر أين مُعزها
وزينب حسرى تندب الندب عندها
تنادي: أخي يا واحدي وذخيري
ربيع اليتامى يا حسين وكافل
أخي بعد ذاك الصون والخدر والخبأ
بناتك يا بن الطَّهر طاهراً حواسر
لقد خابت الآمال وانقطع الرجأ
وأضحت ثغور الكفر تبسم فرحةً
وصوّح نبت الفضل بعد اخضراره
بُجاذبنا أيدي العدا فضلة الرِّدا
فأين حصوني والأسود الأولى بهم

وكادت له شُمّ الشماريخ تنهد^(١)
وضجّت له الأملاك وانفجر الصلْدُ
وللجنّ إذ جنّ الظلام به وجد
علاهما اصفرار إذ تروح وإذ تغدو
وثُلّ سرير العزّ وانهدم المجد
ذبحاً ومن قاني الوريد له ورد
سليلاً ومن ساقى الرياح له برد
وترضح منه الجسم في ركضها جرد
خليلاً يخذ الأرض بالوجه إذ يعدو
وقلب غدا من فارط الحزن ينقد
وبرقعها وقد ومدمعا رقد
تضيّق عليها الأرض والطرق تنسُد
من الحزن أوصاب يضيق بها العد
وعوني وغوثي والمؤمل والقصد
الأيامى رمانا بعد بعدكم البعد
يُعالجنّا علج ويسلبنا وغد
ورحلك منهوب تقاسمه الجنْد
بموتك مات العلم والدين والزهد
وعين العلى ينخد من سجّها الخد^(٣)
وأصبح بدر التّم قد ضمّه اللحد
كأن لم يكن خير الأنام لنا جد
يُصال على ريب الزمان إذا يعدوا؟

١ - الشمراخ: رأس الجبل. تنهد: تقع وتنهدم. الاوصاب جمع الوصب: المرض والوجع الدائم ونحول الجسم.

٢ - الرض: الدق والجرح. الرضح: الكسر. الجرد راجع ص ٢٤.

٣ - ينخد: ينشق. الشحب: الصب المتتابع الغزير.

إذا غربت يا بن النبي بدورك
ولا سحبت سحب ذيولاً على الرُّبى
وساروا بآل المصطفى وعياله
وتطوي المطايا الأرض سيراً إذا سرت
تأُمّ يزيداً نجل هند إمامها
فيالك من رزءٍ عظيم مصابه
أُيقتل ظمآنًا حسين بكربلا
وتضحى كريمات الحسين حواسراً
فليس لأخذ الثار إلا خليفة
هو القائم المهدي والسيد الذي
يُشيّد ركن الدين عند ظهوره
وغصن الهدى يضحى وريقاً ونبتة
لعلّ العيون الرمد تحظى بنظرة
إليك انتهى سرّ النبيّين كلّهم
بني الوحي يا أمّ الكتاب ومن لهم
إليكم عروساً زفّها الحزن ثاكلاً
لها عبرة في عشر عاشور أرسلت
رجا (رجب) رحب المقام بما غداً
بذلت اجتهادي في مديحك وما
ولي فيكم نظمٌ ونثرٌ غناؤه
مصابي وصوب الدمع فيكم مجدّد
تذكّرني يا بن النبي غداً إذا
فأنتم نصيب المادحين وإني
إذا أصبح الراجي نزيل ربوعكم

فلا طلعت شمسٌ ولا حلّها سعدٌ
ولا ضحك النورّ وانبعق الرعدُ (١)
حيارى ولم يخش الوعيد ولا الوعدُ
تجوب بعيد اليد فيها لها وخدُ
ألا لعنت هندٌ وما نجلت هندُ
يُشقُّ الحشا منه ويُلتمد الخدُ
ومن نحره البيض الصقال لها وردُ
يلاحظها في سيرها الحرّ والعبدُ
هو الخلف المأمول والعلم الفردُ
إذا سار أملاك السّماء له جندُ
علوّاً وركنُ الشّرك والكفر ينهدُ
أنيقاً وداعي الحقّ ليس له ضدُ
إليه فتجلى عندها الأعين الرّمّدُ
وأنت ختام الأوصياء إذا عُددوا
مناقب لا تحصي وإن كثّر العدُ
تنوح إذا الصبُّ الحزين بها يشدو
إذا أنشدت حادي الدُموع بها تحدو
إذ ما أتى والحشر ضاق به الحشدُ
قدارٌ مديحي بعد أن مدح الحمّدُ
فقيرٌ وهذا جهدٌ من لا له جهدُ
وصبري وسلواني به أخلق الجهدُ
غدا كلُّ مولى يستجير به العبدُ
مدحت وفيكم في غدٍ يُنجز الوعدُ
فقد نجحت منه المطالب والقصدُ

١ - سحبت من السحب: الجرّ على وجه الأرض. النوار: الزهر أو الأبيض منه. انبعق: انبعج المطر.

فإن مالَ عنكم يا بني الفضل راغبٌ
 فيا عدَّتِي في شدَّتِي يومَ بعثتي
 عبيدكم (البرسي) مولى فخاركم
 عليكم سلام الله ما سكب الحيا
 وله في رثاء الامام السبط الشهيد صلوات الله عليه قوله:
 دمعٌ يمدده مقمٌ نازحٌ
 والعين إن أمسّت بدمع فجّرت
 أظهرت مكنون الشجون فكلما
 وعليّ قد جعل الأسى تجديده
 وشهود ذلّي مع غريم صبابتي
 أوهى اصطباري مطلقٌ ومقيّدٌ
 فالجفن منسجمٌ غريقٌ سائحٌ
 والخذلٌ خدده طليقٌ فاترٌ
 أصبحت تحفضني الهموم بنصبها
 حلّت له حلل النحول فبرده
 وخطيب وجدي فوق منبر وحشتي
 ومحرمٌ حزني وشوأل العنا
 ومد يد صبري في بسيط تفكّري
 ساروا فمعناهم ومغناهم عفا
 درس الجديد جديدها فتنكّرت

يظلّ ويضحى عند من لا له عندٌ
 بكم غلّتي من علّتي حرّها بردٌ
 كفاه فخاراً أنّه لكم عبدٌ
 دموعاً على روضٍ وفاح لها نُدٌ

ودمٌ يمدده مقمٌ نازحٌ
 فجرت ينابيع هناك مُوانحٌ
 شجّ الأمون سجا الحرون الجامح^(١)
 وفقاً يُضاف إلى الرحيب الفاسخ
 كتبوا غراممي والسقام الشارح
 غربٌ وقلبٌ بالكآبة بائح^(٢)
 والقلب مضطرم حريقٌ قاذحٌ
 والوجد جدّده مجدٌ مازحٌ
 والجسم مُعتلٌ مثالٌ لائحٌ
 بُرد الذبول تحلّ فيه صفائحٌ
 لفراقهم لهو البليغ الفاصح
 والعيد عندي لاعجٌ ونوايحٌ
 هزجٌ ودمعي وافرٌ ومُسارح^(٣)
 واليومَ فيه نوايحٌ وصوايحٌ
 ورنا بها للخطب طُرفٌ طامح^(٤)

-
- ١ - الشج من شجّ المفازة. قطعها. الامون من الناقة: وثيقة الخلق القوية. سجا يسجو سجواً: مدّ حنينه. الحرون من الدابة الذي لا ينقاد، وإذا استدبر جريه وقف. الجامح: المتغلب على راكمه والذاهب به وهو لا يثنى.
- ٢ - بائح من باح ييوح بوحا بسره: أظهره كأباحه.
- ٣ - إشارة الى أنواع الشعر.
- ٤ - رنا اليه وله: أدام النظر اليه بسكون الطرف. الطامح من طمح البصر: ارتفع ونظر شديداً.

نسج البلى منه محقق حسنه
 فطفقت أندبه رهين صبابه
 وأقول والزفرات تذكى جذوه
 لا غرو إن غدر الزمان بأهله
 فلقد غوى في ظلم آل محمد
 وسطى على البازي غراب أسحم
 وتناول الكلب العقور فصاول
 وتواثبت عرج الضباع ورّعت (١)
 آل النبي بنو الوصي ومنبع
 خزان علم الله مهبط وحيه
 التائبون العابدون الحامدون
 الصائمون القائمون المطعمون
 عند الجدى سحب وفي وقت الهدى
 هم قبله للسااجدين وكعبه
 طرق الهدى سفن النجاة محبهم
 ما تبلغ الشعراء منهم في الثنا
 نسب كمنبلج الصباح ومنتمى

ففناءه ماحي الرسوم الماسخ
 عدم الرفيق وغاب عنه الناصخ
 بين الضلوع لها لهيب لافخ
 وجفا وحان وخان طرف لامخ
 وعوى عليهم منه كلب نابخ
 وشبا على الأشبال زنج ضابخ (٢)
 الليث الهصور وذاك أمر فادخ (٣)
 والسيد أضحى للأسود يكافخ
 الشرف العلي وللعلوم مفاتخ
 وحاو علم والأنام ضحاضخ (٤)
 الذّاكرون وجنح ليل جانخ
 المؤثرون لهم يد ومنايخ
 سمت وفي يوم النّزال جحاجخ (٥)
 للطائفين ومشعر وبطايخ
 ميزانه يوم القيامة راجخ
 والله في السبع المثاني مادخ
 زاك له يعنو السماك الرامخ (٦)

-
- ١ - البازي من طيور الصيد وله أنواع كثيرة. الاسحم: الأسود. شبا: علا. الزنج: قوم من السودان. الضابخ: المتغير اللون كلون الضبع أى الرماد.
 - ٢ - صاوله: واثبه. الهصور من الاسد الذى يهصر فريسته أى يكسرها كسراً. الفادخ: الصعب المثقل.
 - ٣ - تواثبت من وثب وثباً: نهض وقام. عرج ج الاعرج: المصاب فى رجله الماشى مشية غير متساوية. الضبع. الضباع ج الضبع.
 - ٤ - الضحضاح: الماء اليسير أو القريب القعر.
 - ٥ - الجدى: العطية. السميت: المحجة والطريق. الجحاجح ج الجحجج: السيد المسارع الى المكارم. المبادر.
 - ٦ - يعنو: يذلّ ويخضع. السماك الرامخ: نجم معروف يسمى بذلك لانه يقدمه كوكب يقولون: هو رمحه.

الجُدُّ خير المرسلين مُحَمَّد الـ
هو خاتمٌ بل فاتحٌ بل حاكمٌ
هو أول الأنوار بل هو صفوة الـ
هو سيّد الكونين بل هو أشـ
لولاك ما خلُق الزمان ولا بدت
والأمُّ فاطمة البتول وبضعة
حوريَّة إنسيَّة لجلالها
والوالد الطاهر الوصي المرتضى
موليَّ له النبأ العظيم وحُبُّه
موليَّ له بغدير خمِّ بيعة
القسور البتّاك والفتّاك والسـ
أسد الإله وسيفه ووليُّه
وبعضده وبعضضبه وبعزمه
يا ناصر الاسلام يا باب الهدى
يا ليت عينك والحسين بكربلا
والعادات صواهل وجوائل
والبيض والسمر اللدان بوارق
يلقى الردى بحر الندى بين العدى
أفديته محزون الوريد مرّماً
والماء طام وهو ظام بالعرا

لهادي الأمين أخو الختام الفاتح
بل شاهدٌ بل شافعٌ بل صافح
جبار والنشر الأريج الفايح
رف الثقلين حقاً والندير الناصح
للعالمين مساجدٌ ومصابح
الهادي الرسول لها المهيمن مانح
وجمالها الوحي المنزّل شارح
علم الهداية والمنار الواضح
النهج القويم به المتاجر رابح
خضعت لها الأعناق وهي طوامح
فماك في يوم العراك الدّابح
وشقيق أحمد والوصي الناصح
حقاً على الكفار ناخ النايح
يا كاسر الأصنام فهي طوامح^(١)
بين الطغاة عن الحرّيم يُكافح
بالشّوس في بحر النجيع سوابح^(٢)
وطوارق ولوامع ولوائح^(٣)
حتّى غدا ملقى وليس مُنافح^(٤)
ملقى عليه الترب سافٍ سافح^(٥)
فرّد غريبٌ مستظماً نازح

١ - مرّ حديث كسره عليه السلام الاضنام في صفحة ٩ - ١٣ من هذا الجزء.

٢ - الشّوس ج الاثوص. راجع ص ٢٤. النجيع الدم المسائل الى السواد. سوابح ج سابح: السريع الغير المضطرب في جريه.

٣ - البيض ج الابيض: السيف. السمر: الرمح. اللدان ج لدن بفتح اللام: اللين.

٤ - المنافح: المدافع.

٥ - ساف من سفى يسفى سفيا: التاب تدرى وتبدد. سافح: المصبوب الذى لا يجسه شىء.

والطاهرات حواسرُ وثواكلٌ
 في الطفّ يسحبَن الدُّيول بذلة
 يسسَترَن بالأردان نـوَر محاسن
 لهفي لزنبَ وهي تندب نـدبها
 تدعو: أخي يا واحدي ومؤملي
 مَن لليتامى راحمٌ؟ مَن للأيامى
 حُزني لفاطمَ تلطم الخدَّين مَن
 أجفانها مقروحةٌ ودموعها
 تهوى لتقييل القتييل تضمه
 تحنو على النَّحر الخضيب وتلثم
 أسفي على حرم النبوة جئن مطـ
 يدين بدرأ غاب في فلك الثرى
 هذي أخي تدعو وهذي يا أبي
 والطهر مشغول بكرب الموت من
 ولفاطم الصغرى نحيبٌ مقرحٌ
 عـلج يعالجها لسلب حليها
 بالردن تسر وجهها وتمانع الـ
 تستصرخ المولى الامام وجدها
 : يا جدُّ قد بلغ العدا ما أمَلوا
 يا جدُّ غاب وليّنا وحمينا

بين العدا ونوادبٍ ونوائج
 والدَّهر سـهم الغدر رامٍ رامحٌ (١)
 صوناً وللأعداء طَرفٌ طامحٌ
 في نـدبها والدمع سارٍ سارحٌ (٢)
 مَن لي إذا ما ناب دهرٌ كالح؟ (٣)
 كافلٌ؟ مَن للجفاة مناصحٌ؟
 عظم المصاب لها جوى وتبارحٌ (٤)
 مسفوحةٌ والصَّبر منها جامحٌ
 بفتيل معجرها الدِّماء نواضحٌ
 النَّعر التَّريب لها فؤادٌ قاذحٌ
 روحاً هنالك بالعتاب تطارحٌ (٥)
 وهزبر غابٍ غيبتـه ضرائحٌ
 تشكو وليس لها وليٌّ ناصحٌ
 ردَّ الجواب وللمنيّة شابحٌ (٦)
 يذكي الجوانح للجوارح جارحٌ
 فتطلُّ في جهد العفاف تطارحٌ (٧)
 ملمعون عن نهب الرِّدا وتكافح
 وفؤادها بعد المسرة نازحٌ
 فينا وقد شمت العدو الكاشحٌ
 وكفيلنا ونصيرنا والناصحٌ

١ - يسحبَن من سحب سحباً: جرَّ على وجه الأرض. الرامح: الطاعن بالرمح.

٢ - السارح: الجارى جرياً سهلاً.

٣ - ناب: نزل. الكالح من كلح وجهه: عبس وتكشّر فهو كالح.

٤ - الجوى شدة الوجد من حزن أو عشق. داء في الصدر. التبارح من البرح: الاذى والعذاب الشديد والمشقة.

٥ - تطارح: تجاوب.

٦ - الشايح من شبح شبحاً الجلد: مده بين اوتاد. الرجل مده كالمصلوب.

٧ - تطارح: تباعد.

ضَيِّعْتُمُونَا وَالْوَصَايَا ضَيَّعَتْ
يَا فَاطِمَ الزَّهْرَاءُ قُومِي وَانْظُرِي
أَكْفَانَهُ نَسَجَ الْغُبَارُ وَغَسَلَهُ
وَشَبَّوْلَهُ نَهَبَ السِّيُوفُ تَزْوَرَهَا
وَعَلَى السَّنَانِ سَنَانٌ رَافِعَ رَأْسَهُ
وَالْوَحْشُ يَنْدُبُ وَحَشَّةً لِفِرَاقِهِ
وَالْأَرْضُ تَرْجِفُ وَالسَّمَاءُ لِأَجْلِهِ
وَالدَّهْرُ مِنْ عَظَمِ الشَّجَى شَقَّ الرِّدَا
يَا لِلرَّجَالِ لظُلْمِ آلِ مُحَمَّدٍ
يُضْحِي الْحُسَيْنَ بِكَرْبَلَاءَ مَرَمَلًا
وَعِيَالَهُ فِيهَا حِيَارَى حَسْرًا
يُسْرِي بِهِمْ أَسْرَى إِلَى شَرِّ الْوَرَى
وَيُقَادُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ مَغْلًا
مَا يَكْشِفُ الْغَمَّاءَ إِلَّا نَفْحَةٌ
نَبْوِيَّةٌ عَلْوِيَّةٌ مَهْدِيَّةٌ
يُضْحِي مَنَادِيهَا يَنَادِي: يَا لثَا
وَالْجَنُّ وَالْأَمْلاكُ حَوْلَ لَوَائِهِ

فِينَا وَسُيُومُ الْحُورِ سَارٍ سَارِخٌ
وَجَهَ الْحُسَيْنِ لَهُ الصَّعِيدُ مَصَافِخٌ
بَدَمُ الْوَرِيدِ وَلَمْ تَنْحِهِ نَوَائِخُ
بَيْنَ الطُّفُوفِ فِرَاعِلٌ وَجَوَارِخُ^(١)
وَلِجْسَمِهِ خَيْلُ الْعِدَاةِ رَوَامِخُ^(٢)
وَالْجَنُّ إِنْ جَنَّ الظُّلَامُ نَوَائِخُ
تَبْكِي مَعَاً وَالطَّيْرُ غَادٍ رَايِخُ
أَسْفًا عَلَيْهِ وَفَاضَ جَفْنٌ دَاخُ^(٣)
وَلَأَجَلَ ثَارِهِمْ وَأَيَّنَ الْكَادِخُ؟^(٤)
عَرِيَانُ تَكْسُوهُ التُّرَابُ صَحَاصِخُ^(٥)
لِلذَّلِ فِي أَشْخَاصِهِنَّ مَلَامِخُ^(٦)
مِنْ فَوْقَ أَقْتَابِ الْجَمَالِ مَضَابِخُ^(٧)
بِالْقَيْدِ لَمْ يَشْفَقْ عَلَيْهِ مَسَامِخُ
يَحْيِي بِهَا الْمَوْتَى نَسِيمٌ نَافِخُ
يُشْفِي بَرِيَّاهَا الْعَلِيلَ الْبَارِخُ
رَاتِ الْحُسَيْنِ وَذَاكَ يَوْمٌ فَارِخُ
وَالرَّعْبُ يَقْدَمُ وَالْحَتُوفُ تَنَافِخُ^(٨)

١ - فِرَاعِلُ ج الفِرْعَلُ: والد الضبع. الجَوَارِحُ ج الجارحة: ذات الصيد من السباع والطيور والكلاب.

٢ - رَوَامِخُ مِنْ رَحْمَتِهِ الدَّابَّةُ: رَفْسَتُهُ.

٣ - الدَاخُ: الْكَثِيرُ الْمَاءِ.

٤ - الْكَادِخُ: الَّذِي جَهْدَ نَفْسَهُ فِي الْعَمَلِ.

٥ - صَحَاصِخُ ج الصَّحَصِخُ: الْأَرْضُ الْجُرْدَاءُ الْمُسْتَوِيَّةُ ذَاتُ حَصَى صَغَارٍ.

٦ - الْمَلَاخُ: مَا بَدَى مِنْ مُحَاسِنِ الْوَجْهِ وَمَسَاوِيهِ.

٧ - الْمَضَابِخُ: الْمَقَالِي وَالْمَخَاصِمُ.

٨ - تَنَافِخُ: تَقَابُلُ.

لم أنسه وجيوش الكفر جائشة
تطوف بالطف فرسان الضلال به
وللمنايا بفرسان المني عجل
مُسائلًا ودموع العين سائلة
ما إسم هذا الثرى يا قوم! فابتدروا
بكر بلا هذه تُدعى فقال: أجل
خطوا الرّجال فحال الموت حلّ بنا
يا للرّجال لخطب حلّ مخترم الآ
فها هنا تصبح الأكباد من ظمأ
وها هنا تصبح الأقمار آفلة
وها هنا تملك السادات أعبداها
وها هنا تصبح الأجساد ثاوية
وها هنا بُعد بُعد الدار مدفنا
وصاح بالصحب هذا الموت فابتدروا
من كل أبيض وضّاح الجبين فتى
من كلّ منتدبٍ لله محتسبٍ
وكلّ مصطلم الأبطال مصطلم
وراح ثمّ جواد السبب يندب به
فمذ رأته النساء الطاهرات بدا
برزن نادبةً حسرى وثاكلة
فجنن والسبب ملقى بالنصال أبت
والشمر ينحر منه النحر من حنقٍ

والجيش في أمل والدين في ألم
والحقّ يسمع والأسماع في صمم
والموت يسعى على ساق بلا قدم
وهو العلیم بعلم اللوح والقلم:
بقولهم يوصلون الكلم بالكلم:
آجالنا بين تلك الهضب والاكلم
دون البقاء وغير الله لم يدم
جال معتدياً في الأشهر الحرم
حرّى وأجسادها تروى بفيض دم
والشّمس في طفل والبدر في ظلم
ظلماً ومخدومها في قبضة الخدم
على الثرى مطعماً للبوم والرخم^(١)
وموعده الخصم عند الواحد الحكم
أسداً فرائسها الآساد في الأجم
يغشي صلى الحرب لا يخشى من الضرم
في الله مُنتجب باله مُعتصم
الآجال مُلتمس الآمال مُستلم
عالي الصهيل خلياً طالب الخيم
يكادم^(٢) الأرض في خدّ له وفم
عبرى ومعلولة بالمدمع السجم
من كفّ مُستلم أو ثغرٍ ملتئم
والأرض ترجف خوفاً من فعالهم

١ - البوم. طائر يسكن الخراب. الرخم: طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع.

٢ - يكادم: يعضّ.

فتستتر الوجه في كـم عقيـلته
تدعو أخاها الغريب المستظام أخي
مـن إتكلت عليه في النساء ومـن
هـذي سـكينة قد عزّت سـكينتها
تهـوي لتقيـلته والدمع منهمـرٌ
فيمنع الدم والنصل الكسير به
تضـمُّه نحوها شوقاً وتلثمـه
تقول من عظم شكواها ولوعتها
: أخي لقد كنت نوراً يستضاء به
أخي لقد كنت غوثاً للأرامـل يا
يا كافلي هل ترى الأيتام بعدك في
يا واحدي يا بن أقي يا حسين لقد
وبرّدوا غـلل الأحقاد من ضغنٍ
أين الشفيق وقد بان الشقيق وقد
مات الكفيل وغاب الليث فابتدرت
وتستغيث رسول الله صـارخةً:
يا جدُّ لو نظرت عيناك من حزن
مشرّدين عن الأوطان قد قهروا
يسرى بهنّ سبايا بعد عزّهم
هـذا بقيّة آل الله سيّد أهل

وتنحني فوق قلبٍ والـه كـلـم^(١)
يا ليت طرف المنايا عن غـلاك عم
أوصيت فينا ومن يحنو على الحرم؟
وهـذه فاطمٌ تبكي بفيض دـم
والسبط عنها بكرب الموت في غـم^(٢)
عنـها فتنصلُّ لم تـبرح ولم تـرم
ويخضب النحر منه صدرها بدم
وحزنها غير منقضٍ ومنفصـم
فما لنور الهدى والدين في ظلم
غوث اليتامى وبحر الجود والكرم
اسـر المذلّة والـاوصـاب^(٣) والـلم
نال العدى ما تمّتوا من طلابهم
وأظهروا ما تحقّقى في صدورهم
جار الرفيق ولجّ الدّهر في الـزم^(٤)
عرج الضباع على الأشبال في نهـم
يا جدُّ أين الوصايا في ذوي الرّحم؟
للعـترة الغرّ بعد الصون والحشم
تكلّى أسارى حيارى ضـرّجوا بدم
فوق المطايا كسبي الروم والخدم
الأرض زيـن عبـاد الله كلّهم

١ - الكلم من كلمه كلما: جرحه.

٢ - غم بضم المعجمة ج الغمة: الحيرة واللبس.

٣ - الاوصاب ج الوصب راجع ص ٥٥.

٤ - الـزم: من أزم الدهر القوم: استأصلهم. وأزم بصاحبه: لزم. وأزم الحبل: احكم فعله. والـزم ج الـزمة: الشدة.

نجل الحسين الفتى الباقي ووارثه
يُساق في الأسر نحو الشام مهتظماً
أين النبي وثغر السَّبَط يقرعه
أينكـت الرجس ثغراً كان قبـله
ويدّعي بعدها الإسلام من سـفه
يا ويله حين تأتي الطُّهر فاطمة
تأتى فيطرق أهل الجمع أجمعهم
وتشتكي عن يمين العرش صارخة
هناك يظهر حكم الله في مـلا
وفي يديها قميصٌ للحسين غدا
أيا بني الوحي والذكر الحكيم ومـن
حزني لكم أبداً لا ينقضي كـمداً
حتّى تعود إليكم دولةٌ وعـدت
فليس للدين من حـامٍ ومُنـصرٍ
القائم الخلف المهديّ سيّدنا
بدر الغياهب تيار المواهب مـنـ
يا بن الامام الزكيّ العسكريّ فتى
يا بن الجواد ويا نجل الرضا ويا
خليفة الصّادق المولى الذي ظهرت
خليفة الباقر المولى خليفة زين
نجل الحسين شهيد الطّف سيّدنا
نجل الحسين سليل الطُّهر فاطمة

والسيّد العابد السجّاد في الظلم
بين الأعداء فمن باكٍ ومبتسم
يزيدُ بعضاً خـير الخلق كلّهم؟
من حيّـه الطهر خيرُ العرب والعجم؟
وكان أكفر من عاد من إرم؟
في الحشر صارخةً في موقف الأمم
منها حياءٌ ووجه الأرض في قـتم
وتستغيث إلى الجبّار ذي النـقم
عضّوا وخانوا فيا سحـقاً لفعلهم
مضـمّخاً بدم قرناً إلى قـدم
ولاهم أملـي والبرء من أـلمي
حتى الممات وردّ الروح في رـمـم
مهديّة تملأ الأقطار بالنعـم
إلا الإمام الفتى الكشّاف للظلم
الطاهر العلم ابن الطاهر العلم
صور الكئائب حامي الحلّ والحرم^(١)
الهادي التقى عليّ الطاهر الشيم
سـليل كاظم غيظ منبـع الكـرم
علومه فأنارت غيـهب الظلم
العابدين عليّ طيّب الخـيم
وحبّذا مفخرٌ يعلو على الأـمم
وابن الوصيّ عليّ كاسر الصنـم^(٢)

١ - الغياهب جمع الغيب: الظلمة الشديدة السواد من الليل. التيار: موج البحر الهائج. الكئائب ج الكتيبة: القطعة من الجيش أو الجماعة من الخيل.

٢ - راجع من هذا الجزء ص ٩ - ١٣.

يا بن النجى ويا بن الطهر حيدرة
 أنت الفخار ومعناه وصورته
 أيامك البيض خضرٌ فهي خاتمة
 متى نراك فلا ظلمٌ ولا ظلم
 أقبل فسبل الهدى والدين قد طمست
 يا آل طاهها ومن حبي لهم شرفٌ
 إليكم مدحةٌ جاءت منظّمةً
 بسيطة إن شذت أو انشدت عطرت
 بكرةً عروساً ثكولاً زفّها حزنٌ
 يرجو بها (رجب) رحب المقام غداً
 يا سادة الحقّ مالي غيركم أملٌ
 ما قدر مدحي والرحمن مادحكم
 حاشاكم تحرموا الراجي مكارمكم
 أو يختشي الزلّة (البرسي) وهو يرى
 إليكم تحف التسليم واصلةً
 صليّ الإله عليكم ما بدا نسّم^(١)
 وله قوله:

أما والذي لدمي حلّالا
 لئن أسق فيه كؤوس الحمام
 فموتي حياقي وفي حيّبه
 فمن يسئل عنه؟ فإنّ الفؤا
 مضت سنة الله في خلقه
 وله قوله:

لقد أظهرت يا حافظاً

يا بن البتول ويا بن الحلّ والحرم
 ونقطة الحكم لا بل خطّة الحكم
 الدنيا وختم سعود الدين الامم
 والدين في رعد والكفر في رغم؟
 ومسّها نصبٌ والحقّ في عدم
 أعده في الورى من أعظم النعم
 ميمونة صغتها من جوهر الكلم
 بمدحكم كبساط الزهر منحرم
 على المنابر غير الدّمع لم تسم
 بعد العناء غناء غير منهدم
 وحبّكم عدّتي والمدح معتصمي
 في هل أتى قد أتى مع نون والقلم
 ويرجع الجار عنكم غير محترم
 ولاكم فوق ذي القرى وذو الرحم
 ومنكم وبكم أنجو من النقم
 وما أتت نسّمات الصبح في الحرم

وخصّ أهيل الولا بالابلا
 لما قال قلبي لساقبه: لا
 يلدُ افتضاحي بين الملا
 د تسلى وما قطّ أنا سلا
 بأنّ المحبّ هو المبتلى

سرّاً كان مخفياً

١ - نسّم ج النسمة: الانسان أو كل دابة فيها روح.

نـوراً كـان مـطـوياً
والسـادات علـوياً
و محسـوداً ومرضـوياً
وكـن طـيراً سمـواً
لا يقـرب إنسـياً
والوحـدة منسـياً
بسـهم الـبغض مرمـياً
أبـوه الـزنج بصـراً
مجوسـياً يهـودياً
ذاك الطـين كوفـياً
برسـياً وحليـاً

وأبـرزت مـن الأنـوار
بـه قـد صـرت عـند الله
ومقبـولاً ومسـعوداً
فطـب نـفساً وعـش فـرداً
غريـباً يألـف الخـلوة
غـدا في النـاس بالخـلوة
وإن أصـبحت مرفـوضاً
فلـم يـبغضك إلّا مـن
عمايـة مـرادياً
لهـذا قـد غـدا يـبغض
وفي المـولد والمـحتد

وله في الغزل قوله:

كلفـت بـها عشـقاً وهـمت بـها وجـداً
كـما أنـي أصـبحت فيـهم لهـا عبـدا
فـذا مانـح صـداً وذا صاعـر خـداً
علـي كـأني قـد قـتلـت لهـ وُلـدا
سـوى إنـي أصـبحت في حـبـها فـردا
حماها كـما يـمـتـه أعـذروا حـداً
بأنّ امـتـداحـي جـاوز الحـدّ والعـداً
ولكنـها في الحـسن قـد جـازت الحـداً

لـقد شاع عـني حـبٌ لـيلى وإنـي
وأصـبحت أدعـى سـيداً بـين قومـها
ألاقي الـورى في حـبـها في تنكـر
وذا عابـسٌ وجـهاً يـطـوّل أنـفه
ولا ذنـب لي في هـجرهم لي وهـجرهم
ولو عـرفوا ما قـد عـرفـت و يـمـموا
وظنّوا وبـعض الظنّ إنـم وشنّـعوا
فوالله ما وـصـفي لهـا جـاز حـده

هذه جملة ما وقفنا عليه من شعر شيخنا الحافظ البرسي وهي ٥٢٠ بيتاً ولا يوجد فيها كما ترى شيء مما يرمى به من الارتفاع والغلو فالأمر كما قال هو:

بأنّ امـتـداحـي جـاوز الحـدّ والعـداً
ولكنـها في الحـسن قـد جـازت الحـداً

وظنّوا وبـعض الظنّ إنـم وشنّـعوا
فوالله ما وـصـفي لهـا جـاز حـده

توجد ترجمته في أمل الآمل. ورياض العلماء. ورياض الجنة في الروضة الرابعة.

وروضات الجنات. وتتميم الأمل للسيد ابن أبي شبنانة. الكنى والألقاب. وأعيان الشيعة. والطلعية. والبابليات. ولم نقف على تاريخ ولادة شاعرنا الحافظ ووفاته، غير أنه أرّخ بعض تأليفه بقوله: إنّ بين ولادة المهدي عليه السلام وبين تأليف هذا الكتاب خمسمائة وثمانية عشر سنة. فيوافق ٧٧٣، أخذاً برواية ٢٥٥ في ولادة الإمام المنصور صلوات الله عليه، ومرّ في تاريخ بعض كتبه أنه أرّخه بـ ٨١٣، ولعلّه توفيّ حدود هذا التاريخ والله العالم.

(المغلاة في الفضائل)

لما وقع غير واحد من شعراء الغدير نظراء المترجم - البرسي - في شبك النقد والاعتراض، وزُموا بالغلو، وجاء غير واحد من المؤلفين ^(١) فشرَّ عليهم الغارات بالقذف والسباب المقذع فيهمنا إيقاف الباحث على هذا المهم حتى لا يستهويه الغلب والصخب، ولا يصيخ إلى النعرات الطائفية الممقوتة، وقول الزور فنقول:

الغلو على ما صرَّح به أئمة اللغة كالجوهري والفيومي والراغب وغيرهم هو تجاوز الحدِّ، ومنه غلا السعر يغلو غلاء، وغلا الرجل غلوًا، وغلا بالجارية لحمها وعظمها إذا اسرعت الشباب فجاوزت لِداتها قال الحرث بن خالد المخزومي:

خمســـــــــــــــــانة قلـــــــــــــــــق موشـــــــــــــــــحها رود الشــــــــــــــــباب غلا بهـــــــــــــــــا عظمـــــــــــــــــم

ومنه قول رسول الله ﷺ: لا تغالوا في النساء فأنما هنَّ سقيا الله ^(٢) وقول عمر: لا تغالوا في مهور النساء ^(٣) والغلو ممقوت لا محالة أينما كان وحيثما كان في أيِّ أمر كان، ولا سيِّما في الدِّين وعليه ينزل قوله تعالى في موضعين ^(٤) من الذكر الحكيم: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم. ويعني في ذلك كما ذكره المفسرون ^(٥) غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وغلو النصارى فيه حتى جعلوه ربًّا. فالإفراط والتقصير كله سيِّئة. والحسنة بين السيِّتين كما قاله مطرف بن عبد الله، وقال الشاعر:

وأوف ولا تستوف حقك كله وصافح فلم يستوف قطُّ كريم
ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

١ - كابن تيمية وابن كثير، والقصيمي وموسى جار الله. ومن لف لفهم.

٢ - البيان والتبيين ٢ ص ٢١.

٣ - راجع الجزء السادس من الكتاب ص ٩٦ ط ٢.

٤ - النساء: ١٧١، المائدة: ٧٧.

٥ - تفسير القرطبي ٦ ص ٢١.

وقال آخر:

عليك بأوساط الامور فأنها نجاة ولا تتركب ذلولا ولا صعبا

وقال مولانا أمير المؤمنين: إنّ دين الله بين المقصّر والغالي فعليكم بالنمقة الوسطى فيها يلحق المقصّر، ويرجع اليها الغالي (١) غير أنّ من الواجب تعيين الحد الذي لا يجوز في الدين أن يتجاوزه الإنسان لاستلزام الغلوّ الكذب تارة، والإغراء بالجهل أخرى، وبخس الحقوق الواجبة آونة، لا ما دأبت عليه أمة من الرميّ بالغلوّ كلّ قائل ما لا يروقها، وتحذوها العصبية العمياء إلى التجهم أمام القول بما لا يلائم ذوقها، ومن هذا الباب أكثر ما ترمى به الشيعة الإمامية من الغلوّ لاعتقادهم أو روايتهم فضائل لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد طفحت بها الصحاح والمسانيد، وتدققت بنقلها الكتب والمؤلفات، حيث لم يقدّر من نبّههم به لأئمة الهدى وزناً تقيمه الحقيقة ويقتضيه مقامهم الأسمى، ذلك المقام الشامخ المستتب من الكتاب والسنة والإعتبار الصحيح والقضايا الخارجيّة الصادقة المتسالم عليها بين الأئمة، لولا أنّ هناك من يتعمى أو يتصامم عن رؤية هذه وسماع هاتك، أو تقصر مُنته العلميّة عن تحليل الفلسفة الصحيحة، أو يقصر باعه عن الإحاطة بالكائنات التاريخيّة، من الذين استأسرهم الهوى وتدهور بهم الجهل إلى هوّة التيه والضلال، فعدّوا من الغلوّ الفاحش القول بعلم الغيب فيهم أو إخبارهم عمّا في الضمير، أو تكلم الموتى معهم، أو علمهم بمنطق الطير والحيوانات، أو إحياء الله الموتى بدعائهم، أو استجابة دعواتهم في براء الأكمه والأبرص، وبلّ كلّ ذي عاهة، أو القول بالرجعة لهم، أو ظهور كرامة لهم تحرق العادة، أو الشخوص إلى زيارة قبورهم والتوسّل بهم، والتبرّك بتربتهم، والدعاء والصلاة عند مراقدهم، أو التلهف والتأسف على ما انتابهم من المصائب، إلى كثير من أمثال هذه من مبادئ تراها الشيعة في العترة الهادية من فضائلهم المدعومة بالبرهنة الصحيحة والحجج القويّة ممّا أنكرته أبناء حزم وجوزي وتيمية وقيم وكثير ومن هذا حذوهم ولفّ لّهم.

ولعلّ لهم العذر في ذلك بأنّ الذي يرتأونه في الخليفة لا يزيد على أنّه رجلٌ يقطع

١ - ربيع الابرار للزمخشري.

السارق ويقتصُّ من القاتل، ويحفظ الثغور، ويدحر المهرج في الأوساط، ويجمع الفيء ويقسِّم، إلى أمثال هذه ممّا هو شأن الملوك والأمراء في الأمم والأجيال، وتُعرّب عنه خطب أبي بكر وعمر لمّا استخلفا^(١) واستخلاف عثمان ومعاوية وابنه الطائي، وهلمّ جزءاً، وحديث عبد الله بن عمر وحמיד بن عبد الرحمن كما يأتي بيانه.

وهم لا يوجبون في الخليفة قوّة في النفس منبعثة عن نزاهة وقداسة وعصمة يتصرّف بها صاحبها في الكائنات كيفما اقتضته المصلحة، ويصير المغيّب بعين بصيرته، أو بنور بصره الذي لا يقلُّ عن أشعة (رتجن) التي يصير صاحبها الأمعاء من وراء الجلد الغليظ وتُري ما في قبضة المسك بيده من ظهر اليد، وبلغت بها القوّة حتى أخذت بها الصورة الشمسيّة من وراء سياج الصندوق الحديدي.

والذي يجت في القوى النفسيّة إلى مثل التنويم المغناطيسي الصناعي أو استحضر الأرواح واستخدامها للجواب عن كلّ مسألة يريدّها الإنسان ممّا في وراء عالم الشهود بقوّة نفسه كيف يسعه إنكار ردّ الأرواح إلى الأجسام باذن ربّها لدعاء وليّ، أو مقدرة صديق موهوبة له من باريّ كيانه؟ وليس على الله بعزيز، هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنّما يقول له كن فيكون.

وكذلك من يشهد: أنّ الطائرات الجويّة تطوي مئات من الفراسخ في آونة قصيرة، وكان يستدعي ذلك اشغال أشهر من الزمن يوم كانوا يطوونها على الظهور، أتى يُسيغ له حجاه أن ينكر طيّ الأرض لمن يحمل بين جنبيه قوى مفاضة من المبدء الحقّ سبحانه؟ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب^(٢).

ومثله: الذي يصير المذياع وهو ينقل الأصوات من أبعد المسافات فيسمعها كأنّه يتلو القرآن الكريم، أو يُلقي خطابه، أو يسرد أخباره، أو يغني بأهازيجه إلى جنبه فهو لا يسعه إنكار ما يشابه ذلك في إمام حقّ مؤيّد من عند الله، إنّ الله يُسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور^(٣).

١ - راجع الجزء السادس من الكتاب ص ١٩١ ط ٢ وهذا الجزء فيما يأتي.

٢ - سورة النمل آية ٨٨.

٣ - سورة فاطر آية ٢٢.

ونظيره: المتكلم الذي تُمثّل له بالقوى الممثلة صورةً من يخاطبه ويتكلّم معه (في الهاتف) من صقعٍ شاسعٍ كأنّه يراه وينظر اليه من كُتب. وكذلك تُري إبراهيم ملكوت السموات والأرض^(١).

وأمثال هذه في المكتشفات الحديثة من آثار الكهرباء وغيره كثيرة ذلّت فيهم العضلات التي كانت تقصر عنها العقول السدّج قبل هذا اليوم، ولعلّ في المستقبل الكشف يكون ما هو أعظم وأعظم من هذه كلّها، فإنّ العلم لم يقف على حدّ، ولا دلّت البرهنة على وصول الكشف إلى غايته المحدودة، فمن الجائز أن يتدرّج إلى الأمام كما تدرّج في هذه القرون الأخيرة جلّت قدرة بارئها.

أنا لا أحاول جعل تلکم المعاجز وكرامات الأولياء من قبيل ما ذكرته من مجاري الناموس الطبيعيّ، ولو أنّها لا يعدوها الاعجاز حتّى لو كانت على تلك المجاري، لأنّها حدثت يوم لم تكن هذه الآثار مكتشفة، ولا عرفها أحدٌ من الناس، حتّى أنّه لو فاه بها أحدٌ لما كانوا يحفلون به إلّا بالهزء والسخرية معتقدين بأنّه يلهج بالمحال فصدورها من إنسان هذا ظرفه وتلك أحوال أمّته، ولم يعهد أنّه دخل كليّة أو تخرّج على يد استاذ لا يعدوه أن تكون معجزة، لكنّا نعتقد أنّ أولئك الأئمّة بما أنّهم مقيضون لإصلاح الأمّة ولا يكون إلّا بخضوعها لهم، وأقوى الحجج لاستلانة جماعها لذلك الخضوع هو صدور المعجزات والخوارق - لهم صلة بالمبدء الأقدس يسدّدهم بها من فوق عالم الطبيعة، وهو لازم اللطف الواجب على الله سبحانه من تقرب البعيد إلى ما ذكرناه من الإكتشافات الحديثة لتقريب الأذهان وتشحيذها، وإيقاف المنصف على الحقائق. وقد فصلّنا القول في بعض الموضوع في الجزء الخامس ٥٢، ٦٥ ط ٢.

فهلّمّ معي إلى اناس يشنّعون على الشيعة باثبات تلکم النسب ويقذفونهم بالغلوّ والكفر والشرك وهم يثبتونها لغير واحد من أولياءهم، وذكروا أضعاف ما عند الشيعة من تلکم الفضائل المرميّة بالغلوّ في تراجم العاديين من رجالهم، ونشروها في الملاء واتخذوها تاريخاً صحيحاً من دون أيّ غمز وإنكار في السند، ومن غير مناقشة و نظرةٍ صحيحة في المتون، كلّ ذلك حبّاً وكرامة لأولئك الرجال، وحبّ الشيء يعمي

١ - سورة الانعام آية ٧٥.

ويصمّ، وهذه السيرة مطّردة فيهم منذ القرن الأول حتّى اليوم، ولا يسع لأيّ باحثٍ رمي أولئك المؤلّفين الحقاظ بالضلال والشرك والغلوّ وخروجهم عمّا أجمعت عليه الأمة الاسلاميّة كما هم رموا الشيعة بذلك، على أنّ الباحث يجد فيما لقّفته يد الدعاية والنشر، ونسجته أكفّ المخرقة والغلوّ في الفضائل، عجائب وغرائب أو قل: سفاسف وسفسطات، تبعد عن نطاق العقل السليم، فضلاً عن أن تكون مشروعةً أو غير مشروعة وإليك البيان:

(الغلوّ في أبي بكر)

ليس من العسير الشديد عرفان حدود أيّ فرد شئت من الصّحابة، إذ التاريخ - مع ما فيه من الخبط والخلط، مع ما نسجت عليه أيدي المعرّة الأثيمة، مع ما طمس صحبحه بالفتن المظلمة في أدوارها وقرونها الخالية، مع ما لعبت به الأهواء المضلّة بالتحريف والاختلاق، مع ما دسّ فيه عباقية الإفك والافتعال، مع ما سوّدت صفحاته بآراء تافهة، و نظريّات سخيّة، ومبادئ فاسدة، ونعرات طائفية، ومخاريق قوميّة، وجنابات شعوبيّة - فيه رمزٌ من الحقيقة، لا يختلط للناقد البصير زُبدته بخائره، وصحيحه بسقيمه، ويسع له أن يستخرج المحض بالمخض، يتّخذ منه دروس الحقائق، ويعرف به حدود الرجال، ومقاييس السلف، ومقادير الأمم الغابرة.

ومن اللازم المحتوم علينا النظرة في تراجم الشخصيّات البارزة من رجال الإسلام سلفاً وخلفاً بعين الإكبار دون عين رمصة، ولا سيّما من عُرف منهم بالخلافة الراشدة بين الملأ الدينيّ ولو بالانتخاب الدستوري الذي ليس له أيّ قيمة وكرامة في سوق الاعتبار، وميزان العدل، ربّك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة ^(١) وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ^(٢) والله الأمر من قبلٍ ومن بعدُ، وهو وليّهم بما كانوا يعملون، وكذبوا وأتبعوا أهوائهم وكلّ أمر مستقرّ.

١ - سورة القصص آية ٦٨.

٢ - سورة الاحزاب آية ٣٦.

فصاحب النبيّ الأعظم في الغار، والمهاجر الوحيد معه في الرعيّل الأوّل من المهاجرين السابقين يهّمنا إكباره وإعظامه، ويُعدُّ من الجنايات الفاحشة بخس حقّه، والتقصير في تحديد نفسيّاته، والخروج عن قضاء العدل فيها، والنزول على حكم العاطفة.

ونحن لا نحوم حول موضوع الخلافة وأنّها كيف تمّت؟ كيف صارت؟ كيف قامت؟ كيف دامت؟ وأنّ الآراء فيها هل كانت حرّة؟ ووصايا المشرّع الأعظم هل كانت متّبعة؟ أو كانت للأهواء والشهوات يوم ذاك حكومة جبّارة هي تبطش وتقبض، وهي ترفع وتخفض، وهي ترتق وتفتق، وهي تنقض وتبرم، وهي تحلّ وتعتقد.

لا يهّمنا البحث عن هذه كلّها بعد ما سمعت أذن الدنيا حديث السقيفة مجتمع الثويلة، وقُرّطت نبأ تلك الصاخّة الكبرى، والتحارش العظيم بين المهاجرين والأنصار، إذا وقعت الواقعة، ليس لوقعها كاذبة، خافضة رافعة.

ما عساني أن أقول؟ والتاريخ بين يدي الباحث يدرسه بأنّ كلّ رجل من سواد الناس يوم ذاك كان يرى الفوز والسّلامة لنفسه في عدم التحزّب بأحد من تلكم الأحزاب المتكثّرة، وترك الإقتحام في تلك الثورات النائرة، وكانت الخواطر تهدّده بالقتل مهما أبدى الشقاق، أو التحيز إلى فئة دون فئة، بعد ما رأت عيناه فرند الصارم المسلول، وسمعت أذناه نداء محرّ^(١) يتوعّد بالقتل كلّ قائل بموت رسول الله ويقول: لا أسمع رجلاً يقول: مات رسول الله. إلّا ضربته بسيفي. أو يقول: من قال: إنّه مات. علّوت رأسه بسيفي، وإنّما ارتفع إلى السّماء^(٢).

يصيح: مَنْ قال نفس المصطفى قبضت علّوت هامته بالسيف أبريها^(٣)

بعد ما تشازرت الأُمّة وتلاكمت وتكالمت وقام الشيخان يعرض كلّ منهما البيعة

١ - المحز: الرجل الغليظ الكلام.

٢ - تأريخ الطبري ٣: ١٩٨، شرح ابن أبي الحديد ١: ١٢٨، تاريخ ابن كثير ٥: ٢٤٢، تأريخ أبي الفدا ج ١: ١٥٦، المواهب اللدنية للقسطلاني، روضة المناظر لابن شحنة هامش الكامل ٧: ١٦٤، شرح المواهب للزرقاني ٨: ٢٨٠، السيرة النبوية لزيني دحلان هامش الحلبية ٣: ٣٧١ - ٣٧٤، ذكرى حافظ للدمياطي ص ٣٦ نقلا عن الغزالي.

٣ - من ابيات القصيدة العمريّة لحافظ ابراهيم شاعر النيل.

لصاحبه قبل أخذ الرأي عن أيّ أحد، كأنّ الأمر دبرّ بليل، فيقول هذا لصاحبه: ابسط يدك فلاّبايعك. ويقول آخر: بل أنت. وكلّ منهما يريد أن يفتح يد صاحبه ويبايعه، ومعهما أبو عبيدة الجراح حقّار القبور بالمدينة ^(١) يدعو الناس اليهما ^(٢) والوصيّ الأقدس والعترة الهادية وبنو هاشم ألهاهم النبيّ الأعظم وهو مسجّى بين يديهم وقد أغلق دونه الباب أهله ^(٣) وخلّى أصحابه ^{صلى الله عليه وآله وسلم} بينه وبين أهله فولوا إجنانه ^(٤) و مكث ثلاثة أيّام لا يُدفن ^(٥) أو من يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء أو ليلته ^(٦) فدفنه أهله ولم يله إلّا أقاربه ^(٧) دفنوه في الليل أو في آخره ^(٨) ولم يعلم به القوم إلّا بعد سماع صريف المساحي وهم في بيوتهم من جوف الليل ^(٩) ولم يشهد الشيخان دفنه ^{صلى الله عليه وآله وسلم} ^(١٠).

بعد ما رأى الرجل عمر بن الخطاب محتجراً يهرول بين يدي أبي بكر وقد نبر حتى أزيد شدقاه ^(١١).

بعد ما قرعت سمعه عقيرة صحابيّ بدريّ عظيم - الحباب بن المنذر - وقد انتضى سيفه على أبي بكر ويقول: والله لا يرُدُّ عليّ أحدٌ ما أقول إلّا حطمت أنفه بالسيف،

-
- ١ - راجع الجزء الخامس من هذا الكتاب ص ٣١٤، ٣١٥ ط ٢.
 - ٢ - تأريخ الطبرى ٣: ١٩٩.
 - ٣ - سيرة ابن هشام ٤: ٣٣٦، الرياض النضرة ١: ١٦٣.
 - ٤ - طبقات ابن سعد ص ٨٢١ ط ليدن ج ٢ من القسم الثاني ص ٧٦.
 - ٥ - تأريخ ابن كثير ٥ ص ٢٧١، تاريخ ابى الفدا ج ١: ١٥٢.
 - ٦ - طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٢ ص ٥٨، ٧٩، سيرة ابن هشام ٤ ص ٣٤٣، ٣٤٤، مسند احمد ٦: ٢٧٤، سنن ابن ماجة ١ ص ٤٩٩، سيرة ابن سيد الناس ٢ ص ٣٤٠، تأريخ ابى الفداء ١: ١٥٢ وقال: الاصح دفنه ليلة الاربعاء، تاريخ ابن كثير ٥ ص ١٧١ وقال: هو المشهور عن الجمهور. وقال: والصحيح انه دفن ليلة الاربعاء، السيرة الحلبية ٣ ص ٣٩٤، شرح المواهب للزرقاني ٨ ص ٢٨٤، سيرة زبني دحلان هامش الحلبية ٣ ص ٣٨٠.
 - ٧ - طبقات ابن سعد ص ٨٢٤، ط ليدن ٢ من القسم الثاني ص ٧٨.
 - ٨ - سنن ابن ماجة ١ ص ٤٩٩، مسند احمد ٦: ٢٧٤.
 - ٩ - الطبقات لابن سعد ص ٨٢٤ ط ليدن ٢ من القسم الثاني ص ٧٨، مسند احمد ٦: ٢٧٤، سيرة ابن هشام ٤ ص ٣٤٤، تأريخ ابن كثير ٥ ص ٢٧٠.
 - ١٠ - أخرجه ابن ابى شيبه كما في كنز العمال ٣ ص ١٤٠.
 - ١١ - طبقات ابن سعد ص ٧٨٧، ط ليدن ج ٢ من القسم الثاني ص ٥٣، شرح ابن ابى الحديد ١ ص ١٣٣.

أنا جُذيلها المحكَّك (١) وعُذيقها المرجَّب، أنا أبو شبل في عرينة الأسد يُعزى إلى الاسد، فيقال عليه: إذن يقتلك الله. فيقول: بل إياك يقتل. أو: بل أراك تقتل (٢) فأخذ ووطىء في بطنه، وُدسَّ في فيه التراب (٣).

بعد ما شاهد ثالثاً يخالف البيعة لابي بكر وينادي: أما والله أرميكم بكلِّ سهم في كنانتي من نبل. وأخضب منكم سناني ورمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم مع من معي من أهلي وعشيرتي (٤).

بعد ما رأى رابعاً يتذمَّر على البيعة، ويشبُّ نار الحرب بقوله: إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم (٥).

بعد ما نظر إلى مثل سعد بن عبادة أمير الخزرج وقد وقع في ورطة الهون يُنزي عليه، ويُنادى عليه بغضب: اقتلوا سعداً قتله الله إنَّه منافق. أو: صاحب فتنة. وقد قام الرجل على رأسه ويقول: لقد هممت أن أطفك حتَّى تندر عضوك. أو تندر عيونك (٦).

بعد ما شاهد قيس بن سعد قد أخذ بلحية عمر قائلاً: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة. أو: لو خفضت منه شعرة ما رجعت وفيك جارحة (٧).

-
- ١ - الجذل بالكسر والفتح: أصل الشجرة والعود الذي ينصب للابل الجري لتحتك به فتستشفى به، فالقول مثل يضرب لمن يستشفى برأيه ويعتمد عليه، والتصغير للتعظيم.
 - وكذلك عُذيقها المرجَّب. والعذق: النخلة يحملها والترجيب أن تدعم الشجرة اذ أكثر حملها لتلا تنكسر اغصانها.
 - ٢ - صحيح البخارى ١٠ ص ٤٥، مسند احمد ١ ص ٥٦، البيان والتبيين ٣ ص ١٨١. سيرة ابن هشام ٤ ص ٣٣٩ العقد الفريد ٢ ص ٢٤٨، الامامة والسياسة ١ ص ٩، تاريخ الطبرى ٣ ص ٢٠٩، ٢١٠، تاريخ ابن الاثير ٢ ص ١٣٦، ١٣٧، الرياض النضرة ١ ص ١٦٢، ١٦٤، تاريخ ابن كثير ٥ ص ٢٤٦ ج ٧ ص ١٤٢، الصفوة ١ ص ٩٧، تيسير الوصول ٢ ص ٤٥، شرح ابن ابى الحديد ١ ص ١٢٨ و ج ٢ ص ٤، السيرة الحلبية ٣ ص ٣٨٧، ابو بكر الصديق للاستاذ محمد رضا المصرى ص ٢٥.
 - ٣ - شرح ابن ابى الحديد ٢ ص ١٦.
 - ٤ - الامامة والسياسة ١ ص ١١، تاريخ الطبرى ٣ ص ٢١٠، تاريخ ابن الاثير ٢ ص ١٣٧. شرح ابن ابى الحديد ١ ص ١٢٨، السيرة الحلبية ٣ ص ٣٨٧.
 - ٥ - راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا صفحة ٢٥٣ ط ٢.
 - ٦ - مسند احمد ١ ص ٥٦، العقد الفريد ٢ ص ٢٤٩، تاريخ الطبرى ٣ ص ٢١٠، سيرة ابن هشام ٤ ص ٣٣٩، الرياض النضرة ١: ١٦٢، ١٦٤، السيرة الحلبية ٣ ص ٣٨٧.
 - ٧ - تاريخ الطبرى ٣ ص ٢١٠، السيرة الحلبية ٣ ص ٣٨٧.

بعد ما عاين الزبير وقد اختلط سيفه ويقول: لا أغمده حتى يبايع عليّ فيقول عمر: عليكم الكلب، فيؤخذ سيفه من يده ويُضرب به الحجر ويُكسر^(١).

بعد ما بصر مقداداً ذلك الرجل العظيم وهو يدافع في صدره أو نظر إلى الحباب ابن المنذر وهو يحطّم أنفه، وتُضرب يده. أو إليّ اللاتذنين بدار النبوة، مأمّن الأئمة، وبيت شرفها، بيت فاطمة وعليّ - سلام الله عليهما - وقد لحقهم الإرهاب والترعيد^(٢) وبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب وقال لهم: إن أبوا فقاتلهم. فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرهم عليهم الدار فلقيته فاطمة فقالت: يا بن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخل فيه الأئمة^(٣).

بعد ما رأى هجوم رجال الحزب السياسيّ دار أهل الوحي وكشف بيت فاطمة^(٤) وقد علت عقيرة قائدهم بعد ما دعا بالخطب: والله لتحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة. أو لتخرجنّ إلى البيعة أو لأحرقنّها على من فيها، فيقال للرجل: إنّ فيها فاطمة فيقول: وإن^(٥).

بعد قول ابن شحنة: إنّ عمر جاء إلى بيت عليّ ليحرقه على من فيه فلقيته فاطمة فقال: ادخلوا فيما دخلت فيه الأئمة « تاريخ ابن شحنة هامش الكامل ٧ ص ١٦٤ ».

بعد ما سمع أنّه وحنّة من حزينة كئيبة - بضعة المصطفى - وقد خرجت عن خدرها وهي تبكي وتنادي بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب و ابن أبي قحافة؟^(٦).

١ - الامامة والسياسة ١ ص ١١، تاريخ الطبري ٣ ص ١٩٩، الرياض النضرة ١ ص ١٦٧، شرح ابن أبي الحديد ١ ص ٥٨، ١٣٢، ج ٢ ص ٥، ١٩.

٢ - تاريخ الطبري ٣: ٢١٠، شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٨.

٣ - العقد الفريد ٢: ٢٥٠ تاريخ أبي الفدا ج ١: ١٥٦، اعلام النساء ٣: ١٢٠٧.

٤ - الاموال لابي عبيد ص ١٣١، الامامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٨، تاريخ الطبري ٤: ٥٢ مروج الذهب ١: ٤١٤، العقد الفريد ٢: ٢٥٤، تاريخ يعقوبي ٢: ١٠٥.

٥ - تاريخ الطبري ٣: ١٩٨، الامامة والسياسة ١: ١٣، شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣٤. ج ٢: ١٩ اعلام النساء ٣: ١٢٠٥.

٦ - الامامة والسياسة ١: ١٣ اعلام النساء ٣: ١٢٠٦. الامام على لعبد الفتاح عبد المقصود ١: ٢٢٥.

بعد ما رآها وهي تصرخ وتولول ومعها نسوة من الهاشميات تنادي: يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله، والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله.

« شرح ابن أبي الحديد ١ ص ١٣٤ ج ٢ ص ١٩ »

بعد ما شاهد هيكل القداسة والعظمة - أمير المؤمنين - يُقاد إلى البيعة كما يُقاد الجمل المخشوش^(١) ويُدفع ويُساق سوقاً عنيفاً واجتمع الناس ينظرون ويقال له: بايع: فيقول: إن أنا لم أفعل فمه؟ فيقال: إذن والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك فيقول: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله^(٢).

بعد ما رأى صنو المصطفى علياً لاذ بقبر رسول الله ﷺ وهو يصيح ويكي و يقول: يا ابن أم! إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني^(٣).

بعد نداء أبي عبيدة الجراح لعلِّي عليّاً يوم سيق إلى البيعة: يا بن عمِّ إنَّك حديث السنِّ وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمر ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشدَّ احتمالاً واستطلالاً، فسلم لأبي بكر هذا الأمر فإنَّك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليفٌ وحقيقٌ في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك^(٤).

بعد رفع الأنصار عقيرتهم في ذلك اليوم العصبصب بقولهم: لا نبايع إلا علياً. و بعد صياح بدرتهم: منا أميرٌ ومنكم أميرٌ، وقول عمر له: إذ كان ذلك فمت إن استطعت^(٥).

بعد قول أبي بكر للأنصار: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وهذا الأمر بيننا وبينكم

١ - العقد الفريد ٢ ص ٢٨٥، صبح الاعشى ١ ص ٢٢٨. شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٤٠٧.

٢ - الامامة والسياسة ١ ص ١٣، شرح ابن أبي الحديد ٢ ص ٨ و ١٩، اعلام النساء ٣ ص ١٢٠٦.

٣ - الامامة والسياسة ١: ١٤.

٤ - الامامة والسياسة ١ ص ١٣، شرح ابن أبي الحديد ٢ ص ٥.

٥ - صحيح البخارى في مناقب ابى بكر وفي باب رجم الجبلى ج ١٠ ص ٤٥، طبقات ابن سعد ٢ ص ٥٥ و ج ٣ ص ١٢٩، البيان والتبيين للجاحظ ٣ ص ١٨١، سيرة ابن هشام ٤ ص ٣٣٩. التمهيد للباقلاني ص ١٩٧، تاريخ الطبرى ٣ ص ٢٠٦ و ٢٠٩، مستدرک الحاكم ٣ ص ٦٧، الرياض النضرة ١ ص ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، تاريخ ابن كثير ٥ ص ١٤٦، تيسير الوصول ٢ ص ٤١، ٤٥.

نصفان كشقّ الابلمة - يعني الخوصة - (١).

مَدَّت لها الاوس كفاكي تناولها فمَدَّت الخزرج الأيدي تباريها

وظنَّ كلُّ فريق أنَّ صاحبه أولى بها وأتَى الشحناء آتيها (٢)

بعد قول أمّ مسطح بن أثانة واقفةً عند قبر النبي ﷺ وهي تنادي: يا رسول الله!

قد كان بعدك أنباءً وهنبشة (٣) لو كنت شاهدا لم تكثر الخطبُ

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها واختلَّ قومك فاشهدهم ولا تغب (٤)

هذه كلّها كانت تهدّد السواد، وتروّع عامّة الناس وما كان لأحد في إصلاح القوم مطمع، ولا لأيّ من الأمّة بعد ما شاهد الحل يوم ذاك حسابان حرمة ولا كرامة لنفسه يقوم بها تجاه ذلك التيار المتدفّق.

وكانت هناك أمّة تراها سكارى - وما هي بسكارى - من حراجة الموقف تسارّها هواجسها بالترّص إلى حين، حتّى تضع الغائلة أوزارها، ويتّضح مآل أمر دبر بليل، ويتبيّن الرشد من الغي، وهواجس تجعل جماعة كالنزيعه تجهش وتحنّ وتقرع سنّ الأسف، وكم حنون لا يجديه حنينه.

وما عساني أن قول في تلك الخلافة؟ بعد ما رآها أبو بكر وعمر بن الخطاب فلتة كفلتة الجاهليّة وقى الله شرّها (٥).

بعد ما حكم عمر بقتل من عاد إلى مثل تلك البيعة (٦).

بعد قوله يوم السقيفة: من بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعه له ولا

١ - صحيح البخارى فى مناقب ابى بكر البيان والتبيين ١ ص ١٨١، عيون الاخبار لابن قتيبة ٢ ص ٢٣٤، طبقات ابن سعد ٢ ص ٥٥، ج ٣ ص ١٢٩، العقد الفريد ٢ ص ١٥٨، تيسير الوصول ٢ ص ٤٥٢، السيرة الحلبية ٣ ص ٣٨٦، نهاية ابن الاثير ١ ص ١٣ فيه: كقد الابلمة. تاج العروس ٨ ص ٢٠٥.

٢ - من أبيات القصيدة العمرية الحافظ ابراهيم شاعر النيل.

٣ - الهنبشة: الامر الشديد والاختلاط فى القول.

٤ - طبقات ابن سعد ص ٨٥٣، شرح ابن ابى الحديد ٢ ص ١٧، و ج ١ ص ١٣٢، وقد يعزى البيتان مع ابيات اخرى الى الصديقة فاطمة سلام الله عليها.

٥ - التمهيد للباقلانى ص ١٩٦، شرح ابن ابى الحديد ٢: ١٩، الغدير لنا ج ٥: ٣٧٠.

٦ - التمهيد ص ١٩٦ شرح ابن ابى الحديد ١: ١٢٣، ١٢٤، الصواعق لابن حجر ص ٢١.

بيعة للذي بايعه تغرة أن يقتلا (١).

بعد قوله لابن عباس: لقد كان عليّ فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر (٢) بعد قوله: إنا والله ما فعلناه عن عداوة ولكن استصغرناه، وحسبنا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها.

بعد قول ابن عباس له في جوابه: كان رسول الله ﷺ يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره، أفتستصغره أنت وصاحبك؟ (٣).

بعد قول عمر لابن عباس: يا بن عباس! ما أظنّ صاحبك إلا مظلوماً. وقول ابن عباس له: والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر، (شرح ابن أبي الحديد ٢ ص ١٨)

بعد قول أبي السبطين أمير المؤمنين: أنا عبد الله وأخو رسول الله، أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا أبايكم وأنتم أولى بالبيعة لي، فيقول عمر: لست متروكاً حتى تباع. فيقول عليّ: احلب يا عمر! حلباً لك شطره (٤).

بعد قوله ﷺ: الله الله يا معشر المهاجرين! ألا تخرجوا سلطان محمد في العرب من داره، وقعر بيته إلى دوركم، وتدفعون أهله عن مقامه في الناس وحقّه، فوالله يا معشر المهاجرين فنحن أحقّ الناس به لأننا أهل البيت ونحن أحقّ بهذا الأمر منكم، ما كان فينا القارئ لكتاب الله، العالم بسنن الله، المتطّلع لأمر الرعيّة الدافع عنهم الأمور السيّئة، القاسم بينهم بالسويّة، والله إنّه لفينا، فلا تتبّعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحقّ بعدا (٥).

بعد قوله ﷺ: لَمَّا مضى - المصطفى - لسبيله تنازع المسلمون الأمر بعده، فوالله ما كان يُلقى في روعى، ولا يخطر على بالي أنّ العرب تعدل هذا الأمر بعد محمد

١ - صحيح البخارى ١٠: ٤٤ باب رجم الحبلى من الزنا، مسند أحمد ١: ٥٦، سيرة ابن هشام ٤: ٣٣٨ نهاية ابن الاثير ٣: ١٧٥، تيسير الوصول

٢: ٤٥ شرح ابن أبي الحديد ١: ١٢٨، تاريخ ابن كثير ٥: ٢٤٦.

٢ - شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣٤ و ج ٢: ٢٠، الغدير كتابنا هذا ج ١: ٣٨٩.

٣ - راجع الجزء الاول من كتابنا هذا ص ٣٨٩ ط ٢، كنز العمال ٦ ص ٣٩١.

٤ - الامامة والسياسة ١ ص ١٢، شرح ابن أبي الحديد ٢ ص ٥.

٥ - الامامة والسياسة ١ ص ١٢، شرح ابن أبي الحديد ٢ ص ٥.

عن أهل بيته، ولا إثم مّحوه عيّ من بعده فما راعني إلا انثيال الناس على أبي بكر، واجفاهم إليه ليباعوه، فأمسكت يدي ورأيت أبي أحق بمقام محمد في الناس ممن تولّى الأمر من بعده (١)

بعد ما خرج عليّ كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله ﷺ على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله! قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول عليّ كرم الله وجهه: أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيهم وطالبهم (٢).

بعد قوله عليه السلام: أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أنّ محلي منها محل القطب من الرّحى، ينحدر عيّ السيل، ولا يرقى إلى الطير، فسدت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرثني بين أن أصول بيد جدّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير، ويكدر فيها مؤمن حتى يلقي ربّه، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نبها، حتى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده.

« ثمّ تمثّل بقول الأعشى ».

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كورِهَا وَيَوْمَ حَيَّانَ أَخِي جَابِر
فيا عجباً يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدّ ما تشطّراً ضرعيها، فصيرّها في حوزة خساء يغلظ كلمها، ويخشن مسّها، ويكثر العثار فيها والإعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن اشق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم، فمني الناس لعمر الله بخطط وشماس، وتلّون واعتراض، فصبرت على طول المدّة، وشدّة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم فيا لله وللشورى، متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر، لكيّ أسففت إذا سقوا، وطرّت إذا طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره مع هن وهن، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً

١ - الامامة والسياسة ١ ص ١٢.

٢ - الامامة والسياسة ١: ١٢، شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣١، ج ٢: ٥.

حُضِنِيهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَ ٢ مَعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضْمَةَ الْإِبْلِ نَبْتَةِ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنْ انْتَكَشَ فِتْلَهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلَهُ، وَكَبَتَ بِهِ بَطْنَتَهُ. الْحَدِيثُ.

كَلَمْتَنَا حَوْلَ هَذِهِ الْخُطْبَةِ

هَذِهِ الْخُطْبَةُ تَسَمَّى بِالشَّقْشَقِيَّةِ وَقَدْ كَثُرَ الْكَلَامُ حَوْلَهَا فَأُثْبِتَهَا مَهْرَةً الْفَرِّ مِنْ - الْفَرِيقَيْنِ وَرَأَوْهَا مِنْ خُطْبِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الثَّابِتَةِ الَّتِي لَا مَغْمَزَ فِيهَا، فَلَا يُسْمَعُ إِذَنْ قَوْلُ الْجَاهِلِ بِأَنَّهَا مِنْ كَلَامِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ، وَقَدْ رَوَاهَا غَيْرُ وَاحِدٍ فِي الْقُرُونِ الْأُولَى قَبْلَ أَنْ تَنْعَقِدَ لِلرَّضِيِّ نَظْفَتَهُ، كَمَا جَاءَتْ بِإِسْنَادٍ مُعَاصِرِيهِ وَالْمُتَأَخِّرِينَ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِهِ وَ إِلَيْكَ أُمَّةٌ مِنْ أَوْلَئِكَ:

- ١ - الْحَافِظُ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحِمَايِي الْمُتَوَفَّى ٢٢٨ كَمَا فِي طَرِيقِ الْجُلُودِيِّ فِي الْعِلَلِ وَالْمَعَانِي.
- ٢ - أَبُو جَعْفَرٍ دَعْبَلُ الْخَزَاعِيِّ الْمُتَوَفَّى ٢٤٦ رَوَاهَا بِإِسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كَمَا فِي أَمَالِي شَيْخِ الطَّائِفَةِ ص ٢٣٧، وَرَوَاهَا عَنْهُ أَخُوهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ.
- ٣ - أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيُّ الْمُتَوَفَّى ٢٧٤ / ٨٠ كَمَا فِي عِلَلِ الشَّرَائِعِ.
- ٤ - أَبُو عَلِيٍّ الْجَبَائِي شَيْخُ الْمَعْتَزَلَةِ الْمُتَوَفَّى ٣٠٣ كَمَا فِي الْفَرَقَةِ النَّاجِيَةِ لِلشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ الْقَطِيفِيِّ، وَالْبَحَارِ لِلْعَلَّامَةِ الْمَجْلِسِيِّ ٨: ١٦١.
- ٥ - وَجَدْتُ بِخَطِّ قَدِيمٍ عَلَيْهِ كِتَابَةُ الْوَزِيرِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ الْفَرَاتِ الْمُتَوَفَّى ٣١٢ كَمَا فِي شَرْحِ ابْنِ مِيثَمٍ.
- ٦ - أَبُو الْقَاسِمِ الْبَلْخِيُّ أَحَدُ مَشَايِخِ الْمَعْتَزَلَةِ الْمُتَوَفَّى ٣١٧ كَمَا فِي شَرْحِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ١ ص ٦٩.
- ٧ - أَبُو أَحْمَدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُلُودِيُّ الْبَصْرِيُّ الْمُتَوَفَّى ٣٣٢ كَمَا فِي مَعَانِي الْأَخْبَارِ.
- ٨ - أَبُو جَعْفَرٍ ابْنُ قُبَةَ تَلْمِيزُ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَلْخِيِّ الْمَذْكُورِ رَوَاهَا فِي كِتَابِهِ (الْإِنْصَافُ) كَمَا فِي شَرْحِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ١: ٦٩ وَشَرْحِ ابْنِ مِيثَمٍ.
- ٩ - الْحَافِظُ سَلِيمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الطَّبْرَانِيِّ الْمُتَوَفَّى ٣٦٠ كَمَا فِي طَرِيقِ الْقُطْبِ الرَّائِدِيِّ فِي شَرْحِ النَّهْجِ.

- ١٠ - أبو جعفر ابن بابويه القمي المتوفى ٣٨١ في كتابيه: علل الشرايع ومعاني الأخبار.
- ١١ - أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى ٣٨٢. حكى عنه شيخنا الصدوق شرح الخطبة في معاني الأخبار والعلل.
- (لفت نظر) عدّه السيّد العلامة الشهرستاني في (ما هو نهج البلاغة) ص ٢٢ ممّن روى الشَّقَشَقِيَّةَ فَأَرَّخَ وفاته بسنة ٣٩٥، وذكره في ص ٢٣ فقال: من أبناء القرن الثالث. لا يتّم هذا ولا يصحّ ذاك، وقد خفي عليه أنّ الحسن بن عبد الله العسكري راوي الشَّقَشَقِيَّة هو أبو أحمد صاحب كتاب الزواجر وقد توفّي سنة ٣٨٢ وولد ٢٩٣، وحسبه أبا هلال الحسن بن عبد الله العسكري صاحب كتاب «الأوائل» تلميذ أبي أحمد العسكري والتاريخ الذي ذكره تاريخ فراغه من كتابه الأوائل لا تاريخ وفاته. توجد ترجمة كلا الحسنين العسكريين فمعجم الأدباء ٨: ٢٣٣ - ٢٤٨، وبغية الوعاة ص ٢٢١.
- ١٢ - أبو عبد الله المفيد المتوفى ٤١٢، استاذ الشريف الرضي رواها في كتابه (الإرشاد) ص ١٣٥.
- ١٣ - القاضي عبد الجبار المعتزلي المتوفى ٤١٥: ذكر في كتابه «المغني» تأويل بعض جمل الخطبة ومنع دلالتها على الطعن في خلافة من تقدّم على أمير المؤمنين من دون أيّ إيعاز إلى الغمز في إسنادها.
- ١٤ - الحافظ أبو بكر ابن مردويه المتوفى ٤١٦، كما في طريق الراوندي في شرح النهج.
- ١٥ - الوزير أبو سعيد الآبي المتوفى ٤٢٢ في كتابه (نثر الدرر ونزهة الأديب).
- ١٦ - الشريف المرتضى أخو الشريف الرضي الأكبر توفّي سنة ٤٣٦ ذكر جملة منها في الشافي ص ٢٠٣ فقال: مشهور: وذكر صدرها في ص ٢٠٤ فقال: معروف.
- ١٧ - شيخ الطائفة الطوسي المتوفى ٤٦٠ رواها في أماليه ص ٣٢٧ عن السيّد أبي الفتح هلال بن محمّد بن جعفر الحفّار المترجم في مستدرك العلامة النوري ٣: ٥٠٩ من طريق الخزاعيين. وفي تلخيص الشافي.
- م ١٨ - أبو الفضل الميداني المتوفى ٥١٨ في مجمع الأمثال ص ٣٨٣ قال: و

لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه خطبة تعرف بالشقشقية لأن ابن عباس رضي الله عنهما قال له حين قطع كلامه: يا أمير المؤمنين! لو اطرّدت مقالتك من حيث أفضيت فقال: هيهات يا ابن عباس! تلك شقشقة هدرت ثم قرّت].

١٩ - أبو محمد عبد الله بن أحمد البغدادي الشهير بابن الخشاب المتوفى ٥٦٧ قرأها عليه أبو الخير مصدّق الواسطي النحوي، وسيوافيك بُعيد هذا كلامه فيها.

٢٠ - أبو الحسن قطب الدين الراوندي المتوفى ٥٧٣ رواها في شرح نهج البلاغة من طريق الحافظين: ابن مردويه والطبراني وقال: أقول: وجدتها في موضعين تاريخهما قبل مولد الرضي بمدة، أحدهما: أنّها مضمنة كتاب « الانصاف » لأبي جعفر ابن قبة تلميذ أبي القاسم الكعبي أحد شيوخ المعتزلة وكانت وفاته قبل مولد الرضي. الثاني: وجدتها بنسخة عليها خطّ الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات وكان وزير المقتدر بالله، وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة، والذي يغلب على ظني أنّ تلك النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة.

٢١ - أبو منصور الطبرسي أحد مشايخ ابن شهر اشوب المتوفى ٥٨٨ في كتابه « الإحتجاج » ص ٩٥ فقال: روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عباس.

٢٢ - أبو الخير مصدّق بن شبيب الصلحي النحوي المتوفى ٦٠٥ قرأها على أبي محمد ابن الخشاب وقال: لما قرأت هذه الخطبة على شيخي أبي محمد ابن الخشاب ووصلت إلى قول ابن عباس: ما أسفت على شيء قطّ كأسفي على هذا الكلام. قال: لو كنت حاضراً لقلت لابن عباس: وهل ترك ابن عمك في نفسه شيئاً لم يقله في هذه الخطبة؟ فأنه ما ترك لا الأولين ولا الآخرين. قال مصدّق: وكانت فيه دعاة فقلت له: يا سيدي؟ فلعلها منحولة إليه. فقال: لا والله إني أعرف أنّها من كلامه كما أعرف أنّك مصدق. قال فقلت: إنّ الناس ينسبونها إلى الشريف الرضي فقال: لا والله، ومن أين للرضي هذا الكلام وهذا الأسلوب؟ فقد رأينا كلامه في نظمه ونثره لا يقرب من هذا الكلام ولا ينتظم في سلكه ثم قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنّف قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يُخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي « راجع

شرح ابن ميثم. وشرح ابن أبي الحديد ١ : ٦٩ «.

٢٣ - مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري المتوفى ٦٠٦ هـ، أوعز إليها في كلمة « شقشق » في النهاية ج ٢ : ٢٩٤ فقال: ومنه حديث علي في خطبة له: تلك شقشقة هدرت ثم قرأت.

٢٤ - أبو المظفر سبط ابن الجوزي المتوفى ٦٥٤ هـ في تذكرته ص ٧٣ من طريق شيخه أبي القاسم النفيس الأنباري بإسناده عن ابن عباس فقال: تُعرف بالشقشقية ذكر بعضها صاحب نهج البلاغة وأخلّ ببعض وقد أتيت بها مستوفاة ثم ذكرها مع اختلاف ألفاظها.

٢٥ - عز الدين ابن أبي الحديد المعتزلي المتوفى ٦٥٥ هـ قال في شرح النهج ١ : ٦٩: قلت: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة. ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر ابن قبة أحد متكلمي الإمامية وهو الكتاب المشهور بكتاب « الإنصاف » وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله تعالى ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله تعالى موجوداً.

٢٦ - كمال الدين ابن ميثم البحراني المتوفى ٦٧٩ هـ، حكاه عن نسخة قديمة عليها خط الوزير علي بن الفرات المتوفى ٣١٢ هـ، وعن كتاب « الإنصاف » لابن قبة، وذكر كلمة ابن الخشاب المذكورة وقراءة أبي الخير إياها عليه.

٢٧ - أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الافريقي المصري المتوفى ٧١١ هـ قال في مادة (شقشق) من كتابه (لسان العرب) ج ١٢ : ٥٣: وفي حديث علي رضوان الله عليه في خطبة له: تلك شقشقة هدرت ثم قرأت.

٢٨ - مجد الدين الفيروز آبادي المتوفى ٨١٦ / ١٧ هـ أوعز إليها في القاموس ج ٣ : ٢٥١ قال: والخطبة الشقشقية العلوية لقوله لابن عباس لما قال له: لو اطرّدت مقالاتك من حيث أفضيت: يا بن عباس! هيهات تلك شقشقة هدرت ثم قرأت.

ثم ما عساني أن أقول بعد ما يُعربد شاعر النيل (١) اليوم، ويأجج النيران الخامدة

١ - محمد حافظ إبراهيم المتوفى سنة ١٩٣٣ م ١٣٥١ هـ.

ويُجَدِّدُ تلکم الجنایات المنسیّة (لاها الله لا تُنسى مع الأبد) ويعدّها ثناء على السلف، ويرفع عقيرته بعد مضي قرون على تلکم المعرّات، ويتبّهج ويتبجّح بقوله في القصيدة (العمریّة) تحت عنوان: عمر وعليّ:

وقولـةٍ لعلـيّ قالها عمر — أكرم بسامعها أعظم بملقيها
: حرّقت دارك لا ابقـي عليـك بها — إن لم تبـاعـ وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها — أمام فارس عدنانٍ وحاميها

ماذا أقول بعد ما تحتفل الأُمّة المصریّة في حفلة جامعة في أوائل سنة ١٩١٨ بانشاد هذه القصيدة العمریّة التي تتضمّن ما ذكر من الأبيات؟ وتنشرها الجرائد في أرجاء العالم، ويأتي رجال مصر نظراء أحمد أمين. وأحمد الزين. وابراهيم الأبياري^(١) و علي جارم. وعلي أمين^(٢) و خليل مطران^(٣) ومصطفى الدميّاطي بك^(٤) وغيرهم^(٥) ويعتنون بنشر ديوان هذا شعره، وبتقدير شاعر هذا شعره، ويخدشون العواطف في هذه الازمة في هذا اليوم العصصب، ويعكّرون بهذه النعرات الطائفية صوف السلام الوثام في جامعة الإسلام ويشتّتون بها شمل المسلمين، ويحسبون أنّهم يحسنون صنعاً.

وتراهم يحدّدون طبع ديوان الشاعر وقصيدته العمریّة خاصّة مرّة بعد أخرى ويعلّق عليها شارحها الدميّاطي قوله في البيت الثاني: المراد أنّ عليّاً لا يعصمه عن عمر سكتى بنت المصطفى في هذه الدار.

وقال في ص ٣٩ من الشرح: وفي رواية لابن جرير الطبري قال: حدّثنا جرير عن مغيرة عن زياد بن كليب قال: أتى عمر بن الخطاب منزل عليّ وبه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة فخرج عليه

١ - ضبط وصحح وشرح هؤلاء الثلاث الديوان طبعة سنة ١٩٣٧ م بدار الكتب في جزئين والابيات المذكورة توجد فيها ج ١ ص ٨٢.

٢ - هما ومعهما ثالث التزموا تصحيح الديوان في طبعة اخرى.

٣ - له مقدمة لديوان الحافظ في طبعة مكتبة الهلال سنة ١٩٣٥ م ١٣٥٣ هـ والابيات فيها ص ١٨٤ غير ان الشطر الثاني من البيت الثاني محرف: ان لم تبلغ وبنت المصطفى فيها.

٤ - شارح القصيدة العمرية طبع بمطبعة السعادة في مصر في ٩٠ صفحة. توجد الابيات فيه مشروحة ص ٣٨.

٥ - في عدة طبعات اخرى.

الزبير مصلاً بالسيف فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه. فان كان زياد هذا هو الحنظلي أبو معشر الكوفي فهو موثق. والظاهر أنَّ حافظاً رحمه الله عوّل على هذه الرواية هـ.

وتراهم بالغوا في الثناء على الشاعر وقصيدته هذه كأنّه جاء للأمة بعلم جمّ، أو رأي صالح جديد، أو أتى لعمر بفضيلة رابية تسرّ بها الأمة ونبيّها المقدّس، فبشرى بل بشريان لنبيّ الأعظم بأنّ بضعته الصديقة لم تكن لها أيّ حرمة وكرامة عند من يلهج بهذا القول، ولم يكن سكنها في دار طهر الله أهلها يعصمهم منه ومن حرق الدار عليهم فزهّ به بانتخاب هذا شأنه وبخٍ بخٍ بيعة تمّت بذلك الإرهاب، وقضت بتلك الوصمات.

لا تهمّنا هذه كلّها وإنّما يهّمنا الساعة « بعد أن درسنا تاريخ حياة الخليفة الأوّل فوجدناه لدة غيره من الناس العاديين في نفسيّاته قبل إسلامه وبعده، وإنّما سنّمه عرش الخلافة الانتخاب فحسب » البحث في موضوعين ألا وهما: فضائله الماثورة. وملكاّته النفسية.

- ١ -

(فضائله الماثورة)

هل صحّ عن النبيّ الأعظم ﷺ فيه حديث فضيلة؟ وهل صحيح ما رووه فيه من الثناء الكثير الحافل؟ نحن ههنا نقف موقف المستشفّ للحقيقة، ولا ننس في القضاء بينت شفة، غير ما نقله عن أئمّة فنّ الحديث المميّزين بين صحيحه وسقيمه، ثمّ نردفه بالإعتبار الذي يساعده.

قال الفيروز آبادي في خاتمة كتابه « سفر السعادة المطبوع »: خاتمة الكتاب في الإشارة إلى أبواب روي فيها أحاديث وليس منها شيءٌ صحيحٌ، ولم يثبت منها عند جهابذة علماء الحديث شيءٌ. ثمّ عدّ أبواباً إلى أن قال:

باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. أشهر المشهورات من الموضوعات أنّ الله يتجلّى للناس عامّة ولأبي بكر خاصّة. وحديث: ما صبّ الله في صدري شيئاً

إلا وصَّبه في صدر أبي بكر. وحديث: كان ﷺ إذا اشتاق الجنة قَبْلَ شَيْبَةِ أَبِي بَكْرٍ. وحديث: أنا وأبو بكر كفرنسي رهان. وحديث: إنَّ الله لما اختار الأرواح اختار روح أبي بكر. وأمثال هذا من المفتریات المعلوم بطلانها ببديهة العقل اهـ. وعدَّ العجلوني في كتابه كشف الخفا ص ٤١٩ - ٤٢٤ مائة باب من أبواب الفقه وغيره فقال: لم يصحَّ فيه حديثٌ. أو: ليس فيه حديثٌ صحيح. وما يقاربهما وقال في ص ٤١٩: فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه أشهر المشهورات من الموضوعات كحديث إن الله يتجلَّى للناس عامَّةً ولأبي بكر خاصَّةً. إلى آخر عبارة الفيروز آبادي المذكورة. وذكر السيوطي في « اللئالي المصنوعة » ج ١ ص ١٨٦ - ٣٠٢ ثلثين حديثاً من أشهر فضائل أبي بكر « ممَّا اتَّخذه المؤلِّفون في القرون الأخيرة من المتسالم عليه، و أرسلوه إرسال المسلم بلا أيِّ سند أو أيِّ مبالاة » وزَيَّفَها وحكم فيها بالوضع وذكر رأي الحقاظ فيها.

كان السيوطي يهملج وراء القوم فبهظه أن لا يستصحَّ حتى حديثاً واحداً من تلكم الثلثين فقال في ص ٢٩٦ فيما عزي إليه ﷺ من قوله « عُرج بي إلى السماء فما مررت بسماء إلا وجدت فيها مكتوباً: محمَّد رسول الله، أبو بكر الصديق من خلفي » بعد ما حكم عليه بالوضع لمكان عبد الله بن ابراهيم الغفاري (١) الوضع.

وكان شيخه عبد الرحمن بن زيد المتفق على ضعفه ينصّ منه عليهما بذلك ما لفظه: قلت: الذي أستخير الله فيه الحكم على هذا الحديث بالحسن لا بالوضع ولا بالضعف لكثرة شواهده. ثم ذكر شواهد عن طرق لا يصحُّ شيء منها، وفي كلّ واحد منها وضاع أو كذاب، أو من أتفق على ضعفه، أو مجهول لا يُعرف يروي عن مجهول مثله، وقد عذب عنه أن الاستخارة لا تقلّب خيراً، ولا يعيد السقيم صحيحاً. ولا المنكر معروفاً. وراحت إلى العطار تبغي شابها فهل يُصلح العطار ما أفسد الدهر؟ والله سبحانه لا يجازف في إسداء الخير، والشواهد المكذوبة لا تقوي الضعف مع

١ - راجع الجزء الخامس من هذا الكتاب ص ٣٠٣ ط ٢.

نصّ الحَقَّاط على كلّ واحد منها بالوضع أو الضعف، وإليك بيان طرق تلك الشواهد.

١ - طريق الخطيب البغدادي مرّ في الجزء الخامس ص ٣٠٣، ٣٢٥ ط ٣.

٢ - طريق البزّار في مسنده وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري الوضّاع، وشيخه عبد الرحمن بن زيد المتّفق على ضعفه كما في تهذيب التهذيب ٦ ص ١٧٨، والثّالي المصنوعة ١ ص ٢٩٦.

٣ - طريق ابن شاهين في السّنة وهو طريق الخطيب البغدادي وحديثه، وقد حكم الذهبي وابن حجر بطلانه كما مرّ في الجزء الخامس.

٤ - طريق الدارقطني في الافراد قال السيوطي في « الثّالي » ١ ص ٢٩٧ بعد ذكره قال الدارقطني: تفرّد به (محمّد) بن فضيل عن ابن جريج لا أعلم أحداً حدّث به غير هذين. وأورده المؤلّف في الواهيات من طريق السري وقال: لا يصحّ. قال ابن حبان: لا يحلّ الاحتجاج بالسري بن عاصم.

قال الأميني: السري بن عاصم راوي الحديث أحد الكذّابين مرّت ترجمته في الجزء الخامس ص ٢٣١ ط ٢، وللدارقطني طريق آخر وفيه عمر بن اسماعيل بن مجالد أحد الكذّابين^(١) وبهذا الطريق ذكره السيوطي في « الثّالي ١ ص ٣٠٩ فقال: لا يصحّ آفته عمر كذاب.

٥ - طريق الديلمي في مسند الفردوس فيه بعد رجال مجاهيل عبد المنعم بن بشير أبو الخير الكذاب الوضّاع الذي له مائتا حديث كذب^(٢) وعبد الرّحمن بن زيد بن أسلم المجمع على ضعفه كما مرّ.

٦ - طريق الحثلي في ديباجة عن نصر بن حريش^(٣) عن أبي سهل مسلم الخراساني عن عبد الله بن اسماعيل عن الحسن البصري قال: قال رسول الله ﷺ: مكتوب على ساق العرش: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، محمّد رسول الله، ووزيره أبو بكر الصّدّيق وعمر الفاروق.

١ - راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ٢٤٦ ط ٢:

٢ - راجع الجزء الخامس من الكتاب ص ٢٤١ ط ٢.

٣ - في الثّالي: حريش: والصحيح ما ذكرناه.

قال الدارقطني كما في تاريخ بغداد ٣ ص ٢٨٦: هذا إسنادٌ ضعيفٌ لا يثبت، أبو سهل ونصر بن حريش ضعيفان. وقال العقيلي كما في لسان الميزان ٣ ص ٢٦٠: عبد الله بن اسماعيل منكر الحديث لا يُتابع على شيء من حديثه. والحديث مع هذا مرسلٌ والحسن البصري لا يروي عن رسول الله ولم يدركه. وللخطيب طريق بهذا اللفظ ليست فيه كلمة (ساق. ووزيره) وفي إسناده أحمد بن رجاء بن عبيدة قال الخطيب في تاريخه ٤ ص ١٥٨: مجهولٌ.

٧ - طريق ابن عساكر فيه عبد العزيز الكتاني لِيَنَّهُ الذهبي كما في لسان الميزان ٤ ص ٣٣، وفيه الحارث بن زياد المحاربي قال الذهبي وغيره: ضعيفٌ مجهولٌ كما في اللسان ٢ ص ١٤٩، وفيه من لا يُعرف ولا توجد له ترجمةٌ في المعاجم. ولا بن عساكر طريقٌ آخر بالاسناد عن محمد بن عبد بن عامر المعروف بوضع الحديث ^(١) عن عصام بن يوسف ضعّفه ابن سعد، وخطّاه ابن حبان، وقال ابن عدي: روى أحاديث لا يُتابع عليها كما في لسان الميزان ٤ ص ١٦٨. ويرشدك إلى صحّة قول الفيروز آبادي والعجلوني ما أوضحناه في الجزء الخامس ص ٢٩٧ - ٣٣٢ ط ٢ من تفنيد مائة منقبة مكذوبة على رسول الله ﷺ مختلفة لأبي بكر ولزبائنه بحكم الأئمة والحفاظ. وكذا ما زيفناه من خمس وأربعين رواية موضوعة في الخلافة في صفحة ٣٣٣ - ٣٥٦ ط ٢ كل ذلك بقضاء من رجالات الفرّ نظراء.

ابن عدي، الطبراني، ابن حبان، النسائي، الحاكم، الدارقطني، العقيلي، ابن المديني، أبو عمر، الجوزقاني، المحب الطبري، الخطيب البغدادي ابن الجوزي، أبو زرعة، ابن عساكر، الفيروز آبادي، اسحاق الحنظلي ابن كثير، ابن القيّم، الذهبي، ابن تيمية، ابن أبي الحديد، ابن حجر الهيثمي، ابن حجر العسقلاني الحافظ المقدسي، السيوطي الصغاني، الملا علي القاري، العجلوني، ابن درويش الحوت، وغيرهم.

ويشهد لبطلان تلكم الروايات الجمّة في فضائل الخليفة الأوّل خلّو الصحاح الستّ والسنن والمسانيد القديمة عنها، فلو كان مؤلّفوها يجدون على شيء منها مسحة

١ - راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ٢٥٩ ط ٢.

من الصحّة بل لو كانوا واقفين عليها ولو على واحدة منها لما أجمعوا على تركها فيرويهما متحرّوا الزوايا، وتباشة الدفاين، فيبرزوها إلى الملاء من تحت غبار الحجر، أو وراء نسج عناكب النسيان، فيرشدنا ذلك إلى أنّ مواليد هذه الروايات متأخّرة تاريخها عن عهد أرباب الصّحاح وحسبها ذلك مهانةً وضعةً. كما أنّ ما في الصّحاح من النزر اليسير ولائد متأخّرة عن عهد النبيّ الأعظم ﷺ.

على أنّ الخليفة نفسه لو كان على ثقة من صدور شيء من تلكم الأحاديث ولو يسيراً منها من قائلها ﷺ كما كان يرى مثل أبي عبيدة الجرّاح حقّار القبور أولى منه بالخلافة، ولما قدّمه على نفسه، ولما ترك الإحتجاج بها يوم كانت حاجته إليه مسيسة، ويوم كان الحوار في أمر الخلافة قائماً على قدّم وساق، وطفق كلّ ذي فضل يُدلي بحججه، وقد احتدم الجدل حتى كاد أن يكون جلاداً، واستحرّ الحجاج حتى عاد لجاجاً، لكن الرجل لم يكن عنده حجّة ولا لزبانته إلا أنّه صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار، وأنّه أكبر القوم سنّاً وكان أبوه أكبر منه لا محالة - وقد اختارته الجماعة وانعقدت له البيعة بعد هوس وهياج ركوناً إلى أمثال هذه ممّا لا تثبت بها حجّة، ولا يخضع لها ذو مسكة، ولا يصلح بها شأن الامة، ولا يجمع بها شمل، ولا يتمّ بها الأمر.

نعم: روي عن أبي بكر أنّه ذكر في الحجاج له أشياء حذفها الرواة ولم يذكروا منها إلا أنّه أوّل من أسلم. أو: أوّل من صلّى. عن أبي سعيد الخدري قال: قال أبو بكر: أأست أحقّ الناس بها؟ أأست أوّل من أسلم؟ أأست صاحب كذا؟ أأست صاحب كذا؟ (١)

وعن أبي نضرة قال: لما أبطأ الناس عن أبي بكر قال: من أحقّ بهذا الأمر مني؟ أأست أوّل من صلّى؟ أأست؟ أأست؟ أأست؟ فذكر خصالاً فعلها مع النبيّ ﷺ (٢)

١ - أخرجه الترمذي، والبخاري، وابن حبان، وأبو نعيم في المعرفة، وابن مندة في غرائب شعبة، وسعيد بن منصور، وأبو داود كما في كنز العمال ٣ ص ١٢٥، وذكره ابن الاثير في اسد الغابة ٣: ٢٠٩، وابن كثير في تأريخه ٣: ٢٧.

٢ - أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ط ليدن ٣: ١٢٩، وخيثمة الطرابلسي في فضائل الصحابة كما في كنز العمال ٣: ١٢٦.

ونحن لا نعرف شيئاً ممّا حذفوه من فضائله المزعومة أو اختلقوا نسبته إليه إذ من الممكن - بل المحقق - أنّه لم يقل شيئاً، وإنّما اصطنعوا له هذه الصورة لإيهام أنّه كانت له يوم ذاك فضائل مسّلمة، لكن نعطف النظرة على المذكور من تلك المناقب وهو كون الخليفة أوّل من أسلم. أو: أوّل من صلّى، ولم يكن كذلك. والقول به يخالف رأي النّبّي الأعظم ونصوص الصّحابة، وقد فصلّنا القول فيه في الجزء الثالث ص ٢١٩ - ٢٤٣ ط ٢ وذكرنا مائة نصّ عن النّبّي الأقدس وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما، وعن الصّحابة الأوّلين والتابعين لهم باحسان على أنّ أوّل من أسلم وأوّل من صلّى من ذكر هو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام. وأوضحنا هنالك أنّ أبا بكر ليس أوّل من أسلم. أو: صلّى بل في صحيحة الطبري: أنّه أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً. فراجع.

ولو كانت الصّحابة الأوّلون يعرفون شيئاً من تلك الموضوعات الجمّة كما تركوا الاحتجاج به يوم ذاك في إخضاع الناس بدلاً عن إشفاع الدعوة بالإرهاب والترعيد، ولما يقتصر عمر بن الخطاب يوم السقيفة بقوله: من له مثل هذه الثلاث: ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن. إنّ الله معنا.

ويقوله: إنّ أولى الناس بأمر نبيّ الله ثاني اثنين إذ هما في الغار. أبو بكر السّباق المسنّ.

ويقوله يوم بيعة العائمة: إنّ أبا بكر صاحب رسول الله. وثاني اثنين إذ هما في الغار ^(١).

ولما قال سلمان للصّحابة: أصبتم ذا السّرّ منكم ولكنكم أخطأتم أهل بيت نبيّكم ^(٢).

ولما يكتفي عثمان بن عفّان في الدعوة إلى أبي بكر بقوله: إنّ أبا بكر الصديق أحقّ الناس بها، إنّّه لصديق وثاني اثنين

وصاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ^(٣)

١ - سيرة ابن هشام ٤: ٣٤٠، الرياض النضرة ١: ١٦٢، ١٦٦، تأريخ ابن كثير ٥: ٢٤٧ ٢٤٨، شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٦، السيرة الحلبية ٣: ٣٨٨.

٢ - شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣١، ج ٢: ١٧.

٣ - أخرج الاطرابلسي في فضائل الصّحابة كما في كنز العمال ٣: ١٤٠.

ولما فاة المغيرة بن شعبة بمقاله لأبي بكر وعمر: تلقوا العباس فتجعلوا له في هذا الأمر نصيباً فيكون له ولعقبه فتقطعوا به من ناحية عليّ ويكون لكم حجة عند الناس على عليّ إذا مال معكم العباس.

ولما دخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة على العباس ليلاً، ولما قال أبو بكر له: لقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك، إذ كنت عمّ رسول الله ^(١).

ولما تمّ الأمر له ببيعة اثنين فحسب: عمر وأبي عبيدة. أو: بيعة اربع: هما مع اسيد وبشر. أو بخمسة: هم مع سالم مولى أبي حذيفة كما يأتي تفصيله.

ولما تخلف عن بيعته رؤس المهاجرين والأنصار: عليّ وابناه السبطان. والعباس وبنوه في بني هاشم. وسعد بن عباد وولده واسرته. والحباب بن المنذر وتابعوه. والزيبر وطلحة. وسلمان. وعمّار. وأبو ذر. والمقداد. وخالد بن سعيد. وسعد بن أبي وقاص. وعتبة بن أبي لهب. والبراء بن عازب. وأبي بن كعب. وأبو سفيان بن حرب. وغيرهم ^(٢).

ولما كان مجال لقول محمد بن اسحاق: كان عامة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكون أنّ عليّاً صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ. شرح ابن أبي الحديد ٢: ٨.

ولما قال عتبة بن أبي لهب يوم ذاك بمالأ من مدّعي الفضائل:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف	عن هاشم ثمّ منهم عن أبي حسن
عن أول الناس إيماناً وسابقة	وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وأخر الناس عهداً بالنبّي ومَن	جبريلٌ عونٌ له في الغسل والكفن
مَن فيه ما فيهم؟ لا يمترون به	وليس في القوم ما فيه من الحسن
ما ذا الذي ردّكم عنه؟ فنعلمه	ها إنّ بيعتكم من أول الفتن ^(٣)

١ - الامامة والسياسة ١: ١٥ تأريخ يعقوبي ٢: ١٠٣، ١٠٤ شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣٢.

٢ - تأريخ يعقوبي ٢: ١٠٣، الرياض النضرة ١: ١٦٧ تأريخ أبي الفدا ج ١: ١٥٦، روضة المناظر لابن شحنة هامش الكامل ٧: ١٦٤ شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣٤.

٣ - تأريخ يعقوبي ٢: ١٠٣، رسائل الجاحظ ٢٢، اسد الغابة ٤ ص ٤٠، تأريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٦٤، شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥٩، الغدير ٣: ٢٣٢. تعزى هذه الابيات الى عدة شعراء راجع المصادر المذكورة.

ولما قال قصي يوم ذاك:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم
فما الأمر إلا فيكم وإليكم
أبا حسنٍ فاشدد بها كفَّ حازمٍ
وإنَّ امرءاً يرمي قصياً وراءه

ولا سيّما تميم بن مرّة أو عدي
وليس لها إلا أبو حسن علي
فأنّك بالأمير الذي يُرتجى ملي
عزيز الحمى والناس من غالب قصي ^(١)

١ - تاريخ اليعقوبي ٢: ١٠٥.

ملكاته ونفسيّاته

يهنئنا النظر إلى ملكات الخليفة وما انحنت عليه أضالعه من علوم أو نفسيّات حتّى نعلم أنّها هل تجعل له صلة بفضيلة؟ أو تقرب مبعوّاه من التأهل لهاتيك المرويّات؟ أو تعيّن له حدّاً يكون التفريط منه إجحافاً به، وبخساً بحقّه، وتحطيماً لمقامه؟ أو يُعرف الغلوّ بالافراط فيه؟

أمّا هو قبل الإسلام فلا نفيض عنه قولاً لأنّ الإسلام يجبّ ما قبله، فلا إلتفات إذن إلى ما جاء به عكرمة رضي الله تعالى عنه من قوله: كان أبو بكر رضي الله عنه يُقامر أبيّ بن خلف وغيره من المشركين وذلك قبل أن يحرم القمار. ذكره الإمام الشعرائي في كتابه كشف الغمّة ج ٢: ١٥٤.

وقال الإمام أبو بكر الجصاص الرازي الحنفي المتوفّى ٣٧٠ في أحكام القرآن ١: ٣٨٨: لا خلاف بين أهل العلم في تحريم القمار وإنّ المخاطرة من القمار، قال ابن عبّاس: إنّ المخاطرة قمار وإنّ أهل الجاهليّة كانوا يخاطرون على المال والزوجة وقد كان ذلك مباحاً إلى أن ورد تحريمه، وقد خاطر أبو بكر الصديق المشركين حين نزلت: لم غلبت الروم.

كما لا يلتفت إلى ما ذكره أبو بكر الاسكافي في الردّ على الرسالة العثمانيّة للجاحظ^(١) من أنّ أبا بكر كان قبل إسلامه مذكوراً ورئيساً معروفاً، يجتمع إليه كثيرٌ من أهل مكّة فينشدون الأشعار، ويتذاكرون الأخبار، ويشربون الخمر، وقد سمع دلائل النبوة وحجج الرسالة، وسافر إلى البلدان، ووصلت إليه الأخبار.

وأخرج الفاكهي في كتاب مكّة باسناده عن أبي القموص قال: شرب أبو بكر - الخمر في الجاهليّة^(٢) فأنشأ يقول:

١ - رسائل الجاحظ ص ٣٤، شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٦٤.

٢ - هذه الكلمة دخيلة في الرواية، وذيل الرواية يكذبها ايضاً وسنوقفك على التاريخ الصحيح.

تَحْيِيَّ أُمِّ بَكْرٍ بِالسَّلَامِ وهل لي بعد قومك من سلام؟

الآيات

فبلغ رسول الله ﷺ فقام يجُرُّ أزاره حتَّى دخل فتلَقَّاه عمر وكان مع أبي بكر فلمَّا نظر إلى وجهه حمراً قال: نعوذ بالله من غضب رسول الله ﷺ، والله لا يلج لنا رأساً أبداً، فكان أوَّل من حرَّمها على نفسه.

وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الاصول ص ٦٦ فقال: هو ممَّا تنكره القلوب. فكأنَّ الحكيم وجد الحديث دائراً سائراً في الألسن غير أنَّه رأى القلوب تنكره.

وذكره ابن حجر في الاصابة ٤: ٢٢ فقال: واعتمد نفطويه على هذه الرواية فقال: شرب أبو بكر الخمر قبل أن تحرم ورثي قتلى بدر من المشركين.

وحديث أبي القموص هذا أخرجه الطبري في تفسيره ٢: ٢٠٣ وفي طبعة ٢١١ عن ابن بشار (١) عن عبد الوهَّاب (٢) عن عوف (٣) عن أبي القموص زيد بن علي (٤) قال: أنزل الله عزَّ وجلَّ في الخمر ثلاث مرَّات، فأوَّل ما أنزل قال الله: يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثمٌ كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما (٥) قال: فشربها من المسلمين من شاء الله منهم على ذلك حتَّى شرب رجالان فدخلا في الصَّلَاة فجعلوا يهجران كلاماً لا يدري عوف ما هو فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيها: يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ (٦) فشربها من شربها منهم وجعلوا يَتَّقُونَهَا عند الصَّلَاة حتَّى شربها فيما زعم أبو القموص رجلاً فجعل ينوح على قتلي بدر:

تَحْيِيَّ بِالسَّلَامَةِ أُمِّ عَمْرٍو وهل لك بعد رهطك من سلام؟

ذُرَيْبِي أَصْطَبَحَ بِكَرَّراً فَايِّي رأيت الموت نَقَّبَ عَنْ هَشَامِ

وَوَدَّ بَنُو الْمَغِيرَةِ لَوْ فَدَوْهُ بِأَلْفِ مَنْ رَجَالٍ أَوْ سَوَامِ

١ - الحافظ أبو بكر محمد بن بشار العبدى البصرى. من رجال الصحاح الست.

٢ - ابن عبد المجيد البصرى. من رجال الصحاح الست.

٣ - ابن أبى جميلة العبدى البصرى. من رجال الصحاح الست.

٤ - ثقة كما فى تهذيب التهذيب ٣ ص ٤٢٠.

٥ - سورة البقرة آية: ٢١٩.

٦ - سورة النساء. آية: ٤٣.

كَأَنِّي بِالطُّوِيِّ طُوِيٍّ بِدَرٍ مِنْ الشَّيْزَى يَكْلَلُ بِالسَّنَامِ
كَأَنِّي بِالطُّوِيِّ طُوِيٍّ بِدَرٍ مِنْ الْفَتِيَّانِ وَالْحَلَلِ الْكِرَامِ

قال: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء فزعاً يجرُّ رداءه من الفزع حتَّى انتهى إليه فلمَّا عاينه الرجل فرفع رسول الله ﷺ شيئاً كان بيده ليضربه قال: أعوذ بالله من غضب الله ورسوله والله لا أطعمها أبداً فأنزل الله تحريمها: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ ^(١) إِلَى قَوْلِهِ: فهل أنتم منتهون. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنتهينا. إنتهينا ^(٢).

وأخرج البزار عن انس بن مالك قال: كنت ساقى القوم تيناً وزبيباً خلطتاها جميعاً وكان في القوم رجلٌ يقال له: أبو بكر فلمَّا شرب قال:

أَحْيِي أُمَّ بَكْرٍ بِالسَّلَامِ وَهَلْ لَكَ بَعْدَ قَوْمِكَ مِنْ سَلَامٍ؟
يَحْدِثُنَا الرَّسُولُ بَأَنَّ سَحْتاً وَكَيْفَ حَيَاةٍ أَصْلٍ أَوْ هَشَامٍ ^(٣)

فبينما نحن كذلك والقوم يشربون إذ دخل علينا رجلٌ من المسلمين فقال: ما تصنعون؟ إِنَّ الله تبارك وتعالى قد نَزَلَ تحريم الخمر. الحديث.

وقال ابن حجر في فتح الباري ١٠: ٣٠، والعيني في عمدة القاري ٢٠: ٨٤: من المستغربات ما أورده ابن مردويه في تفسيره من طريق عيسى بن طهمان ^(٤) عن أنس أنَّ أبا بكر وعمر كانا فيهم. وهو منكّرٌ مع نظافة سنده، وما أظنُّه إلَّا غلطاً.

وقد أخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة شعبة من حديث عائشة قالت: حرَّم أبو بكر الخمر على نفسه فلم يشربها في جاهليَّة ولا إسلام.

ويحتمل أن كان محفوظاً أن يكون أبو بكر وعمر زارا أبا طلحة في ذلك اليوم

١ - سورة المائدة. آية: ٩١.

٢ - لا يخفى على القارئ أن الطبري حرّف اسم أبي بكر وجعل مكانه: رجل. وحرّف كلمة « أم بكر » في الشعر وبدّلها بأُم عمرو. صونا للكرامة.

٣ - مجمع الزوائد ٥: ٥١.

٤ - وثقه أحمد. وابن معين. وأبو حاتم. ويعقوب بن سفيان. وأبو داود. والحاكم. والدارقطني. تهذيب التهذيب ٨ ص ٢١٦.

ولم يشربا معهم ^(١) ثم وجدت عند البزار من وجه آخر عن أنس قال: كنت ساقى القوم وكان في القوم رجلٌ يقال له: أبو بكر فلما شرب قال:

تحَيَّيْ بالسَّلامَةِ أمَّ بكر.....

فدخل علينا رجلٌ من المسلمين فقال: قد نزل تحريم الخمر. الحديث. وأبو بكر هذا يقال له: ابن شغوب فظنَّ بعضهم أنَّه أبو بكر الصديق وليس كذلك ولكن قرينة ذكر عمر تدلُّ على عدم الغلط في وصف الصديق فحَصَّلنا تسمية عشرة. ١ هـ.

قال الأُميني: ترى ابن حجر يتلعثم في ذكر الحديث، فلا يدعه حبَّه للخليفة أن يقبله، ولا تخلَّيه صحَّته أن يصفح عنه، فجاء يستغرب أوَّلاً ثمَّ يستنكره مع الحكم بنظافة سنده، ويظنَّه غلطاً تارةً ويراه محفوظاً أخرى، وبالأخير يأخذه صدق النبأ و صحَّته فيتخلَّص منه بالحكم بأنَّ المذكور فيه هو أبو بكر الصديق بقرينة عمر، فيعدُّهما من أحد عشر الذين كانوا يشربون الخمر في دار أبي طلحة.

وابن حجر يعلم بأنَّ ما أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث عايشة لا يقاوم هذا النبأ الثابت المرويَّ بالطرق الصحيحة عن رجال الصحاح، ذكر أبو نعيم حديثه في الحلية ٧ ص ١٦٠ من طريق عباد بن زياد الساجي عن ابن عدي عن شعبة عن محمَّد بن عبد الرحمن أبي الرجال عن أمِّه عمرة عن عائشة. وقال: غريبٌ من حديث شعبة لم نكتبه إلا من من حديث عباد بن أبي عدي. ١ هـ. وفيه:

عباد بن زياد الساجي، يتهم بالقدر. قال موسى بن هارون: تركت حديثه، و قال ابن عدي: هو من أهل الكوفة الغالين في التشيع له أحاديث مناكير في الفضائل.

« تهذيب التهذيب ٥: ٢٩٤ »

وفيه: شعبة عن محمَّد بن عبد الرحمن أبي الرجال قال الخطيب: هذا وهمٌ شعبة لم يرو عن أبي الرجال شيئاً، وكذلك من قال فيه عن شعبة عن محمَّد بن عبد الرحمن عن أمِّه عمرة.

« تهذيب التهذيب ٩: ٢٩٥ »

وقال ابن حجر والعيني: وقع عند عبد الرزاق عن معمر بن ثابت وقتادة وغيرهما

١ - هنا ينتهى كلام العيني والبقية كلمة ابن حجر فحسب.

عن أنس: أنَّ القوم كانوا أحد عشر رجلاً^(١).

نادي الخمر هذا كان عام الفتح سنة ثمان من الهجرة بالمدينة المشرفة في دار أبي طلحة زيد بن سهل وكانت السقاية لأنس كما في صحيح البخاري كتاب التفسير في سورة المائدة في آية الخمر، وفي صحيح مسلم في كتاب الأشربة باب تحريم الخمر وقال السيوطي في الدر المنثور ٢: ٣٢١: أخرجه عبد بن حميد. وأبو يعلى. وابن المنذر، وأبو الشيخ. وابن مردويه عن أنس.

وأخرجه أحمد في المسند ٣: ١٨١، ٢٢٧ والطبري في تفسيره ٧: ٢٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٨: ٢٨٦، ٢٩٠. وابن كثير في تفسيره ٢: ٩٣، ٩٤.

وكان عدّة الحضور في ذلك النادي كما مرّت عن معمر وقتادة أحد عشر رجلاً ذكر منهم ابن حجر في فتح الباري ١٠: ٣٠ عشرة أنفس وقال كما مرّ ص ٩٨: فحصلنا تسمية عشرة وهم:

١ - أبو بكر بن أبي قحافة. وكان يوم ذاك ابن ثمان وخمسين سنة.

٢ - عمر بن الخطاب. وكان يوم ذاك ابن خمس وأربعين سنة.

٣ - أبو عبيدة الجراح. وكان ابن ثمان وأربعين سنة.

٤ - أبو طلحة زيد بن سهل صاحب النادي، وكان له أربع وأربعون سنة، قال ابن الجوزي في الصفوة ١: ١٩١: توفي سنة أربع وثلاثين وهو ابن سبعين سنة.

٥ - سهيل بن بيضاء. توفي بعد القضية بسنة وهو كبير السن.

٦ - أبي بن كعب.

٧ - أبو دجانة سماك بن خرشة.

٨ - أبو أيوب الأنصاري.

٩ - أبو بكر بن شغوب.

١٠ - أنس بن مالك ساقى القوم، كان يوم ذاك ابن ثمانية عشر عاماً على الأصحّ وفي صحيحة مسلم في الأشربة في

باب تحريم الخمر، والبيهقي في السنن ٨: ٢٩ عن أنس أنّه قال: إني لقائم أسقيهم وأنا أصغرهم.

١ - فتح الباري ١٠ ص ٣٠، عمدة القارى ١٠ ص ٨٤.

وقد عزب عن ابن حجر حادي عشر القوم وهو: معاذ بن جبل. كما ورد في حديث قتادة عن أنس، أخرجه ابن جرير في تفسيره ٧: ٢٤، والهيتمي في مجمع الزوائد ٥: ٥٢، والعيني في عمدة القاري ٨: ٥٨٩، والسيوطي في الدر المنثور ٢: ٣٢١ نقلاً عن ابن جرير وأبي الشيخ وابن مردويه، والنووي في شرح مسلم هاشم إرشاد القسطلاني ٨: ٢٣٢.

وكان معاذ يوم ذاك ابن ثلاث وعشرين سنة إذ توفي سنة ١٨ وله ٣٣ عاماً كما ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة. وهؤلاء المذكورين من الذين كانوا يشربون الخمر بعد نزول الآيتين فيها بتأويل فيهما كما مرّ في الجزء السادس ٢٥١ ط ٢، إلى أن نزل آية المائدة: يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان. إلى قوله تعالى: فهل أنتم متتهون. وكان ذلك في عام الفتح فلما رأوا غضب رسول الله ﷺ وعلموا من الآية الثلاثة التحذير والوعيد إنتهوا وقال عمر: إنتهينا. إنتهينا.

قال الألوسي في تفسيره ٢: ١١٥: شربها كبار الصحابة رضي الله عنهم بعد نزولها « يعني آية الخمر في البقرة » وقالوا: إنما نشرب ما ينفعنا ولم يمتنعوا حتى نزلت آية المائدة. هـ.

وأخرج ابن أبي حاتم من حديث أنس أنه قال: كنّا نشرب الخمر فأنزلت: يسألونك عن الخمر والميسر. الآية. فقلنا: نشرب منها ما ينفعنا. فأنزلت في المائدة: إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس. الآية. فقالوا: أللهم قد انتهينا^(١). وأخرج عبد بن حميد عن عطاء أنه قال: أوّل ما نزل في تحريم الخمر « يسألونك عن الخمر والميسر » الآية فقال بعض الناس: نشربها لمنافعها التي فيها. وقال آخرون لا خير في شيء فيه إثمٌ ثمّ نزل « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » الآية، فقال بعض الناس: نشربها ونجلس في بيوتنا. وقال آخرون: لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة مع المسلمين. فنزلت « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر الآية » فانتهاوا^(٢).

١ - الدر المنثور ١: ٢٥٢، تفسير الشوكاني ١: ١٩٧.

٢ - تفسير الألوسي ٧ ص ١٧.

ولتعدد آيات الخمر واختلاف السلف فيها وتأويل جمع منهم آيتي البقرة و النساء من تلكم الآيات وقع الخلاف في تاريخ حرمتها على أقوال:

١ - الأخذ بما أخرجه الطبراني من طريق معاذ بن جبل من أنّ أوّل ما نهى عنه النبي ﷺ حين بعث شرب الخمر وملاحاة الرجال (١) فتحريم الخمر كان في اوليات الهجرة ان لم تكن في اوليات البعثة، ويساعده ما صحّ عنه ﷺ من أنّ أعظم الكبائر شرب الخمر (٢) ويرمه النظر في آيات الخمر فالآية الاولى منها من سورة البقرة وهي أوّل سورة نزلت بالمدينة (٣) والآية الثانية في سورة النساء وقد نزلت في أوائل الهجرة (٤).

ولعلّ هذا رأي كلّ من رأى حرمة الخمر بآية البقرة، قالت عائشة: لمّا نزلت سورة البقرة نزل فيها تحريم الخمر فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك (٥) وقد نزلت سورة البقرة بعد زواج عايشة كما مرّ في الجزء السادس ص ١٩٧.

واختار الجصاص حرمة الخمر بآية البقرة كما أسلفنا كلامه في الجزء السادس صفحة ٢٥٤ ط ٢، وقال القرطبي في تفسيره ٣: ٦٠: قال قومٌ من أهل النظر حرّمت الخمر بهذه الآية يعني التي في سورة البقرة، وقال الرازي في تفسيره ٢: ٢٢٩: إنّ هذه الآية « يعني آية البقرة » دالّة على تحريم شرب الخمر. وذكر في ص ٢٣١ في وجه دلالتها عليه وجوهاً.

٢ - رأى البلاذري أنّه كان سنة أربع من الهجرة كما في « الإمتاع » للمقرئ ص ١٩٣، وذكر ابن اسحاق: أنّه كان في وقعة بني النضير سنة أربع على الراجح (٦) وقال ابن هشام في سيرته ٢: ١٩٢: نزل بني النضير وذلك في شهر ربيع الأوّل - سنة أربع فحاسرهم فيها ستّ ليال، ونزل تحريم الخمر. وذكره ابن سيّد الناس في عيون الأثر ٢: ٤٨.

١ - أوائل السيوطي ص ٩٠.

٢ - الغدير ٦: ٢٥٧ ط ٢.

٣ - تفسير القرطبي ١: ١٣٢ تفسير ابن كثير: ٣٥، تفسير الخازن ١: ١٩.

٤ - راجع ما يأتي في الجزء الثامن صفحة ١١ من الطبعة الاولى.

٥ - تاريخ الخطيب ٨: ٣٥٨، الدر المنثور ١: ٢٥٢.

٦ - فتح الباري ١٠: ٢٤، عمدة القاري ١٠: ٨٢.

ويؤيد هذا الرأي ما أخرجه ابن مردويه عن جابر أنه قال: حرّمت الخمر بعد أحد^(١) وقد وقعت غزوة أحد في سنة ثلاث فبعدها تكون سنة أربع تقريباً.

٣ - جزم الدميّاطي على أنّ تحريم الخمر كان في سنة الحديبية سنة ستّ كما في فتح الباري ١٠ : ٢٤، وعمدة القاري ١٠ : ٨٢.

٤ - حرمتها في سنة الفتح عام ثمان من الهجرة يوم الندوة المذكورة المنعقدة في دار أبي طلحة بآية المائدة التي فيها الإرهاب والتحذير، وبها كفّ عمر ومن كان معه في تلك الندوة عن الشرب وقال: إنتهينا، إنتهينا.

وهذا القول غير مدعوم بحجّة، وليس إلا لتصحيح شرب أولئك الرجال من الصحابة وجعله قبل التحريم، فترى مثل ابن حجر لا يحكم به حكماً باتاً بل يستظهره من حديث أحمد قال في فتح الباري ٨ : ٢٧٤: الذي يظهر أنّ تحريمها كان عام الفتح سنة ثمان لما روى أحمد من طريق عبد الرحمن بن وعلة قال: سألت ابن عباس عن بيع الخمر فقال: كان لرسول الله ﷺ صديق من ثقيف أو من دوس فلقبه بمكة عام الفتح براوية خمر يهديها إليه فقال رسول الله ﷺ : يا أبا فلان! أما علمت أنّ الله حرّمها؟ فأقبل الرجل على غلامه فقال: اذهب فبيعها، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا فلان! بماذا أمرته؟ قال: أمرته أن يبيعها. قال: إنّ الذي حرّم شرّها حرّم بيعها. فأمر بها فأفرغت في البطحاء.

وقصارى ما في هذا الحديث أنّ تحريم الخمر بلغ الرجال في عام الفتح لا أنّها حرّمت فيه، لأنّ الرجل كان في منتهى عن مستوى تبليغ الأحكام، متخبّطاً بين أعراب البوادي، غير عارف حتى باصول المراودة والتحابب، ويشهد لذلك إهداؤه الخمر لرسول الله ﷺ، فأنّها على فرض عدم حرمتها ليست ممّا يُهدى إلى مثله ﷺ، لكن الرجل كان من دهاء الناس، وجرى على ما هو المطرّد بن الرعرة والساقّة.

الخلافة في الاسلام

وأما هو « أبو بكر » في الاسلام فلم نعهد له نبوغ في علم، أو تقدّم في جهاد، أو تبرز في الأخلاق، أو تهالك في العبادة، أو ثبات علي مبدء.

١ - تفسير الشوكاني ٢ : ٧١.

أما نبوغه في علم التفسير فلم يؤثر عنه في هذا العلم شيءٌ يُحفل به، فدونك كتب التفسير والحديث فلا تكاد تجد فيها عنه ما يُروى غُلةً صادٍ، أو يُنجم طلبه طالب. نعم: يروى عنه أنّه شارك صاحبه - عمر بن الخطاب - في عدم المعرفة لمعنى الأبّ^(١) الذي عرفه كلّ عربيٍّ صميم حتى أعراب البادية، وليس من البدع أن يعرفه حتى الساقة من الناس فإنّه لا يعدوه أن يكون لدة بقيّة الكلمات العربيّة التي لا تزال العرب تلهج بها في كلّ حلٍّ ومرتلٍ، ولا هو الدخيل^(٢) حتى يُعذر فيه الجاهل به، ولا من شواذّ الكلم التي قلّما تتعاطاه الجامعة العربيّة حتى يشدّ عرفانه عن بعضهم.

وإن تعجب فعجبٌ إعتذار من جنح إليه^(٣) بأنّه كان يلتزم الحايطة في تفسير القرآن، ولذلك تورّع عن الافاضة في معنى الأبّ لكن عرف من عرف أنّ الحايطة إنّما تحب في بيان مغازي القرآن الكريم وتعيين إرادته، وتبيين مجمله، وتأويل متشابهه، وما يجري مجرى ذلك ممّا يحظر في الدين التسرّع إليه من دون تثبّت وتوقيف، وأمّا معاني ألفاظه العربيّة للعريق في لغة الضاد فأيّ حائطة تضرب على يده عن أن يفهمها و هو يعرفها بطبعه وجبلّته.

وهب أنّ الرجل لم يحطُ خبراً بلغة قومه فهلاًّ تروّى في الذكر الحكيم في ذيل الآية الكريمة من قوله سبحانه: متاعاً لكم ولأنعامكم. بياناً للفاكهة والأبّ؟ ليعلم أنّه سبحانه وتعالى امتنّ على الناس بالفاكهة ليأكلوها، وبالأبّ لترعاه أنعامهم، فتلك فاكهة، وهذا العشب.

أخرج أبو القاسم البغوي عن ابن أبي مليكة قال: سئل أبو بكر عن آية فقال: أيّ أرض تسعني؟ أو أيّ سماء تظّلني؟ اذا قلت في كتاب الله ما لم يرد الله؟

وأخرج أبو عبيدة عن ابراهيم التيمي قال: سئل أبو بكر عن قوله تعالى

١ - في قوله تعالى في سورة عبس: فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأتا.

٢ - أما ما زعمه ابن حجر في فتح الباري من ان الكلمة من الدخيل ولذلك لم يعرفها الخليفةتان فقد مرّ الجواب عنه في الجزء السادس ص ١٠٠ ط ٢.

٣ - نظراء القرطبي والسيوطي.

(وفاكهة وأبًا)؟ فقال: أيّ سماء تظّلني؟ أو أيّ أرض تقلّني؟ إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟. وفي لفظ القرطبي: أيّ سماء تظّلني؟ وأي أرض تقلّني، وأين أذهب؟ وكيف أصنع؟ إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى.

ذكره القرطبي في تفسيره ١ ص ٢٩، ابن تيمية في مقدّمة اصول التفسير ص ٣٠، الزمخشري في الكشاف ٣ ص ٢٥٣، ابن كثير في تفسيره ١ ص ٥ وصحّحه في ص ٦، ابن القيم في أعلام الموقعين ص ٢٩ وصحّحه، الخازن في تفسيره ٤ ص ٣٧٢، النسفي في تفسيره هامش الرازي ٨ ص ٣٨٩، السيوطي في الدر المنثور ٦ ص ٣١٧ نقلاً عن أبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد، ابن حجر في فتح الباري ١٣ ص ٢٣٠ وأو عز إليه ابن جزى الكلبي في تفسيره ٤ ص ١٨٠.

الكلالة

وتجد الخليفة على شاكلة صنوه في عدم العلم بالكلالة النازلة في آية الصيف آخر سورة النساء: يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك. الآية.

أخرج أئمة الحديث باسناد صحيح رجاله ثقات عن الشعبي قال: سئل أبو بكر رضي الله عنه عن الكلالة؟ فقال: إني سأقول فيها برأيي فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأ فميتي ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه، أراه ما خلا الولد والوالد، فلما استخلف عمر رضي الله عنه قال: إني لأستحيي الله أن أردّ شيئاً قاله أبو بكر.

أخرجه سعد بن منصور، عبد الرزاق، ابن أبي شيبة، الدارمي في سننه ٢ ص ٣٦٥، وابن جرير الطبري في تفسيره ٦ ص ٣٠ ابن المنذر، البيهقي في السنن الكبرى ٦ ص ٢٢٣، وحكى عنهم السيوطي في الجامع الكبير كما في ترتيبه ٦ ص ٢٠، وذكره ابن كثير في تفسيره ١ ص ٢٦٠، والخازن في تفسيره ١ ص ٣٦٧، وابن القيم في أعلام الموقعين ص ٢٩.

قال الأميني: هذا رأيه الثاني وكان أوّلاً يرى أنّ الكلالة من لا ولد له خاصّة،

وكان يشاركه في رأيه هذا عمر بن الخطاب ثم رجعا عنه إلى ما سمعت ^(١) ثم اختلفا فيها، قال ابن عباس كنت آخر الناس عهداً بعمر بن الخطاب قال: اختلفت أنا وأبو بكر في الكلالة والقول ما قلت ^(٢) وفي صحيحة البيهقي والحاكم والذهبي وابن كثير ^(٣) عن ابن عباس قال: كنت آخر الناس عهداً بعمر فسمعت يقول: القول ما قلت. قلت: وما قلت؟ قال: قلت: الكلالة ما لا ولد له.

هذا القول كان من عمر لما طعن بعد قوله لما استخلف: إني لأستحيي أن أخالف فيه أبا بكر كما مرّ وبعد قوله: أتى عليّ زمان لا أدري ما الكلالة وإذا الكلالة من لا أب له ولا ولد ^(٤) وبعده هذه كلّها قال ما قال وهو على ما يقول بصير. أنا لا أدري أين ولّت تلك الحائطة التي التزمها الخليفة الأوّل في معنى الأب لتلك الحدة والشدّة؟ وأيّ سماء أظلتّه؟ وأيّ أرض أقلتّه؟ وأين ذهب؟ وكيف صنع لما قال في دين الله برأي لا يعرف غيّه من رشده، ولا يعلمه أمّن الله أم منه ومن الشيطان؟ وكيف خفيت عليه آية الصيف؟ وقد رأى النبي ﷺ فيها الكفاية في عرفان الكلالة كما مرّ ج ٦: ١٢٧ ط ٢، وكيف عزب عنه قوله تعالى: فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون؟ ولمّ لم يسأل ولم يتعلّم ولم يعبأ بأهل الذكر وهو يعرفه لا محالة؟ فكأنّ الأحكام ليست بتوقيفية، وكأنّها منوطة بالحظّ والنصيب ولكلّ إنسان ما رأى، ولو صدقت هذه الأحلام فيسع لكلّ امرء أن يُفتي برأيه فيما يُسأل عنه من الكتاب والسنة ويقول: إن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فممي ومن الشيطان.

نعم هذا الإفتاء بالرأي يفتقر إلى جرأة على الله وعلى رسوله، وتلك لا تتأتّى لأيّ أحد فتخصّ لا محالة بجماعة دون أخرى، وكأنّ هذا هو معنى الإجتهد عند القوم لا استنباط الأحكام من أدلّتها التفصيليّة من الكتاب والسنة. ومن هنا يرون نظراء

١ - تفسير القرطبي ٥ ص ٧٧.

٢ - تفسير ابن كثير ١ ص ٥٩٥.

٣ - المستدرك للحاكم ٢ ص ٣٠٤ وصححه السنن الكبرى للبيهقي ٦ ص ٢٢٥ تلخيص - المستدرك للذهبي وافرّ تصحيح الحاكم، تفسير ابن كثير ١ ص ٥٩٥ وذكر تصحيح الحاكم وافرّه.

٤ - السنن الكبرى ٦ ص ٢٢٤.

عبد الرحمن بن ملجم قاتل مولانا أمير المؤمنين ^(١).

وأبي الغادية قاتل الصحابي العظيم عمار بن ياسر سلام الله عليه ^(٢).

ومعاوية بن أبي سفيان قاتل آلاف من الأبرياء والأزكياء ^(٣).

وعمر بن النابغة، العاصي ابن العاصي ^(٤).

وخالد بن الوليد قاتل مالك ظلماً والزاني بامرأته ^(٥).

وطلحة والزبير ^(٦) الخارجين على الإمام الحق الثابت إمامته بالنص والاختيار.

م - ويزيد الخمر والفجور صاحب الطامات والصحائف السوداء ^(٧).

مجتهدين في دين الله متأولين في تلكم الآراء الشاذة عن حكم الإسلام وشرعة الحق، مأجورين في تلك المظالم العادية. وقال ابن حجر في الإصابة ٤ ص ١٥١: والظن بالصحابة في تلك الحروب أنهم كانوا فيها متأولين وللمجتهد المخطئ أجر، وإذا ثبت هذا في حق أحاد الناس فثبوته للصحابة بالطريق الأولى. ا. هـ.

مرحباً مرحباً بهذا الدين، وبخ وبخ ما أكثر المجتهدين من أمة محمد ﷺ، حتى أصبحت غوغاء الشام، وطغام الأمة، وحثالة الأعراب، وأجلاف الأحزاب، و أبناء الطلقاء مجتهدين متأولين.

وزه زه باولئك المتحدين بابراد الإجتهاد جرائيم الفساد، قتلة صفوة الأبرار المهاجمين على ناموس الإسلام وقدس صاحب الرسالة، الخارجين عن طوع الكتاب والسنة، الفئة الباغية الطاغية، المدبرين بالشر والفساد وبغض العترة الطاهرة تحت راية الطليق ابن الطليق العين ابن العين بلسان النبي الأعظم ^(٨) صدق رسول الله

١ - راجع الجزء الاول من كتابنا هذا ص ٣٢٣ ط ٢.

٢ - راجع الجزء الاول من الكتاب ص ٣٢٨ ط ٢.

٣ - الفصل لابن حزم ٤ ص ٨٩، تاريخ ابن كثير ٧: ٢٧٩.

٤ - تاريخ ابن كثير ٧ ص ٢٨٣.

٥ - تاريخ ابن كثير ٦ ص ٢٢٣، روضة المناظر لابن شحنة هامش الكامل ٧ ص ١٦٧، وسيأتي تفصيله.

٦ - التمهيد للباقلاني ص ٢٣٢.

٧ - تاريخ ابن كثير ٨: ٢٢٣.

٨ - راجع الجزء الثالث من الكتاب ص ٢٥١، ٢٥٢ ط ٢.

ﷺ في قوله: آفة الدين ثلاثة: فقيهٌ فاجر. وإمامٌ جائر، ومجتهدٌ جاهل (١).

وحسب الإسلام عاراً وشناراً أولئك الأعلام أصحاب هذه الآراء المضلّة والأقلام المسمومة التي تنزّه ساحة المجرمين عن دنس الفجور والنفاق، وتجعل المحسن والمسيئ والمبطل والمحقّ، والطيب والخبيث، عكسي بعير، وتضلّ الأئمة عن رشدّها بأمثال هذه الكلم التافهة، والدعاوي الفارغة، والآراء الساقطة وتصعّر في عين المجتمع الديني تلكم الجنايات العظيمة على الله وعلى رسوله وكتابه وسنته وخليفته وعترته و مواليهم. كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذباً. فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره.

وأوّل من فتح باب التأويل والاجتهاد، وقدّس ساحة المجرمين بذينك، وحابى رجال الجرائم والمعرّات بهما هو الخليفة الأوّل، فقد نزّه بهذا العذر المفتعل ذيل خالد ابن الوليد عن دنس آثامه الخطيرة ودرأ عنه الحدّ بذلك كما سنوقفك على تفصيله إنشاء الله تعالى.

هذا نموذجٌ من تقدّم الخليفة في علم التفسير على قلّة ما روي عنه في ذلك قال الحافظ جلال الدين السيوطي في «الاتقان» ٢ ص ٣٢٨:

إشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة. وابن مسعود. وابن عبّاس. وأبيّ بن كعب. وزيد بن ثابت. وأبو موسى الأشعري. وعبد الله بن الزبير. أمّا الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم عليّ بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزرة جدّاً، وكان السبب في ذلك تقدّم وفاتهم كما أنّ هو السبب في قلّة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث، و لا أحفظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلاّ آثاراً قليلة جدّاً لا تكاد تجاوز العشرة.

وأما عليّ فروي عنه الكثير، وقد روى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل: شهدت عليّاً يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألون عن شيء إلاّ أخبرتكم، و سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلاّ وأنا أعلم أبليّل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال: إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف

ما منها حرفٌ إلّا وله ظهْرٌ وبطنٌ وإنَّ عليَّ بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن. وأخرج أيضاً من طريق أبي بكر بن عيّاش عن نصير بن سليمان الأحمسي عن أبيه عن عليّ قال: والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت إنَّ ربِّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً. ١ هـ. قال الأُميني: ما هذا التهافت في كلام السيوطي هذا؟ ألا مسائل الرجل عن أنَّ الذي لم يجد له هو نفسه وهو ذلك المتتبع الضليع عشرة أحاديث في علم التفسير كيف عدّه ممّن اشتهر بالتفسير من الصحابة؟ نعم راقه أن لا يفرّق بينه وبين مولانا أمير المؤمنين وقد روى فيه ما روى ذاهلاً عن قوله تعالى، هل يستوي الذين يعلمون والَّذين لا يعلمون.

تقدّم الخليفة في السّنة

أمّا تقدّمه في السّنة فكلّ ما أثبتته عنه إمام الحنابلة أحمد في المسند ١ ص ٢ - ١٤ ثمانون حديثاً، ويربو المتكرّر منها على العشرين، فلم يصف منها إلّا ما يقرب الستين حديثاً وقد التقط ما في مسنده من أكثر من سبعمائة وخمسين ألف حديث، وكان يحفظ ألف ألف حديث^(١). وجمع ابن كثير بعد جهود جبّارة أحاديثه في اثنين وسبعين حديثاً وسمّى مجموعته: مسند الصّدّيق^(٢). واستدرك ما جمعه ابن كثير جلال الدين السيوطي بعد تصعيد وتصويب ومع تضلّع وإحاطة بالحديث، فأخى أحاديثه إلى مائة وأربعة، وذكرها برمتها في تاريخ الخلفاء ص ٥٩ - ٦٤. وقد يروى أنَّ له مائة واثنان وأربعون حديثاً اتّفق الشيخان على ستّة أحاديث منها. وانفرد البخاري بأحد عشر، ومسلم بواحد^(٣).

وفي وسع الباحث المناقشة في غير واحد من تلك الأحاديث سنداً أو متناً، فإنّ

١ - طبقات الحفاظ للذهبي ٢ ص ١٧، ترجمة أحمد في آخر الجزء الاول من مسنده.

٢ - تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٤.

٣ - شرح رياض الصالحين للصدّيق ٢: ٢٣.

من جملتها ما ليس بحديث وإنما هو قول قاله كقوله: للحسن السبط سلام الله عليه: بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي.
وقوله: شاور رسول الله في أمر الحرب.

وقوله: إن رسول الله ﷺ أهدى جملاً لأبي جهل.

ومنها ما هو محكوم عليه بالوضع، أو يخالف الكتاب والسنة، ويكذبه العقل والمنطق والطبيعة مثل قوله:

١ - لو لم أبعث فيكم لبعث عمر.

٢ - وقوله: ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر.

٣ - وقوله: إن الميت ينضح عليه الحميم بيكاء الحي.

٤ - وقوله: إنما حرّ جهنم على امتي مثل الحمام

أما الأول فله عدة طرق لا يصح شيء منها. الطريق الأول لابن عدي وفي إسناده:

١ - زكريّا بن يحيى الوكار، أحد الكذابين الكبار مرّت ترجمته في سلسلة الكذابين في الجزء الخامس ص ٢٣٠ ط ٢.

٢ - بشر بن بكر. قال الأزدي منكر الحديث ولا يعرف، لسان الميزان ٢ ص ٢٠

٣ - أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني. قال أحمد: ضعيفٌ كان عيسى بن يونس لا يرضاه وعن أبي داود عن

أحمد: أنه ليس بشيء وقال أبو حاتم: سألت ابن معين عنه فضعّفه. وقال أبو زرعة: ضعيفٌ منكر الحديث. وقال أبو حاتم:

ضعيف الحديث طرده لصوصٌ فأخذوا متاعه فاختلط ^(١) وقال الجوزقاني: ليس بالقوي.

وقال النسائي: ضعيفٌ وقال أبو سعد: كان كثير الحديث ضعيفاً. وقال الدار قطني: متروكٌ ^(٢).

الطريق الثاني لابن عدي أيضاً وفي إسناده:

١ - مصعب بن سعيد أبو خيثمة المصيصي. قال ابن عدي: يحدّث عن الثقات

١ - قال الأُميني: لو لم يكن لاختلاط الرجل آية غير حديثه هذا لكفى وحسبه.

٢ - تهذيب التهذيب ١٢ ص ٢٩.

بالمناكير ويصحّف. وقال: والضعف على رواياته بيّن. وقال ابن حبان: كان مدليّساً وقال صالح جزرة: شيخٌ ضريّر لا يدري ما يقول. وذكر الذهبي له أحاديث فقال: ما هذه إلّا مناكير وبلايا (١).

٢ - عبد الله بن واقد. قال ابن عدي والجوزقاني والنسائي: متروك الحديث و قال غيرهما: ليس بشيء. وقال الأزدى: عنده مناكير. وقال أحمد: أظنّه كان يدليّس. وقال ابو زرعة: ضعيف الحديث لا يحدث عنه. وقال البخاري: تركوه منكر الحديث: وقال ابن حبان: وقع المناكير في حديثه فلا يجوز الإحتجاج بخبره. وقال صالح جزرة: ضعيفٌ مهين. وقال أبو أحمد الحاكم: حديثه ليس بالقائم (٢).

٣ - مشرح بن عاهان. قال ابن عدي وابن حبان: لا يحتجّ به. وقال غيرهما: يروي عن عقبة مناكير لا يتابع عليهما. وقال آخرون: الصواب ترك ما انفرد به (٣).

أورده بهذين الطريقين ابن الجوزي في الموضوعات فقال: هذان حديثان لا يصحّان عن رسول الله ﷺ، أمّا الأوّل، فإنّ زكريّا بن يحيى كان من الكذّابين.

قال ابن عدي، كان يضع الحديث. وأمّا الثاني: فقال أحمد ويحيى: عبد الله بن واقد ليس بشيء. وقال النسائي: متروك: وقال ابن حبان: انقلبْتُ على مشرح صحائفه فبطل الإحتجاج به. اهـ.

الطريق الثالث لأبي العباس الزوزني في كتاب شجرة العقل بلفظ: لو لم أبعث لبعثت يا عمر! وفي إسناده:

١ - عبد الله بن واقد. وقد مرّ في الطريق الثاني.

٢ - راشد بن سعد بن الحمصي، ذكر الحاكم أنّ الدار قطني ضعّفه، وكذا ضعّفه ابن حزم، وذكر البخاري أنّه شهد صفّين مع معاوية (٤) فالرجل من الفئة الباغية بنصّ من النبي الأعظم، وذكره الصغّاني فقال: موضوعٌ. كما في كشف

١ - ميزان الاعتدال ٣: ١٧٣، لسان الميزان ٦: ٤٤.

٢ - تهذيب التهذيب ٦ ص ٦٦، ميزان الاعتدال ٢ ص ٨٤، لسان الميزان ٣ ص ٣٧٤. اللئالي المصنوعة ١ ص ٣٠٢.

٣ - اللئالي المصنوعة ١: ٣٠٢، ميزان الاعتدال ٣: ١٧٢.

٤ - تهذيب التهذيب ٣ ص ٢٢٦.

الطريق الرابع للدليمي عن أبي هريرة بلفظ: لو لم أبعث فيكم لبعث عمر. أئد الله عمر بملكين يوققانه ويسدّدانه، فاذا أخطأ صرفاه حتى يكون صواباً.

في إسناده إسحاق بن نجيح الملطي أبو صالح الأزدي. قال أحمد: من أكذب الناس. وقال ابن معين: كذاب عدوّ الله رجل سوء خبيث. كان ببغداد قومٌ يضعون الحديث منهم إسحاق الملطي. وقال ابن أبي مريم عنه: من المعروفين بالكذب ووضع الحديث. وقال علي بن المديني: ليس بشيء وضعفه، روى عجائب. وقال عمر بن علي: كذاب كان يضع الحديث. وقال الجوزقاني: غير ثقة ولا من أوعية الأمانة. وقال: كذاب وضاع لا يجوز قبول خبره ولا الاحتجاج بحديثه ويجب بيان أمره. وقال الجهمي والبخاري: منكر الحديث. وقال السنائي: كذاب متروك الحديث. وقال: ابن عدي: أحاديثه موضوعات وضعها هو وعامة ما أتى عن ابن جريج بكل منكر ووضع عليه، وهو بين الأمر في الضعفاء، وهو ممن يضع الحديث. وقال ابن حبان: دجال من الدجاجة يضع الحديث صراحاً. وقال البرقي: نسب إلى الكذب. وقال أبو سعيد النقاش: مشهور بوضع الحديث. وقال: وقال ابن طاهر: دجال كذاب. وقال ابن الجوزي: أجمعوا على أنه كان يضع الحديث (١).

قال الدليمي بعد ذكر الحديث بالطريق المذكور: وتابعه راشد بن سعد عن المقدم بن معدي كرب عن أبي بكر الصديق والله أعلم.

قال الأميني: عرفت في الطريق الثالث ضعف راشد، وإنما الصغاني حكم على حديثه هذا بالوضع، وأقرّه العجلوني وزيّفه في كشف الخفاء ٢ ص ١٥٤، ١٦٣ وذكره السيوطي في اللئالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١ ص ٣٠٢ غير أنه عدّه بهذا الطريق الوعر في تاريخ الخلفاء عن أحاديث أبي بكر، ولا تخفى عليه تراجم هؤلاء الرجال أمثال إسحاق الملطي، نعم راقه أن يكثر عدد أحاديث الخليفة ولو بمثل هذا وقد حذف الأسانيد منها حتى لا يقف القارئ على ما فيها من الوضع والاختلاق والله من ورائه حسيب.

أما الحديث الثاني:

فأخرجه الحاكم في المستدرک ۳ ص ۹۰ بإسناده عن عبد الله بن داود الواسطي التمار عن عبد الرحمن بن أخي محمد بن المنکدر عن جابر رضي الله عنه قال: قال عمر بن الخطاب ذات يوم لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما: يا خير الناس بعد رسول الله! فقال أبو بكر: أما أنك إن قلت ذلك سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر.

عقبه الذهبي في تلخيص المستدرک فقال: قلت عبد الله ضعفه، وعبد الرحمن متكلم فيه، والحديث شبه موضوع. وقال في ميزان الاعتدال ۲ ص ۱۲۳: رواه عبد الله بن داود التمار وهو هالك، عن عبد الرحمن بن أخي محمد المنکدر لا يكاد يعرف، ولا يتابع على حديثه، وقال الترمذي: ليس إسناده بذلك. قال الأميني: أما عبد الله بن داود التمار فقال البخاري: فيه نظر. وقال أبو حاتم ليس بقوي، في حديثه مناكير، وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالمتين عندهم، وقال النسائي: ضعيف. وقال ابن حبان: منكر الحديث جداً يروي المناكير عن المشاهير لا يجوز الاحتجاج بروايته. وقال الدارقطني: ضعيف^(١). وأما عبد الرحمن فقال يحيى بن معين: ما أعرف عبد الرحمن فقرأه إبراهيم بن الجنيد الحديث فقال يحيى: ما أعرف عبد الرحمن. وأنكر الحديث ولم يعرفه^(٢).

جاء العلامة الحريفي في القرن الثامن وأتى في كتابه الروض الفائق ص ۳۸۸ بحديث مختلف في فضيلة مولانا أمير المؤمنين وأبي بكر وجعل هذه الرواية في فضل أبي بكر عن لسان عليّ ؑ قال روى أبو هريرة: أن أبا بكر الصديق وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما قدما يوماً إلى حجرة رسول الله ﷺ فقال عليّ لأبي بكر رضي الله عنهما: تقدّم فكن أوّل قارع يقرع الباب وألح عليه، فقال أبو بكر: تقدّم أنت يا عليّ فقال عليّ: ما كنت بالذي يتقدّم على رجل سمعت رسول الله ﷺ يقول في حقّه: ما طلعت الشمس ولا غربت من بعدي على رجل أفضل من أبي بكر

١ - تهذيب التهذيب ٤ ص ٢٠٠.

٢ - لسان الميزان ٣ ص ٤٤٨.

الصديق. فقال أبو بكر: ما كنت بالذي يتقدّم على رجل قال في حقّه رسول الله ﷺ أعطيت خير النساء لخير الرجال. إلى آخره وفيه مناقب ستّ لأبي بكر على لسان عليّ وكذلك لعليّ على لسان أبي بكر لم يذكر السيوطي شيئاً منها في عدّ أحاديث أبي بكر مع اهتمامه باكثر عددّها وذلك لبدهة الكذب فيه، ورّكة لفظه، ووضوح الاختلاق في معانيه وألفاظه، وظهور التهافت بين جملة كما ترى. نعم لكلّ من الوضّاعين في وضع الحديث ذوقٌ، ولكلّ واحد منهم طريقة وسليقة، وليس أمرهم سلكي.

أما الحديث الثالث

فمن المنكر الواضح وهو لدة ما سبق عن عمر في الجزء السادس صفحة ١٦٢ ط ٢ من قوله: إن الميت يعذب ببكاء الحيّ. وقد أنكرته عليه عائشة، وهو مخالفٌ للكتاب المجيد حيث يقول: ولا تزر وازرة وزر أخرى، وأمثالها وقد فصلنا القول فيه تفصيلاً في الجزء السابق فراجع ص ١٥٩ ١٦٧ ط ٢. ومخالفٌ للعدل فإنّ تعذيب أيّ أحد لما اجترحه غيره من سيّئة - بعد تسليم كون البكاء عليه سيّئة - يرفضه ناموس العدل الإلهي، وتلفظه العقول السليمة، ويتوجّه إلى قائلة اللوم من كلّ ذي مسكة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

أما الحديث الرابع: إنما حرّ جهنم على امتي مثل الحمام.

فأنّه أشبه شيء بمخاريق المعتوهين، أو من يريد تحطيماً من عظمة أمر المولى سبحانه، أو إغراء لبسطاء الأئمة على اقتحام الجرائر بحسبان أنّ حرّ الجحيم الشديد الذي أوقده المنتقم الجبار للعصاة عامّة لا يصيب هذه الأئمة وإنّما هو للأئمّة السابقة ومن لم يعتنق الاسلام من الموجودين، وأنت إذا تأملت في نار الله الموقدة التي تطلّع على الأفئدة^(١) التي وقودها الناس والحجارة^(٢) يوم يُحمى عليها في نار جهنّم فتكوى بها جباههم وجنوبهم^(٣) إذا الجحيم سُعّرت^(٤) وبُرّزت الجحيم لمن يرى^(٥) ترمي بشرر كالقصر كأنّه جمالة صفر^(٦) كلاً إنّها لظى نزّاعة للشوى^(٧) يوم يسحبون

١ - سورة الهمة آية ٧.

٢ - سورة البقرة آية ٢٤.

٣ - سورة التوبة آية ٣٥.

٤ - سورة التكوين آية ١٢.

٥ - سورة النازعات آية ٣٦.

٦ - سورة المرسلات آية ٣٣.

٧ - سورة المعارج آية ١٥.

في النَّارِ على وجوههم ذوقوا مسَّ سقر^(١) وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لِّوَاحَةٍ للبشر عليها تسعة عشر^(٢) قالوا ما سلككم في سقر؟ قالوا لم نك من المصلِّين ولم نك نطعم المسكين وكُنَّا نخوض مع الخائضين^(٣) إِنَّ شجرة الرَّقْمِ طعم الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم^(٤).

أو تأملت فيما هدّد به المولى سبحانه المتثاقلين عن النفر للجهاد في الحرِّ بقوله: قل نار جهنم أشدُّ حرًّا لو كانوا يفقهون^(٥) و مَنْ يَأْكُلْ أموال اليتامى بقوله: إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً^(٦) إلى كثير من أمثال هذه لا ترتاب في أنَّ الأمم كلها بالنسبة إليها شرُّ سوء، بل إِنَّ توجيه تلكم الخطابات إلى الأمة المرحومة المعنيّة بالتهذيب وإيقافها عن المعصية بالتهديد أولى من توجيهها إلى الأمم البائدة التي جرى عليها ما جرى من عاقبة طاعة، أو مغبّة عصيان، فذهبوا رهائن أعمالهم، وبه يتّم اللطف، وتحسن التربية، وهو الذي كان يُكي الصالح، ويُفجع المتّقين، ويدُرُّ عبرات الأولياء، ويجعل سيّدهم أمير المؤمنين يتملّم في جناح الليل البهيم تملّم السليم قابضاً على لحيته، يكي بكاء الحزين وهو يقول: يا ربَّنَا! يا ربَّنَا! - يتضرّع إليه - ثمَّ يقول للدنيا: إِلَيَّ تَغَرَّرْتَ؟ إِلَيَّ تَشَوَّقْتَ؟ هيهات هيهات، غرِّي غيري قد بتك ثلاثاً، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير، آه آه من قلة الزاد، وتُعد السفر ووحشة الطريق^(٧).

ثمَّ أيّ مشابحة بين ذلك اللهب المصطلم وبين الحَمَام الذي لا يكون الحرُّ فيه إلَّا صحياً تُزاح به الأوساخ، وتغرق به الأبدان وترفع به الأتعاب، وترتاح به الأجسام؟ وهل يهدّد بمثله عصاة البشر الذي حُلِقَ ظلوماً جهولاً جموحاً، البشر الذي هذا عقله ورشده وحديثه؟

١ - سورة القمر آية ٤٨.

٢ - سورة المدثر آية ٢٩.

٣ - سورة المدثر آية ٤٥.

٤ - سورة الدخان آية ٤٦.

٥ - سورة التوبة آية ٨١.

٦ - سورة النساء آية ١٠.

٧ - حلية الأولياء ١ ص ٨٥، الاستيعاب ٢ ص ٤٦٣، الرياض النضرة ٢ ص ٢١٢، زهر الادب للقيرواني ١ ص ٣٨، تذكرة السبط ص ٢٧٠، مطالب السؤول ص ٣٣، تحاف الشبراوي ص ٧.

غاية جهد الباحث

هذه غاية جهد الباحث عن علم الخليفة بالسنة وهذه سعة إطلاعه عليها، فنحن إذا قسنا مجموع ما ورد عن الخليفة من الصحيح والموضوع في التفسير والأحكام والفوائد من المائة وأربعة حديثاً أو المائة واثنين وأربعين حديثاً إلى ما جاء عن النبي الأقدس من السنة الشريفة لتجدها كقطرة من بحر لحي، لا تقام بها قائمة للإسلام، ولا تدعم بها أي دعامة للدين، ولا تُروى بها غلة صاد، ولا تنحلُّ بها عقدة آية مشككة. هذا أبو هريرة، وأنس بن مالك، وعبد الله عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن مسعود، و و و يروون آلافاً من السنة النبوية فقد أخرج تقي ابن مخلد في مسنده من حديث أبي هريرة فحسب خمسة آلاف وثلثمائة حديث وكسراً^(١) وأبو هريرة لم يصحب النبي إلا ثلاث سنين. وهذا أحمد بن الفرات كتب ألف الف وخمسمائة ألف حديث، وانتخب منها ثلاثمائة ألف في التفسير والأحكام والفوائد: « خلاصة التهذيب ص ٩ »

وهذا حرمة بن يحيى أبو حفص المصري صاحب الشافعي يروي عن طريق ابن وهب فحسب مائة ألف حديث. « خلاصة التهذيب ص ٦٣ »

وهذا أبو بكر الباغندي يجيب عن ثلثمائة ألف مسألة في حديث رسول الله ﷺ « تاريخ الطبري ٣ ص ٢١٠ ». وهذا الحافظ روح بن عبادة القيسي له أكثر من مائة ألف حديث. « ميزان الاعتدال ١ ص ٣٤٢ » وهذا الحافظ مسلم صاحب الصحيح عنده ثلاثمائة ألف حديث مسموعة. « طبقات الحفاظ ٢ ص ١٥١ ». وهذا الحافظ أبو محمد عبدان الأهوازي يحفظ مائة ألف حديث « تاريخ ابن عساكر ٧ ص ٢٨٨ » وهذا الحافظ أبو بكر ابن الأنباري يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن

١ - الإصابة ٤ ص ٢٠٥.

وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً بأسانيدھا (شذرات الذهب ٢ ص ٣١٦).

وهذا الحافظ أبو زرعة حفظ مائة ألف حديث كما يحفظ الإنسان قل هو الله أحد، ويقال: سبعمائة ألف حديث (تاريخ ابن كثير ١١ ص ٣٧، تهذيب التهذيب ٧ ص ٣٣).

وهذا الحافظ ابن عقدة يجيب في ثلاثمائة ألف حديث من حديث أهل البيت عليهم السّلام وبني هاشم حدّث بها عنه الدارقطني (تذكرة الحقاظ ٢ ص ٥٦).

وهذا الحافظ أبو العبّاس احمد بن منصور الشيرازي كتب عن الطبراني ثلاثمائة ألف حديث (تذكرة الحقاظ ٣ ص ١٢٢).

وهذا الحافظ أبو داود السجستاني كتب عن النبيّ ﷺ خمسمائة ألف حديث (تذكرة الحقاظ ٢ ص ١٥٤).

وهذا عبد الله بن إمام الحنابلة أحمد سمع من أبيه مائة ألف وبضعة أحاديث (طبقات الحقاظ ٢ ص ٢١٤).

وهذا ثعلب البغدادي سمع من القواريري مائة ألف حديث [طبقات الحقاظ ٢ ص ٢١٤].

وهذا أبو داود الطيالسي يملّي من حفظه مائة ألف حديث (شذرات الذهب ٢ ص ١٢).

وهذا أبو بكر الجعابي يحفظ أربعمائة ألف حديث بأسانيدھا ومتونها ويذاكر ستمائة ألف حديث، ويحفظ من المراسيل والمقاطيع والخطابات قريباً من ذلك (تاريخ ابن كثير ١١ ص ٢٦١).

وهذا إمام الحنابلة أحمد عنده أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً (راجع آخر الجزء الأول من مسنده).

وهذا الحافظ أبو عبد الله الحتلي يحدّث من حفظه بخمسين ألف حديث (تاريخ ابن كثير ١١ ص ٢١٧).

وهذا يحيى بن يمان العجلي يحفظ عن سفيان أربعة آلاف حديث في التفسير فقط (تاريخ الطبري ١٤ ص ١٢١).

وهذا الحافظ ابن أبي عاصم يملئ من ظهر قلبه خمسين ألف حديث بعد ما ذهب كتبه (تذكرة الحقاظ ٢ ص ١٩٤).
وهذا الحافظ أبو قلابة عبد الملك حدّث من حفظه ستين ألف حديث (طبقات الحقاظ ٢ ص ١٤٣).
وهذا أبو العباس السراج كتب لمالك سبعين ألف مسألة (تاريخ بغداد ١ ص ٢٥١).
وهذا الحافظ ابن راهويه يملئ سبعين ألف حديث من حفظه (تاريخ ابن عساكر ٢ ص ٤١٣).
وهذا الحافظ اسحاق الحنظلي يحفظ سبعين ألف حديث (تاريخ الخطيب ٦ ص ٣٥٢).
وهذا إسحاق بن بطلون التنوخي يحدّث من حفظه خمسين ألف حديث (تاريخ الخطيب ٦ ص ٣٤٨).
وهذا محمد بن عيسى الطباع كان يحفظ نحواً من أربعين ألف حديث (تاريخ بغداد ٢ ص ٣٩٦).
وهذا الحافظ ابن شاهين يكتب من حفظه بعد ما ذهب كتبه عشرين أو ثلاثين ألف حديث (تاريخ بغداد ١١ ص ٢٤٨).

وهذا الحافظ يزيد بن هارون يحفظ أربعة وعشرين ألف حديث باسنادها (شذرات الذهب ٢ ص ١٦).
فهلّمّ معي نرى أنّ إسلاماً هذه سعة نطاق علمه، وكثرة طقوسه وسننه، وغزارة فنونه وعلومه، ونبياً هذا حديثه وسنته،
وهذا وداعيه المصلحة لأُمَّته، وهذا شأن الأعلام أمناء ودائع العلم والدين، وهذه سيرة حفظة السنّة الشريفة، كيف يجب أن
يتحلّى خليفة ذلك النبيّ الأقدس بأبراد علوم الكتاب والسنّة؟ وكيف يحقّ أن يكون حاملاً بأعباء علوم مستخلفه ومعلمه،
وراثاً مآثره وآثاره؟ أفهل يُقتصر منه بمائة وأربعة حديثاً؟ أو تقبل الأُمّة المسكينة أو تُجديها هذه الكميّة اليسيرة من ذلك
الحوش الحايث؟ أو يسدّ ذلك الفراغ، ويمثّل تلك العلوم الاسلاميّة الجمّة من هذا شأنه وشعاره، وهذه سيرته وسنته، وهذا
علمه وحديثه؟ أو يُتلّق

بالقبول عذر المدافع عن الخليفة بأنَّ قلة حديثه لقصر مدّة خلافته؟ أيّ صلة بين قصر العمر بعد النّبِيّ ﷺ وقلة الرواية؟ فإنَّ رواة الأحاديث على العهد النبويّ ما كان حجر عليها، ولم يكن عقاب في ألسن أولئك الصحابة الأولين، ولا على الأفواه أوكية عن بثّ العلم من الكتاب والسنة طيلة حياة النّبِيّ الأقدس، ولم يكن المكثرون من الرواية قصروا أحاديثهم على ما بعد أيامه ﷺ، فقلة حديث الرجل إن هي إلّا لقلة تلقّيه، وقصر حفظه، إنّما الإناء ينضح بما فيه والأوعية إذا طفحت فاضت.

ثمَّ أتى يسوغ للخليفة؟ أن تُثقله أعباء الخلافة، وتعييه معضلات المسائل و ويتترّس بمثل قوله: أيّ سماء تظلّني. إلخ. أو قوله: سأقول فيها برأبي. أو يخطب بعد أيام قلائل من خلافته وقد أهرجته المواقف، ويتطلّب الفوز منها بقوله: لوددت أنّ هذا كفانيه غيري، ولئن أخذ ولئن أخذتموني بسنة نبيكم ﷺ لا أطيقها، إن كان لمعصوماً من الشيطان، وإن كان لينزل عليه الوحي من السماء^(١).

أو بقوله: أما والله ما أنا بخيركم، ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً، ولوددت أنّ فيكم من يكفي، أفتظنون أنّي أعمل فيكم بسنة رسول الله ﷺ؟ إذن لا أقوم بها إنّ رسول الله كان يُعصم بالوحي، وكان معه ملك، وإنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني أن لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، ألا فراعوني فإن استقممت فأعينوني وإن زغت فقوموني وفي لفظ ابن سعيد: ألا وإنا أنا بشرٌ ولست بخير من أحد منكم فراعوني، فإذا رأيتموني استقممت فاتّبعوني، وإن رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم^(٢) أو بقوله: إنّّي وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على الحقّ فأعينوني وإن رأيتموني على الباطل فسدّدوني^(٣).

١ - مسند احمد ١ ص ١٤، الرياض النضرة ١ ص ١٧٧، كنز العمال ٣ ص ١٢٦.

٢ - طبقات ابن سعد ٣ ص ١٥١، الامامة والسياسة ١ ص ١٦، تاريخ الطبري ٣ ص ٢١٠، الصفوة ١ ص ٩٩، شرح نهج البلاغة: ٣ ص ٨، ج ٤: ١٦٧. كنز العمال ٣ ص ١٢٦.

٣ - طبقات ابن سعد ٣ ص ١٣٩، المجتني لابن دريد ص ٢٧، عيون الاخبار لابن قتيبة ٢ ص ٢٣٤، تاريخ الطبري ٣ ص ٢٠٣، سيرة ابن هشام ٤ ص ٣٤٠، تهذيب الكامل ١ ص ٦، العقد الفريد ٢ ص ١٥٨، اعجاز القرآن ص ١١٥، الرياض النضرة ١ ص ١٦٧، تاريخ ابن كثير ص ٢٤٧ وصححه، شرح ابن ابى الحديد ١ ص ١٣٤، تاريخ الخلفاء السيوطي ص ٤٧، ٤٨ السيرة الحلبية ٣ ص ٣٨٨.

وفي لفظ ابن الجوزي في الصفوة ١، ٩٨: قد أوليت أمركم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوّموني. وهل الخليفة حريٌّ بأن ترعاه أمته ورعيّته فتعينه وتسدّده وتقوّمه عند الخطل والزيغ؟ وكيف لا يؤاخذ الخليفة بالسنة وهو وارث علم النبيّ وحامل سنته وقد أكمل الله دينه وأوحى إلى نبيّه ما تحتاج إليه أمته، وبلغ ﷺ كلّ ما جاء به حتى حقّ له أن ينهى عن الرأي والقياس في دين الله، أو يقول: ما تركت شيئاً ممّا أمركم الله به إلّا وقد أمرتكم به، ولا تركت شيئاً ممّا نهاكم عنه إلّا وقد نهيتكم عنه^(١).

وقد فتح الخليفة لقصر باعه في علوم الكتاب والسنة باب القول بالرأي بمصراعيه بعد ما سدّه النبيّ الأعظم على أمته، ولم تكن عند الخليفة مندوحة سواه، قال ابن سعد في الطبقات، وأبو عمر في كتاب العلم ٢: ٥١، وابن القيم في أعلام المؤقّعين ص ١٩، إنّ أبا بكر نزلت به قضيّة فلم يجد في كتاب الله منها اصلاً، ولا في السنة أثراً، فاجتهد رأيه ثمّ قال: هذا رأيي فان يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فميتي واستغفر الله. « وذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء عن ابن سعد ص ٧١ ».

وقال ميمون بن مهران: كان أبو بكر إذ ورد عليه الخصم فإن وجد في الكتاب أو علم من رسول الله ما يقضي بينهم قضى به، فان أعياه خرج فسأل المسلمين وقال: أتاني كذا وكذا فهل علمتم أنّ رسول الله قضى في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع إليه نفر كلهم يذكر من رسول الله فيه قضاءً، فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ نبيّنا، فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله جمع رؤس الناس و خيارهم فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به^(٢).

هكذا كان شأن الخليفة في القضاء، وهذا مبلغ علمه، وهذه سيرته في العمل بالرأي المجرد وقد قال عمر بن الخطاب: أصبح أهل الرأي أعداء السنن أعيّتهم الأحاديث أن يعوها، وتفلّنت منهم أن يرووها فاشتقوا الرأي، أيّها الناس إنّ الرأي إن كان من

١ - كتاب العلم لأبي عمر، وفي مختصره ص ٢٢٢.

٢ - سنن الدارمي ١ ص ٥٨، و أخرجه البغوي كما في الصواعق ص ١٠.

رسول الله مصيباً لأنَّ الله كان يريه، وإنما هو ممَّا الظنُّ والتكلف^(١).

ثمَّ ما المسوِّغ لمن سدَّ فراغ النَّبيِّ وأشغل منصَّته أن يسأل الناس عن السنَّة الشريفة، ويأخذها ممَّن هو خليفة عليه؟ ولماذا خالف سيرته هذه لما سُئل عن الأبِّ والكلالة و ترك سؤال الصحابة واستشارتهم فأفتى برأيه ما أفتى وقال بحريَّته ما قال. وفيما اتَّفَق لأبي بكر من القضايا غير ما مرَّ مع قلَّته غنية وكفاية في عرفان مبلغ علمه وإليك منها:

- ١ -

رأي الخليفة في الجدَّة

عن قُبَيْصة بن ذؤيب قال: جاءت الجدَّة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه تسأله عن ميراثها فقال لها أبو بكر: ما لك في كتاب الله شيء وما علمت لك في سنَّة رسول الله ﷺ شيئاً فارجعي حتى أسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله ﷺ أعطاهما السدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه. الحديث^(٢).

فانظر إلى ما عزب عنه علم الخليفة في مسألة تكثُر بها البلوى ويطرَّد الحكم فيها، حتى اضطرَّته الحاجة إلى الركون إلى رواية مثل المغيرة أزنَى ثقيف وأكذب الأُمَّة^(٣) وكان من تغييره للسنَّة ولعبه بها أنَّه صلَّى صلاة العيد يوم عرفة مخافة أن يعزل سنة أربعين^(٤) وكان ينال من أمير المؤمنين عليّ^(٥) كلما رقى صهوة المنبر^(٥).

- ٢ -

رأي الخليفة في الجدَّتَيْن

عن القاسم بن محمد أنَّه قال: أتت الجدَّتَان إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه

١ - كتاب العلم لأبي عمر ٢: ١٣٤، وفي مختصره ص ١٨٥، اعلام الموقعين ص ١٩.

٢ - موطأ مالك ١ ص ٣٣٥، سنن الدارمي ٢ ص ٣٥٩، سنن أبي داود ٢ ص ١٧، سنن ابن ماجه ٣ ص ١٦٣، مسند احمد ٤ ص ٢٢٤، سنن البيهقي ٦ ص ٢٣٤، بداية المجتهد ٢ ص ٣٤٤، مصابيح السنة ٢ ص ٢٢.

٣ - راج الجزء السادس من كتابنا هذا ص ١٤١ ط ٢.

٤ - الاغانى ١٤ ص ١٤٢.

٥ - مرَّ في الجزء السادس ص ١٤٣، ١٤٤ ط ٢.

فأراد أن يجعل السدس للتي من قبل الأم فقال له رجل من الأنصار: أما أنك تترك التي لو ماتت وهو حي كان إيّاها يرث، فجعل أبو بكر السدس بينهما.

(لفظ آخر):

إن جدّتين أتتا أبا بكر الصديق رضي الله عنه أمّ الأمّ وأمّ الأب فأعطى الميراث أمّ الأمّ دون أمّ الأب فقال له عبد الرحمن بن سهيل - سهل - أخو بني حارثة: يا خليفة رسول الله! لقد أعطيت التي لو أنّها ماتت لم يرثها. فجعله أبو بكر بينهما يعني السدس.

راجع موطأ مالك ١ ص ٣٣٥، سنن البيهقي ١ ص ٢٣٥، بداية المجتهد ٢ ص ٣٤٤، الاستيعاب ٢ ص ٤٠٠، الإصابة ٢ ص ٤٠٢ وقال: رجاله ثقات، كنز العمال ٦ ص ٦ نقلاً عن مالك، وسعيد بن منصور، وعبد الرزاق، والدارقطني، والبيهقي.

قال الأُمييّ: أو لا تعجب عن جهل الرجل بحكم إرث الجدّتين، وسرعة انقلابه عمّا ارتآه أو لا بنقد رجل من الأنصار أو أخي بني حارثة؟ وكان ذلك النقد يستدعي حرمان الجدّة من قبل الأمّ لكنّه شركهما في الميراث وأنّخذته الفقهاء مصدراً لحكمهم، وأصل الحكم مأخوذاً من رواية المغيرة المخصوصة بالجدّة الواحدة فانظر واعتبر. وأمّا رأي الرجل الأنصاري في الجدّة الذي زحزح الخليفة عن حكمه فلم يكن أخذاً بالكتاب والسنة بل كان مخالفاً لهما وفقاً لقول الشاعر:

بنونا بنوا أبناءنا وبنائنا بنوهم أبناء الرجال الأباة

فخصّ القوم به قول الله تعالى: يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الانثيين^(١) لعقب الأبناء دون من عقبته البنات، وذهبوا إلى عدم شمول أحكام الأولاد في الفروض وغيرها على وليد بنت الرجل محتجّين بقول الشاعر.

قال ابن كثير في تفسيره ٢ ص ١٥٥: قالوا: إذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم فأنّه يختصّ بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه واحتجّوا بقول الشاعر:

بنونا بنوا أبناءنا وبنائنا بنوهم أبناء الرجال الأباة

وقال البغدادي في خزنة الأدب ١ ص ٣٠٠: هذا البيت لا يُعرف قائله مع

١ - سورة النساء آية: ١١.

شهرته في كتب النحاة وغيرهم. قال العيني: هذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر، والفرضيون على دخول أبناء الأبناء في الميراث، وإنَّ الانتساب إلى الآباء، والفقهاء كذلك في الوصية، وأهل المعاني والبيان في التشبيه، ولم أر أحداً منهم عزاه إلى قائله.

وقال: رأيت في شرح الكرماني في شواهد شرح الكافية للخبیصي ^(١) أنه قال: هذا البيت قائله أبو فراس همام الفرزدق ابن غالب ^(٢) ثم ترجمه والله أعلم بحقيقة الحال. اهـ.

سبحانك اللهم ما أجرأهم على هذا الرأي - السياسي - في دين الله لإخراج آل الله عن نبوة رسول الله ﷺ؟ ما قيمة قول الشاعر تجاه قول الله تعالى: قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم؟ ^(٣) فهو نص صريح على أنَّ الحسين السبطين ابني النبي الأقدس.

وقد سَمَّى الله سبحانه أسباط نوح ذرية له وليست الذرية إلا ولد الرجل كما في القاموس ٢ ص ٣٤ فقال سبحانه: ومن ذريته داود وسليمان - إلى قوله - : و يحيى وعيسى ^(٤) فعَدَّ عيسى من ذريته نوح وهو ابن بنته مريم.

قال الرازي في تفسيره ٢ ص ٤٨٨: هذه الآية « يعني آية قل تعالوا » دالة على أنَّ الحسن والحسين عليهما السلام كانا ابني رسول الله ﷺ، وعد أن يدعو أبناءه فدعا الحسن والحسين فوجب أن يكونا إبنيه، ومَّا يُوَكِّد هذا قوله تعالى في سورة الأنعام: ومن ذريته داود وسليمان - إلى قوله - : وزكريا ويحيى وعيسى، ومعلوم أنَّ عيسى أُمَّا انتسب إلى إبراهيم عليه السلام لا الأب فثبت أنَّ ابن البنت قد يُسَمَّى إبناً والله أعلم.

وقال القرطبي في تفسيره ٤ ص ١٠٤: فيها « يعني آية تعالوا » دليل على أنَّ

١ - شمس الدين أبو بكر الخبيصي اسمي شرحه بالمرشح.

٢ - نسبه صاحب جامع الشاهد الى عمر في صفحة ٩١ فقال: هو من ابيات لعمر ابن الخطاب. وهذا أقرب الى ما يشاهد فيه من الامام بالسياسة.

٣ - سورة آل عمران آية ٦١.

٤ - سورة الانعام آية ٨٤، ٨٥.

أبناء البنات يسمون أبناءاً. وقال في ج ٧ ص ٣١. عُذَّ عيسى من ذرية إبراهيم و إنما هو ابن البنت، فأولاد فاطمة رضي الله عنها ذرية النبي ﷺ ، وبهذا تمسك من رأى: أنَّ ولد البنات يدخلون في اسم الولد. قال أبو حنيفة والشافعي: من وقف وقفاً على ولده وولد ولده أنه يدخل فيه ولد ولده وولد بناته ما تناسلوا. وكذلك إذا أوصى لقربته يدخل فيه ولد البنت، والقربة عند أبي حنيفة كل ذي رحم محرم. إلى أن قال:

وقال مالك: لا يدخل في ذلك ولد البنات، وقد تقدّم نحو هذا عن الشافعي ج ٤ ص ١٠٤ - والحجة لهما قوله سبحانه: يوصيكم الله في أولادكم. فلم يعقل المسلمون (١) من ظاهر الآية إلا ولد الصلب وولد الإبن خاصة. إلى أن قال: وقال ابن القصار. وحجة من أدخل البنات في الأقارب قوله ﷺ للحسن بن علي: إنَّ ابني هذا سيّد. ولا نعلم أحداً يمتنع أن يقول في ولد البنات لأهم ولد لأبي أمهم. و المعنى يقتضي ذلك لأنَّ الولد مشتق من التولد وهم متولدون عن أبي أمهم لا محالة، والتولد من جهة الأم كالتولد من جهة الأب، وقد دلَّ القرآن على ذلك، قال الله تعالى: ومن ذريته داود وسليمان. إلى قوله: من الصالحين فجعل عيسى من ذريته وهو ابن بنته. اهـ.

وأخرج ابن أبي حاتم بإسناده عن أبي حرب بن الأسود قال: أرسل الحجاج، إلى يحيى بن يعمر فقال: بلغني أنَّك تزعم أنَّ الحسن والحسين من ذرية النبي ﷺ تجده في كتاب؟ وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده. قال: أليس تقرأ سورة الأنعام: ومن ذريته داود وسليمان. حتّى بلغ: ويحيى وعيسى؟ قال بلى. قال: أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب؟ قال: صدقت. فلهذا إذا أوصى الرجل لذريته أو وقف على ذريته أو وهبهم دخل أولاد البنات فيهم. الخ. تفسير ابن كثير ٢ ص ١٥٥.

فبعد كون ذرية الرجل ولده على الإطلاق ودخل فيهم أولاد البنات لا ينبغي

١ - هذه فرية على المسلمين وحاشاهم أن يعقلوا من الآية خلاف ظاهرها من دون أي دليل صارف.

التفكيك في الأحكام عندئذ بين الذرية والأولاد، ولا يسع لأبي أحد أن يرى أبناء البنات أبناء الرجال الأبعد خارجين عن ولد الرجل على الحقيقة، ويصح له مع ذلك عدُّهم عن ذريته وليست إلا ولد الرجل.

ويشهد على لغة القرآن المجيد وأنَّ ولد البنت ابن أبيها على الحقيقة قول رسول الله ﷺ: أخبرني جبريل: أنَّ ابني هذا - يعني الحسين - يُقتل. وفي لفظ: إنَّ أمِّي ستقتل ابني هذا.

١ - طبقات ابن سعد، مستدرک الحاكم ٣: ١٧٧، اعلام النبوة للماوردي: ٨٣، ذخاير العقبي: ١٤٨، الصواعق: ١١٥.

٢ - وقوله: إِبْنِي هذا يُقتل بأرض من العراق.

دلائل النبوة لأبي نعيم ٣، ٢٠٢، ذخاير العقبي ص ١٤٦.

٣ - وقوله للحسن السبط: ابني هذا سيّد.

المستدرک ٣: ١٧٥، اعلام الماوردي ص ٨٣، تفسير ابن كثير ٣: ١٥٥.

٤ - وقوله لعلي: أنت أخي وأبو ولدي.

ذخاير العقبي ص ٦٦.

٥ - وقوله: إنَّ جبريل أخبرني أنَّ الله عزَّ وجلَّ قتل بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً وهو قاتل بدم ولدك الحسين سبعين ألفاً.

ذخاير العقبي ص ١٥٠

٦ - وقوله: المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدرّي.

ذخاير العقبي ص ١٣٦.

٧ - هذان إِبْنَايَ من أحبَّهما فقد أحبَّني: «الحسن والحسين»

المستدرک ٣: ١٦٦، تاريخ ابن عساكر ٤: ٢٠٤ كنز العمال ٦: ٢٢١.

٨ - وقوله لفاطمة الصديقة: ادعي لي إِبْنِي.

تاريخ ابن عساكر ٤: ٣١٦.

٩ - وقوله لأنس: ادع لي إِبْنِي.

تاريخ ابن كثير ٨: ٢٠٥.

١٠ - وقوله ادعوا إِبْنِي. فأتى الحسن بن علي.

ذخاير العقبي ص ١٢٢.

١١ - وقوله: اللَّهُمَّ إِنَّ هذا إِبْنِي - الحسن - وأنا أحبُّه فاحبِّه وأحبِّ من يحبُّه. تاريخ ابن عساكر ٤: ٢٠٣.

١٢ - وقوله لعلّي: أي شيء سمّيت إبنّي؟ قال: ما كنت لأسبقك بذلك، فقال: وما أنا السابق ربّي فهبط جبريل فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرئك السّلام ويقول لك: عليّ منك بمنزلة هارون من موسى لكن لا نبّيّ بعدك، فسمّ ابنك هذا باسم ولد هارون.

ذخاير العقبي ص ١٢٠.

١٣ - وقوله: أروني إبنّي ما سمّتموه. قاله لما ولد الحسن، وفي ولادة الحسين، وكذلك في ولادة محسن بن عليّ. المستدرک ٣: ١٨٠، كنز العمال ٧: ١٠٧، ١٠٨ عن الدار قطني، وأحمد، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن حبان، والدولابي، والبيهقي، والحاكم، والخطيب.

١٤ - وقوله: اطلبوا إبنّي. لما ضلّ الحسن والحسين.

كنز العمال ٧: ١٠٨.

١٥ - وقوله: إبنّي هذين ريحانتيّ من الدنيا. يعني الحسينين.

الصواعق، ١١٤، كنز العمال ٦: ٢٢٠، ج ٧: ١٠٩.

١٦ - وقوله: إبنّي إرتحلني.

أخرجه أحمد. والبغوي. والطبراني. والحاكم. والبيهقي. وسعيد بن منصور. وابن عساكر في تاريخه ٤: ٣١٧، وابن كثير في

تاريخه ٨: ٣٦، وراجع كنز العمال ٦: ٢٢٢، و ج ٧: ١٠٩.

١٧ - وقوله: هاتوا إبنّي أعوذهما بما عوّذ به إبراهيم إبنيه.

تاريخ ابن عساكر ٤: ٢٠٩.

١٨ - وقوله لأنس: ويحك يا أنس دع إبنّي وثمرة فؤادي - يعني الحسن - كنز العمال ٦: ٢٢٢.

١٩ - وقوله: إبنائي هذان: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.

الصواعق لابن حجر ص ١١٤.

٢٠ - وقوله في عليّ: هذا أخي وابن عمي وصهري وأبو ولدي.

كنز العمال ٦: ١٥٤.

٢١ - وقوله: سمّيت إبنّي هذين باسم إبنّي هارون شبّر وشبير.

الصواعق ص ١١٥ كنز العمال ٦: ٢٢٢.

٢٢ - وقوله: لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث

رجلاً من ولدي اسمه كاسمي. فقال سلمان: من أيّ ولدك يا رسول الله! قال: من ولدي هذا. وضرب بيده على الحسين. ذخاير العقبي ص ١٣٦.

٢٣ - وقول الحسن السبط سلام الله عليه في خطبة له: أنا الحسن بن علي، و أنا ابن النبيّ، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير. المستدرک ٣: ١٧٢، ذخاير العقبي ص ١٣٨ ١٤٠، شرح ابن أبي الحديد ٤: ١١، مجمع الزوائد ٩: ١٤٦، اتحاف الشبراوي ص ٥.

٢٤ - وقوله لأبي بكر وهو في منبر جدّه الأقدس: إنزل عن مجلس أبي فقال أبو بكر: صدقت إنّه مجلس أبيك. وفي لفظ: إنزل عن منبر أبي. فقال أبو بكر: منبر أبيك لا منبر أبي. الرياض النضرة ١، ١٣٩ شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧، الصواعق ص ١٠٨، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥٤، كنز العمال ٣: ١٣٢.

٢٥ - وقوله في وصيّته: ادفنوني عند أبي - يعني المصطفى -.

إتحاف الشبراوي ص ١١.

٢٦ - وقول الحسين السبط عليه السلام لعمر: إنزل عن منبر أبي. فقال عمر: منبر أبيك لا منبر أبي، من أمرك بهذا؟ تاريخ ابن عساكر ٤: ٣٢١.

٢٧ - وقول ابن عباس: هذان - الحسن والحسين - إنا رسول الله ﷺ. تاريخ ابن عساكر ٤: ٢١٢، ٣٢٢.

٢٨ - وقول زهير بن قين مخاطباً الحسين عليه السلام: قد سمعنا يا بن رسول الله مقاتلك. جمهرة خطب العرب ٢: ٤٠.

٢٩ - وقول الإمام السبط الحسن الزكيّ كما في الاتحاف للشبراوي ٤٩:

خـيـرة الله مـن الخـلق أبي	بعـد جـدي وأنا ابـن الخـيرتـين
فضـة قد صـيغت مـن ذهـب	فأنا الفضـة ابـن الـذهـبين

٣٠ - وقوله كما في الإتحاف ص ٥٧:

أنا ابن الذي قد تعلمون مكانه	وليس على الحقّ المبين طحاء
------------------------------	----------------------------

أليس رسول الله جدّي ووالدي أنا البدر إن حلّ النجوم خفاءً

٣١ - وقول الفرزدق في مدح الإمام السّجاد عليّ بن الحسين عليهما السّلام:

هذا ابن خير عباد الله كلّهم هذا التقيّ النقيّ الطاهر العلم

٣٢ - وقول ابن بشر في زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام يمدحه:

إذا نزل ابن المصطفى بطن تلعة نفى جدّها واخضرّ بالنبت عودها

وزيد ربيع الناس في كلّ شتوة إذا أخلفت أرافقها ورعودها

٣٣ - وقول أبي عاصم ابن حمزة الأسلمي يمدح الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام كما في زهر الآداب للحصري القيرواني ١ ص ٨٠:

ستأتي مدحتي الحسن بن زيد وتشهد لي بصقّين القبور

قبور لم تزل منذ غاب عنها أبو حسن تعاديهما الدهور

قبور لو بأحمد أو عليّ يلوذ مجيرها حمي المجير

هما أبواك من وضعها فضعه وأنت برفع من رفعها جدير

٣٤ - وقول ابراهيم بن علي بن هرمه لَمَّا نصحه الحسن بن زيد المذكور كما في زهر الآداب ١ ص ٨١.

نهاني ابن الرسول عن المدام وأدبني بآداب الكرام

٣٥ - وقول أبي تمام الطائي^(١):

فعلتم بأبناء النبيّ ورهطه أفاعيل أدناها الخيانة والغدر

٣٦ - وقول دعل الخزاعي:

فكيف ومن أنى بطالب زلفة إلى الله بعد الصّوم والصّلوات؟

سواحِبَ أبناء النبيّ ورهطه وبغض بني الزرقاء والعبلات

٣٧ - وقوله:

ألم يحزنك أنّ بني زياد أصابوا بالاتراث بني النبيّ

٣٨ - وقول الحِمّاني:

١ - راجع فيما يلي من الابيات تراجم شعرائها في أجزاء كتابنا هذا.

قَوِّمُ لِمَاءِ الْعَالِي فِي وَجْهِهِمْ
يَدْعُونَ أَحْمَدَ إِنْ عُدَّ الْفَخَارُ أَبًا
٣٩ - وقول التنوخي:

مَنْ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنُ وَصِيِّهِ
٤٠ - وقول الزاهي:

بَنُوا الْمَصْطَفَى تُفْنُونَ بِالسَّيْفِ عَنُوءَ
٤١ - وقول الناشي:

بَنِي أَحْمَدَ قَلْبِي بِكُمْ يَتَقَطَّعُ
٤٢ - وقول صاحب بن عباد:

مَا لِعَلِيِّ الْعَلِيِّ أَشْبَاهُ
مَبْنَاهُ مَبْنِي النَّبِيِّ تَعْرِفُهُ
٤٣ - وقوله:

أُجِزْ رَأْسُ ابْنِ النَّبِيِّ وَفِي الْوَرَى
٤٤ - وقوله:

بِحَمْدِ وَوَصِيِّهِ وَابْنَيْهِمَا
٤٥ - وقوله:

بِحَمْدِ وَوَصِيِّهِ وَابْنَيْهِمَا
٤٦ - وقول الصوري:

فَلْهَذَا أَبْنَاءُ أَحْمَدَ أَبْنَاءُ
٤٧ - وقول مهيار الديلمي:

بِأَيِّ حَكْمٍ بَنُوهُ يَتَّبَعُونَكُمْ
٤٨ - وقوله:

فِيَوْمِ السَّقِيفَةِ يَا بَنَ النَّبِيِّ
٤٩ - وقول ابن جابر:

جَعَلُوا لِأَبْنَاءِ الرَّسُولِ عَلَامَةً

عِنْدَ التَّكْرَمِ تَصَوِّبٌ وَتَصْغِيدُ
وَالْعَوْدُ يَنْسَبُ فِي أَفْنَاءِ الْعَوْدِ

إِلَى مَدْخَلٍ فِي عَقْبَةِ الدِّينِ نَاصِبٍ

وَيَسْلُمُنِي طَيْفُ الْمَجْزُوعِ فَأَهْجَعُ

بِمَثَلِ مَصَابِي فَيَكُمُ لَيْسَ يُسْمَعُ

وَلَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
وَأَبْنَاءُهُ عِنْدَ التَّفَاخُرِ إِبْنَاءُهُ

حَيُّ أَمَامَ رُكَابِهِ لَمْ يَقْتُلْ؟

وَبَعَابِدٍ وَبِإِقْرَيْنِ وَكَوَاطِمِ

الطَّاهِرِينَ وَسَيِّدِ الْعَبَادِ

عَلَيَّ طَرَايِدُ الْآفَاقِ

وَفَخْرُكُمْ أَنْتُمْ صَحْبٌ لَهُ تَبَعُ؟

طَرَّقَ يَوْمَكَ فِي كَرْبَلَا

إِنَّ الْعَلَامَةَ شَأْنُ مَنْ لَمْ يَشْهَرِ

٥٠ - وقال الشيراوي:

يا بن الرسول بأمك الزهر البتول وجلك المأمول عند الناس
وغدوت في الأشراف يا بن المصطفى كالعقل أو كالروح أو كالرأس
فما المبرر عندئذ للخليفة في صفحه عما في كتاب الله وسنة نبيه وتلقيه بالقبول قول الانصاري الشاذ عن الكتاب
والسنة؟ وما عذر فقيه أو حافظ إنَّخذ رأي الانصاري ديناً محتجاً بقول شاعر لم يُعرف بعد، وبين يديه القرآن والحديث
والأدب؟

- ٣ -

رأي الخليفة في قطع السارق

عن صفية بنت أبي عبيد: أنَّ رجلاً سرق على عهد أبي بكر رضي الله عنه مقطوعة يده ورجله فأراد أبو بكر رضي الله
عنه أن يقطع رجله ويدع يده يستطيب بها ويتطهر بها، ويتنفع بها، فقال عمر: لا والذي نفسي بيده لتقطعن يده الأخرى.
فأمر به أبو بكر رضي الله عنه فقطعت يده.
وعن القاسم بن محمد: أنَّ أبا بكر رضي الله عنه أراد أن يقطع رجلاً بعد اليد والرجل فقال عمر رضي الله عنه: السنة
اليد (١).

إنَّ من موارد الحيرة أنَّ الخليفة لا يعلم حدَّ السارق الذي هو من أهمِّ ما تحب عليه معرفته لحفظ الأمن العام، وتهدأة
الحالة، وقطع جرثومة الفساد، ومن المحيِّر أيضاً تسرعه إلى الحكم قبل ما عزي إليه فيما مرَّ ص ١١٩ من الرجوع إلى الكتاب
والسنة ثمَّ الإستعلام من الصحابة ثمَّ المشورة.
ثمَّ إنَّ الذي سدَّده في هذا القضية لم نسي الحكم أبان خلافته فأراد عين ما أراده صاحبه. راجع الجزء السادس ص ١٣٦
ط ٢.

- ٤ -

رأي الخليفة في الجدِّ

عن ابن عباس وعثمان وأبي سعيد وابن الزبير قالوا: إنَّ أبا بكر جعل الجدَّ

١ - سنن البيهقي ٨ ص ٢٧٣، ٢٧٤.

أباً^(١) يعنون أنه كان يعجب الأخوة بالجدِّ ولم يشرك بينهما كما أنَّ الأب يحجب الأخوة والأخوات.

قال الأُميني: لم يكن رأي الخليفة هذا متّخذاً من الكتاب والسنة، ولم يكن يعمل به أحدٌ من الصحابة طيلة حياته، وما اتَّفَق لجدِّ يرث في أيَّامه حتى يؤيِّد رأيه ويقال: إنَّ أحداً من الصحابة لم يخالف أباً بكر في حياته في رأيه هذا كما قاله البخاري والقرطبي^(٢) وأوَّل جدِّ كان في الإسلام فأراد أن يأخذ المال كلّ مال ابن ابنه دون اخوته هو عمر بن الخطاب فأتاه عليٌّ وزيد فقالا: ليس لك ذلك إنّما كنت كأحد الأخوين، وقد فصلنا القول فيه في الجزء السادس ص ٢١٥ - ٢١٨ ط ٢ فأوَّل رجل خالف الخليفة في الجدِّ هو خليفته بعده، وقد اتَّفَق عليٌّ وعمر وعثمان وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وابن مسعود على خلاف الخليفة على توريث الأخوة مع الجدِّ^(٣) وهو قول مالك والأوزاعي وأبي يوسف ومحمد والشافعي وابن أبي ليلى^(٤).

وافعل القوم للخليفة عذراً بأنّه كان يرى الجدَّ أباً لمكان قوله تعالى: ملّة أبيكم إبراهيم. وقوله: يا بني آدم بتقرير إطلاق الأب على الجدِّ على الحقيقة. و لا يخفي على أيّ أحد أنّ صحّة هذا الإطلاق لا توجب اتّحاد الأب والجدِّ في جميع الأحكام، ألا ترى إنّ صحّة إطلاق الأمّ على الجدّة على الحقيقة وقولهم في تعريف الجدّة: إنّها الأمّ العليا^(٥) لا تستدعي الاشتراك في النصيب فيرون مع هذه للجدّة السدس بالاتّفاق. وفريضة الأمّ هي الثلث بالكتاب والسنة. على أنّ الصحابة الأوّلين لم يكن عندهم أيّ إيعاز إلى هذا العذر المنحوت، ولو كانت لرأي الخليفة قيمةً وكرامةً لأباحه أحدٌ منهم، وفاته به عندما خالف عليٌّ وزيد عمر بن الخطاب ونهياه عن إعمال هذا الرأي.

-
- ١ - صحيح البخارى باب ميراث الجدّ، سنن الدارمى ٢ ص ٣٥٢، احكام القرآن للجصاص ١ ص ٩٤، سنن البيهقى ٦ ص ٢٤٦ تأريخ الخلفاء للسيوطى ص ٦٥.
 - ٢ - راجع صحيح البخارى باب ميراث الجدّ. وتفسير القرطبي ٥ ص ٦٨.
 - ٣ - صحيح البخارى باب ميراث الجدّ. سنن الدارمى ٢ ص ٣٥٤، بداية المجتهد ٢ ص ٣٤٠.
 - ٤ - احكام القرآن للجصاص ١ ص ٩٤، تفسير القرطبي ٥ ص ٦٨.
 - ٥ - تفسير القرطبي ٥ ص ٦٨.

بل فيما رواه الدارمي عن الحسن من أنَّ الجدَّ قد مضت سنَّته، وإنَّ أبا بكر جعل الجدَّ أباً، ولكن الناس تحيَّروا^(١) ايعازُ إلى أنَّ السنَّة في الجدِّ ماضيةٌ ثابتةٌ وقد خالفها الخليفة، وتخيَّر الناس فخالفوه وعملوا بالسنَّة الشريفة.

- ٥ -

رأي الخليفة في تولية المفضل

قال الحلبي في السيرة النبويَّة ٣ ص ٣٨٦: إنَّ أبا بكر رضي الله عنه كان يرى جواز تولية المفضل على من هو أفضل منه وهو الحقُّ عند أهل السنَّة لأنَّه قد يكون أقدر من الأفضل على القيام بمصالح الدين، وأعرف بتدبير الأمر، وما فيه انتظام حال الرعيَّة.

أجاب الحلبي بهذا عن تقديم أبي بكر عمر بن الخطاب وأبا عبيدة الجراح على نفسه في الخلافة وقوله: بايعوا أيَّ الرجلين إن شئتم.

وقال الباقلاني في التمهيد ص ١٩٥ عند الجواب عن قول أبي بكر: وليتكم و لست بخيركم: يمكن أن يكون قد اعتقد أنَّ في الأُمَّة أفضل منه إلَّا أنَّ الكلمة عليه أجمع والأُمَّة بنظره أصلح، لكي يدلِّهم على جواز إمامة المفضل عن عارض يمنع من نصب الفاضل، ولهذا قال للأَنْصار وغيرهم: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أحدهما: عمر بن الخطاب وأبا عبيدة الجراح، وهو يعلم أنَّ أبا عبيدة دونه و دون عثمان وعليٍّ في الفضل، غير أنَّه قد رأى أنَّ الكلمة تجتمع عليه، وتنحسم الفتنة بنظره. وهذا أيضاً ممَّا لا جواب لهم عنه.

قال الأُميني: الذي نرتأيه في الخلافة أنَّها إمرةٌ إلهيَّةٌ كالنبوَّة، وإن كان الرسول حُصَّ بالتشريع والوحي الإلهي، وشأن الخليفة التبليغ والبيان، وتفصيل المجمع. وتفسير المعضل، وتطبيق الكلمات بمصاديقها، والقتال دون التأويل^(٢) كما

١ - سنن الدارمي ٢ ص ٣٥٣.

٢ - وبهذا عرّف النبي صلى الله عليه و آله مولانا امير المؤمنين بقوله: انَّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟! قال: لا قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟! قال: لا ولكن خاصف النعل، وكان أعطى علياً نعله يخصفها. اخرجته جمع من الحفاظ وصححه الحاكم والذهبي والهيثمى كما يأتي تفصيله.

يُقاتل النبيُّ دون التنزيل، واطهار ما لم يتسنَّ للنبيِّ الاشادة به إمَّا لتأخُّر ظرفه، أو لعدم تهيأ النفوس له، أو لغير ذلك من العلل، فكلُّ منهما داخلٌ في اللطف الآلهيِّ الواجب عليه بمعنى تقريب العباد إلى الطاعة وتبعيدهم عن المعصية، ولذلك خلَقهم و استعبدهم وعَلَّمهم ما لم يعلموا، فلم يدع البشر كالبهائم ليأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل.

ولكن خلَقهم ليعرفوه، وليمكِّنهم من الحصول على مرضاته، وسهَّل لهم الطريق إلى ذلك ببعث الرسل، وإنزال الكتب، وتواصل الوحي في الفينة بعد الفينة، وبما أنَّ أيَّ نبيٍّ لم يُنطِ عمره بمنصرم الدنيا، ولا قُدِّر له البقاء مع الأبد، وللشرايع ظروفٌ مديدة، كما أنَّ للشرعية الخاتمة أمدٌ لا ينتهي له، فاذا مات الرسول ولشريعته إحدى المدَّتين وفي كلِّ منهما نفوسٌ لم تكمل بعد، وأحكامٌ لم تُبلِّغ وإن كانت مشرَّعة، وأخرى لم تأت ظروفها، وموَاليد قُدِّر تأخير تكوينها، ليس من المعقول بعد أن تترك الأُمَّة سُدى والحالة هذه، والناس كلُّهم في شمول ذلك اللطف والواجب عليه سبحانه شرع سواء، فيجب عليه جلَّت عظمتُه أن يقيِّض لهم مَنْ يكمل الشريعة ببيانه، ويزيح شبه الملحدين ببرهانه، ويجلو ظلم الجهل بعرفانه، ويدرع عن الدين عادية أعدائه بسيفه وسانه، ويقيم الأمت والعوج بيده ولسانه.

ومهما كان للمولى جلَّت مننه عناية بعبده، وقد ألزم نفسه باسداء البرِّ إليهم، وأن لا يوليَّهم إلَّا الخير والسعادة، فعليه أن يختار لهم مَنْ ينوء بذلك العبأ الثقيل ويمثِّل محلَّفه الرسول في الوظائف كُلِّها، فينصَّ عليه بلسان ذلك النبيِّ المبعوث ولا يجوز أن يخلي سربهم، ويتركهم سُدى، ألا ترى أنَّ عبد الله بن عمر قال لأبيه: إنَّ الناس يتحدَّثون إنَّك غير مستخلف، ولو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثمَّ جاء وترك رعيته رأيت أن قد فرط - لرأيت أن قد ضيَّع - ورعية الناس أشدُّ من رعية الابل والغنم، ماذا تقول لله عزَّ وجلَّ إذ لقيته ولم تستخلف على عبادِه؟^(١)

وقالت عائشة لابن عمر: يا بنيِّ ابلغ سلامي وقل له: لا تدع أُمَّه محمَّد بلا

١ - سنن البيهقي ٨ ص ١٤٩ عن صحيح مسلم، سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٩٠، الرياض النضرة ٢ ص ٧٤، حلية الاولياء ١ ص ٤٤، فتح الباري ١٣: ١٧٥ عن مسلم.

راعٍ، إستخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملًا، فإنِّي أخشى عليهم الفتنة ^(١) فترك الناس مهملين فيه خشية الفتنة عليهم. وقال عبد الله بن عمر لأبيه: لو استخلفت؟ قال: من؟ قال: تجتهد فإنَّك لست لهم برَبٍّ، تجتهد، أَرَأَيْتَ لو أنَّك بعثت إلى قِيَمِ أرضك ألم تكن تحبُّ أن يستخلف مكانه حتى يرجع إلى الأرض؟ قال: بلى. قال: أَرَأَيْتَ لو بعثت إلى راعي غنمك ألم تكن تحبُّ أن يستخلف رجلاً حتى يرجع؟ ^(٢).

م وهذا معاوية بن أبي سفيان يتمسِّك بهذا الحكم العقليِّ المسلم في استخلاف يزيد ويقول: إنِّي أُرهب أن أدع أُمَّة مُحَمَّدٍ بعدي كالضأن لا راعي لها ^(٣).

ليت شعري هذا الدليل العقليُّ المتسالم عليه لم أهملته الأُمَّة في استخلاف النبيِّ الأعظم وأهمته بالصفح عنه؟ أنا لا أدري. ولا يجوز أيضاً توكل الأمر إلى أفراد الأُمَّة، أو إلى أهل الحلِّ والعقد منهم لأنَّ ممَّا أوجبه العقل السليم أن يكون الإمام مكتنفًا بشرايط بعضها من النفسانيَّات - الخفيَّة الملكات التي لا يعلمها إلَّا العالم بالسرائر ^(٤) كالعصمة والقداسة والروحانيَّة، والنزاهة النفسيَّة لتبعده عن الأهواء والشهوات، والعلم الذي لا يضلُّ معه في شيء من الأحكام إلى كثير من الأوصاف التي تقوم بها النفس، ولا يظهر في الخارج منها إلَّا جزئيَّات من المستصعب الحكم باستقراءها على ثبوت كليَّاتها، ورُبُّك يعلم ما تكفُّ صدورهم وما يعلنون. (سورة القصص ٦٩) والله يعلم حيث يجعل رسالته.

فالأُمَّة المنكفي علمها عن الغيوب لا يمكنها تشخيص من تحلَّى بتلك الصفات فالغالب على خيرتها الخطأ، فإذا كان نبيُّ كموسى على نبيِّنا وآله وإِلهِهِ تكون وليدة اختياره من الآلاف المؤلَّفة سبعين رجلاً، وأنهم لَمَّا بلغوا الميقات قالوا: أرنا الله جهرة؟ فما ظنُّك بأفراد عاديِّين واختيارهم، وأناس مادِّيِّين وانتخابهم، وما عساهم أن ينتخبوا غير أمثالهم ممَّن هو وإِياهم سواسية كأَسنان المشط في الحاجة إلى المسدِّد،

١ - الامامة والسياسة ١ ص ٢٢.

٢ - طبقات ابن سعد ٣ ص ٢٤٩.

٣ - تاريخ الطبري ٦: ١٧٠، الامامة والسياسة ١: ١٥١.

٤ - وقد اشبعنا القول في البرهنة على لزوم هذه الملكات الفاضلة في الامامة في غير هذا المورد.

وليس من المأمون أن يقع انتخابهم على عاث، أو يكون إلتئائهم بمشاغب، أو يكون إنثيالهم وراء من يسرُّ على الأُمَّة حسواً في ارتغاء^(١) أو يقع اختيارهم على جاهل يرتبك في الأحكام فيرتكب العظام، ويأتي بالجرائم، ويقترب المآثم وهو لا يعلم، أو يعلم ولا يكثرث لأن يقول زوراً، ويحكم غروراً، فيفسدوا من حيث أرادوا أن يصلحوا، و يقعوا في الهلكة وهم لا يشعرون، كما وقعت أمثال ذلك في البيعة لمعاوية ويزيد وخلفاء الأمويين.

فعلى البارئ الرؤف الذي يكره كلَّ ذلك في خلقه أن لا يجعل لأحد من خلقه الخيرة فيها وقد خلقه ظلوماً جهولاً^(٢) ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير^(٣)، ورثك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة في الأمر^(٤) وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّلاً مبيناً.

(الأحزاب ٣٦).

وقد أخبر به النبي الأعظم من أوّل يومه يوم عرض نفسه على القبائل فبلغ بني عامر بن صعصعة ودعاهم إلى الله فقال له قائلهم: رأيت إن نحن تابعنك على أمرك ثمّ أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: إنّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء^(٥).

أنيّ تسوغ أن تكون للخلق خيرة في الأمر مع شيوع الغايات والأغراض والدعاوي والميول والشهوات في الناس حول الإنتخاب، مع اختلاف الأنظار وتضارب الآراء والمعتقدات في تحليل نفسيّات الرجال والشخصيّات البارزة، مع كثرة الأحزاب والفرق والأقوام والطوائف المتشاكسة، مع شقاق القوميّة والطائفيّة والشعوبيّة الذائع الشائع في المسكين ابن آدم من أوّل يومه.

١ - مثل يضرب لم يظهر امرا ويريد غيره - تاج العروس. ١ ص ١٥٣.

٢ - راجع الاحزاب: ٧٢.

٣ - سورة الملك آية ١٤.

٤ - سورة القصص آية ٦٧.

٥ - سيرة ابن هشام ٢ ص ٣٢، الروض الانف ١ ص ٢٦٤، بهجة المحافل لعماد الدين العامري ١: ١٢٨، السيرة الحلبية ٢ ص ٣، سيرة زبني دحلان

١ ص ٣٠٢ هامش الحلبية، حياة محمد لهيكل ص ١٥٢.

وقد اقترن الإنتخاب من بدء بدءه بالتحارش والتلاكم والتكالم والتشازر و التصاخب والتخاصم حتى قُذَّت برودِّ يمانِيَّة (١) ووقع البرج براحاً (٢) وكم بالإنتخاب هُتكت حرمت؟ وأُهيئت مقدَّسات، وأُضيعت حقايق، ودُحض الحقُّ الثابت، و دُحس الصالح العالم، واختلَّ الوئام، وأُقلق السَّلام، وسُفحت دماء زكِّيَّة، و تشلَّشلت اشلاء الإسلام الصحيح، فجاء يطمع في الأمر من لا خلاق له من سوقِي بُردِي، أو ميرطش أهاه الصفق بالأسواق، أو بزاز يحمل بني أبيه على رقاب الناس، أو حقَّار قبور لا يعرف عرضه من طوله، أو طليق غاشم، أو خمار سَكِّير، أو مستهتر مشاغب، من الذين اتَّخذوا عباد الله خولاً، ومال الله نحلاً، وكتاب الله دغلاً. ودين الله حولاً.

ومقتضى هذا البيان الضافي أن يكون الخليفة أفضل الخليفة أجمع في أمته لأَنَّهُ لو كان في وقته من يماثله في الفضيلة أو من ينيف عليه إستلزم تعيينه الترجيح بلا مرجح أو التطفيف في كفة الرجحان.

على أنَّ الامام لو قصر في شيء من تلك الصفات لأمكن حصول حاجته إلى المورد الذي نبأ عنه علمه، أو تضائلت عنه بصيرته، أو ضعفت عنه مُنتته، فعندئذ الطامَّة الكبرى من الفتيا المجرَّدة، والرأي لا عن دليل، أو الأخذ عمَّن يسدِّده، وفي الأوَّل العيث والفشل، وفي الثاني سقوط المكانة، وقد أخذ في الإمام مثل النبي أن يكون بحيث يُطاع، وما أرسلنا من رسول إلَّا ليطاع بإذن الله (٣) وقرنت طاعة الإمام بطاعة الله ورسوله في قوله تعالى: أطيعوا الله وأطيعوا الرِّسول وأولي الأمر منكم (٤) وذلك ليتمكن إقامة الحدود الالهية، ودحض الأباطيل وربما تسرَّبت الشبهة عن جهله إلى نفس الدعوة وحقيقة الدين إن كان عميده الداعي اليه يقصر عن الدفاع عنه وإزاحة الشكوك المتوجَّهة إليه.

فكلُّ هذا يستدعي كماله في الصفات الكمالية كلَّها فيفضل على الأُمَّة جمعاء،

١ - مثل يضرب في شدة الخصومة، اى تخاصموا حتى تشاقوا الثياب الغالية.

٢ - البرج: الشدة والاذى والشر، والبراح: الصر / ح البين.

٣ - سورة النساء آية: ٦٤.

٤ - سورة النساء آية ٥٩.

قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون (١) قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور (٢) أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع آمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون (٣).

الخلافة عند القوم

نعم الخلافة التي تقول بها الجماعة لا تستدعي كل ما ذكرنا فأنهم يحسبون الخليفة أي مستحوذ على الأمة يقطع السارق، ويقتصم القاتل، ويكأ الثغور، ويحفظ الأمن العام إلى ما يشبه هذه ولا يخلع بفسق، ولا ينتقد بفاحشة مبينة، ولا يُعاب بجهل، ولا يُؤاخذ بعثرة، ولا يُشترط فيه أي من الملكات الكريمة، وله العتبى في كل ذلك، وليس عليه من عتب.

كلمة الباقلاني

قال الباقلاني في التمهيد ص ١٨١: باب الكلام في صفة الإمام الذي يلزم العقد له. فإن قال قائل: فخيرونا ما صفة الامام المعقود له عندكم؟ قيل لهم: يجب أن يكون على أوصاف: منها أن يكون قرشياً من الصميم، ومنها: أن يكون من العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين، ومنها: أن يكون ذا بصيرة بأمر الحرب، وتدبير الجيوش والسرايا، وسد الثغور، وحماية البيضة وحفظ الأمة، والانتقام من ظالمها، والأخذ لمظلومها، وما يتعلق به من مصالحها.

ومنها: أن يكون ممن لا تلحقه رقة ولا هودة في إقامة الحدود ولا جزع لضرب الرقاب والأبشار. ومنها: أن يكون من أمثلهم في العلم وسائر هذه الأبواب التي يمكن التفاضل فيها، إلا أن يمنع عارض من إقامة الأفضل فيسوغ نصب المفضل، وليس من صفاته أن يكون معصوماً، ولا عالماً بالغيب، ولا أفرس الأمة وأشجعهم، ولا أن يكون من بني هاشم فقط دون غيرهم من قبائل قريش.

وقال في صفحة ١٨٥: فإن قالوا: فهل تحتاج الأمة إلى علم الإمام وبيان شيء

١ - سورة الزمر آية ٩.

٢ - سورة الرعد آية ١٦.

٣ - سورة يونس آية ١٣٥.

خُصَّ به دونهم، وكشف ما ذهب علمه عنهم؟ قيل لهم: لا؟ لأنَّه هو وهم في علم الشريعة وحكمها سيَّان. فإن قالوا: فلماذا يُقام الإمام؟ قيل لهم: لأجل ما ذكرناه من قبل من تدبير الجيوش، وسدِّ الثغور، وردع الظالم، والأخذ للمظلوم، وإقامة الحدود، وقسم الفيء بين المسلمين والدفع بهم في حجَّهم وغزوهم، فهذا الذي يليه و يُقام لأجله، فإن غلط في شيء منه، أو عدل به عن موضعه كانت الأُمَّة من ورائه لتقويمه والأخذ له بواجبه.

وقال في ص ١٨٦: قال الجمهور من أهل الاثبات وأصحاب الحديث: لا ينخلع الامام « بفسقه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأَبشار، وتناول النفوس الحرَّمة، و تضييع الحقوق، وتعطيل الحدود » ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويله و ترك طاعته في شيء ممَّا يدعو إليه من معاصي الله، واحتجَّوا في ذلك بأخبار كثيرة متظافرة عن النبي ﷺ وعن الصَّحابة في وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا واستأثروا بالأموال، وأنَّه قال ﷺ: « إسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجده، ولو لعبد حبشي، وصلُّوا وراء كلِّ برٍّ وفاجر. وروي أنَّه قال: أطعمهم وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك، وأطيعوهم ما أقاموا الصَّلَاة. في أخبار كثيرة وردت في هذا الباب وقد ذكرنا ما في هذا الباب في كتاب « إكفار المتأوِّلين » وذكرنا ما روي في معارضتها وقلنا في تأويلها بما يغني الناظر فيه إن شاء الله.

وقال في ١٨٦: وليس ممَّا يوجب خلع الامام حدوث فضل في غيره ويصير به أفضل منه، وإن كان لو حصل مفضولاً عند ابتداء العقد لوجب العدول عنه إلى الفاضل، لأنَّ تزايد الفضل في غيره ليس بحدث منه في الدين، ولا في نفسه يوجب خلعه، و مثل هذا ما حكيناه عن أصحابنا أنَّ حدوث الفسق في الإمام بعد العقد له لا يوجب خلعه، وإن كان ما لو حدث فيه عند ابتداء العقد لبطل العقد له ووجب العدول.

قال الأُميني: وممَّا أو عز إليه الباقلاني من الأخبار الكثيرة الدالَّة على وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا واستأثروا بالأموال ولا ينعزل الإمام بالفسق ما يلي.

١ - عن حذيفة بن اليمان قال: قلت يا رسول الله! إنَّا كنَّا بشرٍّ فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرٌّ؟ قال: نعم. قلت: وهل وراء هذا الشرِّ

خير؟ قال نعم: قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: نعم. قلت: كيف يكون؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجالٌ قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس. قلت: كيف أصنع يا رسول الله! إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع.

صحيح مسلم ٢ ص ١١٩، سنن البيهقي ٨: ١٥٧.

٢ - عن عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خيار أئمتكم الذين تحببهم ويحبونكم وتصلون عليهم يصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قال: قلنا: يا رسول الله! أفلا نناذبهم عند ذلك؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا ومن ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا تنزع يداً من طاعة.

صحيح مسلم ٢ ص ١٢٢، سنن البيهقي ٨: ١٥٩.

٣ - سأل سلمة بن يزيد الجعفي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا؟ قال: فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم سأله فقال: إسمعوا وأطيعوا فأنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم.

صحيح مسلم ٢ ص ١١٩، سنن البيهقي ٨: ١٥٨.

٤ - عن المقدم: أن رسول الله ﷺ قال: أطيعوا أمراءكم ما كان، فإن أمروكم بما حدتكم به؟ فأنهم يؤجرون عليه وتؤجرون بطاعتكم، وإن أمروكم بشيء مما لم أمركم به فهو عليهم وأنتم منه براء، ذلك بأنكم إذا لقيتهم الله قلتم: ربنا لا ظلم. فيقولون: ربنا أرسلت إلينا رسلاً فأطعناهم باذنك. واستخلفت علينا خلفاء (*) فأطعناهم باذنك. وأمّرت علينا أمراء فأطعناهم. قال: فيقول: صدقتم هو عليهم وأنتم منه براء. سنن البيهقي ٨ ص ١٥٩.

٥ - عن سويد بن غفلة قال: قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أبا أمية لعلك أن تخلف بعدي، فأطع الامام وإن كان عبداً حبشياً، إن ضربك فاصبر، وإن

١ - هذا افتراء على الله، ان الله قطّ لم يستخلف ولم يأمر على الامة اولئك الخلفاء والامراء وانما هم خيرة امتهم، والشكر والعتب عليها مهما صلحوا أو جاروا.

أمرك بأمر فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن ظلمك فاصبر، وإن أمرك بأمر ينقص دينك فقل: سمع وطاعة، دمي دون ديني^(١).

وأخذاً بهذه الأحاديث قال الجمهور بعدم عزل الإمام بالفسق قال النووي في شرح مسلم هامش إرشاد الساري ٨: ٣٦ في ذيل هذه الأحاديث المذكورة عن صحيح مسلم: ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاية الأمور في ولايتهم، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً مُحَقَّقاً تعلمونه من قواعد اسلام فإذا رأيتم ذلك فانكروه عليهم، وقولوا بالحق حيثما كنتم، وأمّا الخروج عليهم وقتالهم فحرّامٌ باجماع المسلمين وإن كانوا فسقةً ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنّه لا ينزل السلطان بالفسق - إلى أن قال: فلو طرأ على الخليفة فسقٌ قال بعضهم: يجب خلعه إلا أن تترتب عليه فتنةٌ وحربٌ، وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع، ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخفيفه.

قال الأميني: فما عذر عائشة وطلحة والزبير ومن تبعهم من الناكثين والمارقين في الخروج على مولانا أمير المؤمنين؟ هبه صلوات الله عليه آوى قتلة عثمان، وعطل الحدود « معاذ الله » فأين العمل بهذه الأحاديث التي أخذتها الأمة المسكينة سنة ثابتة مشروعة: أنا لا أدري.

كلمة التفتازاني

وقال التفتازاني في شرح المقاصد ٢: ٧١: ولا يشترط أن يكون « الامام » هاشمياً ولا معصوماً ولا أفضل من يؤلى عليهم.

وقال في ص ٢٧٢: إذا مات الإمام وتصدى للامامة من يستجمع شرائطها من غير بيعة واستخلاف وقهر الناس بشوكة انعقدت له الخلافة له، وكذا إذا كان فاسقاً أو جاهلاً على الأظهر إلا أنّه يُعصى فيما فعل ويجب طاعة الإمام ما لم يخالف حكم الشرع سواء كان عادلاً أو جائراً.

١ - سنن البيهقي ٨: ١٥٩.

كلمة القاضي الايجي^(١)

قال في المواقف: الجمهور على أنّ أهل الإمامة مجتهدٌ في الأصول والفروع ليقوم بأمور الدين، ذو رأي ليقوم بأمور الملك، شجاع ليقوى على الذبّ عن الحوزة وقيل: لا يشترط هذه الصفات لأنّها لا توجد فيكون اشتراطها عبثاً أو تكليفاً بما لا يطاق ومستلزماً للمفاسد التي يمكن دفعها بنصب فاقدها.

نعم: يجب أن يكون عدلاً لئلا يجوز. عاقلاً ليصلح للتصرفات. بالغاً لقصور عقل الصبي. ذكراً إذ النساء ناقصات عقل ودين. حرّاً لئلا يشغله خدمة السيّد، ولئلا يُحتقر فيعصى، فهذه الصفات مشروطٌ بالإجماع. وها هنا صفاتٌ في اشتراطها خلافٌ، الأولى أن يكون قرشياً. الثانية: أن يكون هاشمياً، شرطه الشيعة. الثالثة: أن يكون عالماً بجميع مسائل الدين، وقد شرطه الإمامية الرابعة: ظهور المعجزة على يده إذ به يعلم صدقه في دعوى الامامة، والعصمة وبه قال الغلاة. ويطل الثالثة: أنّ ندلاً على خلافة أبي بكر ولا يجب له شيءٌ ممّا ذكر^(٢) الخامسة: أن يكون معصوماً اشتراطه الإمامية والاسماعيلية، و يطله: أنّ أبا بكر لا يجب عصمته اتفاقاً^(٣).

كلمة أبي الشاء^(٤)

قال في مطالع الأنظار ص ٤٧٠: صفات الأئمة هي تسع. الأولى: أن يكون الإمام مجتهداً في أصول الدين وفروعه. الثانية أن يكون ذا رأي وتدبير، يدير الوقائع، أمر الحرب والسلم وسائر الأمور السياسيّة. الثالثة: أن يكون شجاعاً قوياً القلب لا يجبن عن القيام بالحرب، ولا يضعف قلبه عن إقامة الحدّ ولا يتهور بالقاء النفوس في التهلكة. وجمعٌ تساهلوا في الصفات الثلاث وقالوا: إذا لم يكن الإمام متّصفاً بالصفات الثلاث ينيب من كان موصوفاً بها.

١ - امام الشافعية القاضي عبد الرحمن الايجي المتوفى ٧٥٦.

٢ - دليل يضحك الثكلى لانه لا بعدهه أن يكون مصادرة بالمطلوب، وأخذ المدعى دليلاً.

٣ - اقرأ واضحك أو اعطفه على ما قبله.

٤ - شمس الدين بن محمود الاصبهاني المتوفى ٧٤٩.

الرابعة: أن يكون الامام عدلاً لأنّه متصرّف في رقاب الناس وأموالهم وأبضاعهم فلو لم يكن عدلاً لا يؤمن تعدّيه. إلخ.
الخامسة: العقل. السادسة. البلوغ. السابعة: الذكورة. الثامنة: الحرية التاسعة: أن يكون قرشياً.
ولا يشترط فيه العصمة خلافاً للاسماعيلية والاثنى عشرية. لنا إمامة أبي بكر ^(١). والأمة اجتمعت على كونه غير واجب العصمة، لا أقول إنّه غير معصوم.

ما تنعقد به الإمامة

قال القاضي عضد الايجي في المواقف: المقصد الثالث فيما تثبت به الإمامة: إنّها تثبت بالنصّ من الرّسول، ومن الامام السابق بالاجماع، وتثبت ببيعة أهل الحلّ والعقد خلافاً للشيعة: لنا ثبوت إمامة أبي بكر رضي الله عنه بالبيعة ^(٢). وقال: إذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة، فاعلم أنّ ذلك لا يفتقر إلى الاجماع ^(٣) إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع بل الواحد والإثنان من أهل الحلّ والعقد كاف لعلنا أنّ الصحابة مع صلابتهم في الدين اكتفوا بذلك كعقد عمر لأبي بكر، وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان، ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلاً عن اجماع الأمة. هذا ولم ينكر عليهم أحد، وعليه انطوت الأعصار إلى وقتنا هذا.
وقال بعض الأصحاب: يجب كون ذلك بمشهد بيّنة عادلة كفّاً للخصام في إدعاء من يزعم عقد الإمامة له سرّاً قبل من عقد له جهراً، وهذا من المسائل الاجتهادية.
ثمّ إذا اتّفق التعدد تفحص عن المتقدّم فأمضي، ولو أصرّ الآخر فهو من البغاة، ولا يجوز العقد لإمامين في صقع متضايق الأقطار، أمّا في متّسعتها بحيث لا يسع الواحد تدبيره فهو محلّ الإجتهد.
انتهى ما في المواقف وقد أقرّه شراحه وهم: السيد الشريف الجرجاني، والمولى حسن چلبي، والشيخ مسعود الشيرواني راجع شرح المواقف ٣: ٢٦٥ - ٧.

١ - ما اتقنها من برهنة ويا للعجب.

٢ - انظر الى هذا النول الذي تشابهوا في النسخ عليه.

٣ - قال السيد الشريف الجرجاني: يعني من جميع اهل الحلّ والعقد.

كلمة الماوردي

وقال الماوردي في الأحكام السلطانية ص ٤: اختلفت العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتى فقالت طائفة: لا تنعقد إلا بجمهور أهل العقد والحل من كل بلد ليكون الرضاء به عاماً، والتسليم لإمامته اجماعاً، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر رضي الله عنه على الخلافة باختيار من حضرها ولم ينتظربيعة قدوم غائب عنها. وقالت طائفة أخرى: أقل من تنعقد به منهم الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقد ها أحدهم برضى الأربعة استدلالاً بأمرين: أحدهما: أن بيعة أبي بكر رضي الله عنه إنعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثم تابعهم الناس فيها، وهم عمر بن الخطاب. وأبو عبيدة ابن الجراح. وأسيد بن حضير. وبشر بن سعد وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم. الثاني: أن عمر رضي الله عنه جعل الشورى في سنة ليعقد لأحدهم برضى الخمسة وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة. وقال آخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثة يتولّاها أحدهم برضى الاثنين ليكونوا حاكماً وشاهدين كما يصح عقد النكاح بولي وشاهدين.

وقالت طائفة أخرى: تنعقد بواحد لأن العباس قال لعلي رضي الله عنهما: امدد يدك أبايعك فيقول الناس: عم رسول الله بايع ابن عمه فلا يختلف عليك إثنان ولأنه حكم وحكم الواحد نافذ. اهـ.

م كلمة الجويني

قال إمام الحرمين الجويني المتوفى ٤٧٨ في « الارشاد » ص ٤٢٤: باب في الإختيار وصفته وذكر ما تنعقد الإمامة به. أعلموا أنه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع، بل تنعقد الامامة وإن لم تجمع الأمة على عقدها، والدليل عليه أن الإمامة لما عقدت لأبي بكر ابتدر لإمضاء أحكام المسلمين، ولم يتأنّ لانتشار الأخبار إلى من نأى من الصحابة في الأقطار، ولم ينكر عليه منكر، ولم يحمله على التريث حامل، فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة لم يثبت عدد معدود، ولا حد محدود، فالوجه الحكم بأن الإمامة تنعقد

بعقد واحد من أهل الحلّ والعقد.

ثمّ قال بعض أصحابنا: لا بدّ من جريان العقد بمشهد من الشهود، فإنّه لو لم يشترط ذلك لم نأمن أن يدّعي مدّع عقداً سرّاً متقدّماً على الحقّ المظهر المعلن. وليست الإمامة أحطّ رتبة من النكاح، وقد شرط فيه الاعلان، ولا يبلغ القطع، إذ ليس. يشهد له عقل، ولا يدلّ عليه قاطعٌ سمعيّ، وسبيله سبيل سائر المجتهدات.

وقال الامام ابن العربي المالكي في شرح صحيح الترمذي ١٣ ص ٢٢٩: لا يلزم في عقد البيعة للامام أن تكون من جميع الأنام بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد على الخلاف المعلوم فيه.

كلمة القرطبي

وقال القرطبي في تفسيره ١ ص ٢٣٠: فإن عقدها واحدٌ من أهل الحلّ والعقد فذلك ثابت ويلزم الغير فعله خلافاً لبعض الناس حيث قال: لا تنعقد إلّا بجماعة من أهل الحلّ والعقد، ودليلنا أنّ عمر رضي الله عنه عقد البيعة لأبي بكر ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك ^(١) ولأنّه عقد فوجب ألاّ يفتقر إلى عدد يعقدونه كسائر العقود، قال الإمام أبو المعالي: من انعقدت له الامامة بعقد واحد فقد لزمّت، ولا يجوز خلعه من غير حدث وتغير أمر، قال: هذا مجمّع عليه. اهـ.

قال الأميني: فما المبرّر عندئذ لتخلّف عبد الله بن عمر. وأسامة بن زيد. وسعد ابن أبي وقاص. وأبي موسى الأشعري. وأبي مسعود الأنصاري. وحسّان بن ثابت. والمغيرة بن شعبة. ومحمد بن مسلمة وبعض آخر من ولادة عثمان على الصدقات وغيرها عن بيعة مولانا أمير المؤمنين بعد اجماع الأمّة عليها؟ وما عذر تأخّرهم عن طاعته في حروبه، وقد عُرفوا بين الصحابة وسمّوا المعتزلة لاعتزالهم بيعة عليّ؟ ^(٢).

١ - كأنّ بني هاشم كلهم، والانصار باجمعهم الا رجلين، والزبير وعمار وسلمان ومقداداً وأبا ذر وآخرين كثيرين من المهاجرين المتخلفين عن بيعة أبي بكر المنكرين اياها كما فصل في محله لم يكونوا من الصحابة عن القرطبي والا فلا يجوز للمفسر أن يكذب وهو يعلم أن التاريخ الصحيح سيكشف الستر عن دجله.

٢ - المستدرک للحاکم ٣: ١١٥، تأريخ الطبری ٥: ١١٥، الكامل لابن الاثير ٣: ٨٠، تأريخ أبي الفدا ج ١: ١١٥، ١٧١.

رأى الخليفة الثاني

في الخلافة وأقواله فيها

عن عبد الرحمن بن أبيزي قال: قال عمر: هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد، وفي كذا وكذا، وليس فيها لطيق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء [طبقات ابن سعد ٣: ٢٤٨] وفي كلمة له ذكرها ابن حجر في الإصابة ٢: ٣٠٥: إنَّ هذا الأمر لا يصلح للطلاق ولا لأبناء الطلقاء.

وقال: لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لوثقته به: سالم مولى أبي حذيفة، وأبي عبيدة الجراح.

ولو كان سالم حيًّا ما جعلتها شورى^(١).

وقال لما طعن: إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق الأجلح المستقيم: يعني عليًّا. فقال له ابن عمر: ما يمنعك أن تقدّم عليًّا؟ قال: أكره أن أحملها حيًّا وميتًا.

[الأنساب للبلاذري ٥: ١٦، الإستيعاب لأبي عمر ٢: ٤١٩]

وقال: لو ليّتها عثمان لحمل آل أبي معيط على رقاب الناس، والله لو فعلت لفعل ولو فعل لأوشكوا أن يسيروا إليه حتى يجزّوا رأسه. فقالوا: عليّ؟ قال: رجل قُعدد^(٢) قالوا: طلحة؟ قال: ذاك رجل فيه بأو^(٣) قالوا: الزبير؟ قال: ليس هناك. قالوا: سعد؟ قال: صاحب فرس وقوس. فقالوا: عبد الرحمن بن عوف؟ قال: ذاك فيه إمساك شديد، ولا يصلح لهذا الأمر إلّا معط في غير سرف، وممسك في غير تقتير.

أخرجه القاضي أبو يوسف الأنصاري المتوفى ١٨٢ في كتابه «الآثار» نقلًا عن شيخه إمام الحنفية أبي حنيفة.

١ - طبقات ابن سعد ٣: ٢٤٨، التمهيد للباقلاني ٢٠٤، الاستيعاب لأبي عمر ٢: ٥٦١، طرح الشريب ١: ٤٩، اسد الغابة ٢: ٢٤٦.

٢ - القعدد الجبان الخامل. كأنَّ الخليفة نسي سوابق، مولانا أمير المؤمنين في المغازي و الحروب وعزمه الماضي وبياناته المشهودة الى غيرها من صفاته الكمالية وتغافل عن ان الذي أقعده عن مناجزته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله هو خوف الردّة من الناس بوقوع الفتنة لا حذار بارقة عمر وراعدته وشجاعته التي هو سلام الله عليه جدّ عليم بكمّها وكيفها، نعم: الجوّ الخالي يبعث الانسان على أن يقول هكذا.

٣ - البأو: الكبر والتعظيم فيه.

هذه الكلمات وما يتلوها سلسلة بلاء تشدُّ عن الحَقِّ والمنطق غير أنَّا نمرُّ بها كراما.

وعن ابن عباس قال: قال عمر: لا أدري ما أصنع بأمة محمَّد؟ وذلك قبل أن يُطعن، فقلت: ولم تهتمُّ وأنت تجد من تستخلفه عليهم؟ قال: أصحابكم؟ يعني عليًّا قلت: نعم، هو أهل لها في قرابته برسول الله ﷺ وصهره وسابقتها وبلائه. فقال عمر إنَّ فيه بطالةً وفكاهةً. قلت: فأين أنت عن طلحة؟ قال: أين الزهو والنخوة؟ قلت عبد الرحمن بن عوف؟ قال: هو رجلٌ صالحٌ على ضعف قلت: فسعد؟ قال: ذاك صاحبٌ مقنبٌ وقتال، لا يقوم بقرية لو حمَّل أمرها. قلت: فالزبير؟ قال: لقيسٌ مؤمن الرضى كافر الغضب شحيح. إنَّ هذا الأمر لا يصلح إلَّا لقويٍّ في غير عنف، رفيق في غير ضعف، جواد في غير سرف. قلت: فأين عن عثمان؟ قال: لو وليها لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس ولو فعلها لقتلوه. ذكره البلاذري في الأنساب ٥: ١٦، وفي لفظ آخر له ص ١٧: قيل: طلحة؟ قال: أنفه في السَّمَاء وإسته في الماء.

نظرة في الخلافة التي جاء بها القوم

قال الأُميئي: هذا ما جاء به القوم من الخلافة الاسلاميَّة والإمامة العامَّة فهي عندهم ليست إلَّا رياسة عامَّة لتدبير الجيوش، وسدِّ الثغور، وردع الظالم، والأخذ للمظلوم، وإقامة الحدود، وقسم الفيء بين المسلمين، والدفع بهم في حجتهم وغزوهم، ولا يشترط فيها نبوغ في العلم زائداً على علم الرعيَّة، بل هو والأمة في علم الشريعة سيَّان، و يكفي له من العلم ما يكون عند القضاة، وهؤلاء القضاء بين يديك وأنت جدُّ عليهم بعلمهم ويسعك إمعان النظر فيه من كتب، ولا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه وجوره وفجوره، ويجب على الأمة طاعته على كلِّ حال برّاً كان أو فاجراً، ولا يسوغ لأحد مخالفته ولا القيام عليه والتنازع في أمره.

فعلى هذا الأساس كان يزحزح خلفاء الانتخاب الدستوري في القضاء والإفتاء عن حكم الكتاب والسنة ولم يكن هناك أيُّ وازع، ولم يكن يوجد قطُّ أحدٌ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، خوفاً ممَّا افتعلته يد السياسة وجعلت به على الأفواه

أوكية، من حديث عرفجة مرفوعاً: ستكون هنات، فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان^(١).

ورواية عبد الله مرفوعاً: ستكون بعدي أثره وأمور تنكرونها قالوا: يا رسول الله! كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: تؤدّون الحقّ الذي عليكم، وتسالون الله الذي لكم.

« صحيح مسلم ٢ ص ١١٨ »

وعلى هذا الأساس تمكّن معاوية بن أبي سفيان من أن يجلس بالكوفة للبيعة و يبايعه الناس على البراءة من عليّ بن أبي طالب.

« البيان والتبيين ٢: ٨٥ »

وعلى هذا الأساس أقرّ عبد الله بن عمر بيعة يزيد الخمرور، قال نافع: لمّا خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه ومواليه. وفي رواية سليمان: حشمه و ولده وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ينصب لكلّ غادر لواء يوم القيامة.

زاد الزهراني: قال: وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله، وإني لا أعلم غدرًا أعظم من أن تباع رجلاً على بيعة الله ورسوله ثمّ تنصب له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خلع ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفبصل فيما بيني وبينه. وفي لفظ: إنّ عبد الله بن عمر جمع أهل بيته حين انتزى أهل المدينة مع عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وخلعوا يزيد بن معاوية، فقال: إنا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال: هذه غدرة فلان، وإنّ من أعظم الغدر بعد الإشراف بالله أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله ورسوله، ثمّ ينكث بيعته، ولا يخلعن أحدٌ منكم يزيد، ولا يشرفن أحدٌ منكم في هذا الأمر فيكون صليماً بيني وبينه^(٢).

وعلى هذا الأساس جاء عن حميد بن عبد الرحمن أنّه قال: دخلت على يسير الأنصاري (الصحابي) حين استخلف يزيد بن معاوية فقال: إنهم يقولون: إنّ يزيد ليس بخير أمة محمد ﷺ وأنا أقول ذلك ولكن لأن يجمع الله أمر أمة محمد ﷺ أحبّ إليّ من أن يفترق، قال النبي ﷺ: لا يأتبك في الجماعة إلا خير^(٣).

١ - صحيح مسلم ٢ ص ١٢١، سنن أبي داود ٢: ٢٨٣.

٢ - صحيح البخاري. ١: ١٦٦ سنن البيهقي ٨: ١٥٩، ١٦٠، مسند احمد ٢: ٩٦.

٣ - الاستيعاب ٢ ص ٦٣٥ أسد الغابة ٥: ١٢٦.

وعلى هذا الأساس تكلمت عائشة فيما رواه الأسود بن يزيد قال: قلت لعائشة: ألا تعجبين من رجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد في الخلافة؟ قالت: وما تعجب من ذلك؟ هو سلطان الله يؤتیه البرّ والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمئة سنة (١)

وعلى هذا الأساس يوجّه قول مروان بن الحكم، قال: ما كان أحدٌ أدفع عن عثمان من عليّ، فقليل له: ما لكم تسبّونه على المنابر؟ قال: إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلّا بذلك (٢).

وعلى هذا الأساس صحّ قتل معاوية عبد الرّحمن بن خالد لما أراد البيعة ليزيد، إنّه خطب أهل الشام وقال لهم: يا أهل الشام إنّه قد كبرت سيّي، وقرب أجلي، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاماً لكم، إنّما أنا رجلٌ منكم فأروا رأيكم فاصقعوا واجتمعوا وقالوا: رضينا عبد الرّحمن بن خالد (٣) فشقّ ذلك على معاوية وأسرها في نفسه، ثمّ إنّ عبد الرّحمن مرض فأمر معاوية طبيباً عنده يهودياً وكان عنده مكيناً أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها، فأتاه فسقاه فانخرق بطنه فمات، ثمّ دخل أخوه المهاجر ابن خالد دمشق مستخفياً هو وغلامٌ له فرصداً ذلك اليهودي فخرج ليلاً من عند معاوية فهجم عليه ومعه قومٌ هربوا عنه فقتله المهاجر.

ذكره أبو عمر في الاستيعاب ٢: ٤٠٨ فقال: وقصّته هذه مشهورةٌ عند أهل السير والعلم بالآثار والأخبار اختصرناها، ذكرها عمر بن شبه في أخبار المدينة وذكرها غيره. وذكرها ابن الأثير في أسد الغابة ٣: ٢٨٩.

وعلى هذا الأساس يتّم اعتذار ثمر بن ذي الجوشن قاتل الإمام السبط فيما رواه أبو اسحاق، قال: كان ثمر بن ذي الجوشن يصليّ معنا ثمّ يقول: ألّهم إنك شريفٌ تحبّ الشرف وإنك تعلم أنّي شريفٌ فاغفر لي قلت: كيف يغفر الله لك و قد أعنت على قتل ابن رسول الله ﷺ قال: ويحك فكيف نصنع؟ إنّ أمراءنا هؤلاء

١ - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦: ١٩.

٢ - الصواعق المحرقة ص ٣٣.

٣ - صحابي من فرسان قريش له هدى حسن وفضل وكرم الا انه كان منحرفاً عن علي و بني هاشم: اسد الغابة ٣: ٢٨٩.

أمرونا بأمر فلم نخالفهم، ولو خلقناهم كنا شرا من هذه الحمر الشقاة (١).

وفي لفظ: أَللّهُمَّ اغفر لي فإني كريم لم تلدني اللثام. قلت له: إنك لسييئ الرأي والفكر تسارع إلى قتل ابن بنت رسول الله ﷺ وتدعو بهذا الدعاء، فقال: إليك عني فلو كنّا كما تقول أنت وأصحابك لكنّا شراً من الحمر في الشعاب.

وعلى هذا الأساس جرى ما جرى على أبي بكر الطائي وأصحابه. قال سليمان ابن ربوة: اجتمعت أنا وعشرة من المشايخ في جامع دمشق فيهم أبو بكر بن أحمد بن سعيد الطائي فقرأنا فضائل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فوثب علينا قريب من مائة يضربونا ويسحبونا إلى الوالي فقال لهم أبو بكر الطائي: يا سادة اسمعوا لنا إنّما قرأنا اليوم فضائل عليّ وغداً نقرأ فضائل أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه وقد حضرتني آيات فإن رأيتم أن تسمعوها؟ فقالوا له: هات فأنشأ بديهاً:

حُبُّ عَلِيٍّ كُلُّهُ ضَرْبٌ	يرجف من خيفته القلبُ
ومذهبي حُبُّ إمام الهدى	يزيد والدين هو النصبُ
من غير هذا قال فهو امرؤ	ليس له عقل ولا لبُ
والناس من يَغْدُ لأهوائهم	يسلم وإلا فالقضاء نهبُ

قالوا: فخلّوا عنا.

« تمام المتون للصفا ص ١٨٨ »

وعلى هذا الأساس هتكت حرّات آل الله، وأُضيّعت مقدّسات العترة والهادية، وسفكت دماء الأبرياء الأزكياء من شيعة أهل البيت الطاهر، وشاع وذاع لعن سيّد العترة نفس النبيّ الأقدس، والمطهّر بلسان الله، على صهوات المناير، واتّخذ خلفاء بني أميّة سنّة متّبعة في أرجاء العالم الاسلامي، حتّى وَبَّخ معاوية سعد بن أبي وقاص لسكوته عن سبّ أبي السبطين مولانا أمير المؤمنين (٢) حتّى تمكّن عبد الله بن الوليد ابن عثمان بن عفّان من أن قام إلى هشام بن عبد الملك عشية عرفة وهو على المنبر فقال: يا أمير المؤمنين! إنّ هذا يوم كانت الخلفاء تستحبّ فيه لعن أبي تراب (٣).

١ - تاريخ ابن عساكر ٦: ٣٣٨، ميزان الاعتدال للذهبي ١: ٤٤٩.

٢ - راجع الجزء الثالث ص ٢٠٠ ط ٢.

٣ - رسائل الجاحظ ص ٩٢، انساب البلاذري ٥: ١١٦.

وقال سعيد بن عبد الله لهشام بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين! إنَّ أهل بيتك في مثل هذه المواطن الصالحة لم يزالوا يلعنون أبا تراب فالعنه أنت أيضاً^(١).

وعلى هذا الأساس من معنى الخلافة لا عسف ولا حزازة في رأي الخليفة الأوّل ومن حدا حذوه من صحّة اختيار المفضول على الفاضل، وتقديم المتأخّر على المتقدم باعذار مفتعلة، وأوهام مختلقة، ومرجّحات واهية، وسياسة وقتيّة، إذ الأمر الذي لا يشترط في صاحبه شيء من القداسة الروحيّة، والملكات الفاضلة، والخلايق الكريمة، والنفسيّات الشريفة، ومعالم ومعارف، ومدارج ومراتب، ولا يؤاخذ هو بما فعل، ولا يخلع بتعطيل الأحكام، وترك إقامة، الحدود، ولا يباذ ما دام يقيم في أمّته الصّلاة كما سمعت تفصيل ذلك كلّ لا وازع عندئذ من أن يكون أمثال أبي عبيدة الجراح حقّار القبور حاملاً لهذا العبء الثقيل، متحلّياً بأبراد الخلافة، ولا مانع من تقديم الخليفة الأوّل إياه أو صاحبه على نفسه في بدء الأمر، ولا حاجز من اختيار أيّ مستأهل لتنفيذ ما ذكر ص ١٣٨ ممّا يُقام له الإمام ولو بمعونة سماسرته وجلالوزته ومن يُهمّهُ أمره، بل من له الشدّة والفظاظة والعنف والتهوُّر إلى أمثالها ربما يكون أولى من غيره مهما اقتضته السياسة الوقتيّة.

وتابع الأكثرون الخليفة في تقديم المفضول على الفاضل، قال القاضي في المواقف: جَوَزَ الأكثرون إمامة المفضول مع وجود الفاضل، إذ لعلّه أصلح للإمامة من الفاضل، إذا المعتبر في ولاية كلّ أمر معرفة مصالحه ومفاسده، وقوّة القيام بلوازمه، وربّ مفضول في علمه وعمله هو بالزعامة أعرف، وشرائطها أقوم، وفصل قوم فقالوا: نصب الأفضل إن أثار فتنة لم يجب وإلاّ وجب. وقال الشريف الجرجاني: كما إذا فرض أنّ العسكر والرعاية لا ينقادون للفاضل بل للمفضول.

« شرح المواقف ٣. ٢٧٩ »

قال الأميني: إنّنا لا نريد بالأفضل إلّا الجامع لجميع صفات الكمال التي يمكن اجتماعها في البشر لا الأفضليّة في صفة دون أخرى، فيكون حينئذ الأفقه مثلاً هو الأبصر بشئون السياسة، والأعرف بمصالح الأمور ومفاسدها، والأثبت في إدارة الصالح العام، والأبسل في مواقف الحروب، والأقضى في المحاكمات، والأخشن في ذات الله، والأرأف بضعفاء

١ - تاريخ ابن كثير ٩: ٤٣٢.

الأئمة، والأسمح على محاويع المأل الديني، إلا أمثالها من الشرايط والأوصاف، إذن فلا تصوير لما حسبوه من أن المفضل قد يكون أقدر وأعرف وأقوم. إلخ. وعلى المولى سبحانه أن لا يخلي الوقت عن انسان هو كما قلناه، بعد أن أثبتنا أن تقييضة من اللطف الواجب عليه سبحانه، وهو عدل القرآن الكريم ولا يفترقا حتى يردا على النبي الحوض.

وأما من لا ينقاد له من الجيش وغيره فهو كمن لا ينقاد لصاحب الرسالة، لا يزحزح بذلك صاحب الأمر عما قيضه الله له من الولاية الكبرى، بل يجب على بقية الأمة إخضاعهم كما أخضعوا أهل الردة أو من حسبوه منهم، وأن يفوقوا اليه سهم الجن كما فوقوه إلى سعد بن عباد أمير الخزرج.

ولم تكن للخليفة مندوحة عن رأيه في تقديم المفضل، وما كان إلا تصحيحاً لخلافة نفسه، ولتقدمه على من قدسه المولى سبحانه في كتابه العزيز، ورآه نفس النبي الأقدس وقرن طاعته بطاعته، وولايته بولايته، وأكمل به الدين، وأتم به النعمة، وأمر نبيه بالبلاغ وضمن له العصمة من الناس، وهتف هاتف الوحي بولايته وأولوئته بالمؤمنين من أنفسهم في محتشد رهيب بن مائة ألف أو يزيدون قائلاً: يا أيها الناس! إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

ولم تكن تخفى لأي أحد فضائل أبي السبطين وملكانته وروحانيته، وطيب عنصره، وطهارة محتده، وقداسة مولده، وعظمة شأنه، وتعد شأوه في حزمه وعزمه وسبقه في الإسلام، وتفانيه في ذات الله، وأفضليته في العلم والفضائل كلها.

نعم: على رأي الخليفة في تقديم المفضل على الفاضل وقع الانتخاب من أول يومه، فببيع أبو بكر بعقد رجلين ليس إلا: عمر بن الخطاب وأبي عبيدة الحفار ابن الجراح، وكان الأمر أمر نهار قصي ليلاً، مدبراً بين أولئك الرجال مؤسسي الانتخاب الدستوري، وما أتبعهما يوم ذاك إلا أسيد بن حضير، وبشر بن سعد، ثم دَرَدَب الناس لَمَّا عَصَّه الشفاف (١) واتسع الخرق على الزاف، وما أدركت القومة حتى أكلتها

١ - مثل يضرب لمن يمتنع مما يراى منه ثم يذل وينقاد.

الهويمة (١) وأصبح المصلح الهضمي يقول: دع الرجل واختياره (٢) وإن في الشرّ خياراً، ولا يجتنى من الشوك العنب. يوبع أبو بكر ودبّ قمله (٣) وقسمت الوظائف الدينيّة من أوّل يومه بين ثلاث: له الإمامة، وقال عمر: وإليّ القضاء. قال أبو عبيدة: وإليّ الفيء. وقال عمر: فلقد كان يأتي عليّ الشهر ما يختصم إليّ فيه اثنان (٤) ولم يكن هناك من يزعم أو يفوه بأفضليّة أبي بكر وعمر من مولانا أمير المؤمنين، هذا أبو بكر ينادي على صهوات المناير: وليت ولست بخيركم، ولي شيطان يعتريني. ويطلب من أمته العون له على نفسه وإقامة أمته وعوجه (٥).

وهذا عمر بن الخطاب ونصوصه بين يديك على أنّ الأمر كان لعلّي غير أئهم زحزحوه عنه لحدائته سنّه والدماء التي عليه (٦) أو لما قاله لما عزم على الاستخلاف: لله أبوك لولا دعاية فيك. كما في « الغيث المنسجم للصفدي ١: ١٦٨ » وكان يدعو الله ربّه أن لا يبقيه لمعضلة ليس فيها أبو الحسن، ويرى أنّ عليّاً لولاه لضلّ هو (٧) ولولاه لهلك هو، ولولاه لافتضح هو، وعقمت النساء أن تلدن مثل عليّ. إلى كثير ممّا مرّ عنه في الجزء السادس في نوادر الأثر، ولم يكن قطّ يختلج في هواجس ضميره ولن يختلج « وأنيّ يختلج » أنّه كان يماثل مولانا عليّاً في إحدى فضائله، أو يدانيه في شيء منها، أو يبعد عنه بقليل.

وبعدما عرفت معنى الخلافة عند القوم، ووقفت على رأي سلفهم فيها وفي مقدّمهم الخليفة الأوّل، هلّمّ معي إلى التهافت بين تلكم الكلمات وبين مزاعم أخرى جنح إليها

١ - أصل المثل: ادرك القويمة لا تأكلها الهويمة. والمراد: ادراك الرجل الجاهل حتى لا يقع في هلكة.

٢ - مثل يضرب لمن لا يقبل الوعظ.

٣ - مثل يضرب للانسان اذا سمن وحسن حاله.

٤ - طبقات ابن سعد ٣ ص ١٣٠.

٥ - راجع ما مرّ في هذا الجزء ص ١١٨.

٦ - راجع ما مرّ في الجزء الاول ص ٣٨٩، وفي هذا الجزء ص ٨٠.

٧ - التمهيد للباقلاني ص ١٩٩.

لفيف آخر « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ».

قال أحمد بن محمد الوتري البغدادي في روضة الناظرين ص ٢: إعلم أن جماهير أهل السنة والجماعة يعتقدون أن أفضل الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله تعالى عنهم، وأن المتقدم في الخلافة هو المقدم في الفضيلة لاستحالة تقديم المفضل على الفاضل لأنهم كانوا يراعون الأفضل فالأفضل، والدليل عليه: إن أبا بكر رضي الله عنه لما نصَّ على عمر رضي الله عنه قام إليه طلحة رضي الله عنه فقال له: ما تقول لرَبِّك وقد وليت علينا فظاً غليظاً قال أبو بكر رضي الله عنه: فركت لي عينيك، ودلكت لي عقبيك، وجئتني تكفني عن رأيي، وتصدني عن ديني أقول له إذا سألتني: خلقت عليهم خير أهلك. فدلَّ على أنهم كانوا يراعون الأفضل فالأفضل. اهـ.

وأنت ترى أن هذه المزعمة فيها دجلٌ لإغراء البسطاء من الأمة المسكينة وهي تصادم رأي الجمهور ونظريات علماء الكلام منهم، وعمل الصحابة ونصوصهم، وقبل كل شيء رأي الخليفة أبي بكر، وكأنَّ ما حسبه من الاستحالة قد خفي علي الخليفة وعلى من آزره على أمره، واعتنق إمامته في القرون والأجيال من بعده

وكانَّ أفضليَّة الرجل الفظَّ الغليظ كانت تخفى على الصحابة، ولم يكن يعلمها أحدٌ فأعرب عنها أبو بكر، وكان التاريخ ونوادير الأثر لم تكن بين يدي (الوتري) حتَّى يعرف مقادير الرجال، ولا يغلو فيهم ولا يتحكَّم ولا يجازف في القول ولا يسرف في الكلام ويعلم بأنَّ عمر لو كان خير الأمة وتلك سيرته ونوادير أثره فعلى الإسلام السَّلام.

نعم: إنما هي أهواء وشهوات أخذ كلُّ بطرف منها، وفتاوى مجرَّدة هملج ورائها كلُّ حسب ميوله، ونحن نضع عقلك السليم مقياساً بين هذين الإمامين: مَنْ نصفه نحن، ومَنْ يقول به هؤلاء. فراجعهم إلى أيَّهما يحنح، وأيَّاً منهما يتَّخذ وسيلة بينه وبين ربِّه سبحانه، وأيُّهما يحقُّ له أن يستحوذ على رقاب المسلمين ونفوسهم ونواميسهم وأحكامهم في دنياهم وأخراهم؟ إن لم تكن في ميزان نصفته عين.

فويلٌ للمطفَّفين.

رأي الخليفة في القدر

أخرج اللالكائي في السنّة عن عبد الله بن عمر قال: جاء رجلٌ إلى أبي بكر فقال: أُرأيت الزنا بقدر؟ قال: فإنّ الله قدّره عليّ ثمّ يعذبني؟ قال: نعم، يا بن اللخناء! أما والله لو كان عندي إنسانٌ أمرت أن يجمأ ^(١) أنفك ^(٢). قال الأميني: أترى الخليفة عرف معنى القدر الصحيح؟ بمعنى ثبوت الأمر الجاري في العلم الأزلي الالهي، مع إعطاء القدرة على الفعل والترك، مع تعريف الخير والشرّ وتبيان عاقبة الأوّل ومغبّة الأخير. إنّنا هديناه السبيل إمّا شاكرًا وإمّا كفوراً ^(٣) إنّنا هديناه النجدين ^(٤) ومن شكر فإنّما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ ربي غنيّ كريم ^(٥) ومن يشكر فإنّما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ الله غنيّ حميد ^(٦). كلُّ ذلك مع تكافؤ العقل والشهوة في الإنسان مع خلق عوامل النجاح تجاه النفس الأمّارة بالسوء، فمن عامل بالطاعة بحسن اختياره، ومن مقترفٍ للمعصية بسوء الخيرة. فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات ^(٧) من اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها ^(٨) فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها ^(٩) من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثمّ إلى ربّكم ترجعون ^(١٠) فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها ^(١١) قل إنّ ضللت فإنّما أضلّ على نفسي وإنّ اهتديت

١ - وجأ عنقه: ضربه، ووجأه: رضّه ودقّه.

٢ - تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥.

٣ - سورة الانسان: ٣.

٤ - سورة البلد: ١٠.

٥ - سورة النمل: ٤٠.

٦ - سورة لقمان: ١٢.

٧ - سورة فاطر: ٣٢.

٨ - سورة يونس: ١٠٨، الاسراء: ١٥.

٩ - سورة الزمر: ٤١.

١٠ - سورة الجاثية: ١٥.

١١ - سورة الانعام: ١٠٤.

فبما يوحى إِيَّيَّ رَبِّي (١) إن أحسستم أحسستم لأنفسكم وإن أسأتم فلها (٢) إنَّ رَبَّكَ هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى (٣) رَبِّي أعلم مَنْ جاء بالهدى وَمَنْ هو في ضلال مبين (٤).

فالقَدَر لا يستلزم جبراً وعلم المولى سبحانه بمقادير ما يختاره العباد من النجدين ويأتون به من العمل من خير أو شر لا ينافي التكليف. كما لا أثر له في اختيار المكلفين، ولا يقبح معه العقاب على المعصية، ولا يسقط معه الثواب على الطاعة. فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره (٥) ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين (٦) اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم (٧) فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووقيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون (٨).

فهل الخليفة عرف هذا المعنى من القَدَر، فأجاب بما أجاب؟ لكن السائل لم يفهم ما أراده فانتقده بما انتقد، غير أنه لو كان يريد ذلك لما جابه المنتقد بالسباب المقذع والتميتي بأن يكون عنده من يجأ أنفه قبل بيان المراد فيفيء الرجل إلى الحق. أو أنَّ الخليفة لم يكن يعرف من القَدَر إلا ما ارتفعت به عقيرة جماهير من أشياعه من القول بخلق الأعمال؟ فيتَّجه إذن ما قاله المنتقد سببه الخليفة أو لم يسبّه.

والذي يؤثر عن إبنته عائشة هو الجنوح إلى المعنى الثاني يوم اعتذرت عن نهضتها على مولانا أمير المؤمنين، وتبرَّجها عن خدرها المضروب لها تبرُّج الجاهليَّة الأولى بعد أن ليمت على ذلك: بأنَّها كانت قدراً مقدوراً وللقَدَر أسباب، أخرج الخطيب البغدادي باسناده في تاريخه ١ : ١٦٠.

وإن كان يوقفنا موقف السادر ما يؤثر عنها فيما أخرج الخطيب أيضاً في تاريخه ٥ : ١٨٥ عن عروة قال: ما ذكرت عائشة مسيرها في وقعة الجمل قطُّ إلاَّ بكت حتَّى

١ - سورة سبأ: ٥٠.

٢ - سورة الاسراء: ٧.

٣ - سورة النجم: ٣٠.

٤ - سورة القصص: ٨٥.

٥ - سورة الزلزلة: ٧، ٨.

٦ - سورة الانبياء: ٤٧.

٧ - سورة غافر: ١٧.

٨ - سورة آل عمران: ٢٥.

تبلّ خمّارها وتقول: يا ليتني كنت نسياً منسياً^(١) قال سفيان الثوري: النسي المنسيّ: الحيضة الملقاة.
كأنّها كانت ترى مسيرها حوباً كبيراً جديراً أن تبكي عليه مدى الدهر، وتبلّ بدمعها خمّارها، وتتمنّى ما تمنّت وهذا ينافي
ذلك الاعتذار البارد المأخوذ أصله عن رأي أبيها الخليفة الذي لم يجد مساعاً في دفع ما يتّجه عليه إلا السباب.

- ٧ -

ترك الخليفة الضحيّة مخافة أن تسترّ
قد مرّ في الجزء السادس ص ١٧٧ ط ٢ من الصحيح الوارد في أنّ أبا بكر وعمر كانا لا يضحيّان كراهة أن يقتدى
بهما، فيظنّ فيها الوجوب.
وقد استوفينا حقّ القول هناك فراجع.

- ٨ -

ردّة بني سليم
عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان في بني سليم ردّة فبعث إليهم أبو بكر خالد بن الوليد فجمع رجالاً منهم في
الخطائر ثمّ أحرّقها عليهم بالنار فبلغ ذلك عمر فأتى أبا بكر فقال: تدع رجالاً يعذب بعذاب الله عزّ وجلّ، فقال أبو بكر:
والله لا أشيم سيفاً سلّه الله على عدوّه حتى يكون هذا الذي يشيمه، ثمّ أمره فمضى من وجهه ذلك إلى مسيلمة.
الرياض النضرة ١ ص ١٠٠.
لبس في هذا الجواب مخرّج عن إعتراض عمر فقد جاء في الكتاب العزيز قوله تعالى: إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتلوا أو يُصلّبوا أو تُقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزيّ في
الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم.

(المائدة آية ٣٣)

وصحّ عنه ﷺ النهي عن الإحراق وقوله: لا يعذب بالنار إلا ربّ النار. و

١ - وذكره ابن الاثير في النهاية ٤: ١٥١، وابن منظور في لسان العرب. ٢: ١٩٦، والزيدي في تاج العروس ١: ٣٦٧.

قوله: إِنَّ النار لا يعذب بها إِلَّا الله. وقوله: لا يعذب بالنار إِلَّا ربّها^(١): وقوله: من بدّل دينه فاقتلوه^(٢) وقوله: لا يحلّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إِلَّا الله وأنّ محمّداً رسول الله إِلَّا باحدى ثلاث: زنا بعد احصان فأنّه يرحم، ورجل يخرج محارباً لله ورسوله فأنّه يُقتل، أو يُصلب، أو يُنفى من الأرض، أو يقتل نفساً فيقتل بها.

سنن أبي داود ٢ ص ٢١٩، مصابيح السنّة ٢: ٥٩، مشكاة المصابيح ص ٣٠٠.
وأما فعل أمير المؤمنين عليه السلام بعبد الله بن سبا وأصحابه فلم يكن إحراقاً ولكن حفر لهم حفائر، وخرق بعضها إلى بعض، ثمّ دخن عليهم حتّى ماتوا كما قال عمّار الدهني: فقال عمرو بن دينار: قال الشاعر:

لترم بي المنيايا حيث شاءت إذا لم ترم بي في الحفرتين
إذا ما أججوا حطباً وناراً هناك الموت نقداً غير دين^(٣)

وأما قول أبي بكر: لا اشيء سيفاً إلخ. فهو تحكّم تجاه النصّ النبويّ، وما كان السيف أنطق من القول، ومتى شهر الله سبحانه هذا السيف صاحب الدواهي الكبرى والطامات في يومه هذا، ويومه الآخر المخزي في بني حنيفة ومع مالك بن نويرة و أهله، ويومه قبلهما مع بني جذيمة الذي تبرأ فيه رسول صلّى الله عليه وآله من عمله، إلى غيرها من المخاريق والمخازي التي تغمد بها هذا السيف.

- ٩ -

حرق الخليفة الفجاءة

قدم على أبي بكر رجلٌ من بني سليم يقال له: الفجاءة وهو اياس بن عبد الله بن عبد باليل بن عميرة بن خفاف فقال لأبي بكر: إني مسلم وقد أردت جهاد من ارتدّ من الكفار فاحملني وأعني فحمله أبو بكر على ظهره وأعطاه سلاحاً فخرج يستعرض الناس

١ - صحيح البخارى ٤: ٣٢٥ كتاب الجهاد باب: لا يعذب بعذاب الله، مسند احمد ٣: ٤٩٤ و ج ٢: ٢٠٧ سنن ابى داود ٢: ٢١٩، صحيح الترمذي سنن البيهقي ٩: ٧١، ٧٢، مصابيح السنة ٢ ص ٥٧، ٥٨، تيسير الوصول ١ ص ٢٣٦.

٢ - صحيح البخارى ١٠ ص ٨٣ كتاب استتابة المرتدين، سنن ابى داود ٢ ص ٢١٩، مصابيح السنة ٢ ص ٥٧.

٣ - سنن البيهقي ٩ ص ٧١.

المسلم والمرتد يأخذ أموالهم ويصيب من امتنع منهم ومعه رجل من بني الشريد يقال له: نجبة بن أبي الميثاء فلما بلغ أبا بكر خبره كتب إلى طريفة بن حاجر: إن عدو الله الفجاءة أتاني يزعم أنه مسلم ويسألني أن أقويه على من ارتد عن الاسلام فحملته وسلحته ثم انتهى إلي من يقين الخبر أن عدو الله قد استعرض الناس المسلم والمرتد يأخذ أموالهم ويقتل من خالفه منهم فسر إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله أو تأخذه فتأنيني به فصار إليه طريفة فلما التقى الناس كانت بينهم الرمي بالنبل فقتل نجبة بن أبي الميثاء بسهم رُمي به فلما رأي الفجاءة من المسلمين الجد قال لطريفة: والله ما أنت بأولى بالأمر مِنِّي أنت أمير لأبي بكر وأنا أميره، فقال له طريفة: إن كنت صادقاً فضع السلاح وانطلق إلى أبي بكر فخرج معه فلما قدما عليه أمر أبو بكر طريفة بن حاجر فقال: أخرج به إلى هذا البقيع فحرّقه فيه بالنار. فخرج به طريفة إلى المصلّى فأوقد له ناراً فقفزه فيها. وفي لفظ الطبري: فأوقد له ناراً في مصلّى المدينة على حطب كثير ثم رمي فيها مقموطاً. وفي لفظ ابن كثير: فجمعت يده إلى قفاه وألقي في النار فحرّقه وهو مقموط ^(١).

قال الأميني: القول في هذا كالذي سبقه من عدم جواز الإحراق بالنار والتعذيب بها، على أن الفجاءة كان متظاهراً بالاسلام وتلقاه الخليفة بالقبول يوم أعطاه ظهراً و سلّحه، وإن كان فاسقاً بالجوارح على ما انتهى إلى الخليفة من يقين الخبر، ولم يكن سيف الله مشهوراً هاهنا حتى يتورّع عن اغماده، ولا يُدعى مثله لطريفة حتى يكون معذراً في مخالفة النص الشريف، ولعلّ لذلك كله ندم أبو بكر نفسه يوم مات عن فعله ذلك كما في الصحيح الآتي انشاء الله تعالى. فإلى الملتقى.

والعجب كلّ العجب من دفاع القاضي عضد الايجي عن الخليفة بقوله في المواقف.

إنّ أبا بكر مجتهدٌ، إذ ما من مسألة في الغالب إلّا وله فيها قول مشهور عند أهل العلم، وإحراق الفجاءة لاجتهاده وعدم قبول توبته لأنّه زنديقٌ ولا تقبل توبة الزنديق في الأصح

وجاء بعده القوشجي مدافعاً عن الخليفة بقوله في شرح التجريد ص ٤٨٢: إحراقه فجاءة بالنار من غلطة في اجتهاده فكّم مثله للمجتهدين؟

١ - تأريخ الطبري ٣ ص ٢٣٤، تأريخ ابن كثير ٦ ص ٣١٩، الكامل لابن الاثير ٢ ص ١٤٦، الاصابة ٢ ص ٣٢٢.

إقرأ واضحك أو ابك. زه زه بالاجتهاد تجاه نص الكتاب والسنة، ومرحباً مجتهد يخالف دين الله.

- ١٠ -

رأي الخليفة في قصة مالك

سار خالد بن الوليد يريد البطاح حتى قدمها فلم يجد بها أحداً وكان مالك بن نويرة قد فرّقهم ونهاهم عن الاجتماع وقال: يا بني يربوع إننا دُعينا إلى هذا الأمر فأبطأنا عنه فلم نفلح، وقد نظرت فيه فرأيت الأمر يتأتى لهم بغير سياسة، وإذا الأمر لا يسوسه الناس، فإياكم ومناوأة قوم صنع لهم فتفَرَّقوا وادخلوا في هذا الأمر، فتفَرَّقوا على ذلك، ولما قدم خالد البطاح بثّ السرايا وأمرهم بداعية الإسلام وأن يأتوه بكلّ من لم يُجب، وإن إمتنع أن يقتلوه، وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يأذّنوا ويقيموا إذا نزلوا منزلاً فإن أذن القوم وأقاموا فكفّوا عنهم، وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة ثم تقتلوا كلّ قتلة، الحرق فما سواه، إن أجابوكم إلى داعية الاسلام فسائلوهم فإن أقرّوا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوها فلا شيء إلا الغارة، ولا كلمة، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع من عاصم وعبيد وعرين وجعفر فاختلفت السيرة فيهم، وكان فيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد أنّهم قد أذّنوا وأقاموا و صلّوا، فلما اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء وجعلت تزداد برداً، فأمر خالد منادياً فنادى: ادفنوا أسراكم وكانت في لغة كنانة القتل فظنّ القوم أنّه أراد القتل ولم يُرد إلا الدفء فقتلوه، فقتل ضرار بن الأزور مالكاَ وسمع خالد الواقعة فخرج وقد فرغوا منهم فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه، وتزوَّج خالد أمّ تميم امرأة مالك فقال أبو قتادة: هذا عملك؟ فزيره خالد فغضب ومضى. وفي تاريخ أبي الفدا: كان عبد الله بن عمرو أبو قتادة الأنصاري حاضرين فكلّما خالداً في أمره فكره كلامهما. فقال مالك: يا خالد إبعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا. فقال خالد: لا أقالني الله إن أقتلك وتقدّم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه.

فقال عمر لأبي بكر: إنّ سيف خالد فيه زهق وأكثر عليه في ذلك فقال: يا عمر! تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فإني لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين.

وفي لفظ الطبري وغيره: إنّ أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه أن إذا غشيتهم داراً من دور الناس فسمعتهم فيها أذاناً للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ما الذي نقيموا، وإن لم تسمعوا أذاناً فشتوا الغارة فاقتلوا وحرّقوا، وكان ممن شهد لمالك بالاسلام أبو قتادة الحارث بن ربعي، وقد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها، وكان يحدث أنهم لما غشوا لقوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح، قال: فقلنا: إنّنا المسلمون. فقالوا: ونحن المسلمون، قلنا: فما بال السلاح معكم؟ قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا: فإن كنتم كما تقولون؟ فضعوا السلاح. قال: فوضعوها ثمّ صلّينا وصلّوا، وكان خالد يعتذر في قتله: أنّه قال وهو يراجع: ما أخال صاحبكم إلّا وقد كان يقول كذا وكذا. قال: أو ما تعدّه لك صاحباً. ثمّ قدّمه فضرب عنقه وعنق أصحابه.

فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر وقال: عدوّ الله عدا على امرئ مسلم فقتله ثمّ نزا على امرأته، وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد، معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته أسهماً فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحصلها ثمّ قال: أرثاء؟ قتلت امرءاً مسلماً ثمّ نزوت على امرأته، والله لأرجمنك باحجارك ولا يكلمه خالد بن وليد ولا يظنّ إلّا أنّ رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه، حتى دخل على أبي بكر فلما أن دخل عليه أخبره الخبر واعتذر إليه فعذره أبو بكر وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك. قال فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر، وعمر جالس في المسجد فقال خالد: هلّم إليّ يا بن أمّ شملة؟ قال فعرف عمر أنّ أبا بكر قد رضي عنه، فلم يكلمه ودخل بيته.

وقال سويد: كان مالك بن نويرة من أكثر الناس شعراً وإنّ أهل العسكر اثقوا برؤوسهم القدور فما منهم رأس إلّا وصلت النار الى بشرته ما خلا مالكاً فإنّ القدر نضجت وما نزج رأسه من كثرة شعره، وقى الشعر البشر حرّها أن يبلغ منه ذلك. وقال ابن شهاب: إنّ مالك بن نويرة كان كثير شعر الرأس، فلما قتل أمر خالد برأسه فنصب اثفية لقدر فنضج ما فيها قبل أن يخلص النار إلى شؤون رأسه.

وقال عروة: قدم أخو مالك متّيم بن نويرة ينشد أبا بكر دمه ويطلب إليه في

سبيهم فكتب له بردّ السبي، وألح عليه عمر في خالد أن يعزله، وقال: إنّ في سيفه رهقاً. فقال: لا يا عمر! لم أكن لأشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين.

وروى ثابت في الدلائل: أنّ خالداً رأى امرأة مالك وكانت فائقة في الجمال فقال مالك بعد ذلك لامرأته: قتلتيني. يعني سأقتل من أجلك^(١).

وقال الزمخشري وابن الأثير وأبو الفدا والزبيدي: أنّ مالك بن نويرة رضي الله عنه قال لامرأته يوم قتله خالد بن وليد: أقتلتني. أي عرّضتني بحسن وجهك للقتل لوجوب الدفع عنك، والمحاماة عليك، وكانت جميلة حسناء تزوّجها خالد بعد قتله فأنكر ذلك عبد الله بن عمر. وقيل فيه:

أفي الحق أنا لم تحفّ دماءنا وهذا عروساً باليمامة خالد؟^(٢)

وفي تاريخ ابن شحنة هامش الكامل ٧ ص ١٦٥: أمر خالد ضراراً بضرب عنق مالك فالتفت مالك إلى زوجته وقال لخالد: هذه التي قتلتني. وكانت في غاية الجمال، فقال خالد: بل قتلك رجوعك عن الإسلام فقال مالك: أنا مسلم. فقال خالد: يا ضرار! إضرب عنقه فضرب عنقه وفي ذلك يقول أبو نعيم السعدي:

ألا قل لحبيّ أوطؤا بالسناناكِ تطاول هذا الليل من بعد مالكِ
قضى خالدٌ بغياً عليه بعروسه وكان له فيها هوئى قبل ذلكِ
فأمضى هواه خالدٌ غير عاطفٍ عنان الهوى عنها ولا متمالكِ
وأصبح ذا أهل وأصبح مالك إلى غير أهل هالكاً في الهوالِكِ

فلما بلغ ذلك أبا بكر وعمر قال عمر لأبي بكر: إنّ خالداً قد زنى فاجلده. قال أبو بكر: لا، لأنّه تأوّل فأخطأ قال: فإنّه قتل مسلماً فاقتله. قال: لا، إنّّه تأوّل فأخطأ. ثمّ قال: يا عمر! ما كنت لأغمد سيفاً سلّه الله عليهم، ورثى مالكا أخوه متمم بقصائد عديدة. وهذا التفصيل ذكره أبو الفدا ايضاً في تاريخه ١: ١٥٨.

١ - تأريخ الطبري ٣ ص ٢٤١، تأريخ ابن الاثير ٣ ص ١٤٩، اسد الغابة ٤: ٢٩٥، تأريخ ابن عساكر ٥ ص ١٠٥، ١١٢، خزنة الادب ١: ٢٣٧، تأريخ ابن كثير ٦ ص ٣٢١، تاريخ الخميس، ٢: ٢٣٣، الاصابة ج ١ ص ٤١٤ و ج ص ٣٥٧.
٢ - الفائق ٢ ص ١٥٤، النهاية ٣ ص ٢٥٧، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٥٨، تاج العروس ٨ ص ٧٥.

وفي تاريخ الخميس ٢: ٢٣٣: اشتدَّ في ذلك عمر وقال لأبي بكر: ارجم خالداً فإنه قد استحلَّ ذلك، فقال أبو بكر: والله لا أفعل، إن كان خالد تأوَّل أمراً فأخطأ وفي شرح المواقف: فأشار عمر على أبي بكر بقتل خالد قصاصاً، فقال أبو بكر: لا أغمد سيفاً شهرة الله على الكفار. وقال عمر لخالد: لئن وليت الأمر لأقيدنَّك به.

م وفي تاريخ ابن عساكر ٥: ١١٢: قال عمر: إني ما عتبت على خالد إلا في تقدُّمه وما كان يصنع في المال. وكان خالد إذا صار إليه شيء قسَّمه في أهل الغنى ولم يرفع إلى أبي بكر حسابه، وكان فيه تقدُّم على أبي بكر يفعل الأشياء التي لا يراها أبو بكر، واقدم على قتل مالك بن نويرة ونكح امرأته، وصالح أهل اليمامة ونكح ابنة مجاعة بن مرارة، فكره ذلك أبو بكر وعرض الدية على متمم بن نويرة وأمر خالداً بطلاق امرأة مالك ولم ير أن يعزله وكان عمر ينكر هذا وشبهه على خالد].

نظرة في القضية

قال الأميني: يحقُّ على الباحث أن يمعن النظرة في القضية من ناحيتين. الأولى: ما ارتكبه خالد بن الوليد من الطامات والجرائم الكبيرة التي تُنَزَّه عنها ساحة كلِّ معتنق بالاسلام، وتضادُّ نداء القرآن الكريم والسنة الشريفة، ويتبرأ منها و ممن اقترفها من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر. أيحسب الإنسان أن يترك سُدى؟ (١) أيحسب أن لن يقدر عليه أحد؟ (٢) أم: حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا سوء ما يحكمون؟ (٣)

بأيِّ كتاب أم بأية سنة ساغ للرجل سفك تلكم الدماء الزكية من الذين آمنوا بالله ورسوله وأتبعوا سبيل الحقِّ وصدَّقوا بالحسنى، وأذَّنوا وأقاموا وصلَّوا وقد علت عقيرتهم: بأنَّ مسلمون، فما بال السلاح معكم؟ لا تحسبنَّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبُّون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنَّهم بمفازةٍ من العذابِ ولهم عذابٌ أليم (٤).
ما عذر الرّجل في قتل مثل مالك الذي عاشر النبيّ الأعظم، وأحسن صحبته،

١ - سورة القيامة آية: ٣.

٢ - سورة البلد آية: ٥.

٣ - سورة العنكبوت آية ٤.

٤ - سورة آل عمران آية: ١٨٨.

واستعمله ﷺ على صدقات قومه، وقد عُذَّ من أشراف الجاهليَّة والإسلام، ومن أرداف الملوك. من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً^(١). ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها [النساء: ٩٣]. وما ذا أحلَّ للرجل شَنَّ الغارة على أهل أولئك المقتولين وذويهم الأبرياء و ايدائهم وسيبهم بغير ما اكتسبوا إثماً، أو اقترفوا سيئة، أو ظهر منهم فساد في الملأ الديني؟ الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً^(٢). ما هذه القسوة والعنف والفظاظة والتزحزح عن طقوس الإسلام، وتعذيب رؤس أمة مسلمة، وجعلها أثفية للقدر وإحراقها بالنار؟ فويلٌ للقاسية قلوبهم، فويلٌ للذين ظلموا من عذاب يوم اليم.

ما خالد وما خطره بعد ما اتخذ إلهه هواه، وسوّلته نفسه، وأضلّته شهوته، وأسكره شبقه؟ فهتك حرّمات الله، وشوّه سمعة الإسلام المقدّس، ونزى على زوجة مالك قتيل غيّه في ليلته^(٣) أنّه كان فاحشةً ومقتاً وساء سبيلاً، ولم يكن قتل الرجل إلّا لذلك السفاح، وكان أمراً مشهوداً وسراً غير مستسرّ، وكان يعلمه نفس مالك ويخبر زوجته بذلك قبل وقوع الواقعة بقوله إيّاها: أقتلتني. فقتل الرجل مظلوماً غيرَةً و محاماةً على ناموسه. وفي المتواتر: من قتل دون أهله فهو شهيدٌ^(٤) وفي الصحيحة من قتل دون مظلّمته فهو شهيدٌ^(٥).

والعذر المفتعل من منع مالك الزكاة لا يُبرئ خالداً من تلکم الجنایات، أیصدّق جحد الرجل فرض الزكاة ومكابرته عليها وهو مؤمن بالله وكتابه ورسوله ومصديق بما جاء به نبيّه الأقدس، يقيم الصلّاة ويأتي بالفرائض بأذائها وإقامتها، وينادي بأعلى صوته: نحن المسلمون، وقد إستعمله النبيّ الأعظم على الصدقات ردحاً من الزمن؟ لا ها الله.

١ - سورة المائدة آية: ٣٢.

٢ - سورة الاحزاب آية: ٥٨.

٣ - الصواعق ص ٢١، تاريخ الخميس ٢: ٣٣٣.

٤ - مسند احمد ١ ص ١٩١، نص على تواتره المناوى في الفيض القدير ٦ ص ١٩٥.

٥ - أخرجه النسائي والضياء المقدسي كما في الجامع الصغير، وصححه السيوطي راجع الفيض القدير ٦ ص ١٩٥.

أيوجب الردّة مجرّد إمتناع الرجل المسلم الموحّد المؤمن بالله وكتابه عن أداء الزكاة لهذا الإنسان بخصوصه وهو غير منكر أصل الفريضة؟ أو يُحكم عليه بالقتل عندئذ؟ وقد صحّ عن المشرّع الأعظم قوله: لا يحلّ دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله، وإني رسول الله إلا باحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة^(١).

وقوله ﷺ: لا يحلّ دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث: رجل كفر بعد اسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس^(٢).

وقوله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها منعوا مّتي دماءهم وأموالهم، وحسابهم على الله^(٣).

وعهد أبو بكر نفسه لسلمان بقوله: من صلّى الصلوات الخمس فأنه يصبح في ذمّة الله ويمسي في ذمّة الله تعالى فلا تقتلنّ أحداً من أهل ذمّة الله فتخفر الله في ذمّته فيكبّك الله في النار على وجهك^(٤).

أيسلب امتناع الرجل المسلم عن أداء الزكاة حرمة الاسلام عن أهله وماله وذويه ويجعلهم أعدال أولئك الكفرة الفجرة الذين حقّ على النبيّ الطاهر شئ الغارة عليهم؟ ويحكم عليهم بالسبي والقتل الذريع وغارة ما يملكون، والنزو على تلکم الحرائر المأسورات؟

وأما ما مرّ من الاعتذار بأنّ خالداً قال: ادفئوا اسراكم وأراد الدفء وكانت في لغة كنانة: القتل. فقتلوهم فخرج خالد وقد فرغوا منهم. فلا يفوه به إلا معتوّة استأسر هواه عقله، وسفه في مقاله، لماذا قتل ضرار مالكا بتلك الكلمة وهو لم

١ - صحيح البخارى ١٠: ٦٣ كتاب المحاريين. باب: قول الله تعالى ان النفس بالنفس، صحيح مسلم ٢: ٣٧، الديات لابن ابي عاصم الضحاك ص ١٠، سنن ابي داود ٢: ٢١٩ سنن ابن ماجه ٢: ١١٠، مصباح السنة ٢: ٥٠، مشكاة المصابيح ص ٢٩١.

٢ - الديات لابن أبي عاصم الضحاك ص ٩، سنن ابن ماجه ٢: ١١٠، سنن البيهقي ٨: ١٩.

٣ - صحيح مسلم ١: ٣٠، الديات لابن أبي عاصم الضحاك ص ١٧، ١٨ سنن ابن ماجه ٢: ٤٥٧، خصائص النسائي ص ٧، سنن البيهقي ٨: ١٩٦، ١٩.

٤ - أخرجه أحمد في الزهد كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٠.

يكن من كنانة ولا من أهل لغتها؟ بل هو أسديٌّ من بني ثعلبة، ولم يكن أميره يتكلّم قبل ذلك اليوم بلغة كنانة. وإن صَحَّت المزعمة فلما ذا غضب أبو قتادة الأنصاري على خالد وخالفه وتركه يوم ذاك وهو ينظر إليه من كتب، والحاضر يرى ما لا يراه الغائب؟

ولماذا اعتذر خالد بأنّ مالكا قال: ما أخال صاحبكم إلّا قال كذا وكذا؟ وهذا اعترافٌ منه بأنّه قتله غير أنّه نَحَت على الرجل مقالا، وهو من التعريض الذي لا يجوّز القتل « بعد تسليم صدوره منه » عند الأئمة الإسلامية جمعاء، والحدود تُدرأ بالشبهات.

ولماذا رآه عمر عدوًّا لله، وقَدَفه بالقتل والزنا؟ وإن لم يقتل ذلك ذؤابة (١) أبي بكر. ولماذا هتكه عمر في ملأ من الصحابة بقوله إياه: قتلْت امرءاً مسلماً ثمّ نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بأحجارك؟ ولماذا رأى عمر رَهَقاً في سيف خالد وهو لم يقتل مالكا وصحبه وإنما قتلهم لغة كنانة؟ ولماذا سكت خالد عن جوابه؟ وما أخرسه إلّا عمله، إنّ الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره. ولماذا صدّق أبو بكر عمر بن الخطاب في مقاله ووقعته على خالد وما أنكر عليه غير أنّه رآه متأوّلاً تارةً، ونَحَت له فضيلةً أخرى؟

ولماذا أمر خالد بالرؤس فنصبت أثفيةً للقدور، وزاد وصمة على لغة كنانة؟ ولماذا نذى على امرأة مالك، وسبى أهله، وفَرَّق جمعه، وشَتَّت شمله، وأباد قومه، ونهب ماله؟ أكلُ هذه معرّة لغة كنانة؟ ولماذا ذكر المؤرّخون أنّ مالكا قُتل دون أهله محاماتاً عليها؟ ولماذا أثبت المترجمون ذلك القتل الذريع على خالد دون لغة كنانة، وقالوا في

١ - مثل يضرب يقال: قتل ذؤابة فلان. أى أزاله عن رأيه.

ترجمة ضرار وعبد بن الأزور: إنه هو الذي أمره خالد بقتل مالك بن نويرة^(١) وقالوا في ترجمة مالك: إنه قتل خالد. أو: قتل ضرار صبراً بأمر خالد؟^(٢) هذه أسئلة توقف المعتذر موقف السدير، ولم يجر جواباً.

ما شأن أبناء السلف وقد عذرت بهم سكرة الشبق، وغالتهم داعية الهوى، وجاؤا لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة و أولئك هم المعتدون؟ فترى هذا يقتل مثل مالك ويأتي بالطامات رغبة في نكاح أم تميم.

وهذا يقتل سيد العترة أمير المؤمنين شهوة في زواج قطام.

وآخر^(٣) شن الغارة على حي من بني أسد فأخذ امرأة جميلة فوطئها بهبة من أصحابه، ثم ذكر ذلك لخالد فقال: قد طيبتها لك « كأنّ تلکم الجنود كانت مجتدة لوطي النساء وفضّ ناموس الحرائر » فكتب إلى عمر فأجاب برضخه بالحجارة^(٤).

وهذا يزيد بن معاوية يدسّ إلى زوجة ریحانة رسول الله الحسن السبط الزكيّ السمّ النقيع لتقتله ويتزوجها^(٥) أو فعله معاوية لغاية له كما يأتي.

ووراء هؤلاء المعتدين قوم ينزه ساحتهم بأعذار مفتعلة كالتأويل والاجتهاد - وليتهما لم يكونا - وتخطأة لغة كنانة، والله يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحبّ المقسطين.

الناحية الثانية

الثانية من الناحيتين التي يهتّمنا أن نولي شطرها وجه البحث تسليط الخليفة أولاً أمثال خالد وضرار بن الأزور وشارب الخمر وصاحب الفجور.^(٦) على الأنفس والدماء، على الأعراض ونواميس الاسلام، وعهده إلى جيوشه في حرق أهل الردّة

١ - الاستيعاب ١: ٣٣٨، أسد الغابة ٣: ٣٩، خزنة الادب للبغدادى ٢: ٩، الاصابة ٢: ٢٠٩.

٢ - الاصابة ٣: ٣٥٧، مرآت الجنان ١: ٦٢.

٣ - هو ضرار بن الأزور زميل خالد بن الوليد وشاكلته في النزو على الحرائر.

٤ - تاريخ ابن عساكر ٧: ٣١، خزنة الادب ٢: ٨، الاصابة ٢: ٢٠٩.

٥ - تاريخ ابن عساكر ٤: ٢٢٦.

٦ - تاريخ ابن عساكر ٧: ٣٠، خزنة الادب ٢: ٨، الاصابة ٢: ٢٠٩.

وقد عرفت النهي عنه في السنّة الشريفة ص ١٥٥ . وصفحه ثانياً عن تلکم الطامّات والجنايات الفاحشة كأن لم تكن شيئاً مذکوراً، فما سمعت أذن الدنيا منه حولها ركزاً، وما حُكِيت عنه في الانکار علیها ذمّة، وما رأى أحدٌ منه حوْلاً.

لَمْ يُوَاخِذْ الخليفة خالدًا بقتل مالك وصحبه المسلمين الأبرياء، وقد ثبت عنده كما يلوح ذلك عن دفاعه عنه ومحاماته عليه؟

لَمْ يَمْنَحْ منه قصاص القتال؟ ولم يُقَمِّ عليه جلدة الزاني؟ ولم يضربه حدّ المفتری؟ ولم يعزّره تعزيز المعتدي على ما ملكته أيدي أولئك المسلمين؟

لَمْ يَر عَزَلَ خالد وقد كره ما فعله، وعرض الدية على متمم بن نويرة أخي مالك؟ وأمر خالدًا بطلاق امرأة مالك كما في الإصابة ١ ص ٢١٥؟

دَعِ هذه كلّها ولا أَقَلِّ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوبيخ الرجل وعتابه على تلکم الجرائم، وأقلّ الانکار كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة.

ما للخليفة يتلّعثم ويتلّعثم في الدفاع عن خالد وجنایاته؟ فيرى تارةً أنّه تأوّل وأخطأ، ويعتذر أخرى بأنّه سيفٌ من سيوف الله، وينهي عمر بن الخطاب عن الوقیعة فيه، ويأمره بالكفِّ عنه وصرف اللسان عن مغايطته، ويغضب على أبي قتادة لانكاره على خالد كما في شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٨٧.

ونحن نقصر في البحث عن هذا الجانب على توجيه القارئ اليه، ولم نذهب به قُصاه، ولم نبتغ فيه مُداه، إذ لم نر أحداً تخفى عليه حزاة أيّ من العذرين، هلاً يعلم متسرّع في الاسلام أنّ تلکم الطامّات والجرائم الخطيرة لا يتطرّق اليها التأوّل والاجتهاد؟ ولا يسوغ لكلّ فاعل تارك أن يتترّس بأمثالهما في معرّاته، ويتدرّع بها في أحنائه، ولا تُدرأ بها الحدود، ولا تطلّ بها الدماء، ولا تحلّ بها حرّات الحرّاء، ولا يرفض لها حكم الله في الأنفس والأعراض والأموال، ولم يضح الحاكم لمدّعيتها كما ادّعى قدامة بن مظعون في شربه الخمر بأنّه تأوّل واجتهد فأقام عمر عليه الحدّ وجلده ولم يقبل منه العذر. كما في سنن البيهقي ٨: ٣١٦ وغيره.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن محارب بن دثار: أنّ ناساً من أصحاب النبيّ

ﷺ شربوا الخمر بالشام وقالوا: شربنا لقول الله: ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا. الآية. فأقام عمر عليهم الحد^(١).

وجلد أبو عبيدة أبا جندل العاصي بن سهيل وقد شرب الخمر متأولاً لقوله تعالى: ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا. الآية: كما في الروض الانف للسهيلي ٢: ٢٣١.

وهل يرتاب أحد في أن سيفاً سلّه المولى سبحانه لا يكون فيه قطُّ رهق ولا شغب، ولا تُسفك به دماء محرّمة، ولا تُهتك به حرّمات الله، ولا يُرْهف لنيل الشهوات، ولا يُنصّى للشبق، ولا يُفتك به ناموس الإسلام، ولا يحمله إلا يد أناس طيّبين، ورجال نزهين عن الخنابة والعيث والفساد؟

فما خالد وما خطره حتّى يهبه الخليفة تلك الفضيلة الراقية ويراه سيفاً سلّه الله على أعدائه، وهو عدوّ الله بنصّ من الخليفة الثاني كما مرّ في ص ١٥٩؟ أليست هذه كلّها تحكّماً وسرفاً في الكلام، وزوراً في القول، واتّخاذ الفضائل في دين الله مهزنةً ومجهلة؟

كيف يسعنا أن نعدّ خالداً سيفاً من سيوف الله سلّه على أعدائه؟ وقد ورد في ترجمته وهي بين أيدينا: أنّه كان جبّاراً فاتكاً، لا يراقب الدين فيما يحمله عليه الغضب وهوى نفسه، ولقد وقع منه في حياة رسول الله ﷺ مع بني جذيمة بالغميصا أعظم ممّا وقع منه في حق مالك بن نويرة وعفا عنه رسول الله ﷺ بعد أن غضب عليه مدّة وأعرض عنه، وذلك العفو هو الذي أطمعه حتى فعل ببني يربوع ما فعل بالبطاح^(٢).

إن كان عفو النبيّ الأعظم عن الرجل ما غضب عليه وأخذه بذنبه، وأعرض عنه، ردحاً من الزمن أطمعه حتّى فعل ما فعل، فانظر ماذا يصنع صفح الخليفة عنه من دون أيّ غضب عليه وإعراض عنه؟ وما الذي يأتّر دفاعه عنه من الجرأة والجسارة، في نفس الرجل ونفوس مشاكليه من أناس العيث والفساد، وشعب الشغب والفتن؟

أئنّ لنا أن نرى خالداً سيفاً سلّه الله على أعدائه وفي صفحة التاريخ كتاب أبي بكر

١ - الدر المنثور ٢: ٣٢١.

٢ - شرح ابن أبي الحديد ٤ ص ١٨٧.

إليه وفيه قوله: لعمرى يا ابن أم خالد! أنك لفارغ تنكح النساء وبغناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجفف بعد^(١) كتبه إليه لما قال خالد لمجاعة: زوجني ابنتك فقال له مجاعة: مهلاً أنك قاطع ظهري وظهرك معي عند صاحبك قال: أيها الرجل زوجني فزوجته فبلغ ذلك أبا بكر فكتب إليه الكتاب فلمّا نظر خالد في الكتاب جعل يقول: هذا عمل الأعيسر. يعني عمر بن الخطاب.

وليس هذه بأول قارورة كسرت في الاسلام بيد خالد، وقد صدرت منه لدة هذه الفحشاء المنكرة على عهد رسول الله ﷺ وتبرأ ﷺ من صنيعه. قال ابن اسحاق: بعث رسول الله ﷺ فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عز وجل، ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائل من العزب فوطئوا بني جذيمة ابن عامر فلمّا رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح فأَنَّ الناس قد أسلموا.

قال: حدّثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال: لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجلٌ منّا يقال له جحدم^(٢): ويلكم يا بني جذيمة إنّه خالد، والله ما بعد وضع السلاح إلاّ الاسار، وما بعد الإسار إلاّ ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحى أبداً قال: فأخذه رجالٌ من قومه فقالوا: يا جحدم! أترى أن تسفك دماءنا إنَّ الناس قد أسلموا، ووضعوا السلاح، ووضع الحرب، وأمن الناس؟ فلم يزالوا به حتّى نزعوا سلاحه، ووضع القوم السلاح لقول خالد، فلمّا وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكُتِفُوا، ثمَّ عرضهم على السيف، فقتل من قتل منهم، فلمّا انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء ثمَّ قال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ.

قال أبو عمر في الاستيعاب ١: ١٥٣ هذا من صحيح الأثر.

قال ابن هشام: حدّث بعض أهل العلم عن ابراهيم بن جعفر الحمودي قال: قال رسول الله ﷺ رأيت كأني لقمّت لقمة من خيس^(٣) فالتذذت طعمها فاعترض

١ - تاريخ الطبرى ٣ ص ٢٥٤، تاريخ الخميس ٣: ٣٤٣.

٢ - في الإصابة جحدم. في ١ ص ٢٢٧ وجذيم بن الحارث في ١ ص ٢١٨. والصحيح هو الاول

٣ - الخيس. بفتح فسكون أن يخلط السمن والتمر والاقط فيؤكل. والاقط: ما يعقد من اللبن ويجفف.

في حلقي منها شيء حين ابتلعته فأدخل عليّ يده فنزعه. فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله! هذه سرية من سرايك تبعثها فيأتيك منها بعض ما تحب ويكون في بعضها اعتراض فتبعث علياً فيسئله.

قال ابن اسحاق: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: يا علي! اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك. فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى أنه ليدى لهم ميلغة (١) الكلب إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه، بقيت معه بقية من المال. فقال لهم علي رضوان الله عليه حين فرغ منهم: هل بقي لكم (بقية من) دم أو مال لم يود لكم؟ قالوا: لا. قال: فإني أعطيتكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون، ففعل، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فاخبره الخبر، فقال: أصبت وأحسن. قال: ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى أنه ليرى ما تحت منكبیه يقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن وليد. ثلاث مرات.

وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام في ذلك فقال له عبد الرحمن بن عوف: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام (٢) وفي الإصابة: أنكر عليه عبد الله بن عمر وسالم مولى أبي حذيفة، وقد تعدد هذه الفضيحة أيضاً من جبايات لغة كنانة كما في الإصابة ٢: ٨١.

فهذا الرهق والسرف في سيف خالد على عهد أبي بكر من بقايا تلك النزعات الجاهلية، وهذه سيرته من أول يومه، فأني لنا أن نعدّه سيفاً من سيوف الله وقد تبرأ منه نبّي الإسلام الأعظم غير مرة، مستقبل القبلة شاهراً يديه وأبو بكر ينظر إليه من كئيب.

١ - الميلغة: خشبة تحفر ليلغ فيها الكلب.

٢ - سيرة ابن هشام ٤ ص ٥٣ - ٥٧، طبقات ابن سعد ط مصر رقم التسلسل ٦٥٩، صحيح البخاري شطرا منه في كتاب المغازي باب بعث خالد الى بني جذيمة، تاريخ ابى الفدا ج ١ ص ١٤٥، اسد الغابة ٣: ١٠٢، الإصابة ١ ص ٣١٨، ج ٢ ص ٨١.

ثلاثة و ثلاثة و ثلاثة

عن عبد الرحمن بن عوف قال: إنَّه دخل على أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مرضه الذي توفي فيه فأصابه مهتمًا، فقال له عبد الرحمن: أصبحت والحمد لله بارئًا فقال أبو بكر رضي الله عنه: أترأه؟ قال نعم: إني وليت أمركم خيركم في نفسي فكلُّكم ورم أنفه من ذلك يريد أن يكون الأمر له دونه، ورأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير، ونضائد الديباج، وتألوا الاضطجاع على الصوف الأذري كما يألُم أحدكم أن ينام على حسك، والله إن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حدٍّ خيرٌ له من أن يخوض في غمرة الدنيا، وأنتم أوَّل ضالٍّ بالناس غدًا فتصدّونهم عن الطريق يميناً وشمالاً، يا هادي الطريق إنما هو الفجر أو البحر. فقلت له: خفّض عليك رحمك الله، فإنَّ هذا يهيضك في أمرك، إنما الناس في أمرك بين رجلين: إمّا رجلٌ رأى ما رأيت فهو معك. وإمّا رجلٌ خالفك فهو مشيرٌ عليك وصاحبك كما تحبّ، ولا نعلمك أردت إلّا خيراً، ولم تنزل صالحاً مصلحاً، وإنَّك لا تأسى على شيء من الدنيا. قال أبو بكر رضي الله عنه: أجل إني لا آسى على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتهنّ وددت إني تركتهنّ.

وثلاث تركتهنّ وددت إني فعلتهنّ. وثلاث وددت إني سألت عنهنّ رسول الله ﷺ.

فأمّا الثلاث اللّاتي وددت إني تركتهنّ: فوددت إني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب. ووددت إني لم أكن حرقت الفجاءة السلمي وأني كنت قتلته سريحاً، أو خلّيته نجيحاً. ووددت إني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين - يريد عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً وأما اللّاتي تركتهنّ فوددت إني يوم أتيت بالاشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه، فإنَّه تخيل إني أنه لا يرى شراً إلّا أعان عليه. ووددت إني حين سيّرت خالد بن الوليد إلى أهل الرّدة كنت أقمت بذئ القصّة فإن ظفر المسلمون ظفروا، وإن

هُزِمُوا كُنْتَ بِصَدَدٍ لِقَاءِ أَوْ مَدَدٍ. وَوَدِدْتُ إِيَّيْ إِذَا وَجَّهْتَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الشَّامِ كُنْتَ وَجَّهْتَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ إِلَى الْعِرَاقِ، فَكُنْتَ قَدْ بَسَطْتَ يَدَيِ كِلْتاهِمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَمَدَّ يَدِيهِ.

وَوَدِدْتُ إِيَّيْ كُنْتَ سَأَلْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ هَذَا الْأَمْرُ؟ فَلَا يَنَازِعُهُ أَحَدٌ، وَوَدِدْتُ إِيَّيْ كُنْتَ سَأَلْتَهُ هَلْ لِلْأَنْصَارِ فِي هَذَا الْأَمْرِ نَصِيبٌ؟ وَوَدِدْتُ إِيَّيْ كُنْتَ سَأَلْتَهُ عَنْ مِيرَاثِ ابْنَةِ الْأَخِ وَالْعَمَّةِ فَإِنَّ فِي نَفْسِي مِنْهُمَا شَيْئاً.

أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي الْأُمُورِ ص ١٣١، وَالطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ ٤ ص ٥٢، وَابْنُ قَتَيْبَةَ فِي الْأَمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ ١ ص ١٨، وَالْمَسْعُودِيُّ فِي مَرْوَجِ الذَّهَبِ ١: ٤١٤، وَابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي السَّدِّ الْفَرِيدِ ٢: ٢٥٤.

وَالْإِسْنَادُ صَحِيحٌ رِجَالُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ مِنْ رِجَالِ الصَّحَّاحِ السَّبْتِ.

قَالَ الْأَمِينِيُّ: إِنَّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أُمُوراً تِسْعَةً، ثَلَاثَةٌ مِنْهَا فَاتُ الْخَلِيفَةِ فَقَهَهَا يَوْمَ عَمَلِ بَهَا، وَقَدْ بَسَطْنَا الْقَوْلَ فِي إِحْرَاقِ الْفَجَاءَةِ مِنْهَا.

وَأَمَّا تَمَيُّيْ قَذْفِ الْأَمْرِ فِي عُنُقِ أَحَدِ الرَّجُلَيْنِ فَإِنَّهُ يَنْبَغُ عَنْ أَنَّ الْخَلِيفَةَ انْكَشَفَ لَهُ فِي أَخْرِيَاتِ أَتْيَامِهِ أَنَّ مَا نَاءَ بِهِ مِنَ الْأَمْرِ لَمْ يَكُنْ عَلَى الْقَانُونِ الشَّرْعِيِّ فِي الْخِلَافَةِ وَالْوَصِيَّةِ، لِأَنَّ الْمَخْلُوفَ وَالْمَوْصِيَّ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَعْيَنُ لِمَنْ يَنْهَضُ بِأَمْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَهُوَ الَّذِي تَنَبَّهَ لَهُ الْخَلِيفَةُ الثَّانِي بَعْدَ رَدِّهِ مِنَ الزَّمَنِ فَقَالَ: كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلَئِنَّ كَفَلْتَهُ الْجَاهِلِيَّةَ وَقَى اللَّهُ شَرَّهَا فَمَنْ عَادَ إِلَى مِثْلِهَا فَاقْتُلُوهُ ^(١).

وَلَا أَدْرِي أَنَّ مَا تَنَبَّهَ لَهُ هَلْ هُوَ قَصُورٌ فِي الْمَخْتَارِ «بِالْفَتْحِ» أَوْ فِيهِ «بِالْكَسْرِ» أَوْ فِيهِمَا مَعاً؟ أَوْ فِي كَوْنِ الْإِخْتِيَارِ مُوجِباً لِتَعْيِينِ الْخَلِيفَةِ؟ وَأَيُّ مَا أَرَادَ فَلَنَا فِيهِ الْمَخْرَجُ.

وَهَؤُلَاءِ زَمَرُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ لَمْ يَعْدهُمْ التَّنْصِيفُ بِالْخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَلَنْ انْتَخَبَتْ أُمَمُهُمْ خُلَفَاءَ لَهُمْ.

وَهَلْ هُنَا لَكَ ذُو حُجَّى يَزْعُمُ أَنَّ وَصَايَةَ الْفَقِيدِ الْمُبِيحَةَ لِلتَّصَرُّفِ فِيمَا تَرَكَهُ مِنْ بَعْدِهِ مُوَكَّلةٌ إِلَى أَنْسَابِ أَجَانِبٍ لَا يَعْرِفُونَ مَا يَرْتَأِيهِ فِي شَعْنُونِهِ، بَعْدَاءَ عَنْ مَغَازِيهِ وَمَا يَرُوقُهُ فِي مَالِهِ وَأَهْلِهِ، وَالْفَقِيدُ عَاقِلٌ رَشِيدٌ يَعْرِفُ الصَّالِحَ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَعْلَمُ بِنَوَايَا مَنْ

١ - رَاجِعِ الْجُزْءَ الْخَامِسَ ص ٣٧٠ ط ٢ وَهَذَا الْجُزْءُ ص ٧٩.

يلتاث به، ومن يحدوه الجشع، وترقل به النهمة، ويستفزه الطمع، أفتراه والحالة هذه يترك الوصية؟ فيدع ما تركه أكلة للآكل؟ ومطمعاً للناهب؟ لا.

لا يفعل ذلك وهو يريد خيراً بآله وصلاًحاً في ماله، وعلى ذلك جرت سنة المسلمين منذ عهد الصحابة إلى يومنا الحاضر، وأقرته الشريعة الإسلامية، وشرعت للوصايا أحكاماً، وجاء في الصحيحين ^(١) عن رسول الله ﷺ أنه قال: ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده. كذا في لفظ البخاري، وفي لفظ مسلم: يبيت ثلاث ليل، قال ابن عمر: ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي. قال النووي في رياض الصالحين ١٥٦: متفق عليه.

وَصَّى الْإِلَـهَ وَأَوْصَتْ رَسَلُهُ فَلِذَا	كَانَ التَّأْسِي بِهِمْ مِنْ أَفْضَلِ الْعَمَلِ
لَوْلَا الْوَصِيَّةُ كَانَ الْخَلْقُ فِي عَمَهِ	وَبِالْوَصِيَّةِ دَامَ الْمُلْكُ فِي الدُّوَلِ
فَاعْمَلْ عَلَيْهَا وَلَا تَهْمَلْ طَرِيقَتَهَا	إِنَّ الْوَصِيَّةَ حَكْمُ اللَّهِ فِي الْأَزْلِ
ذَكَرْتَ قَوْمًا بِمَا أَوْصَى الْإِلَـهَ بِهِ	وَلَيْسَ إِحْدَاثُ أَمْرٍ فِي الْوَصِيَّةِ لِي ^(٢)

فإذا كانت الوصية ثابتة في حطام زائل؟ فما بالها تنفى في خلافة راشدة، وشريعة خالدة، مكتفلة بصلاح النفوس والنواميس والأموال والأحكام والأخلاق والصالح العام والسلام والوثام؟ ومن المسلم قصور الفهم البشري العادي عن غايات تلکم الشئون فلا منتدح والحالة هذه عن أن يعين الرسول الأمين عن ربّه خليفته من بعده ليقصّ أثره في أمته.

وقد مرّ في صفحة ١٣٢ رأي عائشة وعبد الله بن عمر ومعاوية وحديث الناس بأنّ راعي إبل أو غنم أو قيم أرض لأيّ أحد لا يسعهم ترك رعيتهم هملاً، ورعية الناس أشدّ من رعية الإبل والغنم فالأمة لماذا صفحت يوم السقيفة عن هذا الحكم المتسالم عليه بينها؟ ولماذا نبات عنه الأسماع؟ وخرست الألسن؟ وذهلت الأحلام عنه يوم ذاك، ثمّ حدّث به الناس ونبأته الأمة؟ ولماذا ترك النبي ﷺ أمته سدىً هملاً؟ وفتح بذلك أبواب الفتن المضلة المدلهمة؟ واستحقر أمته ورأى

١ - صحيح البخارى ٤: ٢ كتاب الوصية، وصحيح مسلم ٢: ١٠.

٢ - الجزء الاخير من الفتوحات المكية لابن العربي ص ٥٧٥.

رعيها أهون من رعية الإبل والغنم؟ حاشا النبي الأعظم عن هذه الأوهام، فإنه ﷺ وصّى واستخلف ونصّ على خليفته وبلغ أمته غير أنه عهد إلى وصيّيه من بعده: أنّ الأمة ستعذر به بعده كما ورد في الصحيح (١) وقال له أيضاً: أما إنّك ستلقى بعدي جهداً، قال (عليّ): في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك (٢) و قال لعلّي: ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها إلّا من بعدي (٣) وقال له: يا عليّ إنّك ستبتلى بعدي فلا تقاثلنّ. « كنوز الدقائق للمناوي ص ١٨٨ ».

ثمّ إنّ الخليفة النادم لماذا تمّى التسلّل عن الأمر يوم السقيفة؟ وقذفه في عنق أحد الرجلين: أبي عبيدة أو عمر؟ أكان ندمه عن حقّ وقع؟ فالحقّ لا ندم فيه. و إن كان عن باطل سبق؟ فهو يهدم أساس الخلافة الراشدة.

ثمّ الذي ودّه من قذفه إلى عنق أحد الرجلين فإنّ لا نعرف وجهاً لتخصيصهما بالقذف وفي الصحابة أعظم وذو فضائل لا يبلغ الرجلان شأو أيّ منهم، وهذان بالنظر إلى ما عرفناه من أحوال الصحابة إن لم نقل إنّهما من ساقتهما، فإنّنا نقول بكلّ صراحة إنّهما لم يكونا من الأعلالي منهم وفيهم من فيهم، وقبل جميعهم سيّدنا أمير المؤمنين ﷺ صاحب السوابق والمناقب والصهر والقربة والغناء والعناء، وصاحب يوم الغدير، والأيام المشهودة، والمواقف المشهورة، نفس النبي الأعظم بنصّ من الكتاب العزيز (٤) المطهر من كلّ رجس بآية التطهير (٥).

فهلاً ودّ أن يقذفه إليه؟ فيسير بالأمة سيراً سُجّحاً، ويحملهم على المحجّة البيضاء، يأخذ بهم الطريق المستقيم، ويجدونه هادياً مهدياً، يدخلهم الجنّة. كما أخبر كلّها النبي الأعظم ﷺ وقد مرّ شرطٌ منها في الجزء الأوّل صفحه ١٢، ١٣ ط ٢.

-
- ١ - مستدرك الحاكم ٣: ١٤٠، ١٤٢، وصححه هو والذهبي في تلخيصه، تاريخ الخطيب ١ ص ٢١٦، تاريخ ابن كثير ٦: ٢١٩، كنز العمال ٦: ١٥٧.
 - ٢ - مستدرك الحاكم ٣: ١٤٠ وصححه هو واقره الذهبي.
 - ٣ - أخرجه ابن عسّاك، والمحب الطبري في الرياض ٢: ٢١٠ نقلاً عن أحمد في المناقب والحافظ الكنجي في الكفاية ص ١٤٢، والخوارزمي في المقتل ١: ٣٦.
 - ٤ - بآية المباحلة في سورة آل عمران: ٦١.
 - ٥ - في سورة الاحزاب: ٣٣.

وأما كشف بيت فاطمة سلام الله عليها فإنه لا يروقنا ها هنا خدش العواطف بتلكم النوائب، غير أنه سبقت منا بعض القول في الجزء الثالث ص ١٠٢ - ١٠٤ ط ٢ وفي هذا الجزء ص ٧٧، ٨٦.

وفذلكة ذلك النبأ العظيم أنَّ الصديقة سلام الله عليها قضت وهي واجدةً على من ارتكبه، وكانت صلوات الله عليها تدعو عليه بعد كلِّ صلاة صلَّتها ^(١).

وإن تعجب فعجب أنَّ القوم ارتكب ما ارتكب من تلكم الفظايع وارتبك فيها وملاً الاسماع هتاف النبي ﷺ بقوله: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي بضعةٌ مِنِّي، هي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني. بقوله: فاطمة بضعةٌ مِنِّي يريني ما راها، ويؤذيني ما آذاها.

وبقوله: فاطمة بضعةٌ مِنِّي فمن أغضبها فقد أغضبني.

وبقوله: فاطمة بضعةٌ مِنِّي يقبضي ما يقبضها، ويسطني ما يسطها ^(٢).

وبقوله: فاطمة بضعةٌ مِنِّي يسرني ما يسرها ^(٣).

وبقوله: يا فاطمة إنَّ الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك ^(٤).

وبهذا الهتاف تعلم أنَّ ندم الخليفة كان في محله، غير أنَّه ندم ولات حين مندم، ندم وقد قضى الأمر ووقع ما وقع، ندم والصديقة الطاهرة مقبورةً وملاً اهاجها موجدة.

الثلاثة الوسطى

وأما الثلاثة من هاتيك الأمور التسعة التي ندم عليها الخليفة على تركها فإنها تعرب عن أنَّه ارتكب ما ارتكب فيها لا عن تروٍّ أو بصيرة في الأمر، أو إستنادٍ إلى حكم شرعي، حتى كشف له الخطأ فيها جمعاء، وقد وقعت فيها عظام، وأعقبتها طامات، و خليفة المسلمين يجب أن لا يرتكب ما يستتبعها، ولا يفعل ما يوجب الندم في مغبته، و قصّة الأشعث بن قيس تعرب عن أنَّ ندم الخليفة كان في محله، فإنَّ الرجل بعد ما ارتدَّ

١ - الامامة والسياسة ١: ١٤، رسائل الجاحظ ص ٣٠١، أعلام النساء ٣ ص ١٢١٥.

٢ - راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٢٠، وستوقفك على تفصيلها في هذا الجزء انشاء الله

٣ - الاغاني ٨: ١٥٦.

٤ - راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ١٨٠ ط ٢، وسنفصل فيه القول انشاء الله.

وأتى بمعزات وقاتل المسلمين وأخذ وأتى به أسيراً إلى الخليفة فقال: ماذا تراني أصنع بك؟ فإنك قد فعلت ما علمت.
قال: تمنُّ عليّ فتفكّني من الحديد، وتزوّجني اختك، فإني قد راجعت وأسلمت. فقال أبو بكر: قد فعلت فزوّجه أم فروة ابنة أبي قحافة، فاخترط سيفه ودخل سوق الإبل فجعل لا يرى جملاً ولا ناقة إلا عرقبه، فصاح الناس: كفر الأشعث. فلمّا فرغ طرح سيفه وقال: إني والله ما كفرت ولكن زوّجني هذا الرجل أخته ولو كنّا في بلادنا كانت وليمة غير هذه، يا أهل المدينة! كلوا، ويا أصحاب الإبل! تعالوا خذوا شرواها، فكان ذلك اليوم قد شبّه بيوم الأضحى وفي ذلك يقول وبرة بن قيس الخزرجي:

لقد أولم الكنديُّ يوم ملاكه	وليمة حمّال لثقل الجرائم
لقد سلّ سيفاً كان مذكان مغمداً	لدى الحرب منها في الطلا والجماجم
فأغمده في كلّ بكر وسابح	وعير وبغل في الحشا والقوائم
فقل للفتى الكنديّ يوم لقائه	ذهبت بأسنى مجد أولاد آدم
وقال الأصبع بن حرملة الليثي متسخطاً لهذه المصاهرة:	
أتيّت بكنديّ قد ارتدّ وانتهى	إلى غاية من نكث ميثاقه كفر
فكان ثواب النكث إحياء نفسه	وكان ثواب الكفر تزويجه البكر
ولو أنّه يأبى عليك نكاحها	وتزويجها منه لأمهرته مهرا
ولو أنّه رام الزيادة مثلها	لأنكحته عشراً وأتبعته عشرا
فقل لأبي بكر: لقد شنت بعدها	قريشاً وأخملت النباهة والذكرا
أما كان في تيم بن مرّة واحد	تزوّجه؟ لولا أردت به الفخرا؟
ولو كنت لمّا أن أتاك قتلتَه	لأحرزتها ذكراً وقدّمتها ذخرا
فأضحى يرى ما قد فعلت فريضة	عليك فلا حمداً حويت ولا أجرا ^(١)

الثلاثة الآخر

إنّ الثلاثة الآخر التي تمتّى الخليفة أن يكون استعلمها من رسول الله ﷺ فأثما تنبأنا بقصوره في علم الدين، وإنّه كان نائياً في فقهه، لا يعرف أحكام المواريث

١ - تاريخ الطبري ٣: ٢٧٦، ثمار القلوب للثعالبي ص ٦٩، الاستيعاب: ١: ٥١، الكامل لابن الاثير ٢: ١٦٠، مجمع الامثال للميداني ٢: ٣٤١، الاصابة ١: ٥١ و ج ٣: ٦٣٠.

التي يكثر ابتلاء خليفة المسلمين بها طبعاً، وإنَّه كان شاكاً في أصل الخلافة هل هي بالنصِّ أو الاختيار؟ وعلى الثاني هل تخصَّ المهاجرين فحسب؟ أو أنَّه يشاركهم فيها الأنصار؟ وعلى أيِّ فهو في تسَمِّه عرش الخلافة غير متيقِّن بالرشد من أمره، ولا تُحكِّمها هنا غير ضميرك الحرِّ، وليس في الحقِّ مغضبة.

ثمَّ إنِّي لا أعرف لهذا التَمَيُّ محصَّلاً لأنَّه لو كان سأله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك لما كان يجيبه إلَّا بمثل قوله: من كنت مولاه فعليُّ مولاه. غ ج ١ ^(١).

وقوله: إنِّي تاركُ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ^(٢).

وقوله: إنِّي تارك فيكم خليفتي كتاب الله وأهل بيتي ^(٣).

وقوله: عليُّ مني بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي غ ٣: ١٩٩.

وقوله لعليٍّ: أما ترضى أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّك لست بنبيٍّ، أنَّه لا ينبغي أن أذهب إلَّا وأنت خليفة. غ ٣: ١٧٢.

وقوله: أوحى إليَّ في ثلاث: أنَّه سيد المسلمين. وإمام المتّقين. وقائد الغرِّ المحجلين: مستدرك الحاكم ٣: ١٣٨.

وقوله: إن الله أطلع على أهل الأرض فاختار منه أباك فبعثه نبياً، ثمَّ أطلع الثانية فاختار بعلك فأوحى إليَّ فأنكحته وأتخذته وصياً. غ ٢: ٣١٨ و ج ٣: ٢٣.

وقوله: عليُّ الصديق الأكبر وفاروق هذه الأُمة، يفرق بين الحقِّ والباطل، ويعسوب المؤمنين، وهو بابي الذي أوتي منه، وهو خليفتي من بعدي. غ ٢: ٢١٣.

وقوله: عليُّ راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، والكلمة التي ألزمتها المتّقين، من أحبَّه أحبَّني ومن أبغضه أبغضني. غ ٣: ١١٨.

وقوله: عليُّ أخي ووصيِّ ووارثي وخليفتي من بعدي. غ ٢: ٢٧٩ - ٢٨١.

وقوله: عليُّ سيّد مبجل، مؤمل المسلمين، وأمير المؤمنين، وموضع سرِّي وعلمي، وبابي الذي يؤوى اليه، وهو الوصيُّ على أهل بيتي، وعلى الأخيار من أمتي، وهو أخي في الدنيا والآخرة. غ ٣: ١١٦.

١ - هذا رمز كتابنا هذا (الغدير) في هذا الجزء وبقيّة الاجزاء.

٢ و ٣ - مرّ الايعاز الى حديث الثقلين غير مرة وسنّفصل القول فيه انشاء الله.

وقوله: عليّ أخي ووزيرٍ وخير من أترك بعدي. غ ٢ : ٣١٣.

وقوله: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. غ ٣ : ١٧٧.

وقوله: عليّ مع الحقّ والحقّ معه وعلى لسانه يدور حيشما دار عليّ. غ ٣ : ١٧٨.

وقوله: عليّ مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض. غ ٣ : ١٨٠.

وقوله: عليّ مّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي غ ٣ : ٢٢، ٢١٥.

وقوله: عليّ مولى كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة غ ١ : ١٥، ٥١.

وقوله: عليّ أنزله الله مّي بمنزلي منه. غ ١ : ٢٢.

وقوله: عليّ وليّ في كلّ مؤمن بعدي، مسند أحمد ١ : ٢٣١.

وقوله: عليّ مّي بمنزلي من ربّي، السيرة الحلبية ٣ : ٣٩١.

وقوله: عليّ وليّ المؤمنين من بعدي. تاريخ الخطيب ٤ : ٣٣٩.

وقوله: من كان الله ورسوله وليّه فعليّ وليّه. غ ١ : ٣٨.

وقوله: لا يُبلّغ عيّ إلا أنا أو رجل مّي. غ ٦ : ٣٣٨ - ٣٥٠.

وقوله: ما من نبيّ إلا وله نظير وعليّ نظيري. غ ٣ : ٢٣.

وقوله: أنا وعليّ حجّة على أمّتي يوم القيامة. تاريخ الخطيب ٢ : ٨٨.

وقوله: من أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومن عصى عليّاً فقد عصاني، مستدرك الحاكم ٣ : ١٢١، ١٢٨.

كيف تمثّل الخليفة ما تمثّل مع هذه النصوص؟ أو كان في الآذان وقرّ يوم هتف ﷺ بهاتيك الكلم الجامعة المعربة عن الخلافة بكلّ ما يمكن من التعبير؟ أم أنّ في القوم من تصامم عنها لأمر دبرّ بليل.

أولم يكف الخليفة أنّه ﷺ لما عرض نفسه على القبائل وكان معه عليّ أمير المؤمنين ومعهما أبو بكر وبلغ بني عامر بن صعصعة ودعاهم إلى الله فقال له قائلهم: أرايت إن نحن تابعنك على أمرك ثمّ أظهرك الله على من خالفك، أياكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: إنّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء^(١)؟

١ - مرّت مصادره في هذا الجزء ص ١٣٤.

أفكان يزعم الخليفة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ الذي أناط الأمر بعده إلى المولى سبحانه ومشيعته كان لو سأله عن ذلك أجابه بالتزديد بين اختيار الأمة ولو لم تكتمل فيه شرايط الإجماع والانتخاب الصحيح كما في البيعة الأولى؟ وبين وصية الخليفة واستخلافه كما وقع في أمر الثاني؟ وبين الشورى مع إرهاب المخالف بالقتل كما كان في منتهى الثلاثة؟ لكنّه لو كان يحسب ذلك لما ودَّ أن لو كان سأله ﷺ وكان يعلم أيضاً أنَّ التزديد في الجواب على فرضه إغراءً للأمة بالفوضى، وفي ذلك مسرح لكل مدَّعٍ محقٍّ أو مبطل، ولاحتجَّ به كلٌّ ناعبٍ وناعقٍ حتَّى تنتهي النوبة إلى الطلقاء وأبناء الطلقاء أمثال معاوية ويزيد وهلمَّ جرّاً.

تحفظ على كرامة

حذف أبو عبيد من الحديث ذكر الأمر الأوّل من الثلاثة الأوّل وهو: كشف بيت فاطمة وجعل مكانه قوله: فوددت إنّي لم أكن فعلت كذا وكذا - لخلّة ذكرها - فقال: لا أريد اذكرها. وما حرّف ما حرّف إلّا تحقُّظاً على كرامة الخليفة، والأسف على أنّ غيره ما شاركه فيما فعل، فظهرت خيانتته على ودائع التاريخ.

- ١٢ -

سؤال يهوديّ أبا بكر

عن أنس بن مالك قال: أقبل يهوديّ بعد وفاة رسول الله ﷺ فأشار القوم إلى أبي بكر فوقف عليه فقال: أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ قال أبو بكر: سل عمّا بدا لك. قال اليهودي: أخبرني عمّا ليس لله، وعمّا ليس عند الله، وعمّا لا يعلمه الله. فقال أبو بكر: هذه مسائل الزنادقة يا يهوديّ! وهمّ أبو بكر والمسلمون رضي الله عنهم باليهودي، فقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: ما أنصفتهم الرجل. فقال أبو بكر: أما سمعت ما تكلم به؟ فقال ابن عبّاس إن كان عندكم جوابه وإلّا فاذهبوا به إلى عليّ رضي الله عنه يجيبه فأتني سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ بن أبي طالب: ألهم اهد قلبه، وثبّت لسانه، قال: فقام أبو بكر ومن حضره حتّى أتوا عليّ بن أبي طالب

فاستأذنوا عليه فقال أبو بكر: يا أبا الحسن! إن هذا اليهودي سألني مسائل الزنادقة. فقال عليٌّ: من تقول يا يهودي؟ قال: أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبيٌّ أو وصيُّ نبيٍّ. فقال له: قل. فردَّ اليهودي المسائل: فقال عليٌّ رضي الله عنه: أمّا لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود! إنَّ العزيز ابن الله، والله لا يعلم أنَّ له ولداً. وأمّا قولك: أخبرني بما ليس عند الله. فليس عنده ظلم للعباد، وأمّا قولك: أخبرني بما ليس لله فليس له شريك. فقال اليهوديُّ: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، وأنتك وصيُّ رسول الله ﷺ فقال أبو بكر والمسلمون لعليٍّ عليه السلام: يا مفرِّج الكرب. «المجتنى لابن دريد ص ٣٥» قال الأُميني: اقرأ واحكم.

- ١٣ -

وفد النصارى وأسؤلتهم

أخرج الحافظ العاصمي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: لما قبض النبي ﷺ اجتمعت النصارى إلى قيصر مالك الروم فقالوا له: أيُّها الملك أتّا وجدنا في الإنجيل رسولاً يخرج من بعد عيسى اسمه أحمد وقد رمقنا خروجه وجائنا نعتة فأشر علينا فأتّا قد رضيناك لديننا ودينانا قال: فجمع قيصر من نصارى بلاده مائة رجل وأخذ عليهم المواثيق أن لا يغدروا ولا يخفوا عليه من أمورهم شيئاً وقال: وانطلقوا إلى هذا الوصيِّ الذي من بعد نبيِّهم فسلوه عمّا سئل عنه الأنبياء عليهم السّلام وعمّا أتاهم به من قبل، والدلائل التي عرفت بها الأنبياء، فإن أخبركم فآمنوا به وبوصيِّه واكتبوا بذلك إليّ، وإن لم يخبركم فاعلموا أنَّه رجلٌ مُطاع في قومه، يأخذ الكلام بمعانيه، ويردّه على مواليه، وتعرّفوا خروج هذا النبيِّ. قال: فسار القوم حتّى دخلوا بيت المقدس واجتمعت اليهود إلى رأس جالوت فقالوا له مثل مقالة النصارى بقيصر، فجمع رأس جالوت من اليهود مائة رجل، قال سلمان فاغتنمت صحبة القوم فسرنا حتّى دخلنا المدينة وذلك يوم عروبة ^(١) وأبو بكر قاعدٌ في المسجد رضي الله عنه يفتي الناس فدخلت عليه فأخبرته بالذي قدم له النصارى واليهود فأذن لهم بالدخول عليه فدخل عليه رأس جالوت

١ - يعني يوم الجمعة وكان يسمى قديماً بيوم عروبة، ويوم العروبة. والافصح ترك الالف واللام.

فقال: يا أبا بكر إنا قومٌ من النصارى واليهود جئناكم لنسألكم عن فضل دينكم فإن كان دينكم أفضل من ديننا قبلناه وإلا فديننا أفضل الأديان؟ قال أبو بكر: سل عما تشاء أجبك إن شاء الله قال: ما أنا وأنت عند الله؟ قال أبو بكر: أمّا أنا فقد كنت عند الله مؤمناً وكذلك عند نفسي إلى الساعة ولا أدري ما يكون من بعد. فقال اليهودي: فصف لي صفة مكانك في الجنة، وصفة مكاني في النار، لأرغب في مكانك وأزهد عن مكاني. قال: فأقبل أبو بكر ينظر إلى معاذ مرّة وإلى ابن مسعود مرّة، وأقبل رأس جالوت يقول لأصحابه بلغة أمّته: ما كان هذا نبيّاً: قال سلمان: فنظر إلى القوم، قلت لهم: أيّها القوم! ابعثوا إلى رجل لو ثنيتم الوسادة لقضى لأهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الإنجيل بانجيلهم، ولأهل الزبور بزبورهم، ولأهل القرآن بقرآنهم، ويعرف ظاهر الآية من باطنها، وباطنها من ظاهرها.

قال معاذ: فقامت فدعوت عليّ بن أبي طالب وأخبرته بالذي قدمت له اليهود والنصارى فأقبل حتّى جلس في مسجد رسول الله ﷺ قال ابن مسعود: وكان علينا ثوب ذلّ: فلما جاء عليّ بن أبي طالب كشفه الله عنّا قال عليّ: سلني عما تشاء أخبرك إن شاء الله قال اليهودي: ما أنا وأنت عند الله؟ قال أمّا أنا فقد كنت عند الله وعند نفسي مؤمناً إلى الساعة فلا أدري ما يكون بعد. وأمّا أنت فقد كنت عند الله وعند نفسي إلى الساعة كافراً ولا أدري ما يكون بعد. قال رأس جالوت: فصف لي صفة مكانك في الجنة وصفة مكاني في النار فأرغب، في مكانك وأزهد عن مكاني قال: عليّ: يا يهودي! لم أر ثواب الجنة ولا عذاب النار فأعرف ذلك، ولكن كذلك أعدّ الله للمؤمنين الجنة وللكافرين النار، فان شككت في شيء من ذلك فقد خالفت النبي ﷺ ولست في شيء من الإسلام. قال: صدقت رحمك الله فإنّ الأنبياء يوقنون على ما جاؤا به فإن صدقوا آمنوا، وإن خولفوا كفروا. قال: فأخبرني أعرفت الله بمحمد أم محمداً بالله؟ فقال عليّ: يا يهودي! ما عرفت الله بمحمد ولكن عرفت محمداً بالله لأنّ محمداً محدودٌ مخلوقٌ وعبدٌ من عباد الله اصطفاه الله واختاره لخلقه وألهم الله نبيه كما ألهم الملائكة الطاعة، وعرفهم نفسه بلا كيف ولا شبه. قال صدقت قال: فأخبرني الربّ في الدنيا أم في الآخرة؟ فقال عليّ: إنّ « في » وعاءٌ فمتى ما كان بقي كان محدوداً ولكنه يعلم ما في الدنيا والآخرة، وعرشه في هواء الآخرة وهو محيطٌ بالدنيا، والآخرة بمنزلة القنديل في وسطه إن خليت يكسر، إن أخرجته لم يستقم

مكانه هناك فكذلك الدنيا وسط الآخرة. قال: صدقت قال: فأخبرني الربَّ يَحْمِلُ أو يُحْمَلُ؟ قال عليُّ بن أبي طالب: يَحْمِلُ قال رأس جالوت: فكيف؟ وإنا نجد في التوراة مكتوباً ويحمل عرش ربِّك فوقهم يومئذ ثمانية. قال عليُّ: يا يهوديُّ: إنَّ الملائكة تحمل العرش، والثرى يحمل الهواء، والثرى موضوع على القدرة وذلك قوله تعالى: له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى. قال اليهوديُّ: صدقت رحمك الله. الحديث.

« زين الفتى في شرح سورة هل أتى للحافظ العاصمي »

(هَلَمْ مَعِيَ إِلَى الْغُلُو)

هذه جملة ممَّا وقفنا عليه من فتاوى أبي بكر وآرائه وهي على قَلَّتْهَا تدلُّك على مكانته من علم الكتاب، وعرفان السنَّة، وفقه الشريعة، واحكام الدين، أو ليس من المغالاة إذن أن يُقال: عَلِمَ كُلُّ ذِي حِظٍّ من العلم أنَّ الذي كان عند أبي بكر من العلم أضعاف ما كان عند عليٍّ منه؟^(١).

أليس من المغالاة؟ أن يُقال: إنَّ المعروف أنَّ الناس قد جمع الأقضية والفتاوى المنقولة عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ فوجدوا أصوبها وأدَّهها على علم صاحبها امور أبي بكر ثمَّ عمر، ولهذا كان ما يوجد من الأمور التي وجد نصٌّ يخالفها عن عمر أقلَّ ممَّا وجد عن عليٍّ، وأمَّا أبو بكر فلا يكاد يوجد نصٌّ يخالفه؟

أليس من المغالاة؟ أن يُقال: لم يكن أبو بكر وعمر ولا غيرهما من أكابر الصحابة يَخَصَّانَ عليًّا بسؤال، والمعروف: أنَّ عليًّا أخذ العلم عن أبي بكر؟^(٢).

أليس من المغالاة أن يُقال: إنَّ أبا بكر من أكابر المجتهدين بل هو أعلم الصحابة على الإطلاق؟ قال ابن حجر في الصواعق ص ١٩.

أليس من المغالاة؟ أن يُقال: إنَّ أبا بكر أعلم الصحابة وأدَّكاهم، وكان مع ذلك أعلمهم بالسنَّة كما رجع إليه الصحابة في غير موضع، يبرز عليهم بنقل سنن عن النبي ﷺ يحفظها هو ويستحضرها عند الحاجة إليها ليست عندهم، وكيف لا يكون

١ - قاله ابن حزم في الفصل ٤: ١٣٦. راجع ما مر في الجزء الثالث ص ٩٥ ط ٢.

٢ - منهاج السنة لابن تيمية ٣: ١٢٨. راجع ما اسلفناه في ج ٦ ص ٣٢٩ ط ٢.

كذلك وقد واطب على صحبة الرسول الله ﷺ من أوّل البعثة الى الوفاة (١)

أليس من المغالاة؟ ما عزوه إلى النبيّ الأقدس من قبله ﷺ ما صبّ الله في صدري شيئاً إلا صبته في صدر أبي بكر (٢).
أليس من المغالاة؟ ما روه عنه ﷺ أنه قال: رأيت كأني أعطيت عسّاً مملوّ البنأ فشربت منه حتى امتلأت، فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد واللحم ففضلت منها فضلة فأعطيتها أبا بكر، قالوا: يا رسول الله! هذا علم أعطاكه الله حتى إذا امتلأت ففضلت فضلة فأعطيتها أبا بكر، قال ﷺ: قد أصبتم «الرياض النضرة ١: ١٠١».

أليس من المغالاة؟ ما جاء به ابن سعد عن ابن عمر من أنه سئل عمّن كان يفتي في زمن رسول الله ﷺ فقال: أبو بكر وعمر ولا أعلم غيرهما.

راجع اسد الغابة ٣: ٢١٦، الصواعق ص ١٠، ٢٠ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٥.

قال الأميني: ليتني أدري وقومي ما بال القوم؟ في نحت هذه الدعاوي الفارغة، واختلاق هذه الأكاذيب المكردة، وزعق بسطاء الأمة إلى المزالق والطامات، و ردعهم عن مهيع الحق، وجدد الصّدق في عرفان الرجال، ومقادير السلف.
أليست هذه الآراء تضادّ نداه المشرّع الأقدس وقوله لفاطمة: أما ترضين ليّ زوّجتك أوّل المسلمين إسلاماً وأعلمهم علماً؟

وقوله لها: زوّجتك خير أمّي أعلمهم علماً.

وقوله: إنّ عليّاً لأوّل أصحابي إسلاماً وأكثرهم علماً.

وقوله: أعلم أمّي من بعدي عليّ.

وقوله: أنا مدينة العلم وعليّ بابها.

وقوله: عليّ وعاء علمي.

وقوله: عليّ باب علمي.

وقوله: عليّ خازن علمي.

وقوله: عليّ عيبة علمي.

وقوله: أنا دار الحكمة وعليّ بابها.

١ - تأريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٩.

٢ - راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ٣١٦ ط ٢ وهذا الجزء ص ٨٧.

وقوله: أنا دار العلم وعليّ بابها.

وقوله: أنا ميزان العلم وعليّ كفتاه.

وقوله: أنا ميزان الحكمة وعليّ لسانه.

وقوله: أقضى أمتي عليّ.

وقوله: أقضاكم عليّ ^(١) إلى أمثال هذه من الكثير الطيّب،

أليست تلکم الآراء المجردة تخالف ما أسلفناه في الجزء الثالث ص ٩٥ - ١٠١ وفي نواذر الأثر في الجزء السادس من أقوال الصحابة الأولين والتابعين باحسان في علم عليّ؟ نظراء عائشة. وعمر. ومعاوية. وابن عباس. وابن مسعود. وعديّ بن حاتم. وسعيد بن المسيب. وهشام بن عتبة. وعطاء وعبد الله بن حجل.

ألئ يسوغ القول بأعلميّة أيّ أحد من الأئمة غير عليّ أمير المؤمنين بعد ما مرّ في الجزء الثالث ص ١٠٠ من إجماع أهل العلم أنّ عليّاً عليه السلام هو وارث علم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم دونهم. وما أسلفناه هناك من الصحيح الوارد عن مولانا أمير المؤمنين من قوله: والله إنّي لأخوه وولّيه وابن عمّه ووارث علمه، فمن أحقّ به مّيّ؟

ثمّ أيّ نجفة من العلم كانت آية فضلة عسّ شربها الخليفة من يد النبيّ الأعظم إن صحّت الأحلام؟ أقوله في الأب؟ أم رأيه في الكلاله والجدّ والجدّتين والخلافة وغيرها؟ أمثل هذه كان هو وصاحبه ويفتيان في حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟

وأيّ صدرٍ هذا لم يك ينضح بشيء من العلم - والاناء ينضح بما فيه - بعد ما صبّ فيه رسول الله كلّما صبّ الله في صدره صلّى الله عليه وآله وسلّم؟

وأنت جدّ عليم بأنّ الأخذ بمجامع تلکم الصحاح الماثورة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأقوال الصحابة والتابعين في علم أمير المؤمنين عليه السلام والجمع بينها وبين تلکم الآراء في علم أبي بكر يستلزم القول بأعلميّة من رسول الله ايضاً بعد كونه وعليّ صلى الله عليهما وآلهما صنوين في الفضائل، بعد كون عليّ رديف أخيه الأقدس ونفسه في مآثره، بعد كونه وارث علمه وبابه وعييته ووعاءه وخازنه، ولا أحسب كلّ القوم ولاجلّهم يقول بذلك. نعم: من لم يتحاش عن الغلوّ في أبي حنيفه والقول بأعلميّة من رسول الله

١ - راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٩٥ ط ٢، والجزء السادس ص ٦١ / ٨١ ط ٢.

ﷺ في القضاء كما مرَّ في الجزء الخامس ص ٢٧٩ ط ٢ لا يكثرث للقول بذلك في أبي بكر الأفضل من أبي حنيفة. هذا هو الغلو الممقوت الذي تصكُّ به المسامع لا ما تقول به الشيعة يا اتباع أبناء حزم وتيميَّة وكثير وجوزيَّة!

مظاهر علم الخليفة

وأوَّل مظهر من مظاهر علم الخليفة عند الباقلاني من المتقدِّمين كما في تمهيده ص ١٩١، وعند السيِّد أحمد زيني دحلان من المتأخِّرين كما في سيرته هامش الحليَّة ٣: ٣٧٦ هو إعلامه الناس بموت رسول الله ﷺ وحجاجة عمر بن الخطاب بقول العزيز الحكيم: و ما محمَّد إلَّا رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم. الآية^(١). ما أذهل الرجلين عن أنَّ الأمر لم يعضل على أيِّ امرئ من الصحابة، وحاشاهم عن أن يكون هذا مبلغ علمهم، وقد كان حملة القرآن الكريم بأسرهم على علم من موته ﷺ أخذاً بما أجرى الله بين البشر من الطبيعة المطردة وقضى أجلاً وأجل مسمّى وما كان لنفس أن تموت إلَّا باذن الله كتاباً مؤجَّلاً، ولكلِّ أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. وتمسكاً بالقرآن العظيم، ونصوصه ﷺ الكثيرة عليه في مواقف لا تحصى، أحفلها حجَّة الوداع ومن هنا سُميت تلك الحجَّة بحجَّة الوداع.

ولم يكن إنكار عمر موته ﷺ لجهله بذلك، وقد قرأ عمر وبن زائدة عليه و على الصحابة في مسجد رسول الله ﷺ الآية المذكورة قبل تلاوة أبي بكر إياها وأشفعها بقوله تعالى إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ^(٢) فضرب الرجل عنها وعن قارئها صفحاً، وعمر وبن زائدة صحابيّ عظيم استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة ثلاث عشرة مرَّة في غزواته كما في الاصابة ص ٥٢٣.

وإنَّما كان إنكاره ذلك وإرهابه الناس لسياسة مدبَّرة، وذلك صرف فكرة الشعب

١ - آل عمران. آية: ١٤٤.

٢ - راجع تاريخ ابن كثير ٥: ٢٤٣، شرح المواهب للزرقاني ٨. ٢٨١.

عن الفحص عن الخليفة إلى أن يحضر أبو بكر وكان غائباً بالسُّنح ^(١) خارج المدينة، وكان الأمر دُبِّرَ بليلى، ألا ترى أنَّ غير واحد من أعلام القوم قد اعتذروا عن إنكار عمر موته ﷺ بغير الجهل فمنهم من قال: إنَّ ذلك كان لتشوّش البال، واضطراب الحال، والذهول عن جليّات الأحوال ^(٢) ومنهم من اعتذر بقوله: حَبَل عمر في وفاة النبي ﷺ فجعل يقول: إنَّه والله ما مات ولكنَّه ذهب إلى ربِّه ^(٣).

(المظهر الثاني) وجاء ابن حجر من علم الخليفة بمظاهر أخرى واحتجَّ بها على كونه أعلم الصحابة على الإطلاق. منها: ما أخرجه البخاري في صحيحه في صلح الحديبية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فأُتيت نبيَّ الله ﷺ فقلت: يا نبيَّ الله أأنت نبيَّ الله حقاً؟ قال: بلى قلت: أألسنا على الحقِّ وعدُّونا على الباطل؟ قال: بلى.

قلت: فلمْ نعطي الدنيَّة في ديننا إذن؟ قال: إيَّ رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري. قلت: أو ليس كنتَ تحدِّثنا أنَّ سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتكَ أنَّك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنَّك آتية ومطوَّف به. قال: فأُتيت أبا بكر رضي الله عنه فقلت: يا أبا بكر: أليس هذا نبيُّ الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: أألسنا على الله وعدُّونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلمْ نعطي الدنيَّة في ديننا إذن. فقال: أيُّها الرجل! أنَّه رسول الله ولن يعصي ربَّه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله أنَّه على الحقِّ. فقلت: أليس كان يحدِّثنا أنَّ سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى فأخبركَ أنَّك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنَّك آتية ومطوَّف به.

قال الأُميني: هل في هذه الرواية غير أنَّ أبا بكر كان مؤمناً بنبوَّة رسول الله، وبطبع الحال أنَّ كلَّ من اعتنق هذا المبدء يرى أنَّه ﷺ لا يعصي ربَّه وهو ناصره و أنَّ كلَّ ميعاد جاء به لا بدَّ وأن يقع في الأجل المضروب له إن كان موقَّتاً وإلا فهو يقع

١ - تاريخ الطبري ٣ ص ١٩٧، طبقات ابن سعد رقم التسلسل ط مصر: ٧٨٦، تفسير القرطبي ٤: ٢٢٣ عيون الاثر ٢: ٣٣٩.

٢ - شرح المقاصد للتفتازاني ٢: ٢٩٤.

٣ - عيون الاثر لابن سيد الناس ٣: ٣٣٩.

لا محالة في ظرفه الخاص به، فلا يخالجه شك إذا لم يُعَجَّل.

هذه غاية ما يوصف به أبو بكر بهذا الحديث، وهو معنى يشترك فيه جميع المسلمين وليس من خاصته، فأئني دلالة فيه على كون أبي بكر أعلم الصحابة على الإطلاق؟ ولو كان عمر يسأل أي صحابي بسؤاله هذا لما سمع إلا لدة ما أجاب به أبو بكر ومثل ما أجاب به رسول الله ﷺ، وكذلك المسلمون كلهم إلى منصرم الدنيا، فأنك لا تجد عند أحدهم ضميراً غير هذا، و إذا فاتحته بالكلام عن مثله فلا تسمع جواباً غيره، فهل فاتح عمر بن غير أبي بكر أحداً من الصحابة وسمع جواباً غير ما أجاب به؟ حتى يُستدل به على أعلميته على الإطلاق أو على التقييد.

وهل كان رسول الله ﷺ في صدد بيان غامض من علومه لما أجاب عمر حتى يكون إذا وافقه أبو بكر في الجواب يصبح به أعلم الصحابة على الإطلاق؟

وابن حجر يعلم ذلك كله ولذلك تعمّد باسقاط لفظ الرواية وقال في الصواعق ص ١٩: هو (أبو بكر) من أكابر المجتهدين بل هو أعلم الصحابة على الإطلاق للأدلة الواضحة على ذلك منها: ما أخرجه البخاري وغيره أنّ عمر في صلح الحديبية سأل رسول الله ﷺ عن ذلك الصلح وقال: علام نعطي الدية في ديننا فأجابه النبي ﷺ ثم ذهب إلى أبي بكر فسأله عما سأل عنه ﷺ من غير أن يعلم بجواب النبي ﷺ فأجابه بمثل ذلك الجواب سواء بسواء. اهـ.

يوهم ابن حجر أنّ هناك معضلة كشفها أبو بكر، أو عويصة من العلوم حلّها ممّا يُعدّ الخوض فيه من الأدلة الواضحة على أعلمية صاحبه من الصحابة على الإطلاق فليفعل ابن حجر ما شاء فإنّ نظارة التنقيب رقيقة عليه، والله من وراءه حسيب.

(المظهر الثالث) ومن الأدلة الواضحة عند ابن حجر على أنّ الخليفة أعلم الصحابة على الإطلاق ما روي في الصواعق ص ١٩ عن عائشة مرسلاً أنّها قالت. لما توفّي رسول الله ﷺ: اشرب النفاق، أي رفع رأسه، وارتدت العرب، وانحازت الأنصار، فلو نزل بالجمال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها، أي فتتها، فما اختلفوا في لفظة إلا طار أبي بعبأها وفصلها، قالوا: أين ندفن رسول الله ﷺ؟ فما وجدنا عند أحد في ذلك علماً فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من نبي يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه.

واختلفوا في ميراثه فما وجدنا عند أحد في ذلك علماً فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة.

ثم قال: قال بعضهم: وهذا أوّل اختلاف وقع بين الصحابة فقال بعضهم: ندفنه بمكة مولده ومنشأه، وبعضهم بمسجده، وبعضهم بالبقيع، وبعضهم ببית المقدس مدفن الأنبياء، حتّى أخبرهم أبو بكر بما عنده من العلم، قال ابن زنجويه: وهذه سنّة تفرّد بها الصديق من بين المهاجرين والأنصار ورجعوا اليه فيها.

قال الأُميئي: غاية ما في هذه المرسلة عن عائشة أنّ أبا بكر روى حديثين عن رسول الله ﷺ شدّت روايتهما عن الحضور في ذينك الموقفين، فإن يكنّ بهما أبو بكر أعلم الصحابة على الإطلاق حتّى من لم يحضرهما ولو بنحو من التهجّم والرجم بالغيب. فكيف بمن روى آلافاً مؤلّفة من الأحاديث شدّت عن أبي بكر روايتها جمعاء أو رواية أكثرها؟ و مع ذلك لا يُعدّ أحدٌ منهم أعلم الصحابة أو أعلم من أبي بكر على الأقلّ.

أليس هو صاحب نادرة الأبّ والكلالة والجدّ والجدتين إلى نوادر أخرى؟ أليس هو الآخذ بالسنّة الشريفة من نظراء المغيرة بن شعبة ومحمّد بن مسلمة وعبد الرحمن بن سهيل إلى أناس آخرين عاديّين؟

كأنّ ابن حجر يقيس الناس إلى نفسه ويحسبهم ولا يدّ حَجَرَ لا يعقلون شيئاً و هم يسمعون، ألا يقول الرجل ما الذي فهمه الصحابة من هتاف رسول الله ﷺ يوم هتف بقوله:

١ - ما بين قبري ومنبري روضةٌ من رياض الجنّة قوله ﷺ :

٢ - ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنّة. وقوله ﷺ :

٣ - ما بين حجرتي إلى منبري روضةٌ من رياض الجنّة. وقوله ﷺ :

٤ - ما بين المنبر وبين عائشة روضةٌ من رياض الجنّة وقوله ﷺ :

٥ - من سرّه أن يصلي في روضة من رياض الجنّة فليصل بين قبري ومنبري؟

وهذه الأحاديث أخرجها باللفظ الأوّل البخاري ^(١) وأحمد، وعبد الرزاق،

١ - حكاها الانصارى عن نسخة من صحيحه في تحفة البارى المطبوع في ذيل ارشاد السارى ٤: ٤١٢.

وسعيد بن المنصور، والبيهقي في شعب الايمان، والخطيب، والبزار، والطبراني، و الدارقطني، وأبو نعيم، وسمويه، وابن عساكر من طريق جابر، وسعد بن أبي وقاص، و عبد الله بن عمر، وأبي سعيد الخدري.

راجع تاريخ الخطيب ١١: ٢٢٨، ٢٩٠، إرشاد الساري للقسطلاني ٤: ٤١٣ وصحَّح إسناده البزار وقال: عند البزار بسند رجاله ثقات، كنز العمال ٦: ٢٥٤، شرح النووي لمسلم هاشم الارشاد ٦: ١٠٣ تحفة الباري في ذيل الإرشاد ٤: ٤١٢، وحكاية السهمودي في وفاء الوفا ١: ٣٠٣ عن الصحيحين، وصحَّحه من طريق البزار.

وأخرجها باللفظ الثاني البخاري، ومسلم، والترمذي، وأحمد، والدارقطني، و أبو يعلى، والبزار، والنسائي، وعبد الرزاق، والطبراني، وابن النجار، من طريق جابر وعبد الله بن عمر، وعبد الله المازني، وأبي بكر.

راجع صحيح البخاري كتاب الصَّلَاة: باب فضل ما بين القبر والمنبر وكتاب الحجّ، وصحيح مسلم كتاب الحجّ، باب: فضل ما بين قبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنبره، تيسير الوصول ٣: ٣٢٣، تمييز الطيب ص ١٣٩، فقال: متَّفَقٌ عليه، كنوز الدقائق ص ١٢٩، كنز العمّال ٦: ٢٥٤، الجامع الصغير وصحَّحه وقال: حديثٌ متواترٌ كما في الفيض القدير ٥: ٤٣٣، تحفة الباري في ذيل الإرشاد ٤: ٤١٢، وفاء الوفا ١: ٣٠٢، ٣٠٣ وصحَّحه بإسناد أحمد والبزار.

وأخرجه باللفظ الثالث أحمد، والشاشي، وسعيد بن منصور، والخطيب من طريق جابر وعبد الله المازني كما في تاريخ الخطيب ٣: ٣٦٠، وكنز العمال ٦، ٢٥٤، وشرح النووي لمسلم هاشم الإرشاد ٦: ١٠٣.

واللفظ الرابع تجده في الأوسط للطبراني من طريق أبي سعيد الخدري كما في إرشاد الساري ٤. ٤١٣، ووفاء الوفا ١: ٣٠٣.

والخامس منها أخرجه الديلمي من طريق عبيد الله بن ليبيد كما في كنز العمال ٦ ص ٢٥٤.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٩٣: قلت: كيف اختلفوا في موضع دفنه وقد قال لهم: فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري. وهذا تصريح بأنّه

دفن في البيت الذي جمعهم فيه وهو بيت عايشة. اهـ.

وهذا الحديث أخرجه ابن سعد، وابن منيع، والحاكم، والبيهقي، والطبراني في الأوسط من طريق ابن مسعود كما في الخصائص الكبرى للحافظ السيوطي ٢: ٢٧٦.

أرى ابن حجر أنّ الصحابة بعد تلکم الأحاديث كانوا غير عارفين تلك الروضة المقدسة التي أنبأهم بها نبيهم الأقدس، وأمرهم بالصلاة عليها؟ أو يراهم إنهم عرفوا القبر والمنبر وما بينهما من الروضة، ووقفوا على حدودها من كتب أخذاً منه ﷺ ثم اختلفوا في المدفن الشريف، فباح به أبو بكر فأصبح بذلك أعلمهم على الإطلاق؟

على أنّه لو صحّت رواية الدفن لوجب أن ييوح بها رسول الله ﷺ لمن أوصاه بغسله ودفنه (١) لمن ولي غسله وكفنه وإجناحه (٢) لمن يعلم أنّه يباشر دفنه ويولي إجناحه في منتصف الليل من دون حضور غير أهله كما مرّ في ص ٧٥ لا الذي يغيب عن ذلك المشهد، وغلبت على أجفانه عند ذاك سنة الكرى، وتعيين المدفن من أهم ما يوصى به عند كلّ أحد فضلاً عن سيّد البشر، وهذا الاعتبار يعارض ما أخرجه أبو يعلى من حديث عايشة أيضاً وإن يعارض حديثها عن أبيها قالت: اختلفوا في دفنه (ﷺ) فقال عليّ: إنّ أحبّ البقاع إلى الله مكان قبض فيه نبيّه.

(الخصائص الكبرى ٢: ٢٧٨) ولعلّ تجاه هذا الحديث اختلفت رواية الدفن. ولو كان عند دفن جثمان القداسة حوار كما نصفه ابن حجر لتناقلته الألسن و تداولته السير والمدونات نقلاً عن الصحابة الحضور يوم ذاك الواقفين على الجلبة، و المستمعين للغط، ولما اختصّت بوصفه صفحات الصواعق أو ما يشاكله من كتب المتأخّرين ولا تفرّدت برواية شيء منها عائشة، وكيف تفرّدت بها؟ وهي التي تقول: ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتّى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل (٣).

ثمّ إنّ أوّل مفنّد لهذه السنّة المزعوم أطرافها هو مدفن أوّل الأنبياء آدم عليه السلام فإنه توفي بمكة ودفن عند الجبل الذي اهبط منه في الهند، وقيل ببجل

١ - طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٧٩٨، ٨٠١، الخصائص الكبرى ٢: ٢٧٦، ٢٧٧.

٢ - طبقات ابن سعد ص ٧٩٨.

٣ - راجع ما مرّ في ٧٥.

أبي قبيس بمكة^(١).

وقد اشترى إبراهيم الخليل على نبيّنا وآله وعلينا مغارة في حبرون^(٢) من عفرون بن صخر فدفن فيها سارة ثم دفن فيها هو وابنه إسحاق.

وتوفي يعقوب عليه السلام في مصر واستأذن يوسف الله عليه ملك مصر في الخروج مع أبيه ليدفنه عند أهله فأذن له وخرج معه أكابر مصر فدفنه في المغارة بحبرون^(٣).

(المظهر الرابع) أما رواية الإرث فسرعان ما ناقض ابن حجر فيها نفسه. فتراه يحسب ها هنا في ص ١٩: أنها مختصة بأبي بكر وهي من الأدلة الواضحة على أعلميته، وهو يعتقد في صفحة ٢١: أنه رواها عليّ والعبّاس وعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد وأمّهات المؤمنين وقال: كلهم كانوا يعلمون أن النبي ﷺ قال ذلك: وإنّ أبا بكر إنّما انفرد باستحضاره أولاً ثم استحضره الباقيون.

ما هذا التهافت بين كلامي الرجل؟ وما أذهله أخيراً عمّا جاء به أولاً؟ وهل الأعلمية مترشحة من محض الاستحضار أولاً؟ أو سبق إلى الالتفات به؟ وكلّ منهما كما ترى لا يفيد مزية إلّا في الحفظ دون العلم.

ثم لو كان رسول الله ﷺ قال ذلك لوجب أن يفشيه إلى آله وذويه الذين يدعون الوراثة منه ليقطع معاذيرهم في ذلك بالتمسك بعمومات الإرث من آي القرآن الكريم والسنة الشريفة، فلا يكون هناك صخبٌ وحوارٌ تتعقّبهما محنٌ وإحزنٌ ولا تموت بضعته الطاهرة وهي واجدة على أصحاب أبيها^(٤) ويكون ذلك كلّه مثاراً للبغضاء والعداء في الأجيال المتعاقبة بين أشياع كلّ من الفريقين وقد بُعث هو ﷺ لكسح تلکم المعزّات وعقد الإخاء بين الأمم والأفراد.

ألم يكن ﷺ على بصيرة ممّا يحدث بعده من الفتن الناشئة من عدم إيقاف

١ - تاريخ الطبري ١: ٨٠، ٨١ العرائس للثعلبي ص ٢٩، الكامل لابن الاثير ١: ٢٢، تاريخ ابن كثير ١: ٩٨

٢ - في تاريخ الطبري: حبرون والصحيح: حبرون.

٣ - تاريخ الطبري ١: ١٦١، ١٦٩، معجم البلدان ٣: ٢٠٨، تاريخ ابن كثير ١: ١٧٤. ١٩٧، ٢٢٠.

٤ - سيوافيك في هذا الجزء تفصيل ذلك.

أهله وذويه على هذا الحكم المختص به ﷺ المخصص لشرعة الإرث؟ حاشاه. و عنده علم المنايا والبلايا والقضايا والفتن والملاحم.

وهل ترى أنَّ دعوى الصديق الأكبر أمير المؤمنين وحليلته الصديقة الكبرى. صلوات الله عليهما وأهلهما على أبي بكر ما استولت عليه يده مما تركه النبي ﷺ من ماله كانت بعد علم وتصديق منهما بتلك السنة المزعومة صفحاً منهما عنها لاقتناء حطام الدنيا؟ أو كانت عن جهلٍ منهما بما جاء به أبو بكر؟ نحن نقدِّس ساحتهما [أخذاً بالكتاب والسنة] عن علمٍ بسنة ثابتة والصفح عنها، وعن جهلٍ يربكهما في الميزان.

ولماذا يُصدِّق أبو بكر في دعواه الشاذة عن الكتاب والسنة، فيما لا يُعلم إلا من قبل ورثته ﷺ ووصيته الذي هتف ﷺ به وبوصايته من بدء دعوته في الأندية والمجتمعات؟^(١) ولم تكن أذن واعية لدعوى الصديقة وزوجها الطاهر بكون فذك نخلة لها من رسول الله ﷺ وهي لا تُعلم إلا من قبلهما؟ قال مالك بن جعونة عن أبيه أنه قال: قالت فاطمة لأبي بكر: إنَّ رسول الله ﷺ جعل لي فذك فاعطني إياها، و شهد لها علي بن أبي طالب، فسألها شاهداً آخر فشهدت لها أمُّ أيمن: فقال: قد علمت يا بنت رسول الله! أنه لا تجوز إلا رجلين أو رجل وامرأتين وانصرفت.

وفي رواية خالد بن طهمان: إنَّ فاطمة رضي الله عنها قالت لأبي بكر رضي الله عنه: اعطني فذك فقد جعلها رسول الله ﷺ لي فسألها البيهنة فجاءت بأُم أيمن ورباح مولى النبي ﷺ فشهد لها بذلك فقال: إنَّ هذا الأمر لا تجوز فيه إلا شهادة رجل وامرأتين^(٢).

ثمَّ كان غضب الصديقة الطاهرة سلام الله عليها؟ وهي التي جاء فيها عن أبيها الأقدس: إنَّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها^(٣) أمَّن حكم صدع به والدها وما ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحيُّ يوحى؟ وحاشاها، أم لأنَّ ذلك الحكم البات رواه عنه صديق أمين يريد بثَّ حكم الشريعة وتنفيذه وهي مصدِّقة له؟ نحاشي ساحة البضعة

١ - راجع الجزء الثاني صفحة ٢٧٨ ط ٢.

٢ - فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٨.

٣ - راجع ج ٣ ص ٢٠ وسيأتيك في هذا الجزء.

الطاهرة بنص آية التطهير عن هذه الخزية، فلم يبق إلا شقُّ ثالثٍ وهو: أنَّها كانت تتَّهم الراوي، أو تعتقد خلافاً في الرواية، وتراه حكماً خلاف الكتاب والسنة، وهذا الذي دعاها إلى أن لا تث خمارها على رأسها، واشتملت بجلابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، ثم أتت أنَّه أجهد لها القوم بالبكاء، وارتجَّ المجلس، ثم مهلت هنيهة حتى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم، إفتتحت كلامها بالحمد لله عزَّ وجلَّ والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ. ثم قالت ما قالت وفيما قالت: أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟ يا بن أبي قحافة! أترث أباك ولا أترث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرِك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمَّد، والوعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون. ثم انكفأت إلى قبر أبيها ﷺ فقالت:

قد كان بعدك أنباءً وهنيئة لو كنت شاهداً لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها واختلَّ قومك فاشهدهم ولا تغب
فليت بعدك كان الموت صادفنا لما قضيت وحالت دونك الكُثب (١)

وهذا الذي تركها غضباء على من خالفها وتدعو عليه بعد كل صلاة حتى لفظت نفسها الأخيرة صلى الله عليها كما سيوافيك تفصيله.

وهل هذا الحكم مطرَّد بين الأنبياء جميعاً؟ أو أنه من خاصَّة نبيِّنا ﷺ؟ والأوَّل ينقضه الكتاب العزيز بقوله تعالى: وورث سليمان داود - النمل ١٦ - و قوله سبحانه عن زكريَّا: فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب - مريم ٦ - .

ومن المعلوم أنَّ حقيقة الميراث إنتقال ملك الموروث إلى ورثته بعد موته بحكم المولى سبحانه، فحمل الآية الكريمة على العلم والنبوة كما فعله القوم خلاف الظاهر لأنَّ النبوة والعلم لا يورثان، والنبوة تابعة للمصلحة العامة، مقدرة لأهلها من أوَّل

١ - بلاغات النساء لابن طيفور ص ١٢، شرح ابن أبي الحديد ٤: ٩٣، أعلام النساء ٣: ١٢٠٨.

يومها عند بارئها، والله أعلم حيث يجعل رسالته، ولا مدخل للنسب فيها كما لا أثر للدعاء والمسألة في اختيار الله تعالى أحداً من عباده نبياً والعلم موقوفٌ على من يتعرّض له ويتعلّمه.

على أنّ زكريّا سلام الله عليه إنّما سأل وليّاً من ولده يحجب مواليه « كما هو صريح الآية » من بني عمّه وعصبته من الميراث، وذلك لا يليق إلّا بالمال، ولا معنى لحجب الموالي عن النبوة والعلم. ثمّ إنّ اشتراطه ﷺ في وليّه الوارث كونه رضيعاً بقوله: واجعله ربّ رضيعاً. لا يليق بالنبوة، إذا العصمة والقداسة في النفسانيات والملكات لا تفارق الأنبياء، فلا محصل عندئذ لمسألته ذلك. نعم يتّم هذا في المال ومن يرثه فإنّ وارثه قد يكون رضيعاً وقد لا يكون.

وأما كون الحكم من خاصّة رسول الله ﷺ فالقول به يستلزم تخصيص عموم أي الإرث مثل قوله تعالى: يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين « النساء ١١ » وقوله سبحانه: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله « الأنفال ٧٥ » وقوله العزيز: إنّ ترك خيراً الوصيّة للوالدين والأقربين بالمعروف « البقرة ١٨٠ » ولا يسوغ تخصيص الكتاب إلّا بدليل ثابت مقطوع عليه لا بالخبر الواحد الذي لم يصحّ الأخذ بعموم ظاهره لمخالفته ما ثبت من سيرة الأنبياء الماضين صلوات الله على نبيّنا وآله وعليهم.

لا بالخبر الواحد الذي لم يخبت اليه صديقة الأئمة وصديقتها الذي ورث علم نبيّها الأقدس، وعدّه المولى سبحانه في الكتاب نفساً لنبيّه صلى الله عليهما وآلهما.

لا بالخبر الواحد الذي لم يُنبأ عنه قطّ خبيرٌ من الأئمة وفي مقدّمها العترة الطاهرة وقد اختصّ الحكم بهم وهم الذين رُحِّحوا به عن حكم الكتاب والسنة الشريفة، وحرّموا من وراثته أبيهم الطاهر، وكان حقّاً عليه ﷺ أن يخبرهم بذلك، ولا يأخّر بيانه عن وقت حاجتهم، ولا يكتمه في نفسه عن كلّ أهله وذويه وصاحبته وأمتّه إلى آخر نقس لفظه.

لا بالخبر الواحد الذي جرّ على الأئمة كلّ هذه المحن والإحن، وفتح عليها

باب العداء المحتدم بمصراعيه، وأجَّج فيها نيران البغضاء والشحناء في قرونها الخالية، وشقَّ عصا المسلمين من أوَّل يومهم، وأُفلق من بينهم السَّلام والوئام وتوحيد الكلمة. جرى الله محدِّثه عن الأُمَّة خيراً.

ثمَّ إنَّ كان أبو بكر على ثقة من حديثه فلمْ ناقضه بكتاب كتبه لفاطمة الصَّديقة سلام الله عليها، بفدك؟ غير أنَّ عمر بن الخطاب دخل عليه فقال: ما هذا؟ فقال: كتاب كتبه لفاطمة بميراثها من أبيها. فقال: ممَّا ذا تنفق، على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى؟ ثمَّ أخذ عمر الكتاب فشقَّه، ذكره سبط ابن الجوزي كما في السيرة الحلبية ٣: ٣٩١. وإنَّ كان صحَّ الخبر وكان الخليفة مصدِّقاً فيما جاء به فما تلکم الآراء المتضاربة بعد الخليفة؟ وإليك شطراً منها:

١ - لما ولي عمر بن الخطاب الخلافة ردَّ فدكاً إلى ورثة رسول الله ﷺ فكان عليُّ بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب يتنازعان فيها. فكان عليُّ يقول: إنَّ رسول الله ﷺ جعلها في حياته لفاطمة. وكان العباس يأبى ذلك ويقول: هي ملك رسول الله و أنا وارثه. فكانا يتخاصمان إلى عمر، فيأبى أن يحكم بينهما ويقول: أنتما أعرف بشأنكما أمَّا أنا فقد سلَّمتها إليكما.

راجع صحيح البخاري كتاب الجهاد السير باب فرض الخمس ج ٥: ٣ - ١٠، صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير، باب: حكم الفبيء، الأموال لأبي عبيد ص ١١ ذكر حديث البخاري وبتره، سنن البيهقي ٦: ٢٩٩، معجم البلدان ٦: ٣٤٣، تفسير ابن كثير ٤: ٣٣٥، تاريخ ابن كثير ٥: ٢٨٨، تاج العروس ٧: ١٦٦.

(لفت نظر) نحن لا نناقش فيما نجده من المخازي في أحاديث الباب كأصل التنازع المزعوم بين عليٍّ والعباس، وما جاء في لفظ مسلم في صحيحه من قول العباس لعمر: يا أمير المؤمنين! اقض بيني وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن. أمهكذا كان العباس يقذف سيِّد العترة الطاهر المطهَّر بهذا السباب المقذع وبين يديه آية التطهير وغيرها ممَّا نزل في عليٍّ أمير المؤمنين في آي الكتاب العزيز؟ فما العباس وما خطره عندئذ؟ وبماذا يُحكم عليه أخذاً بقول النبي الطاهر: من سبَّ علياً فقد سبَّني، و

من سبني فقد سب الله، ومن سب الله كبه الله على منخريه في النار؟^(١)

لاها الله نحن نحاشي العباس عن هذه النسب المخزية، ونرى القوم راقهم سب مولانا أمير المؤمنين ففتحوا هذه الأحاديث وجعلوها للنيل منه قنطرة ومعذرة والله يعلم ما تكث صدورهم وما يعلنون. وإلى الله المشتكى.

٢ - أقطع مروان بن الحكم فداً في أيام عثمان بن عفان كما في سنن البيهقي ٦: ٣٠١ وما كان إلا بأمر من الخليفة.

٣ - لما ولي معاوية بن أبي سفيان الأمر أقطع مروان بن الحكم ثلث الفدك، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها، وذلك بعد موت الحسن بن علي فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت لمروان بن الحكم أيام خلافته فوهبها لعبد العزيز ابنه فوهبها عبد العزيز لابنه عمر بن عبد العزيز.

٤ - ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب فقال: إن فداً كانت ممّا أفاء الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فسألته إياها فاطمة فقال: ما كان لك أن تسألني وما كان لي أن أعطيك فكان يضع ما يأتيه منها في أبناء السبيل، ثم ولي أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول الله ﷺ ثم ولي معاوية فأقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان لأبي ولعبد الملك فصارت لي ولوليد وسليمان فلما ولي الوليد سأله حصته منها فوهبها لي، وسألت سليمان حصته منها فوهبها لي فاستجمعتها، وما كان لي من مال أحب إليّ منها، فاشهدوا أيّ قد رددتها إلى ما كانت عليه.

٥ - فكانت فداً بيد أولاد فاطمة مدة ولاية عمر بن عبد العزيز فلما ولي يزيد بن عبد الملك قبضها منهم فصارت في أيدي بني مروان كما كانت يتداولونها حتى انتقلت الخلافة عنهم.

٦ - ولما ولي أبو العباس السفاح ردها على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي أمير المؤمنين.

٧ - ثم لما ولي أبو جعفر المنصور قبضها من بني حسن.

١ - مر الإيعاز إليه في الجزء الثاني ص ٢٩٩ ط ٢ وسيوافيك تفصيل مصادره انشاء الله.

٨ - ثم رَدَّها المهدي بن المنصور على ولدِ فاطمة سلام الله عليها.

٩ - ثم قبضها موسى بن المهدي وأخوه من أيدي بني فاطمة فلم تزل في أيديهم حتى ولي المأمون.

١٠ - رَدَّها المأمون على الفاطميين سنة ٢١٠ وكتب بذلك إلى قُثم بن جعفر عامله على المدينة:

أما بعد: فإنَّ أمير المؤمنين بمكانه من دين الله وخلافة رسول الله ﷺ والقربة به، أولى مَنْ استقَّ بسنَّته، ونفَّذ أمره، وسلَّم لمن منحه منحةً، وتصدَّق عليه بصدقة منحته وصدقته وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمته، وإليه - في العمل بما يقرب به إليه - رغبته، وقد كان رسول الله ﷺ أعطى فاطمة بنت رسول الله فذك، وتصدَّق بها عليها، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل رسول الله ﷺ، لم تزل تدَّعي منه ما هو أولى به من صدِّق عليه، فرأى أمير المؤمنين أن يرُدَّها إلى ورثتها، ويسلِّمها إليهم تقرُّباً إلى الله تعالى باقامة حقِّه وعدله، وإلى رسول الله ﷺ بتنفيذ أمره وصدقته، فأمر باثبات ذلك في دواوينه، والكتاب إلى عمَّاله، فلئن كان ينادى في كلِّ موسم بعد أن قبض نبيُّه ﷺ أن يذكر كلَّ من كانت له صدقة أو هبة أو عدة ذلك، فيُقبل قوله، وتنفَّذ عدته، إنَّ فاطمة رضي الله عنها لأولى بأن يُصدَّق قولها فيما جعل رسول الله ﷺ لها.

وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبري مولى أمير المؤمنين يأمره برَدِّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ بحدودها وجميع حقوقها المنسوبة إليها، وما فيها من الرقيق والغلات وغير ذلك، وتسليمها إلى محمَّد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومحمَّد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لتولية أمير المؤمنين إياهما القيام بها لأهلها.

فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين، وما ألهمه الله من طاعته، ووفَّقه له من التقرب اليه وإلى رسول الله ﷺ، وأعلمه مَنْ قبلك، وعامل محمَّد بن يحيى ومحمَّد بن عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبري، وأعنهما على ما فيه عمارتها ومصلحتها ووفور غلاتها إن شاء الله، والسلام.

وكتب يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة ٢١٠ هـ.

١١ - ولما استخلف المتوكل على الله أمر بردّها إلى ما كانت عليه قبل المأمون.

راجع فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٩ - ٤١، تاريخ يعقوبي ٣: ٤٨، العقد الفريد ٢: ٣٣٣، معجم البلدان ٦: ٣٤٤، تاريخ ابن كثير ٩: ٢٠٠ وله هناك تحريف دعت به شنشنة أعرفها من أخزم، شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٠٣، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٥٤، جمهرة رسائل العرب ٣: ٥١٠، أعلام النساء ٣: ١٢١١. كل هذه تضادّ ما جاء به الخليفة من خبره الشاذّ عن الكتاب والسنة، فأثّر لابن حجر ومن لفّ لفّه أن يعدّه من الأدلّة الواضحة على علمه وهذا شأنه، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً؟.

التمسك بالافائك

والعجب العجيب قول ابن حجر في الصواعق ص ٢٠: لا يقال بل عليّ أعلم من أبي بكر للخبر الآتي في فضائله: أنا مدينة العلم وعليّ بابها. لأنّنا نقول: سيأتي أنّ ذلك الحديث مطعون فيه، وعلى تسليم صحّته أو حسنه فأبو بكر محرابها. ورواية فمن أراد العلم فليأت الباب لا تقتضي الأعلميّة فقد يكون غير الأعلّم يُقصد لما عنده من زيادة الايضاح والبيان والتفرغ للناس بخلاف الأعلّم. على أنّ تلك الرواية معارضة بخبر الفردوس: أنا مدينة العلم، وأبو بكر أساسها، وعمر حيطانها، وعثمان سقفها، وعليّ بابها. فهذه صريحة في أنّ أبا بكر أعلمهم، وحينئذ فالأمر بقصد الباب إنّما هو لنحو ما قلناه لا لزيادة شرفه على ما قلته لما هو معلوم ضرورة أنّ كلاً من الأساس والحيطان والسقف أعلى عن الباب. ا هـ. قال الأميني: إنّ الطعن في حديث أنا مدينة العلم لم يصدر إلّا من ابن الجوزي ومن يشاكلة من رماة القول على عواهنه، وقد عرفت في الجزء السادس ص ٦١ - ٨١ ط ٢ نصوص العلماء على صحّة الحديث، واعتبار قوم حسنه، وتقرير آخرين ما صدر ممّن تقدّمهم إلى ذينك الوجهين وتزييف ما ارتآه ابن الجوزي. وأما ما ذكره من رواية الفردوس فلا يختلف اثنان في ضعفها وضعف ما يقار بها في اللفظ ممّا تدرّج نحتّه في الأزمنة المتأخّرة تجاه ما يثبتته هتاف النّبّي الأعظم من

فضيلة العلم الربية لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام وابن حجر نفسه من اولئك الذين زَيَّفوه وحكموا عليه بالضعف كما في كتابه الفتاوى الحديثية ص ١٩٧ فقال: حديثٌ ضعيفٌ، و معاوية حلقتهأ فهو ضعيف ايضاً. فأذهله لجأه في حجاجه عن حكمه ذاك، ورأى ما حكم عليه بالضعف نصّاً في أعلمية أبي بكر.

وقال العجلوني في كشف الخفا ج ١: ٢٠٤: روى الديلمي في « الفردوس » بلا إسناد عن ابن مسعود رفعه: أنا مدينة العلم وأبو بكر أساسها، وعمر حيطانها، وعثمان سقفيها، وعليّ بابها. وروى ايضاً عن أنس مرفوعاً: أنا مدينة العلم، عليّ بابها، ومعاوية حلقتهأ. قال في المقاصد: وبالجملة فكّلها ضعيفةً وألفاظ أكثرها ركيكة.

وقال السيّد محمد درويش الحوت في أسنى المطالب ص ٧٣: أنا مدينة العلم، أبو بكر أساسها، وعمر حيطانها وذلك لا ينبغي ذكره في كتب العلم لا سيّما مثل ابن حجر الميمني ذكر ذلك في الصواعق والزواجر وهو غير جيّد من مثله. اهـ.

فلم يبق إذن مجالٌ للمناقشة بالتعبير بالباب لمولانا صلوات الله عليه وبالأساس و الحيطان والسقف والحقلة لغيره، حسب المسكين ناحت هذه المهزأة مدينةً خارجيّة يرمق إليها، ويتجوّل بين جدرانها، ويتفجّأ تحت سقفيها، ويدقّ بابها بالحلقة، وقد عزب عنه أنّه صلى الله عليه وآله وسلم يريد أنّ السبب الوحيد للاستفادة من علوم النبوة هو خليفته مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، كما أنّ المدخل الوحيد للمدينة بابها، فهو معنى كنائيّ جيء به لإفادة ما ذكرناه، والأساس لا فضيلة له غير أنّه يقوم عليه سياج المدينة المشاد للوقاية عن الغارات والسرقات، وأمّا معنويّات المدينة فلا صلة لها بشيء من ذلك، والاستفادة بالسقف على فرض تصويره في المدين ليس إلّا إلاّ الاستظلال ودفع عايده الحرّ والقرّ ولذلك لا يسقف إلّا المحالّ التي يتصوّر فيها ذلك كالبيوت والحمامات والخوانيت والربط وأمثالها. فقاصد المدينة للاستفادة ممّا فيها من علمٍ أو ثروة أو أيّ من أقسام النفع معنويّة وماديّة لا يتوصّل بها إلّا بالدخول من الباب، فهو أهمُّ ممّا جاء به ابن حجر من الأساس والجدار والسقف وأمّا الحلقة فيحتاج إليه لفتح الباب وسدّه و الدقّ إذا كان مرتجأً غير أنّ باب علم النبوة غير موصود، ولا يزال مفتوحاً على البشر بمصراعيه أبد الدهر.

ثمَّ إنَّ من الواضح أنَّ المراد من التعبير بالباب ليس الولوج والخروج فحسب وإنما هو الاستفادة والأخذ، ولا يتمُّ هذا إلَّا أن يكون عنده كلُّ علم النبوة الذي أراد ﷺ سوق الأُمَّة إليه، وحصر الطريق إلى ذلك بمن عبَّر عنه بالباب تأكيداً للحصر ثمَّ زاد في التأكيد بقوله: فمن أراد المدينة فليأت الباب.

فعليَّ امير المؤمنين هو الباب المبتلى به الناس، ومن عنده كلُّ علم النبوة وكلُّ ما يحتاج إليه البشر من فقه أو عظة أو خلق أو حُكم أو حُكم أو سياسة أو حزم أو عزم، فهو أعلم الناس لا محالة، وأمَّا زيادة الايضاح والبيان والتفريغ للناس، فلا يجوز أن تنفك عمَّن سيق إليه البشر لغاية التفهيم، وإزاحة الجهل، لا لمحض البيان وجودة السرد، لأنَّ وضوح البيان بمجرد غير وافٍ للغرض، لارتباك صاحبه عند الجهل بما يقدِّم إليه من المعضلات، كارتباك الأعمى عند التفهيم إذا أعوزه البيان عن الافهام، فمن الواجب أن يجتمعا في إنسان واحد الذي هو مرجع الأُمَّة جمعاء، وهو قضيَّة اللطف الواجب عليه سبحانه، فذلك الإنسان هو عدل الكتاب العزيز وهما الثقلان خليفتا النبيِّ الأقدس لا يتفرَّقا حتَّى يردا عليه الحوض، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

شجاعة الخليفة

لم يؤثر عن الخليفة قبل الإسلام مشهدٌ يدلُّ على فروسيَّته، كما أنَّه لم نجد له في مغازي النبي ﷺ مع كثرتها وشهوده فيها موقفاً يشهد له بالبسالة، أو وقفة تخلد له الذكر في التاريخ، أو خطوة قصيرة في ميادين تلك الحروب الدامية تُعرب عن شيء من هذا الجانب الهامّ غير ما كان في واقعة خيبر من فراره عن مناظلة مرحب اليهودي كصاحبه عمر بن الخطاب، قال عليّ وابن عباس: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى خيبر فرجع منهزماً ومن معه، فلمّا كان من الغد بعث عمر فرجع منهزماً يُجن أصحابه ويُجنه أصحابه.

أخرجه الطبراني والبرّار كما في مجمع الزوائد ٩: ١٢٤ ورجال اسناد البرّار رجال الصحيح غير محمد بن عبد الرحمن ومحمّد الصّدق، وذكر انهزام الرجلين يوم خيبر القاضي عضد الايجي في المواقف وأقرّه شرّاحه كما في شرحه ٣: ٢٧٦، وذكره القاضي البيضاوي في طوابع الأنوار كما في المطالع ص ٤٨٣.

ويُعرب عن فرارهما يوم ذاك قول رسول الله ﷺ بعد ما فرّا: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يفتح الله على يديه ليس بفرّار. وفي لفظ: كرّار غير فرّار. وفي لفظ: والذي كرّم وجهه محمّد لأعطيّها رجلاً لا يفرّ، وفي لفظ: لأدفعنّ إلى رجل لن يرجع حتّى يفتح الله له. وفي لفظ: لا يؤلّي الدبر ^(١).

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي فيما يعزى إليه من القصيدة العلويّة:

١ - صحيح البخارى ٦: ١٩١، صحيح مسلم ٢: ٣٢٤، طبقات ابن سعد ص ٦١٨، ٦٣٠ رقم التسلسل ط مصر، مسند احمد ١: ٢٨٤، ١٨٥، ٣٥٨، ٣٥٣، خصائص النسائي ص ٤ - ٨، سيرة ابن هشام ٣: ٣٨٦، مستدرک الحاكم ٣: ١٠٩، حلية الاولياء ٢: ٦٢، أسد الغابة ٤: ٢١، الامتاع للمقرئ ص ٣١٤، تاريخ ابن كثير ٤: ١٨٥ - ١٨٧، تيسير الوصول ٣: ٢٢٧، الرياض النضرة ٢: ١٨٤ - ١٨٨. وهناك مصادر كثيرة تأتي في محلها انشاء الله تعالى.

وما أنسَ لا أنسَ اللّذين تقدّما
وللراية العظمى وقد ذهباً بها
يشلّهما من آل موسى شمردُلُ
يمجّ منوناً سيفه وسنانه
أحضرّهما أم حضرّ أخرج خاضبٍ
عذرتكما إنّ الحمّام لمبغضٌ
ليكره طعم الموت والموت طالب
وفترّهما والفرّ قد علما حوبٌ^(١)
ملا بسنّ ذلّ فوقهما وجلايب
طويل نجاد السيف أجيد يعبوبٌ^(٢)
ويلهب ناراً غمّده والأنايب
وذا نهما أم ناعم الخدّ مخضوبٌ^(٣)
وإنّ بقاء النفس للنفس محبوبٌ
فكيف يلدُ الموت والموت مطلبٌ

ومّا ينبأنا عن هذا الجانب حديث كعّ الخليفة عن ذي الشدية لما أمره رسول الله ﷺ بقتله وهو في صلاته غير شاك السلاح، فرأى مخالفة الأمر النبويّ أهون من قتل الرجل، فأب إليه ﷺ معتذراً بما سيوافيك تفصيله إنشاء الله.

نعم يراه ابن حزم في كتاب « المفاضلة بين الصحابة » ومن لفّ لفّه أشجع الصحابة على الإطلاق ونحتوا له حديثاً على أمير المؤمنين أنّه قال: أخبروني من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت، قال: أما إنّ ما بارزت أحداً إلاّ انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم: فمن؟ قال: أبو بكر، أنّه لما كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلاّ يهوي إليه أحدٌ من المشركين؟ فوالله ما دنا منا أحدٌ إلاّ أبا بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله لا يهوي اليه أحدٌ إلاّ هوى إليه، فهو أشجع الناس. الحديث (٤).

ليت القوم لم يخذفوا سند هذه الأثارة المفتعلة وكانوا يروونها بالإسناد حتّى نعرّف الملاء العلمي بالذي اختلقها، وحسبنا أنّ الحافظ الهيثمي ذكرها بلا اسناد في

١ - الحوب: الاثم.

٢ - شمردل مرّ في ص ٥٢، يريد من طول النجاد طول القامة. الاجيد: الطويل الجيد و هو العنق. اليعبوب، الفرس الكثير الجرى اطلق على مرحب هذه اللفظة لشدته وسرعة حركته.

٣ - الحضر: العدو. الاخرج: ذكر النعام الذي فيه بياض وسواد. الخاضب: الذي أكل الربيع فاحمرّ طنبوباه أو اصفر. ناعم الخد مخضوب: كناية عن المرأة. يعني: هما رجلان أم امرأتان في ضعفهما ورقة قلوبهما؟.

٤ - الرياض النضرة ١: ٩٢، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٥.

مجمع الزوايد ٩: ٤٦١ وضعفه وقال: فيه من لم أعرفه.

وتكذَّبها صحيحة ابن اسحاق قال: كان رسول الله ﷺ «يوم بدر» في العريش وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ متوشَّح السيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ يخافون على كَرَّة العدو^(١). ثم إنَّ حراسة النبي ﷺ لم تكن تنحصر بيوم بدر ولا بأبي بكر بل في كلِّ موقف من مواقفه ﷺ كان يتعهَّد أحد من الصحابة بحراسته، فكانت الحراسة لسعد بن معاذ ليلة البدر وفي يومه لأبي بكر على ما ذكره الحلبي في السيرة ٣: ٣٥٣، ولحمَّد بن مسلمة يوم أحد، وللزبير بن العوام يوم الخندق، وللمغيرة بن شعبة يوم الحديبية، ولأبي أيوب الأنصاري ليلة بني بصفية ببعض طرق خيبر، ولبلال وسعد بن أبي وقاص وذكوان بن عبد قيس بوادي القرى، ولابن أبي مرثد الغنوي ليلة وقعة حنين^(٢).

وكانت هذه السيرة في الحراسة مستمرة إلى أن نزل قوله تعالى في حجَّة الوداع والله يعصمك من الناس. فترك الحرس^(٣) فأبو بكر رديف أولئك الحرس بعد تسليم ما جاء في حراسته. ولو صدق النبأ وكانت يوم بدر لأبي بكر تلك الأهمية الكبرى لكان هو أولى وأحقَّ بنزول القرآن فيه يوم ذاك دون عليٍّ وحمزة وعبيدة لما نزل فيهم ذلك اليوم: هذان خصمان اختصموا في ربهم. سورة الحج: ١٩^(٤) ولو صحَّت المزعمة لما حُصَّ عليٌّ وحمزة وعبيدة بقوله تعالى: من المؤمنين رجال

١ - عيون الاثر لابن سيد الناس ١: ٢٥٨.

٢ - عيون الاثر ٢: ٣١٦، المواهب اللدنية ١: ٢٨٣، السيرة الحلبية ٣: ٣٥٤، شرح المواهب للزرقاني ٣: ٢٠٤.

٣ - مستدرک الحاكم ٢: ٣١٣، تفسير القرطبي ٦: ٢٤٤، تفسير ابن جزى الكلبي ١: ١٧٣، تفسير ابن كثير ٢: ٧٨، الخصائص الكبرى ١: ١٢٦ عن الترمذی والحاكم البيهقي وأبي نعيم.

٤ - صحيح البخارى ٦: ٩٨ كتاب التفسير صحيح مسلم ٢: ٥٥٠، طبقات ابن سعد ص ٥١٨، مستدرک الحاكم ٢: ٣٨٦ وصححه هو والذهبي، تفسير القرطبي ١٢: ٢٥، ٢٦، تفسير ابن كثير ٣: ٢١٢، تفسير ابن جزى ٣: ٣٨ تفسير الخازن ٣: ٢٩٨.

صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ الْآيَةُ. الأحزاب: ٢٣ (١)

ولما نزل في عليٍّ أمير المؤمنين قوله تعالى: هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين « سورة الأنفال: ٦٢ » ولما ورد فيها ما ورد عن النبي الأعظم ممّا أسلفناه في الجزء الثاني ص ٤٦ - ٥١.

ولما حَصَّ لمولانا عليٍّ قوله: ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله «سورة البقرة: ٢٠٧» كما ذكره القرطبي في تفسيره ٣: ٢١ وفصلنا القول فيه في الجزء الثاني ص ٤٧ - ٤٩ ط ٢.

وكان حقاً علي رضوان منادي الله يوم بدر بقوله:

لا سـ_____يف إلّا ذو الفقـ_____ار ولا فـ_____تى إلّا علـ_____ي^(٢)

أن ينوّه باسم أبي بكر ويسيفه المشهور على رأس رسول الله ﷺ ثم هل تنحصر مغازي النبي الأعظم وحرّوه الدامية بيدر؟ وهل العريش كان في البدر فحسب دون ساير الغزوات؟ وهل سيّد العريش النبي الأعظم كان يلزم عريشه ولم يحضر قطُّ في ميادين القتال؟ أو كان ينزل بالمعارك ويستخلف صاحبه على العريش؟

ما أعوز النبيّ الأعظم يوم خيبر مجاهدٌ كَرَّارٌ غير فرّار لا يوليّ الدبر، و كان معه الخليفة الأشجع؟ أكان فرّاراً غير كَرَّار؟ ومن المعنيّ في قول المؤرّخين من أنّ النبيّ ﷺ دفع لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً؟ ^(٣) أهذا الرجل وصاحبه نكرتان لا يُعرفان؟ لا ها الله.

وأين كان الأشجع؟ يوم خرجت كتائب اليهود يقدمهم ياسر فكشف الأنصار حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ في موقفه، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وأمسى مهموماً (٤).

ولماذا بعث ﷺ يوم ذاك - وكان الأشجع معه - سلمة بن الأكوع إلى عليّ؟

١ - راجع ما مر في الجزء الثاني ص ٥١ ط ٢.

٢ - راجع ما اسلفناه في الجزء الثاني صفحة ٥٩ - ٦١ ط ٢.

٣ - الامتاع للمقريزي ص ٣١٣، السيرة الحلبية ٣ ص ٣٩.

٤ - الامتاع للمقريزي ص ٣١٤، السيرة الحلبية ٣ ص ٣٩.

وكان قد تخلف بالمدينة لرمد عينيه، وكان لا يبصر موضع قدمه فذهب اليه سلمة وأخذ بيده يقوده ^(١) وملاً المسامح قوله ﷺ لأعطين الراية إلى رجل كثر غير فزار.

أكان الأشجع في العريش يوم خير؟ لما قاتل المصطفى بنفسه يومه ذلك أشد القتال وعليه درعان وبيضة مغفر، وهو على فرس يقال له: الظرب ^(٢) وفي يده قناة وترس كما في السيرة الحلبية ٣ ص ٣٩.

أكان الأشجع في العريش يوم أحد يوم بلاء وتمحيص؟ حتى خلص العدو إلى رسول الله فذث بالحجارة حتى وقع لشقه فأصابت رباعيته، وشج في وجهه، وكلمت شفته، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ^(٣).

أكان الأشجع في العريش؟ يوم قال فيه علي: لما تخلى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد نظرت في القتلى فلم أر رسول الله ﷺ فقلت: والله ما كان ليفر وما أراه في القتلى، ولكن الله غضب علينا بما صنعنا، فرفع نبيه، فما في خير من أن أقاتل حتى أقتل، فكسرت جفن سيفي ثم حملت على القوم فأفروا لي فإذا برسول الله ﷺ بينهم. وقد أصابت علياً يوم ذاك ستة عشر ضربة كل ضربة تلزمه الأرض فما كان يرفعه إلا جبريل.

« أسد الغابة ٤ : ٢٠ »

أكان الأشجع في العريش يوم وقع رسول الله في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون؟ فأخذ علي بن أبي طالب بيده ﷺ واحتضنه ورفع طلحة حتى استوى قائماً ^(٤).

١ - صحيح مسلم ٢ : ١٠٢، سنن البيهقي ٩ : ١٣١، الرياض النضرة ٢ : ١٨٦، السيرة الحلبية ٣ : ٤١، شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢٢٣.
٢ - من أشهر خيله صلى الله عليه وآله وأعرفها، سمي بذلك لكبره أو لسمنه أو لقوته وصلابته تشبيهاً له بالجليل. قالوا: أهداه له صلى الله عليه وآله وسلم فروة ابن عمرو الجذامي. أو: ربيعة بن أبي البراء. أو: جنادة بن المعلى.
٣ - سيرة ابن هشام ٣ : ٢٧، طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٥٤٩، تاريخ ابن كثير ٤ : ٢٣، ٢٩، امتاع المقرئ ص ١٣٥، شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٣٧.

٤ - سيرة ابن هشام ٣ : ٢٧، الامتاع المقرئ ص ١٣٥، تاريخ ابن كثير ٤ ص ٢٤، عيون الاثر ٢ : ١٢.

أكان الأشجع في العريش يوم رُأي رسول الله في ميدان النزال وهو لابسٌ درعين: درعه ذات الفضول ودرعه فضة، أو يوم حنين وله درعان: درعه ذات الفضول والسعدية.

« شرح المواهب للزرقاني ٢: ٢٤ »

أكان الأشجع في العريش يوم ضُرب وجه النبي بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرّها كلها؟

« المواهب اللدنية ١: ١٢٤ »

أكان الأشجع في العريش يوم بايع رسول الله على الموت ثمانية؟ هم: عليّ، والزبير، وطلحة، وأبو دجانة، والحارث بن الصمة، وحباب بن المنذر، وعاصم بن ثابت، وسهل بن حنيف، ورسول الله يدعوهم في أхраهم.

« الإمتاع للمقرئ ص ١٣٢ »

أكان الأشجع في العريش يوم كان عليّ يذبُّ عن رسول الله من ناحية، وأبو دجانة مالك بن خرشة من ناحية، وسعد بن أبي وقاص يذبُّ طائفة، والحباب بن المنذر يحوش المشركين كما تُحاش الغنم؟

« الإمتاع للمقرئ ص ١٤٣ »

أكان الأشجع في العريش يوم حمى الوطيس، وجلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار؟ وأرسل إلى عليّ أن قدّم فقدّم عليّ وهو يقول: أنا أبو القصم^(١).

أكان الأشجع في العريش يوم انتهى رسول الله إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال: اغسلي عن هذا دمه يا بنية فوالله صدقني اليوم؟ يوم ملأ عليّ درقته ماءً من المهراس فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه، وغسل عن وجهه الدّم وصبّ على رأسه، و أخذت فاطمة (سلام الله عليها) قطعة حصير فاحرقته فألصقته عليه فاستمسك الدم^(٢).

أكان الأشجع في العريش لما ملأ الفضاء نداء جبرئيل؟

لا ســــــــــــــــيف إلا ذو الفقــــــــــــــــار ولا فــــــــــــــــتى إلا علــــــــــــــــي

أكان الأشجع في العريش يوم نظم حسان بن ثابت:

جبريــــــــــــــــل نادى معلنــــــــــــــــاً والنقــــــــــــــــع ليس بمنجلــــــــــــــــي

١ - سيرة ابن هشام ٣: ١٩، شرح المواهب للزرقاني ٢: ٣١.

٢ - طبقات ابن سعد ٣: ٩٠ رقم التسلسل ٢٥٢، سيرة ابن هشام ٣: ٣٤، ٥١، الإمتاع ص ١٣٨، تاريخ ابن كثير ٤: ٣٥، عيون الاثر ٢: ١٥، المواهب اللدنية ١: ١٢٥، شرح الزرقاني ٢: ٥٦.

والمسلمون قد أحـدقوا حول النبي المرسـل
لا سـيف إلا ذو الفقـار ولا فـتى إلا علي^(١)

أكان الأشجع في العريش يوم حمراء الأسد؟ وقد خرج ﷺ وهو مجروح في وجهه، مشجوخ في جبهته، ورباعيته قد شظيت، وشفته السفلى قد كلمت في باطنها، وهو متوهن منكبه الأيمن من ضربة ابن قمئة، وركبته مجحوشتان. (طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٥٥٣).

أكان الأشجع في العريش يوم حنين؟ لما حمى الوطيس وفرّ الناس عن النبي ﷺ ولم يبق معه إلا أربعة: ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم: علي بن أبي طالب والعبّاس وهما بين يديه، وأبو سفيان بن الحارث أخذ بالعنان، وابن مسعود من جانبه الأيسر، ولا يقبل أحد من المشركين جهته ﷺ إلا قتل. (السيرة الحلبية ٣: ١٢٣).

أكان الأشجع في العريش يوم الأحزاب؟ وكان رسول الله ﷺ ينقل مع صحبه من تراب الخندق وقد وارى التراب بياض بطنه ويقول:

لاهمّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا
فأنزلن سكيناً علينا وطمّنت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى لقد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

(طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٥٧٥، تاريخ ابن كثير ٤: ٩٦).

أكان الأشجع في العريش يوم قال ﷺ: لضربة علي خير من عبادة الثقلين وفي لفظ: قتل علي لعمرؤ أفضل من عبادة الثقلين. وفي لفظ: لمبارزة علي لعمرؤ بن ودّ أفضل من أعمال أمّتي إلى يوم القيامة؟^(٢)

نعم: للرجل موقف يوم أحد لما طلع يومئذ عبد الرحمن بن أبي بكر (وكان من المشركين) فقال: من يبارز وارتجز يقول:

١ - راجع ما مرّ في الجزء الثاني صفحة ٥٩ - ٦١ ط ٢.

٢ - مستدرک الحاكم ٣: ٣٢، المواقف للقاضي الأيحيى ٣: ٢٧٦، كنز العمال ٦: ١٥٨، السيرة الحلبية ٢: ٣٤٩ وهناك كلمة ردّاً على ابن تيمية في ردّه على هذا الحديث، هداية المرتاب في فضائل الاصحاب ص ١٤٨.

لم يــــق إلّا شــــكّة ويعــــب وبوصــــارم يقتل ضالّال الشــــيب
فنهض إليه أبو بكر رضي الله عنه وهو يقول: أنا ذلك الأشيب ثم ارتجز فقال:
لم يــــق إلّا حــــسبي وديــــني وصــــارم تقضــــي به يــــمي
فقال له عبد الرّحمن: لولا أنّك أبي لم أنصرف. الإمتاع ص ١٤٤.

حجاج بالعريش

قال المحاملي: كنت عند أبي الحسن بن عبدون وهو يكتب لبدر، وعند جمع فيهم أبو بكر الداودي واحمد بن خالد المدائري - فذكر قصّة مناظرته مع الداودي في التفصيل إلى أن قال - فقال الداودي: والله ما نقدر نذكر مقامات عليّ مع هذه العائمة. قلت: أنا والله أعرفها مقامه ببدر، وأحد، الخندق، ويوم حنين، ويوم خيبر. قال: فإن عرفتها ينفعني أن تقدّمه على أبي بكر وعمر، قلت: قد عرفتها ومنه قدّمت أبا بكر وعمر عليه. قال: من أين؟ قلت: أبو بكر كان مع النبيّ ﷺ على العريش يوم بدر مقامه مقام الرئيس، والرئيس ينهزم به الجيش، وعليّ مقامه مقام مبارز، والمبارز لا ينهزم به الجيش. ذكره الخطيب في تاريخه ٨: ٢١، وابن الجوزي في المنتظم ٦: ٣٢٧، وأحسب أنّ مبتدع هذه الباكورة، ومؤيّد فكرة العريش والاستدلال بها في التفضيل هو الجاحظ قال في خلاصة كتاب العثمانيّة ص ١٠: والحجّة العظمى للقائلين بتفضيل عليّ قتله الأقران وخوضه الحروب، وليس له في ذلك كبير فضيلة، لأنّ كثرة القتل و المشي بالسيف إلى الأقران لو كان من أشدّ المحن وأعظم الفضائل وكان دليلاً على الرياسة والتقدّم، لوجب أن يكون للزبير وأبي دجانة ومحمّد بن مسلمة وابن عفراء و البراء بن مالك من الفضل ما ليس لرسول الله ﷺ! لأنّه لم يقتل إلّا رجلاً واحداً ولم يحضر الحرب يوم بدر ولا خالط الصفوف، وإنّما كان معتزلاً عنهم في العريش و معه أبو بكر. وأنت ترى الرجل الشجاع قد يقتل الأقران، ويجندل الأبطال، وفوقه من العسكر من لا يقتل ولا يبارز وهو الرئيس، أو ذو الرأي والمستشاري في الحرب، لأنّ للرؤساء من الاكتراث والاهتمام وسعل البال والعناية والتفكّد ما ليس لغيرهم، ولأنّ الرئيس هو المخصوص بالمطالبة وعليه مدار الأمور، وبه يستبصر المقاتل ويستنصر، وباسمه ينهزم العدو، ولو لم يكن له إلّا أنّ الجيش لو ثبت وفرّ هو لم يغن ثبوت الجيش كلّ وكانت الدبرة

عليه، ولو ضيع القوم جميعاً وحفظ هو لانتصر وكانت الدولة له، ولهذا لا يضاف النصر، والهزيمة إلا إليه. ففضل أبي بكر بمقامه في العريش مع رسول الله يوم بدر أعظم من جهاد عليّ ذلك اليوم وقتله أبطال قريش. ١ هـ.

قال الأميني: نحن لا ننسب في الجواب عن هذه الأساطير المشمجة بينت شفاه، وإنما نقتصر فيه بما أجاب به عنها أبو جعفر الاسكافي المعتزلي البغدادي المتوفى ٢٤٠ قال في الردّ عليها (١):

لقد أعطي أبو عثمان مقولاً وحرماً معقولاً، إن كان يقول هذا على اعتقاد و جدّ، ولم يذهب به مذهب اللعب واللهو، أو على طريق التفاسيح والتشادق وإظهار القوّة والسلطة وذلاقة اللسان وحدّة الخاطر والقوّة على جدال الخصوم. ألم يعلم أبو عثمان أنّ رسول الله ﷺ كان أشجع البشر وأنّه خاض الحروب وثبت في المواقف التي طاشت فيها الأبواب، وبلغت القلوب الحناجر؟ فمنها يوم أحد ووقوفه بعد أن فرّ المسلمون بأجمعهم ولم يبق معه إلا أربعة: عليّ. والزبير. وطلحة. وأبو دجانة، فقاتل ورمي بالنبل حتى فئت نبله وانكسرت سية قوسه، وانقطع وتره، فأمر عكاشة بن محصن أن يوترها فقال: يا رسول الله لا يبلغ الوتر، فقال: أو تر ما بلغ. قال عكاشة: فوالذي بعثه بالحقّ لقد أوترت حتّى بلغ وطويت منه شبراً على سية القوس، ثمّ أخذها فما زال يرميهم حتّى نظرت إلى قوسه قد تحطّمت، وبارز أبي بن خلف فقال له أصحابه: إن شئت عطف عليه بعضنا؟ فأبي وتناول الحربة من الحارث بن السمّ ثمّ إنتفض بأصحابه كما ينتفض البعير قالوا: فتطايروا عنه تطاير الشعارين فطعنه بالحربة فجعل يخور كما يخور الثور، ولو لم يدل على ثباته حين انهزم أصحابه وتركوه إلا قوله: « إذ تصعدون ولا تلؤن على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم » فكونه ﷺ في أخراهم وهم يصعدون ولا يلؤن هارين دليل على أنّه ثبت ولم يفرّ. وثبت يوم حنين في تسعة من أهله ورهطه الأذنين، وقد فرّ المسلمون كلهم والنفر التسعة محدقون به، العبّاس أخذ بحكمة بغلته، وعليّ بين يديه مصلت سيفه، والباقون حول بغلته يميناً ويسرة، وقد انهزم المهاجرون والأنصار، وكلّما فرّوا أقدم هو ﷺ وصمّ مستقديماً يلقي السيوف والنبال بنحره

١ - رسائل الجاحظ ص ٥٤، شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٧٥.

وصدره، ثمَّ أخذ كَفًّا من البطحاء وحصب المشركين وقال: شأهت الوجوه. والخبر المشهور عن عليٍّ وهو أشجع البشر: كنَّا إذا اشتدَّ البأس وحمى الوطيس إنَّقينا برسول الله ﷺ ولذنا به. فيكف يقول الجاحظ: إنَّه ما خاض الحروب ولا خالط الصفوف؟ وأيَّ فرية أعظم ومن فرية من نسب رسول الله ﷺ إلى الاحجام والاعتزال الحرب؟ ثمَّ أيَّ مناسبة بين أبي بكر ورسول الله في هذا المعنى؟ ليقيسه وينسبه إلى رسول الله صاحب الجيش والدعوة ورئيس الاسلام والملة، والملحوظ بين أصحابه واعدائه بالسيادة، وإليه الالباء والاشارة، وهو الذي أحقق قريشاً والعرب، وورى أكبادهم بالبراءة من أهتهم و عيب دينهم وتضليل أسلافهم، ثمَّ وترهم فيما بعد بقتل رؤسائهم وأكابرهم، وحقَّ لمثله إذا تنحَّى عن الحرب واعتزلها أن يتنحَّى ويعتزل، لأنَّ ذلك شأن الملوك والرؤساء إذ كان الجيش منوطاً بهم وبيقاتهم، فمتى هلك الملك هلك الجيش، ومتى سلم الملك أمكن أن يبقى عليه ملكه، وإن عطب جيشه بأن يستجدَّ جيشاً آخر، ولذلك نهى الحكماء أن يياشر الملك الحرب بنفسه، وخطأوا الاسكندر لما بارز فور ملك الهند ونسبوه إلى مجانبه الحكمة ومفارقة الصواب والحزم، فليقل لنا الجاحظ: أيَّ مدخل لأبي بكر في هذا المعنى؟ ومن الذي كان يعرفه من أعداء الإسلام ليقصده بالقتل؟ وهل هو إلَّا واحدٌ من عرض المهاجرين حكمه حكم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما؟ بل كان عثمان أكثر منه صيتاً، وأشرف منه مركباً، والعيون إليه طمح، والعدوُّ عليه أحق وأكلب. ولو قُتل أبو بكر في بعض تلك المعارك هل كان يؤثّر قتله في الاسلام ضعفاً؟ أو يحدث وهناً؟ أو يخاف على الملة لو قُتل أبو بكر في بعض تلك الحروب أن تدرس و تُعفى آثارها وتنطمس منارها؟ ليقول الجاحظ: إنَّ أبا بكر كان حكمه حكم رسول الله ﷺ في مجانبه الحروب واعتزالها. نعوذ بالله من الخذلان. وقد علم العقلاء كلَّهم ممَّن له بالسير معرفة وبالأثار والأخبار ممارسة حال حروب رسول الله ﷺ كيف كانت، وحاله عليه الصلاة والسلام فيها كيف كان، ووقوفه حيث وقف وحربه حيث حارب، و جلوسه في العريش يوم جلس، وأنَّ وقوفه ﷺ وقوف رئاسةٍ وتديبر، ووقوف ظهرٍ وسند، يتعرَّف أمور أصحابه ويحرس صغيرهم وكبيرهم بوقوفه من ورائهم وتحلفه عن التقدم في أوائلهم، لأنَّهم متى علموا أنَّه في اخراهم إطمأنت قلوبهم ولم تتعلَّق

بأمره نفوسهم، فيشتغلوا بالاهتمام به عن عدوهم، ولا يكون لهم فئة يلجئون إليها وظهرًا يرجعون إليه، ويعلمون أنه متى كان خلفهم تفقد أمورهم وعلم مواقفهم وأوى كل إنسان مكانه في الحماية والنكاية وعند النازلة في الكبر والحملة، فكان وقوفه حيث وقف أصلح لأمرهم، وأحمي وأحرس لبيضتهم، ولأنه المطلوب من بينهم، إذ هو مدبر أمورهم ووالي جماعتهم، ألا ترون أن موقف صاحب اللواء موقف شريف؟ وأن صلاح الحرب في وقوفه، وأن فضيلته في ترك التقدم في أكثر حالاته، فللرئيس حالات: الأولى حالة يتخلف ويقف آخرًا ليكون سنداً وقوة ورداءاً وعُدّة، وليتولّى تدبير الحرب و يعرف مواضع الخلل. والحالة الثانية: يتقدم فيها في وسط الصف ليقوى الضعيف ويُسجّع الناكس: وحالة الثالثة: وهي إذا اصطدم الفيلقان، وتكافح السيفان، يعتمد ما يقتضيه الحال ومن الوقوف حيث يستصلح، أو من مباشرة الحرب بنفسه فأخّر المنازل وفيها تظهر شجاعة الشجاع النجد، وفسالة الجبان الممّوءة. فأين مقام الرئاسة العظمى لرسول الله ﷺ؟ وأين منزلة أبي بكر ليسوى بين المنزلتين، ويناسب بين الحالتين؟ ولو كان أبو بكر شريكاً لرسول الله في الرسالة وممنوحاً من الله بفضيلة النبوة، وكانت قريش والعرب تطلبه كما تطلب محمدًا ﷺ؟ لكان للجاحظ أن يقول ذلك، فأما وحاله حاله وهو أضعف المسلمين جناحاً وأقلهم عند العرب ترة لم يرم قطّ بسهم، ولا سلّ سيفاً، ولا أراق دمًا، وهو أحد الأتباع غير مشهور ولا معروف ولا طالب ولا مطلوب، فكيف يجوز أن يجعل مقامه ومنزله مقام رسول الله ﷺ ومنزله؟ ولقد خرج ابنه عبد الرحمن مع المشركين يوم أحد فرآه أبو بكر فقام مغيضاً عليه فسلّ من السيف مقدار إصبع يروم البروز إليه فقال له رسول الله ﷺ: يا أبا بكر! شِم سيفك وامتنعنا بنفسك. ولم يقل له (وامتنعنا بنفسك) إلا لعلمه بأنه ليس أهلاً للحرب وملاقاة الرجال وأنه لو بارز لقتل.

وكيف يقول الجاحظ: لا فضيلة لمباشرة الحروب ولقاء الأقران وقتل أبطال الشرك؟ وهل قامت عمدة الإسلام إلا على ذلك؟ وهل ثبت الدين واستقرّر إلا بذلك؟ أترأه لم يسمع قول الله تعالى « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ »؟ والمحبة من الله تعالى هي إرادة الثواب، فكل من كان أشد ثبوتاً في هذا الصف وأعظم

قتالاً كان أحبَّ إلى الله، ومعنى الأفضل هو الأكثر ثواباً، فعليَّ عليه السلام إذا هو أحبُّ المسلمين إلى الله لأنَّهم أثبتهم قدماً في الصفِّ المرصوص، لم يفرَّ قطُّ باجماع الأمة، ولا بارزه قرنٌ إلَّا قتله، أو تراه لم يسمع. قول الله تعالى: « وفَضَّلَ اللهُ المجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً »؟ وقوله « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ثمَّ قال سبحانه: مؤكداً لهذا البيع والشراء « ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » وقال الله تعالى: « ذلك بأنَّهم لا يصيبهم ظمأٌ ولا نصبٌ ولا مخمصةٌ في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوِّ نيلاً إلَّا كتب لهم به عملٌ صالح » فمواقف الناس في الجهاد على أحوال، وبعضهم في ذلك أفضل من بعض، فمن دلف إلى الأقران واستقبل السيوف والأسنة كان أثقل على أكتاف الأعداء لشدة نكابته فيهم ممَّن وقف في المعركة وأعان ولم يقدم، وكذلك ممَّن وقف في المعركة وأعان ولم يقدم إلَّا أنَّه بحيث تناله السهام والنبل أعظم عناءً وأفضل ممَّن وقف حيث لا يناله ذلك، ولو كان الضعيف والجبان يستحقَّان الرئاسة بقلة بسط الكفِّ وترك الحرب وإنَّ ذلك يشاكل فعل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لكان أوفر الناس حظاً في الرئاسة وأشدَّهم لها استحقاقاً حسن بن ثابت، وإن بطل فضل عليٍّ في الجهاد لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان أقلَّهم قتالاً - كما زعم الجاحظ - ليبطلنَّ على هذا القياس فضل أبي بكر في الإنفاق، لأنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان أقلَّهم مالاً، وأنت إذا تأملت أمر العرب وقريش ونظرت السير وقرأت الأخبار عرفت أنَّها تطلب محمداً صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتقصد قصده وتروم قتله، فان أعجزها وفتحها طلبت عليّاً وأرادت قتله، لأنَّه كان أشبههم بالرسول حالاً، وأقربهم منه قريباً، وأشدَّهم عنه دفعاً، وإنَّهم متى قصدوا عليّاً فقتلوه أضعفوا أمر محمداً صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وكسروا شوكته، إذ كان أعلى من ينصره في البأس والقوَّة والشجاعة والنجدة والإقدام والبسالة. ألا ترى إلى قوله عتبة ربيعة يوم بدر - وقد خرج هو وأخوه شيبة وإبنة الوليد بن عتبة فأخرج إليهم الرسول نفرًا من الأنصار فاستنصبوهم فانتصبوا لهم فقالوا: إرجعوا إلى قومكم، ثمَّ نادوا: يا محمداً! - أخرج إلينا أكفأنا من قومنا فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأهله الأذنين: قوموا يا بني هاشم! فانصروا حقكم الذي آتاكم الله على باطل

هؤلاء، قم يا عليّ! قم يا حمزة! ألا ترى ما جعلت هند بنت عتبة لمن قتله يوم أحد لأنّه اشترك هو وحمزة في قتل أبيها يوم بدر؟ ألم تسمع قول هند ترثي أهلها:

ما كان لي من عُتْبة من صبر أبي وعمّـي وشقيق صـديـري
أخي الذي كان كضوء البدر بهم كسـرت يا عليّ! ظهري

وذلك لأنّه قتل أخاها الوليد بن عتبة وشرك في قتل أبيها عتبة، وأمّا عمّها شيبه فإنّ حمزة تفرد بقتله. وقال جبير بن مطعم لوحشي مولاه يوم أحد: إن قتل محمدًا فأنت حرّ، وإن قتل عليًّا فأنت حرّ، وإن قتل حمزة فأنت حرّ، فقال أمّا محمّد فسيمنعه أصحابه، وأمّا عليّ فرجل حذر كثير الالتفات في الحرب، ولكني سأقتل حمزة. فقعد له وزقه بالحربة فقتله.

ولما قلنا من مقاربة حال عليّ في هذا الباب لحال رسول الله ﷺ ومناسبتها إيّاه ما وجدناه في السيرة والأخبار من إشفاق رسول الله ﷺ وحذره على ودعائه له بالحفظ والسلامة، قال رسول الله ﷺ يوم الخندق وقد برز عليّ إلى عمرو ورفع يديه إلى السّماء بمحض من أصحابه: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخَذْتَ مِنِّي حمزة يوم أحد، و عبدة يوم بدر، فاحفظ اليوم عليّ عليًّا، ربّ لا تدرني فرداً وأنت خير الوارثين. و لذلك ضنّ به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مراراً في كلّها يحجمون ويقدم عليّ فيسأل الإذن له في البراز حتى قال له رسول الله ﷺ إِنَّهُ عمرو فقال: وأنا عليّ. فأدناه وقبّله وعمّمه بعمامته وخرج معه خطوات كالمودّع له، القلق لحاله، المنتظر لما يكون منه. ثمّ لم يزل ﷺ رافعاً يده إلى السّماء مستقبلاً لها بوجهه و المسلمون صموت حوله كأنما على رؤسهم الطير حتى ثارت الغبرة وسمعوا التكبير من تحتها فعلموا أنّ عليًّا قتل عمراً. فكبر رسول الله ﷺ وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين. ولذلك قال حذيفة بن اليمان: لو قسّمت فضيلة عليّ بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم. وقال ابن عباس: في قوله تعالى « وكفى الله المؤمنين القتال » قال: بعليّ بن أبي طالب. ا هـ.

الغريق يتشبث بكل حشيش

أعيت القوم شجاعة الخليفة، وأضلّتهم عن المذاهب، وجعلتهم في الرونة، وأركبتهم على الزحلوقة تسفّ بهم تارةً وتعلّيتهم أخرى، فلم يجدو مهيعاً يوصلهم إلى ما يرومون من إثباتها له مهما وجدوا غضون التاريخ خاليةً عن كلّ عين وأثر يسمعون الركون إليه في الحجاج لها، فتشبّثوا بالتفلسف فيها فهذا يبني فلسفة العريش، والآخر ينسج نسج العناكب ويعدّ ثباته في موت رسول الله ﷺ وعدم تضعّعه في تلك الهائلة دليلاً على كمال شجاعته، قال القرطبي في تفسيره ٢٢٢ : ٤ في سورة آل عمران ١٤٤ عند قوله تعالى: « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبه فلن يضرّ الله شيئاً » هذه الآية أدلّ دليل على شجاعة الصديق وجرأته فإنّ الشجاعة والجرأة حدّهما ثبوت القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة أعظم من موت النبي ﷺ فظهرت عنده شجاعته وعلمه و قال الناس: لم يمّت رسول الله ﷺ منهم عمر، وخرس عثمان، واستخفى عليّ، و اضطرب الأمر فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسّنج (١).

وهذا الإستدلال أقرّه الحلبي في سيرته ٣ : ٣٥ وقال: لما توفّي رسول الله ﷺ طاشت العقول فمنهم من خبل، ومنهم من أقعد ولم يطق القيام، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام، ومنهم من أضنى، وكان عمر رضي الله عنه ممّن خبل، وكان عثمان رضي الله عنه ممّن أخرس، فكان لا يستطيع أن يتكلّم، وكان عليّ رضي الله عنه ممّن أقعد فلم يستطع أن يتحرّك، وأضنى عبد الله بن أنيس فمات كمداً، وكان أثبتهم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه - إلى أن قال - : قال القرطبي: وهذا أدلّ دليل على كمال شجاعة الصديق. الخ.

قال الأميني: يوهّم القرطبي أنّ في كتاب الله العزيز ما يدلّ على شجاعة الخليفة وعلمه، وليس فيما جاء به أكثر من أنّه استدلّ بالآية الشريفة يوم ذاك على موت رسول الله ﷺ فأئى صلة بها إلى شجاعة الرجل؟! وأي قسم فيها من أنحاء الدلالة الثلاثة فضلاً عن أن تكون أدلّ دليل؟ فإن يكن هناك شيء من الدلالة - وأين وأئى

١ - بضم اوله وسكون النون وقد تضم: موضع خارج المدينة بينها وبين منزل النبي ميل.

فهو في ثبات جأشه وتمسكه بالآية الكريمة لا في الآية نفسها.

ثم كيف خفي على الرجل وعلى من تبعه الفرق بين ملكتي الشجاعة والقسوة؟

وأن هذا النسخ الذي أوهن من بيت العنكبوت إنما نسجته يد السياسة لدفع مشكلات هناك، فخبّلوا عمر بن الخطاب «وحاشة الخبل» تصحيحاً لإنكاره موت رسول الله ﷺ وأنه كان من ذلك القلق كما مرّ في ص ١٨٤، وأفعدوا علياً لإيهام العذر في تخلفه عن البيعة، وأخرسوا عثمان لأنه لم ينبس في ذلك الموقف بينت شفة.

على أن ما جاء به القرطبي من ميزان الشجاعة يستلزم كون الخليفة أشجع من رسول الله ﷺ أيضاً إذ لم يُرو عن أبي بكر في رزية النبي الأعظم أكثر من أنه كشف عن وجه النبي وقبّله وهو يبكي وقال: طبت حياً وميتاً^(١) وقد فعل ﷺ أكثر وأكثر من هذا في موت عثمان بن مظعون فإنه ﷺ إنكبّ عليه ثلاث مرّات مرّة بعد أخرى وقبّله باكياً عليه وعيناه تذرفان والدموع تسيل على وجنتيه وله شهيق^(٢)، وشتان بين عثمان بن مظعون وبين سيّد البشر روح الخليفة وعلة العوالم كلّها، وشتان بين المصيبتين.

كما يستدعي مقياس الرجل كون عمر بن الخطاب أشجع من النبي الأقدس لحزنه العظيم في موت زينب وبكائه عليها، وعمر كان يوم ذاك يضرب النسوة الباقيات عليها بالسوط كما مرّ في الجزء السادس ص ١٥٩ ط ٢ فضلاً عن عدم تأثره بتلك الرزية.

وعلى هذا الميزان يغدو عثمان بن عفّان أشجع من رسول الله ﷺ لوجده ﷺ لموت إحدى بنتيه: رقية أو أمّ كلثوم زوجة عثمان. وبكائه عليها، وعثمان غير متأثر به ولا بانقطاع صهره من رسول الله ﷺ غير مشغول بذلك من مقارفة بعض نساءه في ليلة وفاتها كما في صحيحة أنس^(٣).

وقبل هذه كلّها ما ذكره أعلام القوم في موت أبي بكر من طريق ابن عمر من قوله: كان سبب موت أبي بكر موت رسول الله ﷺ ما زال جسمه يجري حتى مات. وقوله:

١ - صحيح البخارى ٦: ٢٨١ كتاب المغازى، سيرة ابن هشام ٤: ٣٣٤، طبقات ابن سعد ط مصر رقم التسلسل ٧٨٥، تاريخ الطبرى ٣: ١٩٨.

٢ - سنن البيهقي ٣: ٤٠٦، حلية الاولياء ١: ١٠٥، الاستيعاب ٢: ٤٩٥، اسد الغابة، الغدير ٣: ٣٨٧، الاصابة ٢: ٤٦٤.

٣ - مستدرک الحاكم ٤: ٤٧، الاستيعاب ٢: ٧٤٨ وصححه، الاصابة ٤: ٣٠٤، ٤٨٩ الغدير ٣: ٢٤.

كان سبب موته كمداً لحقه على رسول الله ﷺ ما زال يذيه حتى مات. وفي لفظ القرماني: ما زال جسمه ينقص حتى مات.

راجع المستدرک الحاکم ۳: ۶۳، اسد الغابة ۳: ۲۲۴، صفة الصفوة ۱: ۱۰۰، الرياض النضرة ۱: ۱۸۰، تاريخ الخميس ج ۲: ۲۶۳، حياة الحيوان للدميري ۱: ۴۹، الصواعق ص ۵۳، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ۵۵، أخبار الدول للقرماني هامش الكامل ۱: ۱۹۸، نزهة المجالس للصفوري ۲: ۱۹۷، مصباح الظلام للجرداني ۲: ۲۵.

كأنّ هذا الحديث عزب عن القرطبي والحلي، فأخذاً بهذا مشفوعاً بكلامهما المذكور في شجاعة أبي بكر يكون هو شاكلة عبد الله بن أنيس في موتهما كمداً على رسول الله ﷺ، ولم ينبأ قطّ خير بموت أحدٍ من الصحابة غيرهما بموته ﷺ، و هذا دليل على ضعف قلبهما عند حلول المصائب، فهما أجبن الصحابة على الإطلاق إذا وزّنا بميزان القرطبي وفيها عين.

ووراء هذا، المغالاة في شجاعة الخليفة وعدّه أشجع الصحابة ما عزاه القوم إلى ابن مسعود من أنّه قال: أول من أظهر الاسلام بسيفه محمد ﷺ وأبو بكر. والزبير بن العوام رضي الله عنهم ^(۱) وما يُعزى إلى رسول الله ﷺ من أنّه قال: لولا أبو بكر الصديق لذهب الإسلام ^(۲).

قال الأميني: لقد كانت على الأبصار غشاوة عن رؤية هذا السيف الذي كان بيد الخليفة، فلم يُؤثر أنه تقلّده يوماً، أو سلّه في كريمة، أو هابه إنسان في معمرة، حتى يقرن برسول الله ﷺ الذي كان منذ بعث سيفاً الله تعالى مجرّداً. إنّ الرسول لنور يستضاء به مُهتدٌ من سيوف الله مسلول ^(۳) أو يقرن بمثل الزبير الذي عرفته وسيفه الحرب الزّيون فشكرته، وقد سجّل التاريخ مواقفه المشهودة وسجّل للخليفة يوم خير وأمثاله.

وأنا لا أدري بأيّ خصلة في الخليفة نيط بقاء الاسلام، أبشجاعته هذه؟ أم بعلمه الذي عرفت كمّيته؟ أم بماذا؟ «فطُنّ خيراً ولا تسأل عن الخير».

۱ - نزهة المجالس للصفوري ۲، ۱۸۲.

۲ - نور الابصار للشبلنجي ص ۵۴.

۳ - البيت من قصيدة لكعب بن زهير المشهورة ببيان سعاد.

ثبات الخليفة على المبدء

عن أبي سعيد الخدري: إِنَّ أبا بكر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إني مررت بوادي كذا وكذا فاذا رجلاً متخشعاً حسن الهيئة يصلي. فقال له رسول الله ﷺ: اذهب إليه فاقتله. قال: فذهب إليه أبو بكر فلمّا رآه على تلك الحالة كره أن يقتله فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ لعمر: اذهب إليه فاقتله. قال فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر فكره أن يقتله فرجع فقال: يا رسول الله! إني رأيته متخشعاً فكرهت أن أقتله قال: يا عليّ اذهب فاقتله. فذهب عليّ فلم يره فرجع فقال: يا رسول الله! إني لم أره. فقال النبي ﷺ إِنَّ هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه فاقتلوهم هم شر البرية^(١).

وعن أنس بن مالك قال: كان في عهد رسول الله ﷺ رجلٌ يعجبنا تعبده و اجتهاده وقد ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرفه فوصفناه بصفته فلم يعرفه فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل قلنا: هو هذا. قال: إنكم لتخبروني عن رجل إن في وجهه لسفعة من الشيطان فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم فقال له رسول الله ﷺ أنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس: ما في القوم أحدٌ أفضل مني أو خير مني؟ قال: أَللّهم نعم. ثم دخل يصلي فقال رسول الله ﷺ: من يقتل الرجل؟ فقال أبو بكر أنا، فدخل عليه فوجده يصلي فقال: سبحان الله! أقتل رجلاً يصلي: وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل المصلين، فخرج. فقال رسول الله ﷺ: ما فعلت؟ قال: كرهت أن أقتله وهو يصلي وأنت قد نهيت عن قتل المصلين. قال: مَنْ يقتل الرجل؟ قال عمر: أنا. فدخل فوجده واضعاً جبهته فقال عمر: أبو بكر أفضل مني فخرج فقال له النبي ﷺ مه؟ قال: وجدته واضعاً وجهه لله فكرهت أن أقتله. فقال: مَنْ يقتل الرجل؟ فقال عليّ: أنا. فقال: أنت

١ - مسند أحمد ٣: ١٥، تاريخ ابن كثير ٧: ٢٩٨.

إن أدركته. فدخل عليه فوجده قد خرج فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال له: مه؟ قال: وجدته قد خرج قال: لو قُتل ما اختلف من أمتي رجالان كان أولهم وآخرهم (١).

صاحب القصة هو ذو الثدية رأس الفتنة يوم النهروان قتله أمير المؤمنين الامام علي يوم ذاك كما في صحيح مسلم وسنن أبي داود، قال الثعالبي في ثمار القلوب ص ٢٣٣: ذو الثدية شيخ الخوارج وكبيرهم الذي علمهم الضلال، وكان النبي ﷺ أمر بقتله وهو في الصلاة فكع عنه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما قصده علي رضي الله عنه لم يره، فقال له النبي ﷺ: أما أنك لو قتلته لكان أول فتنة وآخرها، ولما كان يوم النهروان وجد بين القتلى فقال علي رضي الله عنه: ائتوني بيده المخدجة. فأتي بها فأمر بنصبها.

قال الأميني: هل معي نسائل الرجلين ممن أخذوا أن الصلاة تحقن دم صاحبها؟ هل أخذوها عن شريعة غاب الصادع بها، فارتبكا بين قوليه؟ أليست هي الشريعة المحمدية وصاحبها هو الذي أمر بقتل الرجل؟ وهو ينظر إليه من كذب، ويعلم أنه يصلي، وقد أخبرته الصحابة وفيهم الرجال بخضوعه وخشوعه في صلاته، وإعجابهم بتعبده واجتهاده، وفي المخبرين أبو بكر نفسه، غير أن رسول الله ﷺ عرف بواسع علمه النبوي أن كل ذلك عن دهاء وتصنع يريد بن إغراء الدهماء للحصول على أمنيته الفاسدة التي لم يتمكن منها إلا على عهد الخوارج فأراد ﷺ قمع تلك الجرثومة الخبيثة بقتله، ولقد أراد ﷺ تعريف الناس بالرجل إيقافهم على ما انطوت عليه أضالعه فاستحفاه عما دار في خلده حين وقف على القوم وفيهم النبي ﷺ وأراد أن يعلموا أنه يجد نفسه خيراً أو أفضل منهم ومنه ﷺ.

أي كافر هذا يجب قتله لا سيما بعد قوله ﷺ: إن في وجهه لسفعة من الشيطان؟ وأي شقي هذا يقف على المنتدى وقد ضم صدره نبي العظمة ولم يسلم؟ وأي صفيق يُعرب عن سوء ما هجس في ضميره بكل صراحة، غير محتشم عن موقفه، ولا مكترث لمقاله؟

١ - حلية الاولياء ٢: ٣١٧، ج ٣: ٢٢٧، مسند البزار من طريق الاعمش، و ابو يعلى مسنده كما في تاريخ ابن كثير ٧ ص ٢٩٨، الاصابة ١:

نعم لذلك كلّه أمر ﷺ بقتله وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيّ يوحى، لكن الشيخين رؤفا به حين وجداه يصليّ تثبّناً على المبدء، وتحفظاً على كرامة الصلّاة ومن أتى بها، وزاد عمر: إنّ أبا بكر خيرٌ مِنّي ولم يقتله. أو لم يكن النبيّ الأمر بقتله خيراً منهما؟ أو لم يكن هو مشرّع الصلّاة والآتي بحرمتهما؟ أو لم يكن مصدّقاً لدى الصديق وصاحبه في قوله حول الرجل وإعرابه عن نواياه؟

كان خيراً للشيخين أن يتركا هذا التعلّل الواضح فساداً ويتعلّلا بما في لفظ أبي نعيم في الحلية من أنّهما هابا أن يقتلاه، وبما أسلفناه عن ثمار القلوب للثعالبي من أنّهما كعّا عن الرجل. أي جبنا وضعفا وتهيبهما الرجل وإن كان مصليّاً غير شاك السلاح، فلعلّه يكون معدّراً لهما عن ترك الإمتثال، فلا يكلف الله نفساً إلّا وسعها، لكنّهما يوم عرفا نفسيهما كذلك والإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره لماذا أقدما على قتل الرجل، ففوّتا على النبيّ ﷺ طلبته وعلى الأمة السّلام والأمن ولو بعد لأي من عمر الدهر عند ثورات الخوارج؟ وأبو بكر هذا هو الذي يحسبه ابن حزم والمحبّ الطبري والقرطبي والسيوطي أشجع الناس كما مرّ ص ٢٠٠ وقد يهابه ظلّ الرجال في مصالّهم.

وللرجل (ذي الثديّة) سابقة سوء عند الشيخين من يوم قسّم رسول الله ﷺ غنيمة هوازن قال ذو الثديّة للنبيّ ﷺ لم أرك عدلت. أو: لم تعدل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. فغضب رسول الله ﷺ وقال: ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟ فقال عمر: يا رسول الله ألا أقتله؟ قال: لا، سيخرج من ضيضيّ هذا الرجل قومٌ يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرميّة لا يجاوز إيمانهم تراقيهم. تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٤٨، الامتناع للمقريزي ص ٤٢٥.

تهالك الخليفة في العبادة

لم يؤثر عن الخليفة دؤب على العبادة على العهد النبويّ أو بعده غير أشياء لا تُنجم من أثبتها له إلا بعد تحمّل متناول، أو تفلسف في القول لو أجدت الفلسفة على لا شيء.

روى المحبُّ الطبري في الرياض النضرة ١ ص ١٣٣: إنّ عمر بن الخطاب أتى إلى زوجة أبي بكر بعد موته فسألها عن أعمال أبي بكر في بيته ما كانت فأخبرته بقيامه في الليل وأعمال كان يعملها ثمّ قالت: ألا أنّه كان في كلّ ليلة جمعة يتوضّأ و يصليّ ثمّ يجلس مستقبل القبلة رأسه على ركبتيه فإذا كان وقت السحر رفع رأسه و تنفّس الصعداء فيشتمّ في البيت روائح كبديّ مشويّ. فبكا عمر وقال: أتى لابن الخطاب بكبدٍ مشويّ.

وفي مرآة الجنان ١ ص ٦٨: جاء أنّ أبا بكر كان إذا تنفّس يشتمّ منه رائحة الكبد المشويّة.

وفي عمدة التحقيق للبيدي المالكي ص ١٣٥: لما مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه واستخلف عمر رضي الله عنه كان يتبع آثار الصديق رضي الله عنه ويتشبه بفعله فكان يتردّد كلّ قليل إلى عائشة واسماء رضي الله تعالى عنهما ويقول لهما: ما كان يفعل الصديق إذا خلا بيته ليلاً؟ فيقال له: ما رأينا له كثير صلاة بالليل ولا قيام إنّما كان إذا جنّه الليل يقوم عند السحر ويقعد القرفصاء ويضع رأسه على ركبتيه ثمّ يرفعها إلى السماء ويتنفّس الصعداء ويقول: اخ. فيطلع الدخان من فيه. فيبكي عمر ويقول: كلّ شيء يقدر عليه عمر إلا الدخان. فقال:

وأصل ذلك أن شدّة خوفه من الله تعالى أوجبت احتراق قلبه، فكان جليسه يشتمّ منه رائحة الكبد المشوي، وسببه أنّ الصديق لم يتحمّل أسرار النبوة الملقاة إليه وفي الحديث: أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه. فالمعرفة التامة تكشف عن جلال

المعروف وجماله وكلاهما أمرٌ عظيم جداً تتقطعُّ دونه الغايات ولولا أنَّ الله تعالى ثبت من أراد ثباته وقوّاه على ذلك ما استطاع أحدُ الوقوف ذرّةً على كليهما وجلالاً وجمالاً، والغاية في الطرفين قد نالها الصديق رضي الله عنه. فقد ورد: ما صُبَّ في صدري شيءٌ إلّا صبَّته في صدر أبي بكر. ولو صبَّه جبريل عليه السلام في صدر أبي بكر ما أطاقه لعدم مجراه من المماثل، لكن لما صبَّ في صدر النبي ﷺ وهو من جنس البشريّة فجري في قناة مماثلة للصديق، فبواسطتها أطاق حمله، ومع ذلك احترق قلبه. الخ.

وروى الترمذي الحكيم في نوادر الاصول ص ٣١ و ٢٦١، عن بكر بن عبد الله المزني قال: لم يفضل أبو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صوم ولا صلاة إنّما فضلهم بشيء كان في قلبه. وذكر أبو محمد الأزدي في شرح مختصر صحيح البخاري ٢: ٤١، ١٠٥. و ج ٣: ٩٨. و ج ٤: ٦٣، والشعراني في اليواقيت والجواهر ٢: ٢٢١، والياضي في مرآة الجنان ١: ٦٨، والصفوري في نزهة المجالس ٢ ص ١٨٣: أنّ في الحديث ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولن بشيء وفر في صدره.

قال الأميني: لو صحَّ حديث الكبد المشويّ لوجب اطّرادُه في الأنبياء والرسل ويقدمهم سيّد المرسلين محمد ﷺ لأنهم أخوف من الله من أبي بكر وخاتم النبيّين أخوفهم، ولوجب أن تكون الرائحة فيهم أشدّ وأنشر، فإنّ الخوف فرع الهيبة المسيّبة عن إحاطة العلم بما هناك من عظمة وقهر وجبروت ومنعة، وينبأنا عن ذلك قوله تعالى: إنّما يخشى الله من عباده العلماء (١) قال ابن عبّاس: يريد إنّما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزّي وسلطاني. وقيل: عظّموه وقَدِّروا قدره، وخشوه حقّ خشيته، ومن ازداد به علماً ازداد به خشية.

« تفسير الخازن ٣: ٥٢٥ »

وفي الحديث: أعلمكم بالله أشدّكم له خشية.

« تفسير ابن جزّي ٣: ١٥٨ »

وفي خطبة له ﷺ: فوالله إنّّي لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية (٢).

وفي خطبة أخرى له ﷺ: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً (٣).

١ - سورة فاطر آية ٢٨.

٢ - صحيح مسلم كتاب المناقب. باب علمه بالله وشدة خشيته، تفسير الخازن ٣: ٥٢٥.

٣ - صحيح البخاري كتاب الرقاق. باب لو تعلمون ما أعلم، مسند احمد ٦: ١٦٤، تيسير الوصول ٢، ٢٦، تفسير الخازن ٣: ٥٢٥.

وقال مولانا أمير المؤمنين: أعلمكم أخوفكم.

« غرر الحكم للآمدي ص ٦٢ »

وقال مقاتل: أشدُّ الناس خشية الله أعلمهم.

« تفسير الخازن ٣: ٥٢٥ »

وقال الشعبي ومجاهد: إنّما العالم من خشي الله ^(١).

وقال الربيع بن أنس: من لم يخش الله تعالى فليس بعالم ^(٢).

ومن هنا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: إني أعلمكم بالله وأخشاكم لله ^(٣) ولذلك تجد أنّ أزلف الناس إلى السلطان يتهيّبه أكثر ممّن دونه في الزلفة. فترى الوزير يكبره ويخافه أبلغ ممّن هو أدنى منه، والأمر على هذه النسبة في رجال الوظائف، حتّى تنتهي إلى أبسطها كالشرطي مثلاً، ثمّ إلى سائر أفراد الرعيّة.

وهلّمّ معي إلى الأولياء والمقرّبين والمتهاككين في الخشية من الله والمتفانين في العبادة وفي مقدّمهم سيّدهم مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي كان في حلك الظلام يتملّص تملّص السليم، ويكي بكاء الحزين، ويتأوّه ويتفوّه بما ينمّ عن غاية الخوف والخشية، وهو قسيم الجنة والنار بنصّ من الرّسول الأمين كما مرّ في الجزء الثالث ص ٢٩٩ ط ٢، وكان يُغشى عليه عدّة غشوات في كلّ ليلة، ولم يشم أحدٌ منه ولا منهم رائحة الكبد المشويّة.

ولو اطّرد ما يزعمونه لوجب تكيف الفضاء من لدن آدم إلى عهد الخليفة بتلك الرائحة المنتشرة من تلكم الأكباد المشويّة، ولا سوّد وجه الدنيا بذلك الدخان المتصاعد من الأكباد المحترقة.

أيحسب راوي هذه المهزأة أنّ على كبد المختشي ناراً موقدة يعلوها ضرّم، و يتولّد منها دخان؟ فلمّ لم تُحرق ما في الحشى كلّهُ ويكون إنضاجها مقصوراً على الكبد فحسب؟ وهل للكبد حالّ المعذبين الذين كلّما نضجت جلودهم بُدلّوا جلوداً أخرى؟ وإلا فالعادة قاضيةٌ بفناء الكبد بذلك الحريق المتواصل.

وإن تعجب فعجب بقاء الإنسان بعد فناء كبده، ولعلّك إذا أحفيت الراوي السؤال

١ - تفسير القرطبي ١٤: ٣٤٣، تفسير الخازن ٣: ٥٢٥.

٢ - تفسير القرطبي ١٤: ٣٤٣، تفسير الخازن ٣: ٥٢٥.

٣ - تفسير البيضاوي ٢: ٣٠٢، اللمع لابي نصر ص ٩٦.

عن هذه لأجابه بآنها كلها معاجز تخص بالخليفة.

وأحسب أنّ صاحب المزاعم من المتطّقلين على موائد العريّة فإنّ العربيّ الصميم جدّ عليم بكثير الكناية والاستعارة في لغة الضاد فاذا قالوا: إنّ نار الخوف أحرقت فلاناً لا يريدون لهباً متّقداً يصعد منه الدخان أو تشمّ منه رائحة شيء الأكباد، وأنّما يعنون لهفةً شديدة، وحرقةً معنويّة تشبّه بالنيران.

وأما ما سرده العبيدي من فلسفة ذلك الحريق في كبد الخليفة فأنّما من الدعاوي الفارغة وفيها الغلوّ الفاحش وإن شئت قلت: إنّما هي أوهام لم تقم لها حجّة، وليس من السهل أن يدعمها برهنة يمسخها عن التزحزح، فهي كالريشة في مهبّ الريح تجاه حجاج المجادل، ووجه سيرة الخليفة نفسه، وما عزاه إلى الرواية من حديث خرافة: ما صبّ الله في صدري شيئاً إلّا وصبته في صدر أبي بكر. فهو على تنصيب العلماء على وضعها كما مرّ في ج ٥ ص ٣١٦ لا يلزم به الخصم، ولا يثبت به المدّعى، وفيه من سرف القول ما لا يخفى على العارف بالرجال وتاريخهم.

تبرُّز الخليفة في الأخلاق

لم نقف من أخلاقيات الخليفة على شيء يرفع الإنسان من هذه الناحية عدا ما في صحيح البخاري في كتاب التفسير من طريق ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير قال: قد ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أُمِر القعقاع بن معبد، وقال عمر: أُمِر الأقرع بن حابس^(١) فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردتُ خلافاً فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك: يا أيُّها الذين آمنوا لا تقدِّموا بين يدي الله ورسوله واتَّقوا الله إِنَّ الله سميعٌ عليم. سورة الحجرات: ١.

واخرج البخاري من طريق ابن أبي ملكية أيضاً قال: كاد الخيَّران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعاً أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخى بني مجاشع. وأشار الآخر برجل آخر. قال نافع: لا أحفظ اسمه. فقال أبو بكر لعمر: ما أردتُ إلا خلافي. قال: ما أردتُ خلافاً. فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله: يا أيُّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون^(٢). الحجرات: ٢.

قال الأُميني: ألا تعجب من الرجلين أنَّهما طيلة مصاحبتهما هذا النبيَّ المعظم ﷺ لم يحدهما التأثير باخلاقه الكريمة إلى الحصول على أدب محاضرة العظماء والمثول بين أيديهم لا سيَّما هذا العظيم، العظيم خلقه بنصِّ الذكر الحكيم، وما عرفاً أنَّ الكلام بين يديه لا بدَّ وأن يكون تخافتاً وهمساً إكباراً لمقامه وإعظاماً لمرتبه. وأن لا يتقدَّم

١ - الأقرع بن حابس هو ذلك الاعرابي الذي رآه النبي صلى الله عليه وآله وهو يبول في المسجد، وقد أخرج حديثه البخاري في صحيحه. راجع ارشاد الساري ١: ٢٨٤].

٢ - صحيح البخاري ٧ ص ٢٢٥، الاستيعاب في ترجمة القعقاع ٢: ٥٣٥، تفسير القرطبي ١٦: ٣٠٠، تفسير ابن كثير ٤: ٢٠٥، تفسير الخازن ٤: ١٧٢، الإصابة ١: ٥٨ ج ٣: ٢٤.

أحدٌ إليه بالكلام إلا أن يكون جواباً عن سؤال، أو ما ينمُّ عن امتثال أمر، أو إخباراً عن مهمّة، أو سؤالاً عن حكم لكتنهما تقدماً بالكلام الخارج عن ذلك كلّ، وتمازياً واحتدام الحوار بينهما، وارتفعت أصواتهما في ذلك، وكاد الخيّران أن يهلكا حتى جعلاً أعمالهما في مظنة الإحباط فنزلت الآية الكريمة.

وما أخرجه ابن عساكر عن المقدم أنّه قال: استتبّ عقيل بن أبي طالب وأبو بكر وكان أبو بكر سبّاباً. وكأنّ ابن حجر استشعر من هذه الكلمة ما لا يروقه فقال: سبّاباً أو نسّاباً. لكن الرجل أنصف في التردد وقد جاء بعده السيوطي فحذف كلمة: سبّاباً. وجعلها نسّاباً بلا تردد (١) والمنقّب يعلم أنّ لفظة نسّاباً لا صلة لها بقوله استتبّ بل المناسب كونه سبّاباً، وكأنّ الراوي يريد بذلك أنّه فاق عقيلاً بالسبّ لأنّه كان ملكة له، وإن كان يسع المحوّر أن يقول بارادة كونه نسّاباً أنّه كان عارفاً بحلقات الأنساب و مواقع الغمز فيها، فكان إذا استتبّ يطعن مستأبّه في عرضه ونسبه، لكنه لا يجدي المتمحلّ نفعاً فأنّه من أشنع مصاديق السبّ، وفيه القذف وإشاعة الفحشاء.

ويظهر من لفظ الحديث كما في الخصائص الكبرى ٢ ص ٨٦ أنّ السباب بين أبي بكر وعقيل كان بمحض من رسول الله ﷺ وكان ذلك في أخريات أيامه ﷺ.

ومن شواهد كونه سبّاباً (وسباب المسلم فسوق) (٢) ما مرّ في صفحة ١٥٣ من قوله للسائل عن القدر: يا بن اللخناء. وقوله لعمر: ثكلتك امّك وعدمتك يا بن الخطاب. لما بلغه طلب الانصار أن يوليّ عليهم رجلاً أقدم سنّاً من أسامة فأخذ بلحيته فقال: استعمله رسول الله ﷺ وتأمّرني أن أنزعه؟ (٣).

على أنّه وهم في قوله هذا من ناحيتين: إحداها أنّ الذي يجب أن لا يعزل من منصوبي رسول الله ﷺ هو الخليفة فحسب لا يتسرّب إليه الرأي والمقائيس، كما لا يتطرّقان إلى الأحكام والسنن المشرّعة، لأنّه ﷺ نصبه يوم نصب بأمر من المولى

١ - الصواعق ص ٤٣ تاريخ الخلفاء ص ٣٧.

٢ - مسند أحمد ١ ص ٤١١، سنن ابن ماجه ٢: ٤٦١، تاريخ الخطيب ٥: ١٤٤، وصححه السيوطي في الجامع الصغير، وقال النووي في رياض الصالحين ص ٣٢٣: متفق عليه.

٣ - التمهيد للباقلاني ص ١٩٣، تاريخ الطبري ٣: ٢١٢، تاريخ ابن عساكر ١: ١١٧، الكامل لابن الاثير ٢: ١٣٩، تاريخ ابى الفدا ج ١: ١٥٦، الروض الانف ٢: ٣٧٥.

سبحانه رئيساً عالمياً مدى أمد حياته، كما أنه شرّعها أحكاماً عالميّة مدى أمد الدهر. بخلاف أمراء الجنود والولاة والعَمَل فأنّه ﷺ كان يوليهم الأمر لمصالح وقتيّة بعد الفراغ من تأهّلهم للإمارة والولاية والعمل، وإذا انقضى ظرف المصلحة أو تبدّلت بأخرى أو سلب التأهّل من أحدهم كان يزحزحه من عمل إلى عمل، أو يسقطه عن الوظيفة نهائيّاً، أو إلى أمد تعود بعده إليه جدارته، وكذلك شأن الخليفة من بعده فأنّه قائم مقامه ﷺ وله النصب والنزع، والخفض والرفع، ولذلك أمّر أبو بكر نفسه خالد بن سعيد على مشارق الشام في الرّدة، وكان قد استعمله النبي ﷺ على ما بين زرع وزبيد إلى حدّ نجران أو على صدقات مذحج ومات ﷺ وهو على عمله.

واستعمل أبو بكر نفسه أيضاً يعلى بن أميّة على حلوان، ثمّ عمل لعمر على بعض اليمن، ثمّ استعمله عثمان على صنعاء، وكان رسول الله ﷺ قد استعمله على الجند وتوفي وهو على عمله.

واستعمل أبو بكر عكرمة على عمّان ثمّ عزله واستعمل عليها حذيفة بن محصن وكان قد استعمل رسول الله ﷺ عمرو بن العاص على عمان فمات رسول الله ﷺ وهو أميرها، واستعمل عكرمة على صدقات هوازن عام وفاته. واستعمل عمر عثمان بن أبي العاص على عمّان والبحرين سنة ١٥، وكان قد استعمله النبي ﷺ على الطائف وأقرّه أبو بكر بعد وفاته ﷺ.

واستعمل عمر عبد الله بن قيس أبا موسى الأشعري على البصرة، ثمّ عزله عثمان و أقرّه على الكوفة، ثمّ عزله عليّ عيّلاً عنها، وكان رسول الله ﷺ ولّاه مخاليف اليمن.

وقال أبو الفدا في تاريخه ١: ١٦٦: أقرّ عثمان ولاة عمر سنة لأنّه كان أوصى بذلك ثمّ عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة، وولّاه سعد بن أبي وقاص، ثمّ عزله ولّى الكوفة الوليد بن عقبة وكان أخا عثمان من أمة.

راجع تاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير، والاستيعاب، وأسد الغابة، وتاريخ أبي الفدا، وتاريخ ابن كثير، والاصابة، وغيرها من كتب التاريخ ومعاجم التراجم.

وكم وكم لهؤلاء الولاة المذكورين من نظير، فليس أسامة بدع من هؤلاء، وإنّما هو كأحدهم، له ما لهم وعليه ما عليهم.

فاقتصار الخليفة في الحجاج بنصب رسول الله ﷺ اسامة في غير محله، إلا أن يقيد بأنه ما ارتآه ﷺ من المصلحة يوم ذاك باقية بعد من غير حاجة إلى أي من القول والفعل الذين ارتكبهما.

الناحية الثانية: أن طلبه الأنصار هذه متخذة عن عمل الخليفة نفسه وصاحبيه حيث قدماه يوم السقيفة بكر سنه وشيئته كما مر في صفحة ٩١، ٩٢ فلا غضاضة على الأنصار إذن أن يتحرروا للامارة عليهم من هو أقدم سناً من اسامة تأسيساً بالخلافة. وإذا كان تولية الرسول ﷺ اسامة للقيادة مانعة عن نزعة فما بال منصوبه ﷺ للخلافة يوم غدیر خم بمشهد من مائة ألف أو يزيدون، وفي مواقف أخرى متكبرة يعزل عن الأمر؟ ولا منكر يُصاخ إليه: ولا وازع يُسمع منه، هب أن قيساً أخذ بلحية عمر يوم ذاك كما أخذ بها أبو بكر يوم اسامة، واحتج آخرون لأمير المؤمنين علياً واحتدم الحوار لكن: لا رأي لمن لا يطاع.

نعم: أخرج ابن حبان في حلق الخليفة من طريق إسماعيل بن محمد الكذاب الوضع مرفوعاً عن جبرئيل أنه قال: أبو بكر لفي السماء أشهر منه في الأرض فإن الملائكة لتسميه حلیم قريش. الخ: قد أسلفناه في الجزء الخامس ص ٣٤٤ ط ٢ بيتنا هناك أنه كذب موضوع.

ولو كان الخليفة حلیم قريش أو كان يرث النبي الأعظم شيئاً من خلقه العظيم لما توقيت بضعته الطاهرة سلام الله عليها وهي واجدة عليه من جزاء ما تلقت منه من غلظة وعنف في كشف بيتها الذي تمتى تركه عند وفاته، ولم يكن يأمر بقتال من فيه (١) إلى هنات وهنات.

أخرج البخاري في باب فرض الخمس ج ٥ ص ٥ عن عائشة: أن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة. فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرة حتى توقيت.

١ - راجع صفحة ٧٧ و ١٧٤.

وأخرج في الغزوات باب غزوة خيبر ج ٦ ص ١٩٦ عن عائشة قالت: إنَّ فاطمة « إلى أن قالت » فأبي أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبو بكر وصلى عليها.

ويوجد الحديث في صحيح مسلم ٢ ص ٧٢، مسند أحمد ١ ص ٦، ٩، تاريخ الطبري ٣ ص ٢٠٢، مشكل الآثار للطحاوي ١ ص ٤٨، سنن البيهقي ٦ ص ٣٠٠، ٣٠١، كفاية الطالب ص ٢٢٦، تاريخ ابن كثير ٥ ص ٢٨٥ وقال في ج ٦ ص ٣٣٣: لم تنزل فاطمة تبغضه مدّة حياتها، وذكره بلفظ الصحيحين الديار بكري في تاريخ الخميس ٢: ١٩٣.

ولأبي الامور تـدفن لـليلاً بضعة المصطفى ويُعفى ثراها؟ بلغت من موجدتها أنّها أوصت بأن تُدفن ليلاً، وأن لا يدخل عليها أحد، ولا يصلي عليها أبو بكر، فدفنت ليلاً ولم يشعر بها أبو بكر، وصلى عليها عليّ وهو الذي غسلها مع أسماء بنت عميس^(١).

وقال الواقدي كما في السيرة الحلبية ٣ ص ٣٩٠: ثبت عندنا أنّ عليّاً كرم الله وجهه دفنها رضي الله عنها ليلاً وصلى عليها ومعه العباس والفضل ولم يعلموا بها أحداً. وقال ابن حجر في الإصابة ٤ ص ٣٧٩، والزرقاني في شرح المواهب ٣ ص ٢٠٧: روى الواقدي من طريق الشعبي قال: صلى أبو بكر على فاطمة. وهذا فيه ضعفٌ و انقطاع، وقد روى بعض المتروكين عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه نحو ووهاه الدارقطني وابن عدي، وقد روى البخاري عن عائشة: أنّها لما توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً، ولم يأذن بها أبو بكر وصلى عليها.

قال الأميني: حديث مالك عن جعفر بن محمد أسلفناه في الجزء الخامس صحيفة ٣٥٠ ط ٢ ولفظه: توفيت فاطمة ليلاً فجاء أبو بكر وعمر وجماعة كثيرة فقال أبو بكر لعليّ:

١ - طبقات ابن سعد، رسائل الجاحظ ص ٣٠٠، حلية الاولياء ٢: ٤٣، مستدرک الحاكم ٣: ١٦٣، طرح التثريب ١ ص ١٥، اسد الغابة ٥: ٢٥٤، الاستيعاب ٢: ٧٥١، مقتل الخوارزمي ١ ص ٨٣، ارشاد الساري للقسطاني ٦: ٣٦٢، الإصابة ٤ ص ٣٧٨، ٣٨٠، تأريخ الخميس ١ ص ٣١٣.

تقدّم فصلٍ. قال: لا والله لا تقدّمت وأنت خليفة رسول الله، فتقدّم أبو بكر فصلّى أربعاً. وقد بيّنا هنا لك أنّه من موضوعات عبد الله بن محمّد القدامي المصيصي كما عدّه الذهبي في الميزان ٢: ٧ من مصائبه.

ومن جرّاء تلك الموجدّة مُنعت عن أن تدخلها يوم ذاك عائشة كريمة أبي بكر فضلاً عن أبيها، فجاءت تدخل فمنعتها أسماء فقالت: لا تدخلني. فشكت إلى أبي بكر و قالت: هذه الخثعميّة تحول بيننا وبين بنت رسول الله ﷺ فوقف أبو بكر على الباب وقال: يا أسماء! ما حملك على أن منعت أزواج النبي ﷺ أن يدخلن على بيت رسول الله ﷺ. وقد صنعت لها هودج العروس؟ قالت: هي أمرتني أن لا يدخل عليها أحدٌ، وأمرتني أن أصنع لها ذلك.

راجع الاستيعاب ٢: ٧٧٢، ذخاير العقبي ص ٥٣، أسد الغابة ٥: ٥٢٤، تاريخ الخميس ١: ٣١٣، كنز العمال ٧: ١١٤، شرح صحيح مسلم للسنوسي ٦: ٢٨١، شرح الآبي لمسلم ٦: ٢٨٢، أعلام النساء ٣: ١٢٢١.

(إعتذار الخليفة إلى الصديقة)

هذه المذكورات كلّها وبعضٌ سواها تكذّب ما اختلقته زُمة القول على عواهنه من رواية الشعبي أنّه قال: جاء أبو بكر إلى فاطمة وقد أشتدّ مرضها فاستأذن عليها فقال لها عليّ: هذا أبو بكر على الباب يستأذن فإن شئت أن تأذني له؟ قالت: أو ذاك أحبّ إليك؟ قال: نعم. فدخل فاعتذر إليها وكلمها فرضيت عنه.

وعن الأوزاعي قال بلغني أنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ غضبت على أبي بكر فخرج أبو بكر حتّى قام على بابها في يوم حارّ ثمّ قال: لا أبرح مكاني حتّى ترضى عني بنت رسول الله ﷺ فدخل عليها عليّ فأقسم عليها لترضى فرضيت^(١). ما قيمة هذه الرواية تجاه تلّكم الصحاح؟ ولا يوجد لها أثرٌ في أيّ أصل من اصول الحديث ومسانيد الحفاظ، وقد بلغت إلى الأوزاعي المتوفى ١٥٧ وأرسل بها الشعبي المتوفى ١٠٤ / ٥ / ٦ / ٧ / ٩ / ١٠ ولا يُعرف من بلّغها، ومن أتى بها، ومن أوحاها إلى الرجلين. نعم تساعد نصوص الصحاح ما أتى به ابن قتيبة والجاحظ قال الأوّل: إنّ

١ - الرياض النضرة ٢ ص ١٢٠، تاريخ ابن كثير ٥ ص ٢٨٩.

عمر قال لأبي بكر رضي الله عنهما: انطلق بنا إلى فاطمة فإننا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا عليّاً فكلماه فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط فسَلّما عليها فلم تردّ عليهما السّلام فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله! والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإِنَّكَ لأحبُّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنّي متّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وامنعك حقّك وميراثك من رسول الله؟ إلّا أنّي سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول: لا نورث ما تركنا فهو صدقة. فقالت رأيتهما إن حدّثكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟ فقالا: نعم. فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالوا: نعم سمعناه من رسول الله ﷺ. قالت: فإني أشهد الله وملائكته إنكما اسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ لأشكوّكما إليه. فقال أبو بكر. أنا عائدٌ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة! ثمّ انتحب أبو بكر يبكي حتّى كادت نفسه أن تزهد و هي تقول: والله لأدعوك عليك في كلّ صلاة أصليّها. ثمّ خرج باكياً فاجتمع الناس إليه فقال لهم: يبيت كلّ رجل معانقاً حليته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقبّلوني بيعتي^(١).

وقال الجاحظ في رسائله ص ٣٠٠: وقد زعم أناس أنّ الدليل على صدق خبرهما « يعني أبا بكر وعمر » في منع الميراث وبراءة ساحتهما ترك أصحاب رسول الله ﷺ النكير عليهما..! قد يقال لهم: لئن كان ترك النكير دليلاً على صدقهما، أنّ ترك المتظلمين والمحتجّين عليهما والمطالبين لهما دليلٌ على صدق دعواهم، أو استحسان مقالتهما، ولا سيّما وقد طال المناجاة، وكثرت المراجعة والملاحات، وظهرت الشكّيّة، واشتدّت الموجدّة، وقد بلغ ذلك من فاطمة إنّها أوصت أن لا يصلّي عليها أبو بكر. ولقد كانت قالت له حين أتته مطالبة بحقوقها ومحتجة لرهطها: من يرثك يا أبا بكر إذا متّ؟ قال:

١ - الامامة والسياسة ١ ص ١٤، اعلام النساء ٣ ص ١٢١٤.

أهلي وولدي قالت: فما بالناس لا نرث النبي ﷺ؟ (١) فلما منعها ميراثها، وبخسها حقها واعتلّ عليها، وجلح أمرها، وعانت التهضم، وأيست في التورّع، ووجدت نشوة الضعف وقلة الناصر، قالت: والله لأدعون الله عليك. قال: والله لأدعون الله لك. قالت والله لا كلمتك أبداً قال: والله لا أهجرك أبداً. فإن يكن ترك النكير على أبي بكر دليلاً على صواب منعها، أن في ترك النكير على فاطمة دليلاً على صواب طلبها؟ وأدنى ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلت، وتذكيرها ما نسيت، وصرفها عن الخطأ، ورفع قدرها عن البذاء، وأن تقول هجراً، وتجوّر عادلاً، أو تقطع واصلًا، فإذا لم نجد لهم أنكرًا على الخصمين جميعاً فقد تكافأت الأمور واستوت الأسباب، والرجوع إلى أصل حكم الله في الموارث أولى بنا وبكم، وأوجب علينا وعليكم.

فإن قالوا: كيف تظنّ به ظلمها والتعديّ عليها، وكلّما ازدادت عليه غلظة ازداد لها ليناً ورقّةً. حديث تقول له: والله لا أكلمك أبداً. فيقول: والله لا أهجرك أبداً. ثمّ تقول: والله لأدعون الله عليك. فيقول: والله لأدعون الله لك ثمّ يتحمّل منها هذا الكلام الغليظ والقول الشديد في دار الخلافة وبحضرة قريش والصحابة مع حاجة الخلافة إلى البهاء والتنزيه وما يجب لها من الرفعة والهيبه، ثمّ لم يمنع ذلك عن أن قال معتذراً متقرّباً بكلام المعظم لحقها، المكبر لمقامها، الصائن لوجهها، المتحنّين عليها: ما أحدٌ أعزُّ عليّ منك فقراً، ولا أحبُّ إليّ منك غنى، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة.

قيل لهم: ليس ذلك بدليل على البراءة من الظلم والسّلامة من الجور، وقد يبلغ من مكر الظالم ودها، الماكر إذا كان أريباً وللخصومة معتاداً أن يظهر كلام المظلوم، وذلة المنتصف، وحذب الواقف، ومقت المحقّ، وكيف جعلتم ترك النكير حجّة قاطعة ودلالة واضحة؟ وقد زعمتم أن عمر قال على منبره: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ: متعة النساء ومتعة الحجّ، أنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما (٢) فما وجدتم

١ - هذا الحديث أخرجه أحمد في المسند ١ ص ١٠، والبلاذري في فتوح البلدان ص ٣٨، وابن كثير في تأريخه ٥ ص ٢٨٩.

٢ - راجع الجزء السادس من كتابنا هذا ص ٢١١ ط ٢.

أحداً أنكر قوله، ولا استشنع مخرج نهي، ولا خطأه في معناه، ولا تعجّب منه ولا استفهمه.
وكيف تقضون بترك النكير؟ وقد شهد عمر يوم السقيفة وبعد ذلك أنّ النبي ﷺ قال: الأئمة من قريش ^(١) ثمّ قال في شكايته: لو كان سالم حيّاً ما تخالجتني فيه الشك ^(٢) حين أظهر الشكّ في إستحقاق كلّ واحد من الستّة الذين جعلهم شوري وسالم عبداً لامرأة من الأنصار وهي اعتقته وحازت ميراثه، ثمّ لم ينكر ذلك من قوله منكر، ولا قابل إنساناً بيّن قوله ولا تعجّب منه، وإنّما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا رهبة عنده دليلاً على صدق قوله وصواب عمله، فأما ترك النكير على من يملك الضعة والرفعة والأمر والنهي القتل والاستحياء والحبس والإطلاق فليس بحجّه تشفي ولا دلالة تضيء. إنتهت كلمة الجاحظ.

نظرة في كلمة قارصة

لا يسعنا أن نفوه في الدفاع عن الخليفة بما قال ابن كثير في تاريخه ٥ ص ٢٤٩ من أنّ فاطمة حصل لها - وهي امرأة من البشر ليست براجية العصمة - عتبٌ وتغضبٌ، ولم تكلم الصديق حتّى ماتت. وقال في ص ٢٨٩: وهي امرأة من بنات آدم تأسف كما يأسفون، وليست بواجبة العصمة، مع وجود نصّ رسول الله ﷺ ومخالفة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما. اهـ.

أتى لنا السرف والمجازفة في القول بمثل هذا تجاه آية التطهير في كتاب الله العزيز النازلة فيها وفي أبيها وبعليها وبنيتها؟
أتى لنا بذلك وبين يدينا هتاف النبي الأقدس ﷺ: فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني؟
وفي لفظة: فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها، ويغضبني ما أغضبها.

١ - أخرجه غير واحد من الحفاظ وصححه ابن حزم في الفصل ٤: ٨٩ فقال: هذه رواية جاءت مجيء التواتر، ورواها أنس بن مالك وعبد الله بن عمر ومعاوية، وروى جابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وعبادة بن الصامت معناها، ومما يدل على صحة ذلك اذعان الانصار به يوم السقيفة. هـ.
٢ - أخرجه ابن سعد، والباقلاني، وأبو عمر، والحافظ العراقي كما مرّ ص ١٤٤.

وفي لفظة: فاطمة بضعةٌ مَيِّ يقبضني ما يقبضها، ويسطني ما يسطها.
وفي لفظة: فاطمة بضعةٌ مَيِّ يؤذيني ما آذاها، وينصبني ما أنصبها. في تاج العروس: أي يتعبي ما أتعبها.
وفي لفظة: فاطمة بضعةٌ مَيِّ يرييني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها.
وفي لفظة: فاطمة بضعةٌ مَيِّ يسعفني ما يسعفها. في تاج العروس: أي ينالني ما ينالها، ويلم بي ما يلّم بها.
وفي لفظة: فاطمة شجنةٌ مَيِّ يسطني ما يسطها، ويقبضني ما يقبضها.
وفي لفظة: فاطمة مضعةٌ مَيِّ فمن آذاها فقد آذاني.
وفي لفظة فاطمة مضعةٌ مَيِّ يقبضني ما قبضها، ويسطني ما بسطها.
وفي لفظة: فاطمة مضعةٌ مَيِّ يسرّني ما يسرّها.
أخرجها على اختلاف ألفاظها أئمة الصحاح الستّ وعدةٌ أخرى من رجال الحديث في السنن والمسانيد والمعاجم وإليك جملةٌ مَن رواها.

- ١ - ابن أبي مليكة المتوفى ١١٧ كما في رواية البخاري ومسلم وابن ماجه و ابن داود وأحمد والحاكم.
- ٢ - أبو عمر بن دينار المكي المتوفى ١٢٥ / ٦ كما في صحيح البخاري ومسلم.
- ٣ - الليث بن سعد المصري المتوفى ١٧٥ كما في إسناد ابن ماجه وابن داود وأحمد.
- ٤ - أبو محمد ابن عيينة الكوفي المتوفى ١٩٨ كما في الصحيحين.
- ٥ - أبو النضر هاشم البغدادي المتوفى ٢٠٥ / ٧ كما في مسند أحمد.
- ٦ - أحمد بن يونس البربوعي المتوفى ٢٢٧ كما في صحيح مسلم وسنن أبي داود.
- ٧ - الحافظ أبو الوليد الطيالسي المتوفى ٢٢٧ كما في صحيح البخاري.
- ٨ - أبو المعمر الهذلي المتوفى ٣٣٦ كما في صحيح مسلم.
- ٩ - قتيبة بن سعيد الثقفي المتوفى ٢٤٠ روى عنه مسلم وأبو داود.
- ١٠ - عيسى بن حماد المصري المتوفى ٢٤٨ / ٩ روى عنه ابن ماجه.
- ١١ - إمام الحنابلة أحمد المتوفى ٢٤١ في مسنده ٤: ٣٢٣، ٣٢٨.

١٢ - الحافظ البخاري أبو عبد الله المتوفى ٢٥٦ في صحيحه في المناقب ٥: ٢٧٢.

١٣ - الحافظ مسلم القشيري المتوفى ٢٦١ في صحيحه في الفضائل ٢: ٢٦١.

١٤ - الحافظ أبو عبد الله ابن ماجة المتوفى ٢٧٢ في سننه ١ ص ٢١٦.

١٥ - الحافظ أبو داود السجستاني المتوفى ٢٧٥ في سننه ١ ص ٣٢٤.

١٦ - الحافظ أبو عيسى الترمذي المتوفى ٢٧٥ في جامعه ٢ ص ٣١٩.

١٧ - الحكيم أبو عبد الله الترمذي المحدث المتوفى ٢٨٥ في نوارد الاصول ٣٠٨.

١٨ - الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي المتوفى ٣٠٣ في خصايصه ص ٣٥.

١٩ أبو الفرج الاصبهاني المتوفى ٣٠٣ في الأغاني ٨ ص ١٥٦.

٢٠ - الحاكم أبو عبد الله النيسابوري المتوفى ٤٠٥ في المستدرک ١٥٤٣، ١٥٨، ١٥٩.

٢١ - الحافظ أبو نعيم الاصبهاني المتوفى ٤٣٠ في حلية الأولياء ٢: ٤٠.

٢٢ - الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفى ٤٥٨ في السنن الكبرى ٧: ٣٠٧.

٢٣ - أبو زكريا الخطيب التبريزي المتوفى ٥٠٢ في مشكاة المصابيح ص ٥٦٠.

٢٤ - الحافظ أبو القاسم البغوي المتوفى ٥١٠ / ١٦ في مصابيح السنة ٢: ٢٧٨.

٢٥ - القاضي أبو الفضل عياض المتوفى ٥٤٤ في الشفاء ٢: ١٩.

٢٦ - أخطب الخطباء الخوارزمي المتوفى ٥٦٨ في مقتله ص ٥٣.

٢٧ - الحافظ أبو القاسم ابن عساكر المتوفى ٥٧١ في تاريخه ١ ص ٢٩٨.

٢٨ - أبو القاسم السهيلي المتوفى ٥٨١ في الروض الانف ٢: ١٩٦.

وقال: إِنَّ أبا لبابة رفاعه بن عبد المنذر ربط نفسه في توبة وإنَّ فاطمة أرادت حلّه حين نزلت توبته فقال: قد أقسمت ألاَّ يحلّني إلَّا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: إِنَّ فاطمة مضغة مني. فصلّى الله عليه وعلى فاطمة، فهذا حديث يدلُّ على أنَّ من سبّها فقد كفر، ومن صلّى عليها فقد صلّى على أبيها ﷺ.

٢٩ - ابن أبي الحديد المعتزلي المتوفى ٥٨٦ في شرح النهج ٢ ص ٤٥٨.

٣٠ - أبو الفرج ابن الجوزي المتوفى ٥٩٧ في صفة الصفوة ٢: ٥.

٣١ - الحافظ أبو الحسن بن الأثير الجزري المتوفى ٦٣٠ في اسد الغابة ٥ ص ٥٢١.

- ٣٢ - أبو سالم ابن طلحة الشافعي المتوفى ٦٥٢ في مطالب السؤل ص ٦ : ٧.
- ٣٣ - سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفى ٦٥٤ في التذكرة ص ١٧٥.
- ٣٤ - الحافظ الكنجي الشافعي المتوفى ٦٥٨ في الكفاية ص ٢٢٠.
- ٣٥ - الحافظ محب الدين الطبري المتوفى ٦٩٤ في ذخاير العقبي ص ٣٧.
- ٣٦ - الحافظ أبي محمد الأزدي الاندلسي المتوفى ٦٩٩ في شرح المختصر صحيح البخارى ٣ : ٩١.
- ٣٧ - الحافظ الذهبي الشافعي المتوفى ٧٤٧ في تلخيص المستدرک.
- ٣٨ - القاضي الايجي المتوفى ٧٥٦ في المواقف كما في شرحه ٣ : ٢٦٨.
- ٣٩ - جمال الدين محمد الزرندي الحنفي المتوفى في بضع و ٧٥٠ في درر السمطين.
- ٤٠ - أبو السعادات اليافعي المتوفى ٧٦٨ في مرآة الجنان ١ : ٦١.
- ٤١ - الحافظ زين الدين العراقي المتوفى ٨٠٦ في طرح التثريب ١ : ١٥٠.
- ٤٢ - الحافظ نور الدين الهيثمي المتوفى ٨٠٧ في مجمع الزوائد ٩ : ٢٠٣.
- ٤٣ - الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢ في تهذيب التهذيب ١٢ : ٤٤١.
- ٤٤ - الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١ في الجامع الصغير والكبير
- ٤٥ - الحافظ أبو العباس القسطلاني المتوفى ٩٢٣ في المواهب اللدنية ١ : ٢٥٧.
- ٤٦ - القاضي الديار بكري المالكي المتوفى ٩٦٦ / ٨٢ في الخميس ١ : ٤٦٤.
- ٤٧ - ابن حجر الهيتمي المتوفى ٩٧٤ في الصواعق ١١٢ ، ١١٤.
- ٤٨ - صفی الدين الخزرجي المتوفى ٠٠٠ في الخلاصة ص ٤٣٥.
- ٤٩ - زين الدين المناوي المتوفى ١٠٣١ / ٥ في كنوز الدقائق ص ٩٦.

وقال في شرح الجامع الصغير ٤ ص ٤٢١: استدللّ به السهيلي على أنّ من سبّها كفر لأنّه يغضبه، وأنّها أفضل من الشيخين قال الشريف السمهودي: ومعلوم أنّ أولادها بضعة منها فيكونون بواسطتها بضعة منه، ومن ثمّ لما رأت أمّ الفضل في النوم أنّ بضعة منه وضعت في حجرها أوّلها رسول الله ﷺ بأنّ تلد فاطمة غلاماً فيوضع في حجرها، فولدت الحسن فوضع في حجرها، فكلُّ من يشاهد الآن من ذريّتها بضعة من تلك البضعة، وإن تعدّدت الوسائط، ومن تأمل ذلك إنبعث من قلبه داعي

الإجلال لهم وتجنّب بغضهم على أيّ حال كانوا عليه.

قال ابن حجر: وفيه تحريم أذى مَنْ يتأذى المصطفى ﷺ بتأديبه، فكلُّ من وقع منه في حقِّ فاطمة شيء فتأذّت به فالنبيُّ ﷺ يتأذى به بشهادة هذا الخبر، ولا شيء أعظم من إدخال الأذى عليها من قبل ولدها، ولهذا عرف بالاستقرار معالجة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشدُّ.

٥٠ - الشيخ أحمد المغربي المالكي المتوفى ١٠٤١ في فتح المتعال ص ٣٨٥. قال في قصيدة كبيرة يمدح بها رسول الله

ﷺ:

فما كسبني رسول الله من أحد ولا يضاهيهما في الفخر مفتخر
وهل كفاطمة الزهراء أمهما بنت النبي المصطفى بشراً؟
فأنها بضعة منه وما أحد كبضعة المصطفى إن حقّ النظر

٥١ - الشيخ أحمد باكير المكي الشافعي المتوفى ١٠٤٧ في وسيلة المال:

٥٢ - أبو عبد الله الزرقاني المالكي المتوفى ١١٢٢ في شرح المواهب ٣: ٢٠٥ قال: استدللّ به السهيلي على أنّ من سبّها كفر وتوجيهه أنّها تغضب ممّن سبّها و قد سوى بين غضبها وغضبه ومن أغضبه كفر.

٥٣ - الزبيدي الحنفي المتوفى ١٢٠٥ في تاج العروس ٥. ٢٢٧ و ج ٦: ١٣٩.

٥٤ - القندوزي الحنفي المتوفى ١٢٩٣ في ينابيع المودة ص ١٧١.

٥٥ - الحمزاوي المالكي المتوفى ١٣٠٣ في النور الساري هامش البخاري ٥: ٢٧٤.

٥٦ - الشيخ مصطفى الدمشقي ٠ ٠ ٠ في مرقة الوصول ص ١٠٩.

٥٧ - السيّد حميد الدين الألوسي المتوفى ١٣٢٤ في نثر اللثالي ص ١٨١.

٥٨ - السيّد محمود القراغولي البغدادي الحنفي في جوهرة الكلام ص ١٠٥.

٥٩ - عمر رضا كحالة في أعلام النساء ٣ ص ١٢١٦.

ثمّ أتى لنا القول بمقال ابن كثير وملاً الأسماع قول رسول الله ﷺ: فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبي فمن آذاها فقد آذاني ^(١) وقوله: إنّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها. أو: إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك قاله لفاطمة؟!

١ - راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٢٠.

راجع معجم الطبراني، مستدرک الحاکم ٣: ١٥٤ وصححه، مسند ابن النجار، مقتل الخوارزمي ١: ٥٢، تذكرة السبط ص ١٧٥، كفاية الطالب للكنجي ص ٢١٩، ذخاير العقبي للمحب الطبري ص ٣٩، ميزان الاعتدال ٢: ٧٢، مجمع الزوائد ٩: ٢٠٣، تهذيب التهذيب ١٢: ٤٤٣، كنز العمال ٧: ١١١، أخبار الدول هامش الكامل ١: ١٨٥، كنوز الدقائق للمناوي ص ٣٠، شرح المواهب للزرقاني ٣: ٢٠٢، الاسعاف ص ١٧١، ينابيع المودة ١٧٣، ١٧٤، الشرف المؤبد ص ٥٩.

هذه مطلقات تشمل جميع موجبات الرضا والغضب من الصديقة سلام الله عليها حتى المباحات شأن أبيها الأقدس كما فهمه القسطلاني والحمزاوي في شرح البخاري وذلك يكشف عن أنها صلوات الله عليها لا ترضى إلا لما فيه مرضاة المولى سبحانه، ولا تغضب إلا على ما يغضبه، حتى أنها لو رضيت أو غضبت على أمر مباح فإن هناك جهة شرعية تدخله في الراجحات، أو يجعله من المكروهات، فلن تجد منها في أي من الرضا والغضب وجهة نفسية أو صبغة شهيوية، وذلك معنى العصمة التي نفاها المتحذلق - ابن كثير - بعد أن تصامم أو تعامى عن دلالة آية التطهير النازلة فيها وفي أبيها وبعلمها وبنيتها: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحاديث الغلو أو قصص الخرافة

هذه أبحاث مجملة تمثّل لنا نفسيّات الخليفة، وملكاته الفاضلة، تقتصر بها في هذه العجالة وإن لم ترحفنا ولم يتأتّ بها القصوى، غير أنّ فيها بلغة في إيقاف الباحث على حدّ الخليفة، ومقياساً يُعرف به القالي له من الغالي فيه، والمقتصد فيه من القاسط عليه، ويمتاز به سرف القول في امتداحه عن جزاف الامتداح عليه، فيهنّئنا عندئذ ذكر نزر يسير ممّا سرده القوم من فضائله التي فيها من الغلو الفاحش ما لا يخفى على أيّ أحد ثمّ نشفعه بما جاء في غيره حتى يُعرف أهل الغلو في الفضائل.

- ١ -

الشمس على العجلة

ذكر الشيخ ابراهيم العبيدي المالكي في كتابه « عمدة التحقيق » في بشائر آل الصديق^(١) نقلاً عن كتاب «العقائ» والصفوري في « نزهة المجالس » ٢ ص ١٨٤ نقلاً عن « عيون المجالس » قالوا:
روي أنّ النبي ﷺ قال يوماً لعائشة رضي الله عنها: إنّ الله تعالى لما خلق الشمس خلقها من لؤلؤة بيضاء بقدر الدنيا مائة وأربعين مرّة وجعلها على عجلة، وخلق للعجلة ثمانمائة وستين عروة، وجعل في كلّ عروة سلسلة من الياقوت الأحمر، وأمر ستين ألفاً من الملائكة المقرّبين أن يجزّوها بتلك السلاسل مع قوّتهم التي إختصّهم الله بها، والشمس مثل الفلك على تلك العجلة وهي تدور في القبة الخضراء، وتجلو جمالها على أهل الغبراء، وفي كلّ يوم تقف على خطّ الإستواء فوق الكعبة لأنّها مركز الأرض و تقول: يا ملائكة ربّي إنّّي لأستحي من الله عزّ وجلّ إذا وصلت إلى محاذاة الكعبة التي هي قبلة المؤمنين أن أجوز عليها، والملائكة تجرّ الشمس لتعبر على الكعبة بكلّ قوّتها

١ - ص ١٨٤ هامش روض الرياحين لليافعي المطبوع بمصر سنة ١٣١٥.

فلا تقبل منهم وتعجز الملائكة عنها، فالله تعالى يوحى إلى الملائكة وحي إلهام فينادون: أَيُّهَا الشَّمْسُ بِحَرْمَةِ الرَّجُلِ الَّذِي إِسْمُهُ مَنْقُوشٌ عَلَى وَجْهِكَ الْمَنِيرِ إِلَّا رَجَعْتَ إِلَى مَا كُنْتَ فِيهِ مِنَ السَّيْرِ. فإذا سمعت ذلك تحرَّكت بقُدْرَةِ الْمَالِكِ، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله! من هو الرَّجُلُ الَّذِي إِسْمُهُ مَنْقُوشٌ عَلَيْهَا؟ قال: هو أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَا عَائِشَةُ! قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ الْعَالَمَ عِلْمَ بَعْلَمِهِ الْقَدِيمِ أَنَّهُ يَخْلُقُ الْهَوَاءَ، وَيَخْلُقُ عَلَى الْهَوَاءِ هَذِهِ السَّمَاءَ، وَيَخْلُقُ بَحْرًا مِنَ الْمَاءِ، وَيَخْلُقُ عَلَيْهِ عَجَلَةً مَرْكَبًا لِلشَّمْسِ الْمَشْرِقَةِ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ الشَّمْسَ تَتَمَرَّدُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ إِذَا وَصَلَتْ إِلَى الْإِسْتَوَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ أَنْ يَخْلُقَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَبِيًّا مَفْضُلًا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَهُوَ بَعْلُكَ يَا عَائِشَةُ! عَلَى رَغَمِ الْأَعْدَاءِ، وَنَقَشَ عَلَى وَجْهِ الشَّمْسِ اسْمَ وَزِيرِهِ أَعْنَى أَبَا بَكْرٍ صَدِّيقِ الْمُصْطَفَى، فَإِذَا أَقْسَمَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهَا بِهِ زَالَتِ الشَّمْسُ، وَعَادَتْ إِلَى سِيرِهَا، بِقُدْرَةِ الْمَوْلَى، وَكَذَلِكَ إِذَا مَرَّ الْعَاصِي مِنْ أَمَّتِي عَلَى نَارِ جَهَنَّمَ وَأَرَادَتْ النَّارُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ تَهْجُمَ، فَلِحَرْمَةِ مَحَبَّةِ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ وَنَقَشِ اسْمِهِ عَلَى لِسَانِهِ تَرْجِعُ النَّارُ إِلَى وَرَائِهَا هَارِبَةً، وَلِغَيْرِهِ طَالِبَةً.

قال الأُمِينِي: إِنَّ مِمَّا يَغْمِرُنِي فِي الْحَيْرَةِ أَنَّ هَذِهِ لِعَجَلَةٍ، لَمْ لَمْ يَكْتَشَفْ عَنْهَا عِلْمَاءُ الْهَيْئَةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، مَعَ تَوْفُرِ أَدَوَاتِ الْكَشْفِ وَمَحْصَلَاتِهِ لِأَهْلِ الْهَيْئَةِ الْجَدِيدَةِ خَاصَّةً؟ وَاتَّهَمَ لِمَاذَا اسْتَقَرَّتْ آرَائُهُمْ بَعْدَ تَقَدُّمِ الْعِلْمِ وَاسْتَفْحَالِ أَمْرِهِ وَكَثْرَةِ اكْتِشَافَاتِهِ عَلَى دَوْرَانِ الْأَرْضِ عَلَى الشَّمْسِ؟

وَتَعْلَمُنَا الرِّوَايَةُ عَنْ أَنَّ الْبَخَارَ لَمْ يَكُنْ مُسْتَعْمَلًا عِنْدَ إِنْشَاءِ تِلْكَ الْعَجَلَةِ فِيمَدَّهَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِهِ حَتَّى لَا يَشْعُرَ بَارَادَةً مَرِيدًا، وَلَا حَيَاءً مَنْ يَسْتَحْيِي، فَيَمْضِي بِالْعَجَلَةِ وَيُوصِلُهُ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ إِلَى حَيْثُ شَيْءٌ لَهَا قَدَمًا، وَلَكِنَّ الْعَجَبَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ لَمْ لَمْ يَسْتَبْدِلْ بِالْبَخَارِ عَنِ الْمَلَائِكَةِ بَعْدَ اكْتِشَافِهِ فَيَطْلُقُ صِرَاحَ أَوْلَئِكَ الْأَلْفِ الْمُؤَلَّفَةِ الْمُقَيَّدَةِ بِسَلْسَلِ بِلَاءِ الْعَجَلَةِ، وَيَعْتَقُهُمْ عَنْ مَكَابِدَةِ تَمَرُّدِ الشَّمْسِ فِي كُلِّ يَوْمٍ؟

وَهُنَاكَ مَسْئَلَةٌ لَا أُدْرِي مِنَ الْمَجِيبِ عَنْهَا وَهِيَ: أَنَّ إِرَادَةَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ الْفَائِقَةَ عَلَى كُلِّ قُوَّةٍ جَامِحَةٍ وَهِيَ تَمْسُكُ السَّمَاءَ بِغَيْرِ عِمَدٍ تَرَوْنَهَا، وَتَسِيرُ الْجِبَالُ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ، لَمْ لَمْ تَقُمْ مَقَامَ أَوْلَئِكَ الْمُسَخَّرِينَ لَجَرِّ الشَّمْسِ حَتَّى لَا يُوقِفُهَا تَمَرُّدًا، وَلَا تَحْتَاجَ إِلَى عُرَى وَسَلْسَلٍ، أَوْ الْإِقْسَامِ بَيْنَ

كتب اسمه عليها؟ وما الذي أحوج المولى سبحانه في تسيير الشمس إلى هذه الأدوات من العجلة والعري والسلاسل، وخلق أولئك الجَمِّ الغفير من الملائكة واستخدامهم بالجرِّ الثقيل، وهو الذي إذا أراد شيئاً أن يكون يقول له: كن. فيكون؟ ثمَّ إنَّ الشمس هلاًَّ كانت تعلم أنَّ إرادة الله سبحانه ماضيةٌ عليها بجريها إلى الغاية المقصودة؟ فما هذا التوقُّف والتمرد؟ والله تعالى أعلم بعظمة الكعبة وشرفها منها وقد جعلها في خطَّة سيرها. أئنَّ للشمس أن تجهل بها؟ وهي هي الشاعرة بخَطِّ الاستواء، ومحاذاة الكعبة ووصولها إلى تلك النقطة المقدَّسة، وهي العارفة بمقامات الصديق، وإنَّ اسمه منقوشٌ عليها، وإنَّ من واجبها أن تنقاد لا تجمح على من أقسم به عليها.

ومن عويصات لا تنحلُّ: تحديد الشمس تمرُّدها كلَّ يوم، والشمس تجري لمستقرِّ لها ذلك تقدير العزيز العليم ^(١) لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلُّ في فلكٍ يسبحون ^(٢).

وأعوص من ذلك: انشاد الملائكة إيَّاها في كلِّ نهار بتلك الأنشودة الضخمة و وحي الله إليهم بها طيلة عمر الدنيا. هكذا تشوّه رواية السوء سمعة السنّة الشريفة، وهي مقدَّسة عن هذه الأوهام الخرافيّة وإنَّ هذه كلّها من جرّاء الغلوّ الممقوت في الفضائل، ولو كان مختلق هذه المرسلة المقطوعة عن الاسناد يعلم ما ذكرناه من الفضايح المترتبة على افتعالها لما اقتحم هذا الاقتحام المزري.

- ٢ -

التوسُّل بلحية أبي بكر

ذكر الياضي في روض الرياحين ^(٣) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنّه قال: بينما

١ - سورة يس ~ آية ٣٨.

٢ - سورة يس ~ آية ٤٠.

٣ - طبع بمصر في المطبعة السعيدية هامش العرائس للثعلبي توجد الرواية في ص ٤٤٣ ينقل عنه القسطلاني في المواهب، وقال الزرقاني في شرح المواهب ص ١٥٧ مؤلف حسن، و طبع لليافي كتاب آخر مستقلا في مصر سنة ٢٣١٥ باسم روض الرياحين ايضاً، وهو تأليفه الآخر غير المطبوع في حاشية العرائس.

نحن جلوسٌ بالمسجد وإذا نحن برجل أعمى قد دخل علينا وسلّم فرددنا عليه السّلام وأجلسناه بين يدي النبي ﷺ فقال: من يقضيني حاجة في حبّ النبي ﷺ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما حاجتك يا شيخ؟ فقال: إنّ لي أهلاً ولم يكن عندي ما نفتات به، وأريد من يدفع لنا شيئاً نفتات به في حبّ رسول الله ﷺ. قال فنهض أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال: نعم أنا أعطيك ما يقوم بك في حبّ رسول الله ﷺ. ثمّ قال: هل من حاجة أخرى؟ فقال: نعم إنّ لي ابنة أريد من يتزوّج بها في حياتي حبّاً في محمّد ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا أتزوّج بها في حياتك حبّاً في رسول الله ﷺ هل من حاجة أخرى؟ فقال: نعم أريد أن أضع يدي في شية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حبّاً في محمّد ﷺ. فنهض أبو بكر رضي الله عنه ووضع لحيته في يد الأعمى وقال: امسك لحيتي في حبّ محمّد ﷺ. قال: فقبض الأعمى بلحية أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال: يا ربّ أسألك بجرمة شية أبي بكر ألا رددت عليّ بصري. قال: فردّ الله عليه بصره لوقته، فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ وقال: يا محمّد! السّلام يقرئك السّلام، ويخصّك بالتحيّة والإكرام، ويقول لك: وعزّي وجلاله لو أقسم عليّ كل أعمى بجرمة شية أبي بكر الصديق لرددت عليه بصره، وما تركت على وجه الأرض أعمى، وهذا كلّ بركتك وعلوّ قدرك وشأنك عند ربّك.

قال الأميني: إنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. حقّاً أنّ هذا الضرير قد عمى قلبه قبل بصره، فلم يعقل إنّ القسم بشية رسول الله ﷺ أولى من شية أبي بكر، فهي مقدّمة قداسةً وشرفاً وزلفاً عند الله سبحانه، وهو ﷺ أكبر من أبي بكر سنّاً وأكثر شية، فما أعمى الرجل عنها إن كان يريد مقسماً به يبرّ الله سبحانه به قسمه؟ أو أنّه له في شية أبي بكر غاية لم نعرفها؟ ثمّ أين عن هذه الشية عميان أهل السنّة؟ وما أغفلهم عن الوحي المنزل فيها؟ فيقسمون على الله بها فيكشف عن أبصارهم، وما بال الحقاظ وأئمّة الحديث أرجأوا نشر هذه الرواية إلى القرن الثامن عهد اليافعي؟ هل بخلوا على عميان الأئمّة بمثل هذا النجاح الباهر وفي الوحي المزعوم قوله سبحانه: وعزّي وجلالي لو أقسم عليّ كل أعمى. الخ؟ أو أنّهم وجدوا مولد هذا الحديث بعد

عصورهم فلم يشيدوا بذكره؟ أو رؤا فيه غلوًا فاحشاً بتقديم حية أبي بكر على شية رسول الله ﷺ فطووا عن روايته كشحاً؟ أو عقلوا فيه مهزأة بالله ووحيه وأمينه ونبيه فضربوا عنه صفحاً؟

وللقوم حول شية أبي بكر روايات منها ما أسلفناه في الجزء الخامس ص ٢٧٠ من أنه ﷺ كان إذا اشتاق إلى الجنة قبل شية أبي بكر. ومرّ هنالك أنّها من أشهر المشهورات من الموضوعات، ومن المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل كما قاله الفيروز آبادي والعجلوني.

ومنها ما ذكره العجلوني في كشف الخفا ١ ص ٢٣٣ من أنّ لبراهيم الخليل وأبي بكر الصديق شية في الجنة. ثمّ قال: في المقاصد نقلاً عن شيخه ابن حجر: لم يصحّ أنّ للخليل في الجنة حية ولا للصديق، ولا أعرف ذلك في شيء من كتب الحديث المشهورة ولا الأجزاء المنتورة. ثمّ قال: وعلى تقدير ثبوت وروده فيظهر لي أنّ الحكمة في ذلك: أمّا في حقّ الخليل فلكونه مُنزَلاً منزلة الوالد للمسلمين لأنّه الذي سمّاهم بالمسلمين وأمرُوا باتباع ملّته، وأمّا في حقّ الصديق فلأنّه كالوالد الثاني للمسلمين، إذ هو الفاتح لهم باب الدخول على الإسلام.

قال الأميني: إنّ الذي سمّى الأُمّة المرحومة بالمسلمين هو الله سبحانه كما في قوله تعالى: جاهدوا في الله حقّ جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا. (الحج ٧٨). وإن أمكنت التسمية من إبراهيم من قبل فإنّها غير ممكنة منه في هذا وهو القرآن الكريم، وإنّما وقع ذكر ملّة إبراهيم في البين إمتناناً منه سبحانه على الأُمّة بجعل الإسلام شريعة سهلة لا حرج فيها ترغيباً في الدخول فيه. فالقول بأنّ إبراهيم سمّاهم مسلمين لا يتمّ مع قوله تعالى: « وفي هذا » يعني في القرآن. قال القرطبي: هذا القول مخالف لقول عظماء الأُمّة. وقال القرطبي: هذا لا وجه له لأنّه من المعلوم أنّ إبراهيم لم يسمّ هذه الأُمّة في القرآن المسلمين.

وقال ابن عبّاس: الله سمّاكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدّمة وفي

الذكر. وكذا قال مجاهد وعطاء والضحاك والسدي ومقاتل وقتادة وابن مبارك.

وتدلُّ على تعيين هذا القول قراءة أبي بن كعب: الله سَمَّاكم المسلمين. كما في تفسير البيضاوي ٢ ص ١١٢، وكشَّاف الزمخشري ٢ ص ٢٨٦، وتفسير الرازي ٦ ص ٢١٠، وتفسير ابن الجزري الكلبي ٣ ص ٤٧. واستقره الرازي في تفسيره فقال: لأنَّه تعالى قال: ليكون الرسول شهيداً عليكم ويكونوا شهداء على الناس. فبين أنَّه سَمَّاهم بذلك لهذا الغرض وهذا لا يليق إلا بالله.

واستصوبه ابن كثير في تفسيره ٣ ص ٢٣٦ وقال: لأنَّه تعالى قال: هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج. ثمَّ حَتَّهم وأغراهم على ما جاء به الرسول صلوات الله عليه بأنَّه ملَّة أبيهم الخليل، ثمَّ ذكر منَّته تعالى على هذه الأُمَّة بما نوَّه به من ذكرها والثناء عليه في سالف الدهر وقديم الزمان في كتب الأنبياء يُتلى على الأُحبار والرهبان فقال: هو سَمَّاكم المسلمين من قبل. أي من قبل هذا القرآن. وفي هذا.

وبهذا تعرف قيمة ما حسبه المتفلسف من أنَّ تنزيل ابراهيم منزلة الأب للمسلمين لمحض التسمية فإنَّه ممَّا لا يُقام له وزنٌ وإلا لوجب إتخاذ من سَمَّى أحداً باسم أباً تنزيلياً ومن المعلوم بطلانه، وإمَّا سَمَّاه الله أباً للمسلمين لأنَّه ﷺ أب الرسول الأُميين وإنَّ قريشاً من ذريَّته وهو ﷺ أبو الأُمَّة وأُمَّته في حكم أولاده وأزواجه أمهاتهم كما ورد عنه ﷺ من قوله: إمَّا أنا لكم كالوالد. أو: مثل الوالد^(١).

أنا لا أدري ما هي الخاصَّة في الأب التنزيليِّ لأُمَّة خاصَّة أن تكون له حية في الجنَّة دون الأب الحقيقيِّ للأُمم جمعاء، وهو أبو البشر آدم ﷺ، ولا حية له؟ مع ما ورد عن كعب الأُحبار أنَّه قال: ليس أحدٌ في الجنَّة له حية إلا آدم، له حية سوداء إلى سرِّته. ذكره ابن كثير في تاريخه ١: ٩٧.

وإن كانت الحكمة في حية ابراهيم الخليل وأبي بكر ما زعمه العجلوني من الأبوة فما الحكمة في حية موسى بن عمران؟ وقد جاء في الحديث ليس أحدٌ يدخل الجنَّة إلاَّ جرد مرد إلاَّ موسى بن عمران فإنَّ لحيته إلى سرِّته (السيرة الحلبيَّة ١: ٤٢٥).

١ - تفسير الخازن ٣ ص ٣١٤، تفسير النسفي هامش الخازن ٣ ص ٣١٤.

ثم إنَّ للأمة المسلمة أباً تنزلياً روحياً هو أحقُّ بالأبوة من الخليل ﷺ وهو نبيها الأقدس محمد ﷺ كما مرَّ حديثه، وبها حياتها الحقيقية، وهو الذي يدعوهم لما يحييهم، ومنه كيانها المستقرُّ، وعزُّها الخالد، فهو أولى باللحمة من أبيه الخليل وصاحبه أبي بكر.

والعجب كلَّ العجب في عدِّ أبي بكر أباً ثانياً للأمة لأنَّه فتح لها باب الدخول إلى الاسلام، وإنَّ الذي فتح باب الاسلام بمصراعيه لدخول الأمم فيه، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، هو رسول الله ﷺ بدعوته الكريمة، وبراهينه الصادقة، ومعجزه المعلومة، ونواميسه المقدَّسة، وخلايقه الرضيَّة، ومغازيه الدامية. فهو أولى بأن تكون له لحية في الجنة. على أنَّ الأمة قطُّ لم تعرف باباً فتحه الخليفة لها إلى الاسلام، ولم يدر أيُّ أحد أنَّه متى فتحه، وأين فتحه، ولماذا فتحه، وأيَّ باب هو نعم لا تحفى على الأمة جمعاء أنَّه غلَّق باباً عليها وحرَّمها من خير أهلها وعلمه ورشده وهده، ألا: وهو باب مدينة علم النبيِّ مولانا أمير المؤمنين بالنصِّ المتواتر، وهو الباب الذي منه يؤتى إلى الله، و إليه يتوجَّه الأولياء، فلولا انتزاع الأمر منه لانتشرت علومه، وزهرت معالمه، وتبلَّغت حكمه، وعمل باحكامه، فأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم، منهم أمةٌ مقتصدة وكثيرٌ منهم ساء ما يعملون، لكنَّه ﷺ مُنع عن حقِّه فجهلت العباد، وأجدبت البلاد، وصوَّحت المرافق، وظهر الفساد في البرِّ والبحر بما كسبت أيدي الناس، وإلى الله المشتكى.

وإن أراد القائل من فتح الباب بدئة الفتوح في أيَّام الخليفة؟ فالخليفة الثاني على ذلك أجدر باللحمة منه، لأنَّ عمدة الفتوح وقعت في أيَّامه.

نعم: إن يكن هناك مَنْ يحقُّ أن يعدَّ للأمة أباً ثانياً تنزيراً بعد رسول الله ﷺ فهو مولانا أمير المؤمنين ﷺ الذي به كان تمام الدعوة؟ والنجاح في المغازي، وهو نفس النبيِّ القدسيَّة وخليفته المنصوص عليه، ولذلك جاء من طريق أنس بن مالك عنه ﷺ قوله: حقُّ عليٍّ على هذه الأمة كحقِّ الوالد على الولد، ومن طريق عمَّار و أبي أيوب الأنصاري قوله: حقُّ عليٍّ على كلِّ مسلم حقُّ الوالد على ولده (١).

١ - الرياض النضرة ٢ ص ١٧٢ نقلاً عن الحاكمي، كنوز الدقائق ص ٦٤ نقلاً عن الديلمي، مناقب الخوارزمي ص ٢٤٤، ٢٥٤، فرائد السمطين لشيخ الاسلام الحموي، نزهة المجالس ٢ ص ٢١٢.

شهادة أبي بكر وجبريل

ذكر النسفي أنّ رجلاً مات بالمدينة فأراد النبي ﷺ أن يصلي عليه فنزل جبريل وقال: يا محمد لا تُصلي عليه. فامتنع فجاء أبو بكر فقال: يا نبي الله صلى الله عليه وسلم فما علمتُ منه إلا خيراً. فنزل جبريل وقال: يا محمد صلى الله عليه وسلم، فإنّ شهادة أبي بكر مقدّمة على شهادتي، مصباح الظلام للجرداني ٢ ص ٢٥، نزهة المجالس ٢ ص ١٨٤. قال الأميني: هلّمّ معي نناقش راوي هذه السفسطة الحساب بعد أن لم نقف لها على اسناد نناقش رجاله، ونسائله عن أنّ ما أدّاه جبريل من الشهادة أكان من عند نفسه؟ ولم يكن لأمين الله على وحيه أن يأتي رسوله بشيء من قبل نفسه فحاجباً أبا بكر بتقديم شهادته أم كان وحيّاً من المولى سبحانه؟ - وهو المطرّد في كلّ هبوط له إلى الرسول الأمين - فأبطل ذلك الوحي المبين مجازفةً لمحض أنّ أبا بكر شهد بضدّ ما جاء به؟ وأيّاً ما كان فإنّ اخباره كان لا محالة عن عدم تأهل الرجل في الواقع للصلاة عليه في صورة نهي مفيد للتحريم، ومؤداه أنّ الله سبحانه يغيض أن ترفع اليه صلاة على مثله من نبيّه والمحجوب، فهل يكون قول أبي بكر بتأهله المستنبط من ظاهر الحال الذي يخطأ ويصيب، ولا شك أنّه مخطأ في هذه المورد بالخصوص لنزول الوحي بخلافه، فهل يكون قولٌ هذا شأنه مبطلاً للوحي المبين؟ تبصّر واحكم.

خاتم النبيّ وسجله

روي أنّ النبيّ ﷺ دفع خاتمه الى أبي بكر وقال: اكتب عليه: لا إله إلا الله، فدفعه أبو بكر إلى النقّاش وقال: اكتب عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. فكتب عليه. فلمّا جاء به أبو بكر إلى النبيّ ﷺ وجد عليه لا إله إلا الله محمد، رسول الله، أبو بكر الصديق. فقال: ما هذه الزيادة يا أبا بكر؟ فقال: ما رضيت أن افترق اسمك عن اسم الله، وأمّا الباقي فما قلته فنزل جبريل وقال: إنّ الله سبحانه وتعالى يقول: إني كتبت اسم أبي بكر لأنّه ما رضي أن يفرّق اسمك عن اسمي، فأنا ما رضيت أن افترق

إسمه عن اسمك. نزهة المجالس للصفوري ٢ ص ١٨٥ نقلاً عن تفسير الرازي، مصباح الظلام للجرداني ص ٢٥. قال الأميني: المتسام عليه بين المحدثين أنَّ نقش خاتم رسول الله ﷺ كان « محمد رسول الله » بلا أي زيادة ففي الصحاح عن أنس أنه صنع خاتماً من ورق ونقش فيه: محمد رسول الله. وقال: فلا ينقش أحد على نقشه. صحيح البخاري ٨: ٣٠٩، صحيح مسلم ٢: ٢١٤، ٢١٥، صحيح الترمذي ١: ٣٢٤. سنن ابن ماجه ٢: ٣٨٤، ٣٨٥، سنن النسائي ٨: ١٧٣.

وفي رواية البخاري والترمذي عن انس قال: كان نقش الخاتم ثلاثة أسطر: محمد، سطر. ورسول، سطر. والله سطر. « صحيح البخاري ٨: ٣٠٩، صحيح الترمذي ١: ٣٢٥. »
وروى ابن سعد في طبقاته من مرسل ابن سيرين أنَّ نقشه كان: بسم الله محمد رسول الله. وقال ابن حجر: ولم يتابع على هذه الزيادة. ذكره عنه الزرقاني في شرح المواهب ٥: ٣٩.

وأخرج أبو الشيخ في الأخلاق النبوية من رواية عرعة بن البرند عن انس قال: كان مكتوباً على فصّ خاتم رسول الله ﷺ لا إله إلا الله. محمد رسول الله. قال ابن حجر في فتح الباري ١٠: ٢٧٠: عرعة ضعفه ابن المديني وزيادته هذه شاذة. وقال الزرقاني في شرح المواهب ٥: ٣٩: كان نقش الخاتم النبوي كما في الصحيحين وغيرهما. محمد رسول الله. فلا عبرة بهذه الرواية كرواية أنه كان فيه كلمتا الشهادة معاً، ورواية ابن سعد عن أبي العالية أنَّ نقشه: صدق الله. ثمَّ ألحق الخلفاء: محمد رسول الله.

فما قيمة ما جاء به من النقش صَوَاغ القرون المتأخرة، وصاغته يد الإفك والغلو بعد لأي من وفاة النبي الأعظم وانقطاع الوحي عنه، ولا يوجد في تأليف الأولين منه عين ولا أثر؟ وأنت ترى السلف حاكمين في حديث زيادة كلمة الاخلاص والبسملة بالشذوذ وأنه لا عبرة به ولا يتابع عليه، ولا يبحث أي متضلع في الفن عن هذه الزيادة المختلفة التي لا صلة لها بالموضوع، وليست هي إلا إستهزاءً بالله ونبيه ووحيه. وأمين وحيه.

ثمَّ قد صحَّ عند القوم أنَّ ذلك الخاتم المنقوش الخاصَّ بالنبيِّ ﷺ « وكان يتختم به ويختم ﷺ ولم يكن له خاتم غيره ولم يحتمل التعدُّد قطُّ أحدٌ في رفع اختلاف أحاديث النقش » كان عند أبي بكر في يمينه بعد رسول الله ﷺ، وبعده في يد عمر، وبعده عند عثمان في يمينه وسقط سنة ثلاثين من يده أو: من يد غيره. في بئر أريس^(١) وأُخذ له خاتماً آخر^(٢) وفي رواية ابن سعد عن الأنصاري كما في فتح الباري ١٠ : ٢٧٠ وسنن النسائي ٨ : ١٧٩ : أنه كان في يد عثمان ستَّ سنين من عمله. فلو كانت تلکم الأسطورة صحيحة وكان إسم الخليفة منقوشاً في خاتم كان يلبسه النبيُّ الأقدس طيلة حياته وتنظر إليه الصحابة من كُتب وترى بريقه في خنصره كما في صحيح البخاري ٨ : ٣٠٨، ٣٠٩ كان حقاً على الخليفة والخاتم بيده أن يحتجَّ بها يوم تسنَّم عرش الخلافة، وكان هناك حوارٌ وصخبٌ، لكنَّه لم يحتج لأنَّ ذلك الخاتم ما كان مصوغاً بعدُّ ولا منقوشاً، ولم يُعط من المعيب أنَّه يُستنحت له ذلك بعد قرون متطاولة.

وكان حقاً على الصحابة الملتاثين به أن يحتجوا بذلك النقش المصنوع في عالم الملكوت، فإنَّ الاحتجاج به أولى من الاحتجاج بكبر السنِّ وأمثاله، لكنَّهم تركوا الحِجاج لأنَّ هذا المولود لم يكن يولد بعدُّ، وإنما ولدته أمُّ الغلّو في الفضائل في آخر الدهر.

ولا يتأتَّى لأحد عرفان سرِّ ما جاء به جبريل الخيالي من القرآن بين اسم النبيِّ الأعظم وبين اسم أبي بكر في ذلك النقش المصوغ في عالم الغيب، أكان أبو بكر نفس النبيِّ الأعظم بنصِّ القرآن الكريم؟ أم كان قرينه في العصمة والقداسة في الذكر الحكيم؟ أم نزلت فيه آية التبليغ مع ذلك الإرهاب؟ أم أكمل الله به الدين، وأتمَّ به النعمة كما بدء بالنبيِّ الطاهر؟ أم كان رديف النبيِّ الأقدس في الإسلام والدعوة إلى الله من أوَّل يومه؟ أم كان وصيَّه وخليفته المنصوص عليه من بدء الدعوة؟ أم قرنت طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته كما في صحاح جاءت عنه ﷺ؟ أم كان نظيره في أمته بنصِّ منه

١ - هي ميلين من المدينة وهي من أقل الآبار ماء.

٢ - صحيح البخاري ٨ : ٣٠٦، صحيح مسلم ٢ : ٢١٤، سنن النسائي ٨ : ١٧٩، تاريخ الطبري ٥ : ٦٥، تاريخ ابن كثير ٨ : ١٥٥، تاريخ الخميس ٢ : ٢٢٣، ٢٦٩ تاريخ أبي الفدا ج ١ : ١٦٨.

ﷺ أم؟ أم؟ إلى مائة أم. لماذا ذلك القرآن؟ أنا لا أدري، ومختلف الرواية أيضاً لا يدري.

- ٥ -

عرض جنة أبي بكر

قال الصفوري في نزهة المجالس ٢ ص ١٨٣: رأيت في الحديث أنّ الملائكة اجتمعت تحت شجرة طوبى فقال ملك: وددت أنّ الله تعالى أعطاني قوّة ألف ملك، وكساني ريش ألف طير، فأطير حول الجنة حتى أبلغ طرفها، فأعطاه الله ذلك فطار ألف سنة حتى ذهب قوّته وتساقط ريشه، ثمّ أعطاه الله تعالى قوّة وأجنحة فطار ألف سنة ثانية حتى ذهب قوّته وتساقط ريشه، ثمّ أعطاه الله تعالى قوّة وأجنحة فطار ألف سنة ثالثة حتى ذهب قوّته وتساقط ريشه، فوقع على باب قصر باكياء فأشرفت عليه حوراء فقالت: أيّها الملك مالي أراك باكياء وليست هذه بدار بكاء وحزن، وإنّما هي دار فرح وسرور؟ فقال: لأنيّ عارضت الله في قدرته. ثمّ أعلمها بحديثه، فقالت له: لقد خاطرت بنفسك أتدري كم طرت في هذه الثلاثة آلاف سنة؟ قال: لا. قالت: وعزّة ربيّ ما طرت أكثر من جزء واحد من عشرة آلاف جزء ممّا أعدّه الله تعالى لأبي بكر الصديق رضي الله عنه. وذكره الجرداني في مصباح الظلام ٢ ص ٢٥. قال الأميني: فمجموع ما أعدّه الله تعالى لأبي بكر في الجنة هو مسير ثلاثين ألف سنة لطائر يطير بقوّة ألف.

ملك وريش ألف طير، جلّت قدرة الباري.

أنا أكل حساب هذه الرواية إلى الشباب النابه العصري المتخرج من المدارس العالية في أرجاء العالم. كما أرى النظرة في رجال سندها من وظائف رجال الغيب إذ من المستحيل أن يقف عليه متتبّع، ويعرفه حافظٌ ضليع، أو محدّثٌ بعيد الطنء، أو رجاليّ واسع الخطوة من رجال عالم الشهود.

- ٦ -

الله يستحيي من أبي بكر

عن انس بن مالك قال: جاءت امرأة من الأنصار فقالت: يا رسول الله! رأيت في المنام كأنّ النخلة التي في داري وقعت، وزوجي في السفر. فقال: يجب عليك الصبر

فلن تجتمعي به أبداً. فخرجت المرأة باكيةً فرأت أبا بكر، فأخبرته بمنامها ولم تذكر له قول النبي ﷺ، فقال: إذهبي فأنك تجتمعين به في هذه الليلة. فدخلت إلى منزلها وهي متفكرة في قول النبي ﷺ وقول أبي بكر، فلما كان الليل وإذا بزوجها قد أتى، فذهبت إلى النبي ﷺ وأخبرته بزوجها، فنظر إليها طويلاً فجاءه جبرئيل وقال: يا محمد! الذي قلتَ هو الحق، ولكن لما قال الصديق إنك تجتمعين به في هذه الليلة إستحيا الله منه أن يجري على لسانه الكذب، لأنه صديق فأحياه كرامةً له.

نزهة المجالس ٢ ص ١٨٤

قال الأميني: ليتنا كنّا نقف على رجال هذا الخيال النبهاء الذين أرادوا كسح معرة الكذب عن ساحة الصديق فجروها إلى الساحة النبوية، فكأن الله لم يبال بأن يجري الكذب على لسان نبيه الصادق المصدق، حيث أنه لم يخبر عن موت الرجل وإنما أخبر امرأته بأنها لن تجتمع به أبداً بكلمة لن المفيدة لتأييد النفي المؤكد بقوله أبداً فظهر خلافه، لكنه إستحى من أبي بكر بعد أن رجم بالغيب فكافاً ظاهراً فأراد أن يرحض عنه ذلك باحياء الرجل وعدم إماتته كرامةً له، وهل يرحضه ذلك بعد أن وقع الكذب؟ أنا لا أدري.

وهل كانت كرامة أبي بكر على الله أعظم من كرامة رسوله عليه؟ حيث لم يرض بظهور الكذب عليه ورضيه على مصطفىه، ولم يكن في انتشاره عنه كسرٌ للإسلام لكن إنتشاره عن النبي ﷺ فت في عضد الدين.

ثم أعجب من تعليل الرواية بأن أبا بكر كان صديقاً. أو لم يكن رسول الله ﷺ سيد الصديقين أجمع؟ وهب أن وحي هذه المزعمة خفف عن ساحة النبوة شيئاً يمكن أن يفوه به من اختلقها بأن الأمر كان كما أخبر به رسول الله ﷺ لكن أحى الله الرجل للغاية التي ذكرها فلا كذب ﷺ لكن يدفعه ما قدمناه من أنه ﷺ لم يخبر عن موت الرجل وإنما أخبر عن أنها لن تجتمع به أبداً وقد وقع خلاف ما أنبأ به. نعم: لعل ما مر من رأي الخليفة من جواز تقديم المفضل على الفاضل، أو الغلو في الفضائل، يرحصان بكل ما ذكر.

كرامة دفن أبي بكر

أخرج ابن عساكر في تاريخه قال: رُوي أنَّ أبا بكر رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال لمن حضره: إذا أنا متُّ وفرغتم من جهازي فاحملوني حتَّى تقفوا بباب البيت الذي فيه قبر النبي ﷺ فقفوا بالباب وقولوا: السلام عليك يا رسول الله! هذا أبو بكر يستأذن. فان أذن لكم بأن فتح الباب وكان الباب مغلقاً بقفل فادخلوني وادفنوني، وإن لم يفتح الباب فأخرجوني إلى البقيع وادفنوني به، فلمّا وقفوا على الباب وقالوا ما ذكر سقط القفل وانفتح الباب وإذا بهاتف يهتف من القبر: ادخلوا الحبيب إلى الحبيب فإنَّ الحبيب إلى الحبيب مشتاقٌ.

وذكره الرازي في تفسيره ٥ ص ٣٧٨، والحلي في السيرة النبويّة ٣ ص ٣٩٤، والديار بكري في تاريخ الخميس ٢: ٢٦٤، والقرماني في أخبار الدول هامش الكامل ١ ص ٢٠٠، والصفوري في نزهة المجالس ٢ ص ١٩٨.

قال الأُميني: أراد رواية هذه الرواية تصحيح عمل القوم في دفن الخليفة في موطن القداسة [حجرة النبي ﷺ] بعد أن أعييتهم المشكلة وعجزوا عن الجواب، فإنَّ الحجرة الشريفة إمّا أن تكون باقية على ملكه ﷺ كما هو الحقُّ المبين. أو أنّها عادت صدقة يؤل أمرها إلى المسلمين أجمع؟ وعلى الأوّل كان يشترط فيه رضاء أولاد وارثته الوحيدة السبطين الإمامين وأخواتهما ولم يستأذن منهم أحدٌ. وعلى الثاني كان يجب على الخليفة أو على من تولّى الأمر بعده أن يستأذن الجامعة الإسلامية ولم يكن من أيّ منهما شيءٌ من ذلك، فبقي الدفن هنالك خارجاً عن ناموس الشريعة. وإن قيل: إنّه دفن بحق ابنته؟ فأيّ حق لها بعد ما جاء به أبوها من قوله: إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة؟ على أنّنا أسلفنا في الجزء السادس ص ١٩٠ ط ٢: أنّه لم يكن لأُمَّهات المؤمنين إلّا السكنى في حجرهنّ كالمعتدّة ولم يكن لهنّ ترتيب آثار الملك على شيء منها. وقدّمنا هنالك ايضاً أنّ على فرض الميراث وعلى تقدير الارث من العقار فإنَّ لعائشة تسع الثمن من حجرتها لأنّه ﷺ توفي عن تسع، ومساحة المحلّ لا يسع

تسع ثمنها جثمان انسان مهما كبرت الحجرة. على أَنَّ حقّها كان مشاعاً وليس لها التصرف فيه بغير اذن شريكاتها في الميراث.

أراد القوم التفصّي عن هذه المشكلات فكُونوا ما يستتبع مشكلةً بعد مشكلة و هي: انّ الخليفة هل قال ما قاله بعهد من النبي ﷺ أو أنّه أحاط علماً بالمغيّب؟ أمّا الثاني فلا أحسب أحداً يدّعي له ذلك بعد ما أحطنا خيراً بكلّ ما قيل في فضائله، وبعد ما أوقفناك على مبلغ علمه في المشهودات، فأين هو عن الغيوب؟

وأما الأوّل فلو كان ذلك لما كان لترديده بين الدفن في الحجرة إن فتح الباب وسقط القفل، وبين الذهاب به إلى البقيع إن لم يكن ذلك، فإنّ ما أخبر به النبي ﷺ لا بدّ أن يكون، فلا ترديد فيه.

نعم: من المحتمل أنّه ﷺ لم يعهد ذلك لنفس أبي بكر وإمّا رواه عنه من لا يثق به الخليفة ولذلك نوّه بما قال بالترديد، أو أنّ الرواية لا صحّة لها، ولذلك لا تنتشر في الصحاح والمسانيد إلى عهد الحافظ ابن عسّاكر، وهي على فرض صحّتها مكّرمة عظمي وقعت بمشهد الصحابة ومزدحم المهاجرين والأنصار يوم شيّعوه إلى مقرّه الأخير، وكان يجب والحالة هذه أن يتواصل اهتاف بها، وبذلك اهتاف المسموع من القبر الشريف منذ ذلك العهد إلى منصرم الدهر، ولم يكن يوم ذاك في الأبصار غشاوة، ولا في الآذان قر، ولا في الألسنة بكم، لكنه ويا للأسف لم ينبس أحدٌ عنها ببنت شفة، وما ذلك إلّا لأنّ المكرمة لم تقع، والقفل ما سقط، والباب ما انفتح، والاهتاف لم يكن، وادخلوا الحبيب إلى الحبيب، فإنّ الحبيب إلى الحبيب مشتاق مهزأة نشأت من الغلوّ في الفضائل تنبأ عن روح التصفّوف في مختلف الرواية. نعم:

ماكلّ من زار الحمى سمع النداء من أهله أهلاً بذلك الزائر

م - هذه الكرامة المنحوتة المنحولة ذكرها الرازي ومن بعده مرسلين إيّاها ارسال المسلم، محتجّين بها عداد فضائل أبي بكر، غير مكترئين لما في اسنادها من العلل أو جاهلين بها، وإمّا أخرجها ابن عسّاكر من طريق أبي طاهر موسى بن محمّد بن عطاء المقدسي عن عبد الجليل المدني عن حبة العربي فقال: هذا منكرٌ، وأبو الطاهر كذابٌ، وعبد الجليل مجهولٌ، وفي لسان الميزان ٣: ٣٩١: خبرٌ باطلٌ. اهـ.

وأبو الطاهر المقدسي كذبه أبو زرعة وأبو حاتم. وقال النسائي ليس بثقة و قال ابن حبان: لا تحلُّ الرواية عنه كان يضع الحديث. وقال ابن عدي: كان يسرق الحديث. وقال العقيلي: يحدث عن الثقات بالبواطيل والموضوعات، منكر الحديث وقال منصور بن اسماعيل: كان يضع الحديث على مالك. راجع المصادر المذكورة ج ٥ ص ٢٣١ ط ٢].

- ٨ -

جبريل يسجد مهابةً من أبي بكر

حدّث عالم الأئمة الشيخ يوسف الفيشي المالكي قال: كان جبريل إذا قدم أبو بكر على النبي ﷺ وهو يحادثه يقوم إجلالاً للصديق دون غيره، فسأله النبي ﷺ عن ذلك؟ فقال جبريل: أبو بكر له عليّ مشيخة في الأزل، وما ذاك إلا أنّ الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم حدّثني نفسي بما طُرد به إبليس فحين قال الله تعالى: اسجدوا. رأيت قبة عظيمة عليها مكتوبٌ أبو بكر أبو بكر. مراراً وهو يقول. اسجد. فسجدت من هيبة أبي بكر فكان ما كان.

ذكره العبيدي المالكي في عمدة التحقيق هامش روض الرياحين ص ١١١ فقال: وحدّثني أيضاً شيخنا الاستاذ محمد زين العابدين البكري بما يقارب ما قاله الفيشي و سمعتها من غالب مشايخنا بالأزهر.

قال الأُميني: عجباً لهؤلاء القوم لم يسلم منهم حتى أمين الله على وحيه - جبرائيل - المعصوم من الزلزل من أوّل يومه فجعلوه في عداد إبليس اللعين الطريد لو لا أنّ أبا بكر تدارك أمره.

عجباً لهذا الملك المزعوم يأتّمه المولى سبحانه ثمّ يرتاب في أمره، ولا يُصلح ذلك الشنار القول بأنّه إنّما أئتمنه بعد زلّته تلك، فإنّه سبحانه لا يأتّم من يمكن في حديث نفسه الكفر، فلعلّ تلك الخاطرة دبّت فيه ولم يحصل من يسدّده فتعود هاجسته كفرّاً صريحاً.

عجباً لهذا الملك المقرّب تروعه هيبة أبي بكر ولا تأخذه هيبة الإله العظيم فيطيع أبو بكر وهو يهيم أن يطيع الله في أمره بالسجدة، وأيّ سجدة هذه وما قيمتها من مثل

جبرئيل وقد وقعت من هيبه أبي بكر لا بصفة القربان إلى المولى سبحانه والزلفى لديه والامتثال لأمره فكأن هيبه أبي بكر في الملاء الأعلى أعظم وأفخم من هيبه بارئه جلّت عظمته.

ثمّ أين كانت قبة أبي بكر من مستوى عالم الملكوت؟ ومن الأخرى أن تضرب هنالك قبة نبيّ العظمة حتى يسدّد فيها من شارف الزلّة لا قبة إنسان من الممكن أن تكتنفه الملائم، وتموت بضعة المصطفى وهي واجدة عليه.

ومن أين علم أبو بكر بهاجسة جبرئيل وحديث نفسه؟ أو هل كان يعلم الغيب؟ أو اوحى اليه بواسطة غير أمين الوحي؟ لك الحكم في هذه كلّها أيّها القارئ الكريم.

ثمّ العجب من مشايخ الأزهر الذين أختبوا إلى هذه الخزاية فأثبتوها في الكتب ولهجوا بها في الأنديّة، وخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى فنشروها في الملاء العلمي وشوّهوا بها صفحة التاريخ وسمعة الاسلام المقدّس، نعم: أرادوا نحت فضيلة للخليفة فأعماهم الغلو في الفضائل فنحتوها رذيلة لجبرئيل الأمين، كلّ ذلك لأنهم افتعلوها من غير بصيرة في الدين، أو رويّة شاعرة في المبادئ الاسلاميّة.

وأحسب أنّ من اختلق هذه الرواية أراد إثباتها تجاه ما يروى لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام من تسديده لجبرئيل يوم خاطبه الله سبحانه: من أنا ومن أنت؟ فتروى قليلاً وقد أخذته هيبه الجليل سبحانه حتّى أدركته نورانيّة مولانا الامام عليه السلام، فعلمه أن يقول: أنت الجليل وأنا عبدك جبرئيل. وقد نظم ذلك الشاعر المبدع الشيخ صالح التميمي من قصيدة له في مدح مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وخمسها الشاعر المفلق عبد الباقي افندي العمري كما في ديوانه ص ١٢٦ وفي ديوان صاحب الأصل ص ٤ قال:

روضه أنت للعقول ودوح	يحتني من طوباك رشّد ونصح
ومتى هب من عبيرك نفح	شمّل الروح من نسيمك روح
حين من ربّه أتاها النداء	
طاماً للأملاك كنت دليلاً	ولناموسهم هديت سبيلاً
يوم نادى ربّ السما جبرئيلاً	قائلاً: من أنا فـروى قلبيلاً
وهو لولاك فاته الإهداء ^(١)	

١ - يعنى الاهتداء الى ذلك الجواب الحسن الجميل.

لَكَ شَكْلٌ نَتِيجَةٌ لِلْقَضَايَا لَكَ قَلْبٌ لِلْعَالَمِينَ مَرَايَا
لَكَ فَعْلٌ حَوَى رَفِيعَ الْمَزَايَا لَكَ إِسْمٌ رَأَى خَيْرَ الْبَرَايَا
مَد تَدَلَّى وَضَمَّهُ الْإِسْرَاءُ

وليس هذه كَقَصَّةِ أَبِي بَكْرٍ، فليس فيها أَنَّ جَبْرِيلَ نَوَى مَا نَوَاهُ إِبْلِيسُ مِنَ الْمَرْوَقِ عَنْ أَمْرِهِ سُبْحَانَهُ، وَلَا فِيهَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبَأَ عَنْ مَعْيَبٍ، وَلَا أَنَّ هَيْبَتَهُ غَلَبَتْ هَيْبَةَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا أَنَّ جَبْرِيلَ سَجَدَ مِنْ هَيْبَتِهِ، وَلَا أَنَّ لَهُ هُنَا لَكَ قَبَّةٌ عَظِيمَةٌ مَكْتُوبَةٌ عَلَيْهَا: عَلِيٌّ عَلِيٌّ، وَلَا أَنَّهُ هَتَفَ مَخَاطَبًا: لَجَبْرِيلَ بِقَوْلِهِ: اسْجُدْ. وَرَوَّعَهُ بِذَلِكَ لَيْسَتْ فِيهَا هَذِهِ كُلُّهَا لِأَنَّ الشَّيْعَةَ فِي الْمُنْتَأَى عَنِ الْغُلُوِّ فِي الْفَضَائِلِ.

- ٩ -

قَصَّةٌ فِيهَا كَرَامَةٌ لِأَبِي بَكْرٍ

أَخْبَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنَ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَنِ الشَّيْخِ الصَّالِحِ عُمَرَ بْنِ الزُّغْبِيِّ قَالَ: كُنْتُ مَجَاوِرًا بِالْمَدِينَةِ الْمَشْرِفَةِ عَلَى مَشْرِفِهَا أَفْضَلِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ فَخَرَجْتُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ الَّذِي تَجْتَمِعُ فِيهِ الْإِمَامِيَّةُ فِي قَبَّةِ الْعَبَّاسِ وَقَدْ اجْتَمَعُوا فِي الْقَبَّةِ قَالَ: فَوَقَفْتُ أَنَا عَلَى بَابِ الْقَبَّةِ وَقُلْتُ: أَرِيدُ فِي مَحَبَّةِ أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا. فَخَرَجَ إِلَيَّ شَيْخٌ مِنْهُمْ وَقَالَ: أَجْلِسْ حَتَّى نَفْرَغَ وَنُعْطِيكَ، فَجَلَسْتُ حَتَّى فَرَّغُوا ثُمَّ خَرَجَ ذَلِكَ الرَّجُلُ وَأَخَذَ بِيَدِي وَمَضَى بِي إِلَى دَارِهِ وَأَدْخَلَنِي الدَّارَ وَأَغْلَقَ وَرَائِي الْبَابَ وَسَلَّطَ عَلَيَّ عَبْدَيْنِ فَكَتَّفَانِي وَأَوْجَعَانِي ضَرْبًا، ثُمَّ أَمَرَهُمَا بِقَطْعِ لِسَانِي فَقَطَعَاهُ، ثُمَّ أَمَرَهُمَا فَحَلَّاهُ كِتَابِي وَقَالَ: أَخْرِجْ إِلَى الَّذِي طَلَبْتَ فِي مَحَبَّتِهِ لِيَرُدَّ إِلَيْكَ لِسَانَكَ. قَالَ: فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ إِلَى الْحَجَرَةِ الشَّرِيفَةِ النَّبَوِيَّةِ وَأَنَا أَبْكِي مِنْ شِدَّةِ الْوَجَعِ وَالْأَلَمِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ تَعَلَّمْتُ مَا أَصَابَنِي فِي مَحَبَّةِ أَبِي بَكْرٍ فَإِنْ كَانَ صَاحِبُكَ حَقًّا؟ فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيَّ لِسَانِي وَبُثُّ فِي الْحَجَرَةِ فَلَقًا مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ فَأَخَذَتْنِي سِنَةٌ مِنَ النَّوْمِ فَنَمْتُ فَرَأَيْتُ فِي مَنَامِي أَنَّ لِسَانِي قَدْ عَادَ إِلَى حَالِهِ كَمَا كَانَ فَاسْتَيْقِظْتُ فَوَجَدْتُهُ فِي يَدِي صَحِيحًا كَمَا كَانَ وَأَنَا أَتَكَلَّمُ فَقُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ لِسَانِي وَازْدَدْتُ مَحَبَّةً فِي أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الثَّانِي فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ اجْتَمَعُوا عَلَى عَادَتِهِمْ فَخَرَجْتُ إِلَى بَابِ الْقَبَّةِ وَقُلْتُ: أَرِيدُ فِي مَحَبَّةِ أَبِي بَكْرٍ دِينَارًا، فَقَامَ إِلَيَّ شَابٌّ عَنْ الْحَاضِرِينَ وَقَالَ لِي: اجْلِسْ حَتَّى نَفْرَغَ. فَجَلَسْتُ فَلَمَّا

فرغوا خرج إليّ ذلك الشابّ وأخذ بيدي ومضى بي إلى تلك الدار فأدخلني فيها و وضع بين يديّ طعاماً، ولمّا فرغنا قام الشابّ وفتح عليّ باباً على بيت في الدار وجعل يبكي فقممت لأنظر ما سبب بكائه فرأيت في البيت قرداً مربوطاً فسألته عن قضيتّه فزاد بكاءً فسكّنته حتّى سكن، فقلت له: بالله أخبرني عن حالك فقال: إن حلفت لي أن لا تخبر أحداً من أهل المدينة أخبرتك، فحلفت له، فقال: اعلم أنّه أتانا في عام أوّل رجلٍ و طلب في محبة أبي بكر رضي الله عنه شيئاً في قبة العباس يوم عاشوراء فقام إليه أبي و كان من أكابر الاماميّة والشيعة فقال له: اجلس حتّى نفرغ. فلمّا فرغوا أتى به إلى هذه الدار وسلّط عليه عبيدين فضرباه، وأمر بقطع لسانه فقطع، وأخرجه فمضى لسبيله ولم نعرف له خبراً، فلمّا كان الليل ونمنا صرخ أبي صرخة عظيمة فاستيقظنا من شدّة صرخته فوجدناه قد مسخه الله قرداً ففرغنا منه وأدخلناه هذا البيت وربطناه، وأظهرنا للناس موته وهو ذا نبكي عليه بكرة وعشياً. فقلت له: إذا رأيت الذي قطع أبوك لسانه تعرفه؟ قال: لا والله فقلت: أنا هو والله، أنا الذي قطع أبوك لساني، وقصصت عليه القصّة فأكبّ عليّ يقبّل رأسي ويدي ثمّ أعطاني ثوباً وديناراً وسألني كيف ردّ الله عليّ لساني؟ فأخبرته وانصرفت.

مصباح الظلام للجرداني ص ٢٣ من الطبعة الرابعة المصريّة المطبوعة بمطبعة الرّحمانيّة بمصر سنة ١٣٤٧ هـ، ونزهة المجالس للصفوري ٢ ص ١٩٥.

قال الأميني: ما أحوج القوم إلى اختلاق هذه الأساطير المشمجة وهي لا يصدّقها أيّ قارٍ وبإدّ مهما يُقرّؤها قصّاص في أذنيه ولا يصير بها الأمر إلى قراره مهما حبكت نسقه يد الأفك وأبدعت في نسجه مهرة الإفتعال. أنّي يصدّق ذو مسكة بأنّ رجلاً شهيراً يُعدّ من عليّة قوم ومن أكابر أمة تُمسح ويُربط في داره وهو بعد مجهول لا يعرف اسمه، ولا ينبئ عنه خبر، و يسع لخلفه إخفاء أمره بدعوى موته، ولم يُسأل أهله عن تجهيزه وتشيعه ودفنه ومقبره وسبب موته، وتتأتّى لولده الغشية عليها عن أعين الناس وأسماعهم كأنّ في آذانهم صمماً وفي أبصارهم عمى. ولماذا أخذه ابن الجاني - الذي لم يُخلق بعد لا هو ولا أبوه - ضيفه إلى والده

وهو لا يعرف الرجل ولم يخش من الفضيحة، ولماذا أوقفه على أمر أبيه وعواره وقد كان يستخفيه ويظهر للناس موته؟
وأني يُصدّق بأن رجلاً قُطع لسانه دون مبدئه وحبّه لخليفته قد استخفى قصّته، وما أشاع بها، وما صاح وما باح بمظلمته، وما أبان أمره عند قومه، وما أفاض عن شأنه بكلمة، ولا يَمّم قاضياً ولا حاكماً ولا الدوائر الحكوميّة الصالحة للنظر في مظلمته من عدليّة أو دائرة شرطة، وعقيرته مرفوعةً من شدّة الألم، ولم يزل القوم يتربّص الدوائر على الشيعة، ويختلق عليهم طامّات كهذه.

وأني يُصدّق أنّه لما خرج من دار من جنى عليه وهو مقصوص اللسان وقد ملأ فمه دمه، ولاذ بالحجرة الشريفة باكياً قلقاً من شدّة الألم، ما باه له أيُّ أحد، وما عُرفت مع هذه كلّها من أمره قُد عملة، ولا تنبّه لأمره سدة الحضرة الشريفة؟
وما بال الرجل لم يُخط الستر في وقته عن جناية عدوّ خليفته، ولم يُفش سرّه، ولم يُعلن كرامة الصديق، ولم يفضح عدوّه، ولم يُعرب عن هذه المكرمة الغالية، ولم يقرّط الأذان بسماعها، وينبس أمره ولم ينيشه، كأنّ لسانه بعدُ مقطوعٌ، وأنّه لم يجده في فيه صحيحاً؟ أو رضي بأن يفشفش^(١) بعده أعلام قومه؟

وإن تعجب فعجبٌ عود هذا الشخّاذ الجريء إلى سؤاله مرّة ثانية في سنته القابلة بعد أن رأى ما رأى قبل أن أعوم، ووقوفه في ذلك الموقف الخطر في قبة العباس يوم عاشوراء، ومضيه من دون أيّ تحاش إلى تلك الدار التي وقعت فيها واقعته الخطرة الهائلة، ودخوله فيها رابطاً جأشه، وإلقاءه نفسه إلى التهلكة، ولم يكن يعرف شيئاً من قصّة الشيعة ومسحّه، ولا من حنوّ الشابّ وعطفه، وقد قال الله تعالى: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.
ولعلّه كان في هذه كلّها على ثقة وطمأنينة من أنّه قطّ لا يبقى بلا لسان، وأنّ لسانه مهما قُطع يُردّ إليه كما كان من بركة الخليفة، وهو في حسبان هذا وقدمه إلى المهالك مجتهدٌ وله أجره وإن أخطأ كاجتهاد سلفه.

١ - فششفش: افترط في الكذب، وانتحل ما لغيره.

وقد أنصف الشيخ الصالح المدني في اختلاق هذه القصة على شيعيٍّ كبير لم يولد بعد ولم تسمه أمه. وجاء غيره بأسطورة معتوه قموص الحنجرة ^(١) وافتجر ^(٢) في القول و أفجس ^(٣) ألا وهو الشيخ عليا المالكي، قال الشيخ ابراهيم العبيدي المالكي في عمدة التحقيق المطبوع بمصر في هامش روض الرياحين ص ١٣٣: سمعت خالي العالم الشيخ عليا المالكي يقول: إنَّ الرافضيَّ إذا أشرف على الموت يقلِّب الله صورة وجهه وجه خنزير فلا يموت إلَّا إذا مُسَخَّ وجهه وجه خنزير، ويكون ذلك علامة على أنه مات على الرفض، فيستبشرون بذلك الروافض، وإن لم يقلِّب وجهه عند الموت يحزنون ويقولون: إنَّه مات سنِّيًّا، انتهى.

وتخرق بعض الثقات في تاريخ حلب شاهداً على هذه المخرفة فقال: لما مات ابن منير ^(٤) خرج جماعة من شبَّان حلب يتفرَّجون فقال بعضهم لبعض: قد سمعنا أنَّه لا يموت أحدٌ ممَّن كان يسبُّ أبا بكر وعمر إلَّا ويمسحه الله تعالى في قبره خنزيراً ولا شكَّ أنَّ ابن منير كان يسبِّهما، فأجمعوا رأيهم على المضيِّ إلى قبره، فمضوا ونبشوه فوجدوا صورته خنزيراً ووجهه منحرفاً عن جهة القبلة إلى جهة الشمال، فأخرجوا على قبره ليشاهده الناس ثمَّ بدا لهم أن يحرقوه فأحرقوه بالنار وأعادوه في قبره وردُّوا عليه التراب وانصرفوا.

وذكره العلامة الجرداني في مصباح الظلام المؤلَّف سنة ١٣٠١ والمطبوع بمصر سنة ١٣٤٧ وقرَّظه جمعٌ من الاعلام ألا وهم كما في آخر الكتاب: العالم العفيف السيِّد محمود أنسي الشافعي الدميَّاطي، والعلامة الشيخ محمد جودة، والعلامة الأوحـد الشيخ محمد الحماصمي، وحضرة الفاضل اللبيب الشيخ عطية محمود قطارية، والعالم العامل الشيخ محمد القاضي، وحضرة الشاعر اللبيب محمد أفندي نجل العلامة الشيخ محمد النشار.

ليست هذه النفثات إلَّا ككتيت ^(٥) الاحن، ونغران ^(٦) الشحناء. وإن شئت قلت:

١ - يقال فلان قموص الحنجرة: اى كذاب.

٢ - افتجر فى الكلام: اى اختلقه وذكره من غير ان يسمعه من احد.

٣ - أفجس: افتخر بالباطل.

٤ - احد شعراء الغدير مرَّت ترجمته فى الجزء الرابع ص ٢٧٩ - ٢٨٩ ط ٢ مات فى دمشق ثم نقل الى حلب فدفن بها.

٥ - الكتيت: صوت غليان القدر والنبيد ونحوهما.

٦ - نغر الرجل على فلان نغراً ونغراناً: غلا جوفه عليه غضباً.

إنَّها سكرة الحبِّ، وسرف المغالاة. قد أعمت الأهواء بصاير أولئك الرجال فجاءوا بهذه المخاريق المخزية، والأفانك المزخرفة، يَبْتَوها غير مكترئين لمغَبَّة صنيعهم، و لا متحاشين عن معرَّة قيلهم، وشتان بينها وبين أدب الدين، أدب العلم، أدب التأليف، أدب العقَّة، أدب الدعاية والنشر. إنَّهم ليقولون منكرًا من القول وزورًا، ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يَبْتُون ما لا يرضى من القول.

كَأَنَّ هؤلاء يَحْدِّثُونَ عن أُمَّة بائدة لم يُبق لها الملوان مَنْ يشاهده أحدٌ من الأجيال الحاضرة، أو ليست الشيعة هؤلاء الذين هم مَبْتُونُونَ في أرجاء العالم وأجواء الأمم، يشاهدهم كلُّ ذي بصر وبصيرة أحياء وأمواتاً؟ فمن ذا الذي شهد أحدهم أنَّه انقلب عند موته خنزيراً غير أولئك الشَّبَّان الموهومين الذين شاهدوا ابن منير في قبره؟ وهل الشيخ عليا المالكي هو وجد أحدًا من الشيعة كما وصفه؟ أو رُوي له ذلك الإفك فوثق به كما وثق العبيدي؟ وهل كان يمكنه أن يقف على الموتى جميعاً أو أكثرهم وليس هو بمَغْسِلِ الموتى أو من حَقَّاري القبور ولا مِنْ نَبَّاشِيها؟

على أَنَّ التَّشْيِيعَ ليس من ولائد تلکم العصور وإنَّما بدء به منذ العهد النبويِّ، فهل كان السلف الشيعيُّ من الصحابة والتابعين يموتون كذلك وكان فيهم مَنْ يعرف بالتَّشْيِيعِ كأبي ذر وسلمان وعمَّار والمقداد وأبي الطفيل؟ فهل يسحب هذا الرجل ذيل مزعمته الى ساحة أولئك الأعاضم؟ قطعت جهيذة قول كلِّ خطيب ^(١).

- ١٠ -

أبو بكر شيخٌ يُعرف، والنبيُّ شابٌّ لا يُعرف

عن أنس بن مالك قال: أقبل النبيُّ ﷺ الى المدينة، وأبو بكر شيخٌ يُعرف والنبيُّ ﷺ شابٌّ لا يُعرف فيلقى الرجل أبا بكر ^(٢) فيقول: يا أبا بكر! مَنْ هذا الذي بين يديك؟ فيقول: يهديني السبيل، فيحسب الحاسب أنَّه يهديه الطريق وإنَّما يعني سبيل الخير.

١ - مثل يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بحماقة يأتي بها.

٢ - في الانتقال من بنى عمرو. كذا قاله القسطلاني في ارشاد السارى ٦ ص ٢١٤ وبنو عمرو ابن عوف هم من الانصار النازلين بقاء كان قد نزل عليهم رسول الله صلى الله عليه و آله في هجرته الى المدينة كما يأتي تفصيله.

وفي لفظ: إِنَّ أبا بكر كان رديف النبي ﷺ وكان أعرف بذلك الطريق فيراه الرجل يعرفه فيقول: يا أبا بكر! مَنْ هذا الغلام بين يديك؟ وفي لفظ أحمد: كانوا يقولون: يا أبا بكر! ما هذا الغلام بين يديك؟ فيقول: هذا يهديني السبيل. وفي لفظ: قالوا: يا أبا بكر! مَنْ هذا الذي تعظمه هذا الاعظام؟ قال: هذا يهديني الطريق وهو أعرف به مِنِّي.

م وفي رواية: ركب رسول الله ﷺ وراء أبي بكر ناقته. وفي التمهيد لابن عبد البر: أنه لما أتى برحلة أبي بكر سأل أبو بكر رسول الله ﷺ أن يركب ويردّفه فقال رسول الله ﷺ: بل أنت اركب وأردفك أنا فإنَّ الرجل أحقُّ بصدر دابّته. فكان إذا قيل له: من هذا وراءك؟ قال: هذا يهديني السبيل].

وفي لفظ: لما قدم المدينة تلقاه المسلمون فقام أبو بكر للناس، وجلس النبي صامتاً، وأبو بكر شيخٌ والنبي شابٌّ، فطفق مَنْ جاء من الأنصار مَنْ لم ير رسول الله ﷺ يجيء أبا بكر فيعرفه بالنبي ﷺ حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلَّ عليه بردائه فعرفه الناس عند ذلك.

صحيح البخاري باب هجرة النبي ﷺ: ٥٣، سيرة ابن هشام ٢: ١٠٩، طبقات ابن سعد ١: ٢٢٢، مسند أحمد ٣: ٢٨٧، معارف ابن قتيبة ص ٧٥، الرياض النضرة ١: ٧٨، ٧٩، ٨٠، المواهب اللدنية ١: ٨٦، السيرة الحلبية ٢: ٤٦، ٤١.

قال الأُمياني: ما أنزل الدهر نبيَّ الإسلام حتى قيل: إنَّه شابٌّ لا يُعرف. كأنَّه غلامٌ نكرة اتخذهُ شيخٌ انتشر صوته كصيته بين الناس دليلاً في مسيره يرتدّفه تارةً ويمشّيه بين يديه أخرى ومهما سأل عنه قول: هذا يهديني الطريق وهو أعرف به مِنِّي، كأنَّ نبيَّ الإسلام ﷺ لم يكن ذلك الذي كان يعرض نفسه على القبائل في كلّ موسمٍ فعرفوه على بكرة أبيهم مَنْ آمن منهم ومَنْ لم يؤمن، خصوصاً الأنصار المدنيون منهم وفيهم رجال الأوس والخزرج، وقد بايعوه عند العقبة الأولى مرّةً، وبايعه منهم مرّةً ثانية عند العقبة ثلاث وسبعون رجلاً وامرأتان.

وكأنَّه ﷺ لم يكن ذلك الذي أمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة قبله، وكان بتلك الهجرة غلقت أبواب، وخلت دور أناس من السكّنى، وهاجر أهلها رجالاً ونساءً

وكان في مقدّم المهاجرين ما يناهز ستّين رجلاً، فلم يبق في مكة المعظّمة من أسلم معه ﷺ إلا أمير المؤمنين وأبو بكر. وكأنّ المدينة ليست بدار بني النجار وهم خؤولة النبيّ الأقدس.

وكأنّه ﷺ لم يكن الذي إنّخذ المدينة قاعدة ملكه، وعاصمة حكومته، ومعسكر نخضته، فبثّ فيها رجاله وخاصّته من أهلها ومن المهاجرين فكانوا يرقبون مقدمه الشريف في كلّ حين حتّى، إذا وافوه مقبلاً عليهم استقبلوه بقضّهم وقضيضهم وفيهم أهل البيعتين ومن تقدّمه من المهاجرين وكلّهم يعرفونه كما يعرفون آبائهم، وإنّه ﷺ مكث في قباء عند بني عمرو بن عوف أيّاماً وليالي حتّى أسّس مسجده الشريف فيها، فعرفه كلّ من في قباء ممّن لم يكن يعرفه قبل من رجال الأوس والخزرج، واتّصل به كلّ من قدمها من المدينة فعرفوه جميعاً، وقد صلّى الجمعة في قباء وفي بطن الوادي وادي رانونا وائتمّ به من حضر المسلمين عامّة.

وبقضاء من الطبيعة أنّ الناس عند التطلّع إلى رؤيته ﷺ كان يومي إليه كلّ عارف، ويسأل عنه كلّ جاهل، ويتقدّم المبايعون إلى التعرّف به والتزلف إليه، فلا يبقى في المجتمع جاهلٌ به حتّى يسأل أبا بكر عنه في انتقاله من بني عمرو وبقوله: من هذا الغلام بين يديك يا أبا بكر؟!

فكانّ القادم رجلاً عادياً ما دوّخ صيته الأقطار، ولم يره بشرٌ من ذلك الجمع الحافل، ولم يحتفل به ذلك الاحتفال، ولا احتفى به تلك الحفاوة، وما صعّدت ذوات الخدور على الأجاجير^(١) وما هزجت الصبيان والولائد بقولهنّ.

طلّع البدر علينا	من ثيّبات الوداع
وجب الشكر علينا	مادعاً لله داعي
أيّهم المبعوث فينا	جئت بالأمير المطاع

وكأنّه قدم في صورة منكّرة بلا أيّ تقدمة إلى بلد لا يعرفه فيه أحدٌ حتّى خصّ السؤال عنه بأبي بكر فحسب.

ثمّ ما هذه التعمية في جواب أبي بكر بقوله: إنّّه يهديني السبيل يريد سبيل

١ - جمع الاجار بكسر الاول وتشديد الجيم: السطح.

السعادة فيحسب الحاسب أنه يهديه الطريق؟ الخوف كانت؟ ولم يرد رسول الله ﷺ إلا على العدة والعدد والمنعة والعزة، وقد بايعته الأنصار على التفاني دونه. أو كان يخاف أبو بكر قريشاً وهو في حصن الدين المنيع ودرعه الحصينة؟ أم كانت لغير ذلك؟ فاسأل عنه خبيراً. والعجب كل العجب أن رجلاً هذه سيرته في التقيّة عن الناس في عاصمة الإسلام بين فرسان المهاجرين والأنصار كيف صحّ عنه ما جاء عن ابن مسعود وما روي عن مجاهد مرسلًا من قولهم: إنّ أوّل من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله، وأبو بكر. الخ^(١).

على أنّ الحالة كانت تقتضي أن يُسأل كلُّ قادم إلى المدينة يوم ذاك عن شخص رسول الله ﷺ وأوان نزوله بها لا عن الغلام بين أيدي أبي بكر.

والعجب أنّ الجاهل برسول الله في مزعة هذا الراوي كان مستمراً بين مستقبله « وكلّهم نفوسهم نزاعة إلى عرفانه والتبرك برؤيته » حتى ظلّله أبو بكر بردائه فعرفه الناس عند ذلك.

ومتى كان أبو بكر شيخاً والنبي شاباً وهو ﷺ أكبر منه بسنتين وعدّة أشهر كما يأتي تفصيله إنشاء الله؟ وابن قتيبة أخذ هذا الحديث بظاهره فقال في المعارف ص ٧٥: هذا الحديث يدلُّ على أنّ أبا بكر كان أسنَّ من رسول الله ﷺ بمدة طويلة، والمعروف عند أهل الأخبار ما حكيناه ١ هـ. وحكي قبل هذا أنّ رسول الله ﷺ هو أكبر سنّاً من أبي بكر.

نعم: عرف شراح البخاري من المتأخّرين موضع الغمز فأولوا كون أبي بكر شيخاً بظهور الشيب في لحيته. وكون النبي شاباً بسواد كريمته، والعارف بأساليب الكلام يعلم أنّه تمحلّ محض، وأنّ المفهوم من تلك كما فهمه ابن قتيبة: كون أبي بكر شيخاً ورسول الله شاباً لا غير ذلك. وإلا فما معنى قولهم: ما هذا الغلام بين يديك؟ و: من هذا الغلام بين يديك؟ ومن المعلوم أنّ الغلام لا يطلق على من عمر خمسون سنة تقريباً مهما اسودّ عارضه.

وعلى صحّة هذا التأويل أين المأولون من صحيحة ابن عباس قال: قال أبو بكر:

١ - تاريخ ابن كثير ٣: ٥٨، تاريخ ابن عساكر ٦ ص ٤٢٨.

يا رسول الله! قد شبت؟ قال: شَيِّتَنِي هود والواقعة. الحديث. وروى مثله الحَقَّاز عن ابن مسعود، وفي لفظ أبي جحيفة: قالوا: يا رسول الله! نراك قد شبت؟ قال: شَيِّتَنِي هود وأخواتها^(١).

فهذه الصحيحة تعرب عن أَنَّهُ ﷺ كان قد بان فيه الشيب على خلاف الطبيعة، وأسرع فيه حتَّى أصبح مسئلاً عنه وعمَّا أثره فيه ﷺ فأين منها ذلك التأويل البارد؟

وربما يُقال في حلِّ مشكلة (يُعرف ولا يُعرف): إِنَّ أبا بكر كان تاجراً عرفه الناس في المدينة عند اختلافه إلى الشام، لكنَّه على فرض تسليم كونه تاجراً، وعلى تقدير تسليم سفره إلى الشام ودون إثباته خُط القِتاد، مقابلٌ بأنَّ رسول الله ﷺ أيضاً كان يحاول التجارة يستطرق المدينة إلى الشام، فلو كانت التجارة بمجرِّدها تستدعي معرفة الناس بالتاجر فهو في النَّبيِّ الأعظم أولى لأنَّ شرفه المكتسب، وشهرته وبالأمانة، وعظمتَه في النفوس، وتحلِّيه بالفضائل، وبروز عصمته وقداسته عند الناس من أوَّل يومه، وشرفه الطائل في نسبه، أجلب لتوجِّه النفوس اليه، بخلاف التاجر الذي هو خلْق من كلِّ ذلك.

على أَنَّ التاجر متى هبط مصرّاً فعارفوه رجالٌ معدودون ممَّن شاركوه في الحرفة، أو شارفوه في المعاملة، وهذا التعارف يخصُّ باناس تُعدُّ بالأنامل لا عامَّة الناس كما حسبه، وأتَّى هذا من سفر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأبو بكر يوم ذاك يرضع من ثدي أمِّه، خرجت به ﷺ أمُّ أيمن لما بلغ ستَّ سنين من عمره إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزور به أخواله، فنزلت به في دار النابغة رجلٌ من بني عدي بن النجار فأقامت به شهراً. ومَّا وقع في تلك السفرة:

قالت أمُّ أيمن: أتاني رجلان من اليهود يوماً نصف النهار بالمدينة فقالا: أخرجي لنا أحمد. فأخرجته ونظرا إليه وقلَّباه مليّاً ثمَّ قال أحدهما لصاحبه: هذا

١ - أخرجه الحافظ الترمذی فی جامعہ، والحکیم الترمذی فی نوادر الاصول، وابو یعلی، والطبرانی، وابن ابی شیبہ، والحاکم فی المستدرک ٢: ٣٤٣ وصححه هو واقره الذهبي، والقرطبي فی تفسیره ٧: ١. وابو نصر فی اللمع ص ٢٨٠، وابن كثير فی تفسیره ٢: ٤٣٥، والخازن فی تفسیره ٢: ٣٣٥.

نبي هذه الأمة، وهذه دار هجرته، وسيكون بهذه البلدة من القتل والسبي أمرٌ عظيمٌ. قالت أمُّ أيمن: وعيت ذلك كله من كلامهما (١) أبعد هذه كلها، وبعد تلکم الإرهاصات للنبوّة التي ملأت بين الخافقين، وبعد ذلك الصيت الطائل الذي دوّخ الأقطار، وبعد مضيّ خمسون سنة من عمره الشريف ﷺ رسول الله شابٌّ لا يُعرف وأبو بكر شيخٌ يُعرف، يُسأل عنه: من هذا الغلام بين يديك؟

ولإيضاح هذه الجمل من الحريّ أن نسرد كيفيّة هجرته ﷺ حتى تزيد بصيرة القارئ على موقع الإفك من هذه المجهلة الماثورة في الصّحاح والمسانيد الصادرة عن الغلوّ في الفضائل عمياً وصمّاً. فأقول:

(الانصار في البعيتين)

كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل في المواسم إذا كان يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنّه نبيّ مرسلٌ فعرض نفسه على كندة. وعلى بني عبد الله بطن من كلب. وعلى بني حنيفة. وعلى بني عامر بن صعصعة. وعلى قوم من بني عبد الأشهل. فلما أراد الله عزّ وجلّ إظهار دينه، وإعزاز نبيّه ﷺ وإنجاز مواعده له خرج ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كلّ موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً وفيهم: أسعد بن زرارة أبو امامة النجاري. وعوف بن الحرث بن عفراء. ورافع بن مالك. وقطبة بن عامر بن حديدة. وعقبة بن عامر بن نابي. وجابر بن عبد الله.

فكلّمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن فأجابوه فيما دعا إليهم ثمّ انصرفوا عنه ﷺ راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدّقوا.

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتّى فشا فيهم، فلم تبق دأراً من دور الأنصار إلّا وفيها ذكرٌ من رسول الله ﷺ حتّى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلحقوه بالعقبة الأولى فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب. وهم:

١ - دلائل النبوة لابی نعیم ١: ٥٠، صفة الصفوة لابن الجوزی ١: ٢٠ تاريخ ابن كثير ٢: ٢٧٩ بهجة المحافل ١: ٤٤.

أبو امامة أسعد بن زرارة. وعوف بن عفراء. ومعاذ بن عفراء. ورافع بن مالك. وذكوان بن عبد قيس. وعبادة بن الصامت. ويزيد بن ثعلبة. والعبّاس بن عبادة. وعقبة بن عامر. وقطبة بن عامر. وابو الهيثم بن التيهان. وعويم بن ساعدة.

قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى: على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي بيهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف.

فلما إنصرف القوم عنه ﷺ بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وأمره أن يقرأهم القرآن، ويعلمهم الاسلام، ويفقههم في الدين، ويقيم فيهم الجمعة والجماعة، وكان مصعب يسمى بالمدينة: المقرئ، وكان منزله على أسعد بن زرارة أبي امامة النجاري وكان يصلي بهم الجمعة والجماعة فأقام عنده يدعو الناس للإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون.

ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق. قال كعب: فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد ساداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنا، ثم دعونا إلى الاسلام فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيباً، فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب أم عمارة. وأسماء بنت عمرو أم منيع.

قال: فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. فأخذ البراء بن معمر بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك عما نمنع منه أزرا (١) فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر فقال رسول الله ﷺ: أخرجوا إليّ

١ - أزرا: يعني نساءنا، والمرأة يكنى عنها بالازار.

منكم إثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم. فأخرجوا منهم إثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وهم:

١ - أبو أمامة أسعد بن زرارَةَ الخزرجي.

٢ - سعد بن الربيع بن عمرو الخزرجي.

٣ - عبد الله بن رواحة بن امرؤ القيس الخزرجي.

٤ - رافع بن مالك بن العجلان الخزرجي.

٥ - البراء بن معرور بن صخر الخزرجي.

٦ - عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي.

٧ - عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي.

٨ - سعد بن عبادة بن دُليم الخزرجي.

٩ - المنذر بن عمرو بن خنيس الخزرجي.

١٠ - أسيد بن حضير بن سمالك الأوسي.

١١ - سعد بن خيثمة بن الحرث الأوسي.

١٢ - رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر الأوسي. وقد يعدُّ بمكانه أبو الهيثم ابن التهيان.

فقال رسول الله ﷺ للنقباء: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيلٌ على قومي: يعني المسلمين. قالوا: نعم.

قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري: يا معشر الخزرج! هل تدرون علام تباعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم.

قال: إنكم تباعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتل استلتموه؟ فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فهو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا فاتاً نأخذ على مصيبة الأموال قتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله! إن نحن وفينا؟ قال: الجنة. قالوا: ابسط يدك فبسط يده فباعوه.

فقال له العباس بن عبادة: والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلنَّ على أهل

مِنِي غَدًا بِأَسْيَافِنَا؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمْ تُؤْمَرْ بِذَلِكَ وَلِذَلِكَ وَلَكِنْ ارْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ. فَرَجَعُوا إِلَى مُضَاجِعِهِمْ. فَلَمَّا قَدَمُوا الْمَدِينَةَ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِهَا وَفِي قَوْمِهِمْ بَقَايَا مِنْ شَيْوَخٍ لَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ. وَكَانَ أَهْلُ بَيْعَةِ الْعُقَبَةِ الْآخِرَةِ ثَلَاثَةً وَسَبْعِينَ رَجُلًا وَامْرَأَتَيْنِ وَهَم:

أسيد بن حُضَيْر النقيب	أبو الهيثم بن التيهان النقيب	سلمة بن سلامة الأشهلي
ظهير بن رافع الخزرجي	أبو بردة بن نيار بن عمرو	نهير بن الهيثم الحارثي
سعد بن خيثمة النقيب	رفاعة بن عبد المنذر النقيب	عبد الله بن جبير بن النعمان
معن بن عدي بن الجلد	عويم بن ساعدة الأوسي	أبو أيوب خالد الأنصاري
معاذ بن الحارث الانصاري	أسعد بن زرارة النقيب	سهيل بن عتيك النجاري
أوس بن ثابت الخزرجي	أبو طلحة زيد بن سهل	قيس بن أبي صعصعة النجاري
عمرو بن غزية الخزرجي	سعد بن الربيع النقيب	خارجة بن زيد الخزرجي
عبد الله بن رواحة النقيب	بشير بن سعد الخزرجي	خلاد بن سويد الخزرجي
عقبة بن عمرو الخزرجي	زياد بن لييد الخزرجي	فروة بن عمرو الخزرجي
خالد بن قيس الخزرجي	رافع بن مالك النقيب	ذكوان بن عبد قيس الخزرجي
عبادة بن قيس الخزرجي	الحارث بن قيس الخزرجي	البراء بن معرور النقيب
بشر بن البراء الخزرجي	سنان بن صيفي الخزرجي	الطفيل بن النعمان الخزرجي
معقل بن المنذر الخزرجي	يزيد بن المنذر الخزرجي	مسعود بن يزيد الخزرجي
الضحاك بن حارثة الخزرجي	يزيد بن خزام الخزرجي	جبار بن صخر الخزرجي
الطفيل بن مالك الخزرجي	كعب بن مالك الخزرجي	سليم بن عمرو الخزرجي
قطبة بن عامر الخزرجي	يزيد بن عامر الخزرجي	كعب بن عمرو الخزرجي
صيفي بن سواد الخزرجي	ثعلبة بن غنمة السلمي	عمرو بن غنمة السلمي
عبد الله بن أنيس السلمي	خالد بن عمرو السلمي	عبد الله بن عمر النقيب
جابر بن عبد الله السلمي	ثابت بن ثعلبة السلمي	عمير بن الحارث السلمي
خديج بن سلامة بن الفرافر	معاذ بن جبل الخزرجي	أوس بن عباد الخزرجي
عبادة بن الصامت النقيب	غنم بن عوف الخزرجي	العبّاس بن عبادة الخزرجي

أبو عبد الرحمن بن الخزرجي	عمرو بن الحرث الخزرجي	رفاعة بن عمرو الخزرجي
عقبة بن وهب الجشمي	سعد بن عبادة النقيب	المنذر بن عمرو النقيب
عوف بن الحارث الأنصاري	معوذ بن الحارث الأنصاري	عمارة بن حزم الأنصاري
عبد الله بن زيد مناة الخزرجي.		

نبأ الهجرة

فلما عتت قريش على الله عز وجل، وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة، وكذبوا نبيه ﷺ، وعذبوا ونفوا من عبده ووحدته وصدق نبيه واعتصم بدينه أذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في القتال فنزل قوله تعالى: أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الآية. ثم أنزل الله تعالى: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله.

فلما أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب وتابعه هذ الحي من الأنصار على الاسلام والنصرة له ولمن اتبعه، وأوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، وللحق باخوانهم من الأنصار، وقال: إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها. فخرجوا أرسالاً وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة، فهاجر بنو جحش فغلقت دورهم هجرة تخفق أبوابها يباباً، ليس فيها ساكنٌ خلاءٌ من أهلها. وكان بنو غنم بن دودان أهل. اسلام قد أو عبوا إلى المدينة هجرة نساءهم ورجالهم، ثم تتابع المهاجرون وفيهم:

أبو سلمة بن عبد الأسد	عامر بن ربيعة الكعبي	عبد الله بن جحش	عبد بن جحش أبو أحمد
عكاشة بن محصن	شجاع بن وهب	عقبة بن وهب	عربد بن حمير
منقذ بن نباتة	سعيد بن رقيش	محرز بن نضلة	يزيد بن رقيش
قيس بن خابر	عمرو بن محصن	مالك بن عمرو	صفوان بن عمرو
ثقف بن عمرو	ربيعة بن أكثم	الزبير بن عبيدة	تمام بن عبيدة
سخيرة بن عبيدة	محمد بن عبد الله بن جحش	عمر بن الخطاب	عياش بن أبي ربيعة
زيد بن الخطاب	عمرو بن سراقه	عبد الله بن سراقه	خنيس بن حذافة
إياس بن البكير	عاقل بن البكير	عامر بن البكير	خالد بن البكير

طلحة بن عبيد الله	حمزة بن عبد المطلب	صهيب بن سنان	زيد بن حارثة
كنّار بن حصين	عبدة بن الحارث	الطفيل بن الحارث	الحصين بن الحرث
مسطح بن أثانة	سويط بن سعد	طليب بن عمير	خبّاب مولى عتبة
عبد الرحمن بن عوف	الزبير بن عوام	أبو سيرة بن أبي رهم	مصعب بن عمير
أبو حذيفة بن عتبة	سالم مولى أبي حذيفة	عتبة بن غزوان	عثمان بن عفان
أنسة مولى رسول الله		أبو كبشة مولى رسول الله.	

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة. ولم يتخلف معه بمكة أحدٌ من المهاجرين إلّا من حُبس أو فتن، إلّا عليّ بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما حتّى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه، وما كان يعلم بخروجه ﷺ أحدٌ حين خرج إلّا عليّ بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر، أما عليّ فإنّ رسول الله ﷺ أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعد مكة، حتّى يؤدّي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحدٌ عنده شيءٌ يخشى عليه إلّا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ.

فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج فخرج ومعه أبو بكر ثمّ عمدا إلى غار بثور جبل بأسفل مكة فدخله فأقام فيه رسول الله ﷺ ثلاثاً ومعه صاحبه.

ثمّ خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط سلك بهما أسفل مكة ثمّ مضى بهما على الساحل أسفل من عُسفان ^(١) ثمّ سلك بهما على أسفل أمج ^(٢) ثمّ استجاز بهما حتّى عارض بهما الطريق بعد أن جاز قُديداً ^(٣) ثمّ أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الحرّار ^(٤) ثمّ سلك بهما ثنية ^(٥) المرة، ثمّ سلك بهما لققاً ^(٦)، ثمّ استبطن بهما مدلجة

١ - بضم الاول ثمّ السكون: محل من مكة على مرحلتين.

٢ - بفتح الهمزة والميم: بلد من اعراض المدينة.

٣ - بضم الاول وفتح الدال: موضع فيه ماء بين مكة والمدينة. بها منازل خزاعة.

٤ - بفتح المعجمة وتشديد الراء: موضع قرب الجحفة.

٥ - ثنية المرة مخفف الراء.

٦ - يقال: لقف بالتحريك ويفتح اللام وسكون الفاء. وبكسر اللام وسكون الفاء.

مجاج (١) ثم سلك بهما مَرَجَح مَجَاج ثم تَبَطَّن بهما مَرَجَح (٢) من ذي العضوين - العضوين - ثم بطن ذي كشر (٣) ثم أخذ بهما على الجدادجد (٤) ثم على الأجرد (٥) ثم سلك بهما ذا سلم بن بطن أعدا مدلجة تعهن (٦) ثم على العباييد (٧) ثم أجاز بهما الفاجدة (٨) ثم هبط بهما العرج (٩) فحمل رسول الله ﷺ رجلاً من أسلم يقال له: أوس بن حجر على جمل له يقال له: ابن الرداء. إلى المدينة وبعث معه غلاماً له مسعود بن هُنيدة، ثم خرج بهما دليلهما من العرج فسللك بهما ثنية العائر (١٠) عن يمين ركوبه (١١) حتى هبط بهما بطن رئم (١٢) ثم قدم بهما قباء (١٣) على بني عمرو بن عوف حين اشتدَّ الضحاء وكادت الشمس تعتدل.

ولما دنوا من قباء بعثوا رجلاً من أهل البادية إلى أبي أمامة وأصحابه من الأنصار فثار المسلمون إلى السلاح واستقبله زهاء خمسمائة من الأنصار فوافوه وهو مع أبي بكر في ظل نخلة، ثم قالوا لهما: اركبا آمنين مطاعين. فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بقاء في دار بني عمرو بن عوف فأقام رسول الله ﷺ بقاء في بني عمرو بن عوف بن الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده وقد يقال كما في سنن أبي داود ١

-
- ١ - بفتح الميم وكسره بجيمين وصححه بعض بفتح الميم ثم المعجمة وآخره مهملة.
 - ٢ - بفتح الميم وسكون الراء بعدها معجمة مكسورة وآخره مهملة.
 - ٣ - بفتح الكاف وسكون الشين وآخره مهملة.
 - ٤ - بالمعجمتين والمهملتين بينهما ألف. من الآبار القديمة.
 - ٥ - اسم جبل هناك.
 - ٦ - تعهن بكسر اوله وهائه وتسكين العين وآخره نون: اسم عين ماء سمى به على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة، ويقال في ضبطه غير هذا.
 - ٧ - ويقال: العباييد، ويقال: العثانة.
 - ٨ - ويقال: الفاجة بالمهملة. والقاحة. مدينة على ثلاثة مراحل من المدينة.
 - ٩ - بفتح العين وسكون الراء: عقبة بين مكة والمدينة.
 - ١٠ - قال محمد يحيى الدين المصرى في حاشية سيرة ابن هشام ٢: ١٠٨: لم يذكر ياقوت العائر لا بالعين المهملة ولا بالعين المعجمة. أقول: ذكره في العين المهملة ٦ ص ١٠٣ وقال: جبل بالمدينة. وفي حديث الهجرة: ثنية العائر عن يمين ركوبه. ويقال: ثنية الغائر بالعين المعجمة. اهـ ملخصاً.
 - ١١ - بفتح الراء: ثنية صعبة عند العرج.
 - ١٢ - بكسر الراء المهملة موضع على أربعة برد من المدينة وقيل: ثلاثة برد.
 - ١٣ - بضم اوله: قرية على ميلين من المدينة.

ص ٧٤: إنه أقام في قباء أربعة عشر ليلاً، وحكى موسى بن عقبة إثنين وعشرين ليلة. وقال البخاري: بضع عشرة ليلة، وبقباء كانت منازل الأوس والخزرج.

ثم أخرجهم الله من بين أظهرهم يوم الجمعة فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي وادي رانواء، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة.

قال عبد الرحمن بن عويم: حدثني رجال من قومي من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: لما سمعنا بمخرج رسول الله ﷺ من مكة وتوكلنا (١) قدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله ﷺ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا، وذلك في أيام حارة.

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة وصلى الجمعة أتاه عتبان بن مالك وعباس بن عباد بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف، فقالوا: يا رسول الله! أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة. قال: خلوا سبيلها فأنها مأمورة - يعني ناقته - فخلوا سبيلها فانطلقت، حتى إذا وازنت دار بني بياضة تلقاه زياد بن ليبد وفروة ابن عمرو في رجال من بني بياضة فقالوا: يا رسول الله! هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة. قال: خلوا سبيلها فأنها مأمورة. فخلوا سبيلها. فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة إعترضه سعد بن عباد والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة. قال: خلوا سبيلها فأنها مأمورة. فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني الحرث بن الخزرج إعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة في رجال من بني الحرث بن الخزرج فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة. قال: خلوا سبيلها فأنها مأمورة. فخلوا سبيلها فانطلقت، حتى إذا مرت بدار بني عدي بن النجار إعترضها سليط بن قيس، وأبو سليط أسيرة بن أبي خارجة في رجال من بني عدي فقالوا: يا رسول الله! هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة. قال: خلوا سبيلها فأنها مأمورة. فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار

١ - استشعرناه وانتظرناه.

بركت على باب مسجده ﷺ وهو يومئذ مريد^(١) لغلّامين يتيمين من بني النجار: سهل وسهيل ابني عمرو، فلمّا بركت ورسول الله ﷺ عليها لم ينزل وثبّت فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضعٌ لها زمامها لا يثنيها به، ثمّ التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرّة فبركت فيه ثمّ تحلّحت^(٢) ورزمت^(٣) ووضعت جرائها^(٤) فنزل عنها رسول الله ﷺ فاحتمل أبو أيّوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله ﷺ وسأل عن المريد لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله! لسهل و سهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي، وسأرضيهما منه فأخذ مسجداً.

راجع سيرة ابن هشام ٢ ص ٣١ - ١١٤، تاريخ الطبري ٢: ٢٣٣ - ٢٤٩، طبقات ابن سعد ١ ص ٢٠١ - ٢٢٤، عيون الأثر ١: ١٥٢ - ١٥٩، الكامل لابن الأثير ٢: ٣٨. ٤٤ تاريخ ابن كثير ٣: ١٣٨ - ٢٠٥، تاريخ ابن الفدا ج ١: ١٢١ - ١٢٤، الامتاع للمقرئ ص ٣٠ - ٤٧، السيرة الحلبية ٢: ٣ - ٦١.

- ١١ -

أبو بكر أسنُّ من النبيّ

عن يزيد^(٥) بن الأصم إنّ النبيّ ﷺ قال لأبي بكر: أنا أكبر أو أنت؟ قال: لا بل أنت أكبر مني وأكرم وخير مني، وأنا أسنُّ منك.

أخرجه ابن الضحاك، وذكره أبو عمر في الاستيعاب ٢: ٢٢٦، والمحَبّ الطبري في الرياض النضرة ١ ص ١٢٧، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٧٢ نقلاً عن خليفة بن خياط، وأحمد بن حنبل، وابن عساكر. قال الأميني: أو لا تعجب من أكذوبة تُعدُّ أكرومة؟ متى تصحُّ رواية يزيد بن الأصم عن النبيّ ﷺ ولم يُدركه، فإنَّ الرجل توفيَّ سنة ١٠١/٣/٤ وهو ابن ثلاث و

١ - بكسر الميم وفتح الباء بينهما مهملة ساكنة أصله الموضع الذي يجفف فيه التمر.

٢ - تحلّحت: تحركت. وقد يقال: تلحّحت. أي لزمت مكانها.

٣ - وعند ابن الأثير: أرزمت. أي رغبت ورجعت في رغائها.

٤ - الجران، ككتاب: قال السهيلي: أي عنقها. وقال غيره: الجران. ما يصيب الأرض من صدرها وباطن حلقها.

٥ - في الرياض: زيد. والصحيح: يزيد.

سبعين سنة فولادته بعد وفاة النبي ﷺ بدهر.

ثم متى كان أبو بكر أسن من النبي ﷺ وقد وُلد ﷺ في عام الفيل، وُلد أبو بكر بعد عام الفيل بثلاث سنين.
وقال سعيد بن المسيب: استكمل أبو بكر بخلافته سن رسول الله ﷺ فتوفي وهو بسن النبي ﷺ ابن ثلاث وستين سنة. راجع:

المعارف لابن قتيبة ص ٧٥ فقال: إتفقوا على أنَّ عمره ثلاث وستون سنة فكان رسول الله ﷺ أسن من أبي بكر بمقدار سني خلافته. اهـ. صحيح الترمذي ٢: ٢٨٨ وفيه: أنه ﷺ توفي وهو ابن خمس وستين سنة، سيرة ابن هشام ١ ص ٢٠٥، تاريخ الطبري ٢: ١٢٥ و ج ٤: ٤٧، الاستيعاب م ١: ٣٣٥ وقال: لا يختلفون أنَّ سنَّه انتهت إلى حين وفاته ثلاثاً وستين سنة إلا ما لا يصحَّ وأنه استوفى بخلافته بعد رسول الله ﷺ سنَّ رسول الله ﷺ وقال في الجزء الثاني ص ٦٢٦ بعد ذكر حديث يزيد الأصم: هذا الخبر لا يعرف إلا بهذا الاسناد، وأحسبه وهماً لأنَّ جمهور أهل العلم بالأخبار والسير والآثار يقولون: أنَّ أبا بكر استوفى بمدة خلافته من رسول الله ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة [الكامل ١: ١٨٥ و ج ٢: ١٧٦. أسد الغابة ٣: ٢٢٣، مرآة الجنان ١: ٦٥، ٦٩، مجمع الزوائد ٩: ٦٠، عيون الأثر ١: ٤٣، الاصابة ٢: ٣٤١، ٣٤٤، السيرة الحلبية ٣: ٣٩٦.

نعم: هذه المسئلة وقعت بينه ﷺ وبين سعيد بن يربوع المخزومي كما رواها البغوي وابن مندة^(١) وابن يربوع توفي سنة ٥٤ وله ١٢٠ سنة. وقيل: وزيادة أربع. ولمَّا كانت شعبة أبي بكر وكبر سنَّه هي الحجَّة الوحيدة على مخالفته يوم السقيفة فأيدَّها المغالون في فضائله بأمثال هذه المخاريق المفتعلة، وتحريف التاريخ عن مواضعه. والله يعلم أنَّهم لكاذبون.

- ١٢ -

إسلام أبي بكر قبل ولادة علي

عن شابة عن فرات بن السائب قال: قلت لميمون بن مهران: أبو بكر الصديق أول إيماناً بالنبي ﷺ أم علي بن أبي طالب؟ قال: والله لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ

١ - الاصابة ٢: ٥١.

زمن بحيرا الراهب، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه، وذلك كله قبل أن يولد علي بن أبي طالب. وعن ربيعة بن كعب ^(١) قال: كان إسلام أبي بكر شبيهاً بالوحي من السماء وذلك أنه كان تاجراً بالشام فرأى رؤيا فقصّها على بحيرا الراهب فقال له: من أين أنت؟ فقال: من مكة فقال: من أيّها؟ قال: من قريش. قال: فأئي شيء أنت؟ قال: تاجر. قال: إن صدّق الله رؤياك فأنّه يبعث نبيّ من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته من بعد وفاته. فأسرّ ذلك أبو بكر في نفسه حتى بعث النبي ﷺ فجاء فقال: يا محمّد ما الدليل على ما تدّعي؟ قال: الرؤيا التي رأيت بالشام فعانقه وقبّل بين عينيه وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّك رسول الله.

وقال الامام النووي: كان أبو بكر أسبق الناس إسلاماً، أسلم وهو ابن عشرين سنة. وقيل: خمس عشر سنة. راجع الرياض النضرة ١: ٥١، ٥٤، أسد الغابة ١: ١٦٨، تاريخ ابن كثير ٩: ٣١٩، الصواعق المحرقة ص ٤٥، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٤، الخصائص الكبرى ١: ٢٩، نزهة المجالس ٢: ١٨٢.

قال الأميني: هلّمّ معي نظر إلى هذه المراسيل هل توجد فيها مسحة من الصدق؟ أمّا رواية ابن مهران سنداً: ١ - فشبابه بن سوار ^(٢) أبو عمر والمدائني قال أحمد: تركته لم أكتب عنه للأرجاء وكان داعية، وقال ابن خراش: كان أحمد لا يرضاه وهو صدوق في الحديث وقال الساجي وابن عبد الله وابن سعد والعجلي وابن عدي: أنّه كان يقول بالأرجاء. وقبل هذه كلّها يظهر ممّا رواه أبو علي المدائني: أنّه كان يبغض أهل بيت النبيّ صلوات الله عليهم. وضره الله بالفالج لدعاء من دعا عليه بقوله: أللهمّ إن كان شاباً يبغض أهل نبيّك فاضربه الساعة بالفالج. ففلج في يومه ومات. ميزان الاعتدال ١: ٤٤٠، تهذيب التهذيب ٤: ٣٠٢.

١ - في الخصائص الكبرى عن كعب. وهو الصحيح.

٢ - في ميزان الاعتدال: سواد.

٢ - فرات بن السائب الجرري. قال البخاري: منكر الحديث وقال يحيى ابن معين: ليس بشيء، منكر الحديث. وقال الدارقطني وغيره: متروك. وقال أحمد بن حنبل: قريب من محمد بن زياد الطحان في ميمون يتهم بما يتهم به ذاك. ومحمد بن زياد هو اليشكري أحد الكذابين الوضّاعين كما مرّ في ج ٥: ٢٥٨ ط ٢، ففرات عند إمام الحنابلة كذاب وضّاع. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث. وقال الساجي: تركوه. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث وقال ابن عدي: له أحاديث غير محفوظة وعن ميمون مناكير.

[ميزان الاعتدال ٢: ٣٢٥، لسان الميزان ٤: ٢٣٠]

٣ - ميمون بن مهران حسبه ما مرّ في رواية فرات عنه، أضف إلى ذلك قول العجلي: أنّه كان يحمل على عليّ كما في تهذيب ابن حجر ١٠: ٣٩١. هب أنّه وثقة من وثقه، فما قيمته وقيمة حديثه بعد تحامله على عليّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

ثمّ قد أتى ميمون في حديثه بأمرين: إسلام أبي بكر زمن بحيرا. وإختلافه في زواج رسول الله ﷺ خديجة. أما اختلافه بينه ﷺ وبين خديجة فلم ينبأ عنه قطّ خير. وليس من الجائز أن يكون الوسيط في قرآن رجل عظيم كمحمد وامرأة من بيت مجد وسؤدد ورياسة كخديجة، شابّ حدث ابن اثنتين وعشرين سنة وللزوج أعمام أشراف أعظم كالعبّاس وحمزة وأبي طالب وهو بينهم وفي بيتهم، وكان عمّه أبو طالب كما يأتي يحبّه حبّاً شديداً لا يحب أولاده مثله، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرجه معه حين يخرج (١) وكان هو الذي كلّم خديجة حتّى وكلت رسول الله ﷺ بتجارتهما، كما في الامتناع للمقرئ ص ٨.

والذي جاء في السير والتاريخ في أمر هذا القرآن أنّ خديجة بعثت إلى رسول الله ﷺ ورغبت في زواجه لقربته وأمانته وحسن خلقه وصدق حديثه، وعرضت نفسها عليه ﷺ، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأعمامه فخرج معه عمّه حمزة وفي لفظ ابن الأثير: خرج معه حمزة وأبو طالب وغيرهما من عمومته. حتّى دخل على خويلد بن أسد، أو على عمرو بن أسد عمّ خديجة فخطبها اليه فتزوّجها عليه وآله الصّلاة

١ - يأتي تفصيل ذلك في الكلام عن أبي طالب عليه السلام.

والسَّلام وخطب أبو طالب عليه السلام خطبة النكاح، فقال:

أحمد الله الذي جعلنا من ذرِّيَّة إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضئ معد، و عنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكَّام على الناس، ثمَّ إنّ ابن أخي هذا محمَّد بن عبد الله لا يوزن برجل إلَّا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً، فان كان في المال قلٌّ؟ فإنَّ المال ظلٌّ زایل، و أمرٌ حائل، ومحمَّد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا، وهو والله بعد هذا له نبأٌ عظيم، وخطرٌ جليل. فزوَّجها.

راجع طبقات ابن سعد ١: ١١٣، تاريخ الطبري ٢: ١٢٧، أعلام الماوردي ص ١١٤، الصفوة لابن الجوزي ١: ٢٥ الكامل لابن الأثير ٢: ١٥، تاريخ ابن كثير ٢: ٢٩٤، تاريخ الخميس ١: ٢٩٩، عيون الأثر ١: ٤٩، أسد الغابة ٥: ٤٣٥، الروض الانف ١: ١٢٢، تاريخ ابن خلدون ٢: ١٧٢، المواهب اللدنيَّة ١: ٥٠، السيرة الحلبية ١: ١٤٩، ١٥٠، شرح المواهب للزرقاني ١: ٢٠٠، سيرة زيني دحلان هامش الحلبية ١: ١١٤.

فأين مزعمة ابن مهران من هذا التاريخ الصحيح المتواتر؟

وأما إسلام أبي بكر قبل ولادة عليّ أمير المؤمنين زمن «بحيرا» الراهب فإنَّه مأخوذٌ ممَّا أخرجه ابن مندة ^(١) من طريق عبد الغني بن سعيد الثقفي عن ابن عباس: إنّ أبا بكر الصديق صحب النبيّ وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبيّ ابن عشرين وهم يردون الشام في تجارة حتّى إذا نزل منزلاً فيه سدرة قعد في ظلّها ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له: بُحيرا يسأله عن شيء. الخ.

هذه الرواية ضعّفها غير واحد من الحفاظ. قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٢: ٢٤٣: عبد الغني ضعّفه ابن يونس. وأقرّ ضعفه ابن حجر في لسانه ٤: ٤٥، وقال في الاصابة ١: ١٧٧: أحد الضعفاء المتروكين.

وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى ١: ٨٦ فقال: سندٌ ضعيف وضعّفه

١ - أبو عبد الله محمد بن اسحاق الاصبهاني الحافظ الرجال المتوفى ٣٥٥.

القسطلاني في المواهب ١ : ٥٠، والحلي في السير النبوية ١ : ١٣٠.

وأفزع من هذا رواية أخرجهما الحفاظ من طريق أبي نوح قراد عن يونس ابن أبي اسحاق عن أبيه عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبي موسى قال: خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ في اشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب - يعني بحيرا - هبطوا فحلّوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يَمْزُون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم قال: فنزل وهم يحلّون رحالهم، فجعل يتخلّلهم حتى جاء فأخذ بيد النبي ﷺ فقال: هذا سيّد العالمين، هذا رسول ربّ العالمين، هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين، إلى أن قال.

فبايعوه وأقاموا معه عنده، فقال الراهب: انشدكم الله أيُّكم وليّ؟ قالوا: أبو طالب. فلم يزل يناشده حتى ردّه، وبعث معه أبو بكر بلالاً، وزوّده الراهب من الكعك والزيت.

أخرجه الترمذي في صحيحه ٢ : ٢٨٤ فقال: حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والحاكم في المستدرک ٢ : ٦١٦، وابو نعيم في الدلائل ١ : ٥٣، والبيهقي في الدلائل، والطبري في تاريخه ٢ : ١٩٥، وابن عساکر في تاريخه ١ : ٢٦٧، وابن كثير في تاريخه ٢ : ٢٨٤، نقلاً عن الحافظ أبي بكر الخرائطي والحفاظ المذكورين، وابن سيّد الناس في عيون الأثر ١ : ٤٢، والقسطلاني في المواهب ١ : ٤٩.

(رجال الرواية)

١ - أبو نوح قراد عبد الرحمن بن غزوان، قال عبّاس الدوري: ليس في الدنيا أحدٌ يحدّث بهذا الحديث غير قراد أبي نوح وقد سمعته منه أحمد ويحيى لغرابته و انفراده « تاريخ ابن كثير ٢ : ٢٨٥ ».

وقال الذهبي في الميزان ٢ : ١١٣: كان يحفظ، قوله مناكير، وأنكر ما له حديث عن يونس « وذكر شرطاً من الحديث » فقال: ومّا يدلُّ على أنّه باطلٌ قوله: وبعث معه أبو بكر بلالاً، وبلال لم يكن لحق، وأبو بكر كان صبيّاً.

وقال في تلخيص المستدرک تعليقاً على تصحيحه قلت: أظنّه موضوعاً فبعضه باطلٌ وقال ابن حجر في التهذيب ٦ :

٢٤٨: ذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان

يخطئ يتخالج في القلب منه لروايته عن الليث قصّة المماليك. وقال أحمد: هذا « يعني حديث المماليك » باطلٌ ممّا وضع الناس. وقال الدارقطني: قال أبو بكر: أخطأ فيه قراد.

٢ - يونس بن أبي اسحاق. ضَعَفَ أحمد حديثه عن أبيه، وقال: حديثه عن أبيه مضطربٌ. وقال أبو حاتم: كان صدوقاً إلا أنّه لا يُحتجُّ بحديثه. وقال: أبو أحمد الحاكم ربما وهم في روايته. « تهذيب التهذيب ١١ : ٤٣٤ ».

٣ - أبو اسحاق السبيعي. قال: ابن حبان: مدلسٌ، وذكره الكرايسي في المدلسين، وقال معن: أفسد حديث أهل الكوفة الأعمش وأبو اسحاق التذليل « تهذيب التهذيب ٨ : ٦٦ » وقال أبو حاتم: صدوقٌ لا يحتجُّ به: وقال ابن خراش: في حديثه لينٌ. وقال ابن حزم في المحلّى: ضَعَفَهُ يحيى وأحمد جدّاً، وقال أحمد: حديثه مضطرب « ميزان الاعتدال ٣ : ٣٣٩ ».

٤ - أبو بكر بن أبي موسى توفي سنة ١٠٦، ضَعَفَهُ ابن سعد، وقال أحمد: لم يسمع من أبيه. تهذيب التهذيب ١٢ ص ٤١ «.

٥ - أبو موسى الأشعري المتوفى سنة ٤٢ / ٥٠ / ٥١ / ٥٣ وهو ابن ٦٣ سنة بلا خلاف أجده وقد وقعت الواقعة بعد عام الفيل بتسع سنين أو اثني عشر عاماً قبل ولادة أبي موسى الأشعري ١٧ / ٢٢ / ٢٣ / ٢٥ عاماً، فان كان أبو موسى هو الشاهد للقصّة قبل مولده فحبّذا؟ وإن كان يرويها عن شاهدٍ فممن هو؟ حتّى ننظر في حاله.

هذا شأن الرواية سنداً، أهذه كلّها تخفى على مثل الترمذي ومن بعده من الحفاظ فيحكمون فيها بالحسن؟ أو بالصحة كما فعله ابن حجر والحبلي؟ أنا لا أدري. نعم: الحبُّ يُعمي أو يُصمّ.

وأما متن الرواية فهو يكفي في تكذيبها إذ سفر أبي طالب عليه السلام إلى الشام وأخذه معه رسول الله ﷺ كان وقد مضى من عمره ﷺ تسع سنين على ما قاله أبو جعفر الطبري والسهيلي وغيرهما، أو اثني عشر عاماً على ما قاله آخرون ^(١) وكان

١ - طبقات ابن سعد ١ : ١٠٢، تاريخ الطبري ٢ : ١٩٥، تاريخ ابن عساكر ١ : ٢، ٢٦٩، تاريخ ابن كثير ٢ : ٢٨٥، الروض الانف: ١ : ١١٨، امتاع المقرئ ص ٨، عيون الاثر ١ : ٤٣، شرح المواهب للزرقاني ١ : ١٩٦.

أبو بكر يوم ذاك ابن ست أو تسع سنين: فأين كان هو؟ وماذا كان يصنع بالشام؟ وأي اختيار كان له بين شيوخ قريش؟ ولم تكن تنعقد نطفة بلال يوم ذاك أخذاً بقول من قال: أنه توفي سنة ٢٥ وله بضع وستون سنة^(١) أو أنه ولد في تلكم السنين أخذاً بقول ابن الجوزي في الصفوة ١ ص ١٧٤ من أنه مات سنة عشرين وهو ابن بضع وستين سنة.

كأن أبو بكر ولد وهو شيخ وبلال عتيقه، وكان معه من أول يومه، وكان من يوم ولد له الحل والعقد. ثم أي بيعة كانت يوم ذاك؟ وما معنى قول أبي موسى الأشعري: فبايعوه وأقاموا معه عنده؟ وأي إيمان وإسلام على زعم رواة هذه الأفيكة، وكان قبل البعثة باحدى وثلاثين سنة، أو ثمانية وعشرين عاماً، أو إثنين وعشرين، أو سبعة عشرة سنة على زعم النووي؟ ولم تكن للنبي ﷺ يومئذ دعوة، ولا كلف أحداً بالإيمان به، فلا يُقال لمن عرف شيئاً من إرهاصات النبوة أنه أسلم يوم عرف وإلا لكان «بحيرا» الراهب و«نسطور» وأمثالهما من الرهبان والكهنة أقدم إسلاماً من أبي بكر، وكم هنالك أناس عرفوا أمر الرسالة قبلها وبشروا بها ثم بعد البعثة عاندوا وحسدوا، فمنهم من مات مشركاً، ومنهم من أدركته الهداية بعد حين كما يأتي في كعب الأخبار بعيد هذا. وكيف أثبت ذلك اليوم إيماناً لأبي بكر وصار بذلك أقدم الناس إسلاماً ولم يُثبت لأبي طالب لا ذاك ولا غيره؟ وأبو موسى لم يستثن أبا طالب من أولئك الذين بايعوا يوم ذاك نظراء أبي بكر وبلال الخيالي.

قال الحافظ الدمياطي: في هذا الحديث وهمان: الأول: قوله: فبايعوه وأقاموا معه. والثاني: قوله: وبعث معه أبو بكر بلالاً. ولم يكونا معه، ولم يكن بلال أسلم لا ملكه أبو بكر، بل كان أبو بكر حينئذ لم يبلغ عشر سنين، ولم يملك أبو بكر بلالاً إلا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين سنة وكذا ضعفه الذهبي^(٢).

وقال الزركشي في الإجابة ص ٥٠: هذا من الأوهام الظاهرة لأن بلالاً إنما اشتراه أبو بكر بعد مبعث النبي ﷺ وبعد أن أسلم بلال وعذبه قومه ولما خرج

١ - تهذيب التهذيب ١: ٥٠٣.

٢ - حياة الحيوان للدميري ٢: ٢٧٥، تاريخ الخميس ١: ٢٩٢.

النبي ﷺ إلى الشام مع عمّه أبي طالب كان له من العمر اثنتا عشرة سنة وشهران وأيام. ولعلّ بلالاً لم يكن بعدُ ولد. اهـ.
وقال ابن كثير في تاريخه ٢: ٢٨٥: إنّ قوله: وبعث أبو بكر معه بلالاً إن كان عمره عليه الصّلاة والسّلام إذ ذاك اثنتي عشرة سنة فقد كان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة، وعمر بلال أقلّ من ذلك، فأين كان أبو بكر إذ ذاك؟ ثمّ أين كان بلال، كلاهما غريب، أللهمّ إلّا أن يقال: إنّ هذا كان ورسول الله ﷺ كبيراً، إمّا بأن يكون سفره بعد هذا أو إن كان القول بأنّ عمره كان إذ ذاك اثنتي عشرة سنة غير محفوظ فإنّه إنّما ذكره مقيداً بهذا الواقدي، وحكى السهيلي عن بعضهم أنّه كان عمره على الصّلاة والسّلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم.

قال الأميني: إنّ ابن كثير غضّ البصر عمّا في الرواية من خرافة البيعة كأن لم يكن شيئاً مذكوراً. ثمّ أتى في تصحيح بعث أبي بكر بلالاً بما لا يخفى على فساد، إذ لم يزد سفر رسول الله ﷺ إلى الشام مع أبي طالب على المرّة الواحدة، وكون عمره ﷺ اثني عشر عاماً محفوظاً عند ابن سعد وابن جرير وابن عساكر و ابن الجوزي، ولم ينحصر بالواقدي كما حسبه. وقد سافر رسول الله ﷺ إلى الشام مرّة ثانية سنة خمس وعشرين من عام الفيل مع ميسرة غلام السيّد خديجة سلام الله عليها وليس هناك أيّ ذكر من «بحيرا» وإنّما فيه فضيّة «نسطور» الراهب (١).

وقال ابن سيّد الناس في عيون الأثر ١: ٤٣ مثل مقالة الدميّاطي المذكورة وكذلك الحلبي في السيرة النبويّة ١ ص ١٢٩، والحديث أخرجه ابن الجوزي في صفة الصفوة ١: ٢١، من طريق داود بن الحصين وليس فيه أثر من الوهمين ولا ذكر من أبي بكر.

(نظرة في حديث كعب) وأما رواية كعب فإنّي لم أجدها في أصل من اصول الحديث، ولم أر لها سنداً قطّ، وفي ذكر كعب وهو كعب الأبحار من رجال

١ - تاريخ ابن عساكر ١: ٢٦٧، ٢٧٢، دلائل النبوة لابي نعيم ١: ٥٤، الصفوة لابن الجوزي ١: ٢٤، تاريخ ابن الفدا ج ١: ١١٤، الاجابة للزركشي ص ٥٠، تاريخ الخميس ١: ٢٦٢.

سندها كفاية، وحسبنا في كعب ما أخرجه البخاري من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطاً من قریش بالمدينة وذكر كعب الأخبار فقال: إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلوا عليه الكذب (١).

م - وقال ابن أبي الحديد في شرحه ١ ص ٣٦٢: روى جماعة من أهل السير: أنَّ علياً كان يقول في كعب الأخبار: إنَّه الكذاب وكان كعب منحرفاً عن عليٍّ عليه السلام.

وأخرج ابن أبي خيثمة باسناد حسنه ابن حجر عن قتادة قال: بلغ حذيفة أنَّ كعباً يقول: إنَّ السماء تدور على قطب كالرحى. فقال: كذب كعب إنَّ الله يقول: إنَّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا (٢).

على أنَّ كعباً لو كان يصدِّق نفسه فيما أخبره من الارهاصات والبشائر لما كان يبقى على دين اليهود طيلة حياة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم وما كان يأخِّر إسلامه إلى عهد عمر بن الخطاب، م - ولما كان يتعلَّل عندما سُئل عمّا منعه عن إسلامه في العهد النبويِّ بقوله: إنَّ أبي كان كتب لي كتاباً من التوراة فقال: اعمل بهذا. وختم على ساير كتبه وأخذ عليٍّ بحقِّ الوالد علي الولد أن لا أفضَّ الختم عنها، فلمَّا رأيت ظهور الاسلام قلت: لعلَّ أبي غيَّب عني علماً ففتحتها فاذا صفة محمد وأُمَّته فجئت الآن مسلماً (٣) وكان له يوم توفي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم اثنان وثمانون عاماً (٤) وأثر الكذب لا يخفُّ في جِلِّ ما جاء به كعب وحسبه ما أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٥ ص ٢٦٠ من حديث ذي قربات الذي حكم الحقاظ بعدم صحَّته، وما جاء به السيوطي في الخصايص الكبرى ١: ٣١ من حديث إخباره عمر وعثمان: بأنَّهما مذكوران بالخلافة في التوراة، وفيها أنَّ عثمان يُقتل مظلوماً، ومع هذه كلّها لم يُعلم صدور هذه البشارة منه في أيَّام إسلامه ولعلَّه كان قبله فلا يُقبل قوله لا يصدِّق في حديثه. على أنَّ الأحلام إن صحَّت وصدقت فلمْ لم يحدث أبو بكر أحداً من الصحابة

١ - تهذيب التهذيب ٨ ص ٤٣٩، الاصابة ٣ ص ٣١٦.

٢ - الاصابة: ٣: ٣١٦.

٣ - الاصابة ٣: ٣١٦.

٤ - راجع الاصابة، اسد الغابة، تهذيب التهذيب.

بما أخبره « بحيرا » من البشارة في نفسه من أنه يكون وزيراً وخليفة لرسول الله ﷺ حتى يدور حديثه في دور النبي ﷺ على ألسنتهم، وتحت إليه أفؤدتهم، وتزهر بمذاكرته أنديتهم؟ وأأنه حدث بها لكن الصحابة ضربوا عنها صفحاً فلم تنه إلى المحدثين، ولا انتهت إلى أحد من أرباب الصحاح والمسانيد حتى انتهت النوبة إلى الغلاة في الفضائل من المتأخرين فأرسلوها إرسال المسلم تجاه الحقائق الراهنة.

ولو كان أبو بكر أول من أسلم بتلكم التقارب فأين كان هو إلى منتهى سبع سنين من البعثة التي يقول رسول الله ﷺ فيها: لقد صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين لأننا كنا نصلي وليس معنا أحد يصلي غيرنا؟^(١). وفي أولية أمير المؤمنين في الإسلام أحاديث صحيحة عنه ﷺ وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قدمنها في الجزء الثالث، وأسلفنا هناك ما يربو على ستين حديثاً من الصحابة والتابعين في أن علياً أول الناس إسلاماً وأول من صلى وآمن من ذكر. وقد مرت هناك صحيحة الطبري أن أبا بكر أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً، ولو كان أبو بكر أول من أسلم وقد آمن به ﷺ قبل ولادة علي عليه السلام فأين كان هو يوم قال العباس لعبد الله بن مسعود: ما على وجه الأرض أحد يعبد الله بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة: محمد وعلي وخديجة؟ (تاريخ ابن عساكر ١: ٣١٨).

فلا يحق أنئذ لأي مغال في الفضائل أن يدع تلكم الصحاح عن النبي الأعظم ووصيه الأقدس والصحابة الأولين والتابعين لهم باحسان، ويأخذ تجاهها برواية كعب، وإن هو إلا كعب ليس إلا، ولا يثبت الحق بالكعاب. ليس بأمانيتكم ولا أمانيت أهل الكتاب، ولا تتبع أهوائهم واحذرهم أن يفتنوك.

- ١٣ -

أبو بكر أسن أصحاب النبي

أخرج ابن سعد والبرار بسند حسن عن أنس قال: كان أسن أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق وسهيل بن عمرو بن بيضاء.

وأخرجه أبو عمر في الاستيعاب ١ ص ٥٧٦، وابن الأثير في اسد الغابة ٢ ص ٣٧٠

١ - راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٢٢٠ - ٢٢٤ ط ٢.

وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ ص ٦٠ فقال: رواه البزار واسناده حسن، و رواه ابن حجر في الإصابة ٢ ص ٨٥. وفيه: سهل بدل سهيل وهو أخوه. أو هو هو. والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٧٣ نقلاً عن ابن سعد والبزار.

قال الأُميَني: كُنَّا نعتقد أنَّ المغالاة يمكن أن تقع في النفسيات التي لا تدرك بالحواس الظاهرة كالعلم والتقوى وأمثالهما، وأمَّا الغلوُّ في المشهودات فلم يدع المنطق له مساعاً فسرعان ما يظهر فيه كذب الغالي، ويفتضح به المائن حتَّى أوقفنا السير على أمثال هذه الأقاويل، فرأينا الرجل يقول بملاً فيه: إنَّ أبا بكر أسنُّ أصحاب النبي ﷺ و هو يجد في معاجم الصحابة كثيرين هم أسنُّ منه بكثير وإليك أسماء أُمَّة منهم:

١ - أمانة بن قيس بن شيبان الكندي. أسلم وقد عاش دهرًا، ويقال: أنَّه عاش ثلاثمائة وعشرين سنة كما في الإصابة ٦٣: ١.

٢ - أمد بن أمد الحضرمي. أدرك هاشم بن عبد مناف وأُمَيَّة بن عبد شمس و يقال: إنَّه كان في عهد معاوية له ثلاثمائة سنة. صب ١: ٦٣.

٣ - أنس بن مدرك أبو سفيان الخثعمي. قتل مع عليٍّ كان سيِّد خثعم في الجاهليَّة عاش مائة وأربعاً وخمسين سنة. صب ٧٣: ١.

٤ - أوس بن حارثة الطائي والد خرام صاحب رسول الله ﷺ عاش مائتي سنة، وأكثر هذه المدَّة من أيَّام الجاهليَّة. صب ١: ٨٢.

٥ - ثور - ثوب - بن تلدة. أنشد له الكلبي:

وإن امرأ قد عاش تسعين حجَّة إلى مائتين كلَّما هو ذاهبُ

قال: ولا أدري ما عاش بعد ما أنشد هذا لمعاوية. وقد يقال. إنَّه كان له يوم بدر عشرون ومائة عاماً. صب ١: ٢٠٥.

٦ - الجعد بن قيس المرادي. أسلم، وكان قد بلغ مائة سنة. صب ١: ٢٣٥.

٧ - حسان بن ثابت الأنصاري. عاش في الجاهليَّة سيِّين وفي الإسلام سيِّين عاماً. صب ١: ٣٢٦.

٨ - حكيم بن حرام الأسدي ابن أخي خديجة زوج النبي ﷺ ولد قبل عام الفيل بثلاثة وعشرين سنة، وتوفي وهو

ابن عشرين ومائة سنة. صب ١: ٣٤٩.

- ٩ - حمزة بن عبد المطلب عم النبي الأعظم ولد قبله ﷺ بستين أو بأربع صب ١ : ٣٥٣.
- ١٠ - حنيفة بن جبير بن بكر التميمي. أدرك أحفاده النبي ﷺ ولهم صحبة وكانوا يوم ذاك ذا لحى كما في الإصابة ١ : ٣٥٩.
- ١١ - حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس العامري المتوفى سنة ٥٤ له مائة و عشرين عاماً. صب ١ : ٣٦٤.
- ١٢ - حيدة بن معاوية العامري. مات وهو عم ألف رجل وامرأة وأدرك عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ وكان بالغاً مبلغ الرجال. صب ١ : ٣٦٥.
- ١٣ - خنابة بن كعب العبسي. كان له على عهد معاوية بن أبي سفيان مائة و أربعون سنة وله قوله في الإصابة ١ : ٤٦٣.
- حويت من الغايات تسعين حجّة وخمسين حتى قيل: أنت المقزّع
- ١٤ - خويلد بن مرة الهذلي أبو خراش، أدرك الاسلام شيخاً كبيراً. صب ١ : ٤٦٥.
- ١٥ - ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم أبو أروى الهاشمي. كان أسنّ من عمه العباس الآتي ذكره. صب ١ : ٥٠٦.
- ١٦ - سعيد بن يربوع القرشي المخزومي المتوفى ٥٤ وله ١٢٠ / ٢٤ عاماً. صب ٢ : ٥٢.
- ١٧ - سلمة السلمى، أقبل إلى النبي ﷺ وأسلم وهو شيخ كبير.
- ١٨ - سلمان أبو عبد الله الفارسي مات سنة ٣٢ / ٣ / ٦ روى أبو الشيخ عن العباس بن يزيد أنّه قال: أهل العلم يقولون: عاش سلمان ثلثمائة وخمسين سنة، فأما مائتان وخمسون فلا يشكون فيها. صب ٢ : ٦٢.
- ١٩ - ابو سفيان القرشي الأموي. كان أسنّ من أبي بكر باثني عشر عاماً وعدّة أشهر. صب ٢ : ١٧٩.
- ٢٠ - صرمة بن أنس أبو قيس الأوسي. أدرك الإسلام فأسلم وهو شيخ كبير عاش نحواً من مائة وعشرين عاماً وهو القائل كما في الإصابة ٢ : ١٨٣.
- بدا لي أيّ عشت تسعين حجّة وعشراً وما بعدها لي ثمانيا

فلم ألفها لمّا مضت وعدتها يحسبها في الدهر إلّا لياليها

- ٢١ - صرمة بن مالك الأنصاري، أدرك الاسلام فأسلم وهو شيخ كبير. صب ٢ : ١٨٣.
- ٢٢ - طارق بن المرقع الكنايني، كان في حجة الوداع شيخاً كبيراً. صب ٢ : ٢٢١.
- ٢٣ - الطفيل بن زيد الحارثي، هو الذي أخبر عمر بأمر رسول الله ﷺ في الجاهلية، وكان يوم ذاك قد أتت عليه مائة وستون سنة. صب ٢ : ٢٢٤.
- ٢٤ - عاصم بن عديّ العجلاني توفّي سنة خمس وأربعين وله مائة وعشرون سنة. صب ٢ : ٢٤٦.
- ٢٥ - العباس بن عبد المطلب عمّ النبيّ الأعظم، ولد قبل رسول الله بسنتين أو ثلاث صب ٢ : ٢٧١.
- ٢٦ - عبد الله بن الحارث بن أمية، أدرك الاسلام وهو شيخ كبير. صب ٢ : ٢٩١.
- ٢٧ - عدي بن حاتم الطائي، مات بعد السّتين وبلغ مائة وثمانين كما قاله أبو حاتم السجستاني، أو مائة وعشرين كما في قول خليفة. صب ٢ : ٤٦٨.
- ٢٨ - عدي بن وداع الدوسي، من رجال الجاهلية أدرك الاسلام فأسلم وغزا وتوفّي وله ثلاثمائة سنة. صب ٢ : ٤٧٢.
- ٢٩ - عمرو بن المسيّح (١) الطائي، مات وله مائة وخمسون عاماً. قال ابن قتيبة: لست أدري أقبض قبل وفاة النبيّ أم بعده. صب ٣ : ١٦.
- ٣٠ - فضالة بن زيد العدواني، سأله معاوية: كم أتت لك يا فضالة؟ قال: عشرون ومائة سنة. صب ٣ : ٢١٤.
- ٣١ - قباث بن أشيم، سأله عثمان بن عفان: أنت أكبر أم رسول الله؟ فقال رسول الله أكبر مني وأنا أسنُّ منه. صب ٣ : ٢٢١.
- ٣٢ - قردة بن نفاثة السلولي، أدرك الاسلام وهو شيخ كبير وعاش ومائة وخمسين
-
- ١ - بضم الميم وفتح المهملة وتشديد الموحدة كما في الإصابة ٣ : ١٦، وفي المعارف لابن قتيبة ١٣٦ : المسيح.

سنة وله كما في الاصابة ٣: ٢٣١ من أبيات:

بان الشباب فلم أحفل به بالا وأقبل الشيب والإسلام إقبالا

٣٣ - لبید بن ربیعۃ بن عامر الکلابی الجعفری، توفي سنة ٤١ وهو ابن مائة و أربعين أو مائة وسبع وخمسين سنة أو مائة وستين سنة. صب ٣: ٣٢٦.

٣٤ - اللجاج الغطفاني، وفد إلى النبي ﷺ وهو ابن سبعين وعاش ومائة وعشرين سنة. صب ٣: ٣٢٨.

٣٥ - المستوعز بن ربیعۃ بن کعب، كان من فرسان العرب في الجاهليّة عاش إلى أيام معاوية وكان له ٣٢٠ / ٣٠ سنة. صب ٣: ٤٩٢.

٣٦ - معاوية بن ثور البكائي، أسلم بيد النبي وهو شيخ كبير صب ١: ١٥٦. وفي بعض المعاجم كان ابن مائة سنة.

٣٧ - منقذ بن عمرو الأنصاري، كان قد أتى عليه مائة وثلاثون في حياة رسول الله ﷺ كما في أسد الغابة.

٣٨ - النابغة الجعدي، عاش في الجاهليّة مائتي سنة، ومات وهو ابن ٢٢٥ / ٣٠. عاماً وهو القائل كما في الاصابة ٣: ٥٣٨:

ألا زعمت بنو أسد بأبي
فمن يك سائلاً عني؟ فإني
أتت مائة لعام ولدت فيه
وقد أبقت صروف الدهر مي
وقال أبو حاتم: عاش مائتي سنة وهو القائل:

قال: أمانة كم عمرت زمانه
ولقد شهدت عكاظ قبل محلها
والمنذر بن محرق في ملكه
وعمرت حتى جاء أحمد بالهدى
ولبست في الاسلام ثوباً واسعاً
أبو ولد كبير السن فإني؟
من الفتية ان أيام الختان
وعشر بعد ذاك وجت ان
كما أبقت من السيف اليماني
وذبحت من عنز على الأوثان؟
فيها وكنت أعد من الفتية ان
وشهدت يوم هجائن النعمان
وقوارع تُلَى من القرآن
من سيب لا حرم ولا مئان

٣٩ - نوفل بن الحرث بن عبد المطلب الهاشمي ابن عم النبي الطاهر. كان أسن من

أسلم من بني هاشم حتى من عمّيه حمزة والعبّاس المذكورين صب ٣ : ٥٧٧.

٤٠ - نوفل بن معاوية بن عروة الدثلي، كان ممّن عاش في الجاهليّة ستّين وفي الإسلام ستّين سنة. صب ٣ : ٥٧٨.

وقبل هؤلاء كلّهم أبو قحافة والد الخليفة فأنّه كان أبكر سنّاً من الخليفة لا محالة إن لم تُصغّر المعاجز من إبنه كما صغّرت رسول الله ﷺ وجعله غلاماً وشابّاً لا يُعرف بين يدي أبي بكر وهو أكر منه.

راجع في تراجم هؤلاء المذكورين المعارف لابن قتيبة، معجم الشعراء للمرزباني، الاستيعاب لأبي عمر، أسد الغابة لابن الأثير، تاريخ ابن كثير، الاصابة لابن حجر، مرآة الجنان لليافعي، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي. ونحن إقتصرنا منها بذكر الاصابة مرموزاً ب (صب) روماً للاختصار.

هؤلاء جملة ممّن وقفنا على أسمائهم ممّن أربوا على أبي بكر في السّرّ من الصحابة الأوّلين، وهب أنّا غضضنا الطرف عن كلّ ذلك فهلاًّ نسائل القوم عن وجه الفضيلة في كبر السّرّ؟ أو ليس في الأمم والأجيال من طعنوا في السّرّ فبلغوا من العمر عتياً، وفيهم الحالي بالفضائل والعاطل عنها، وإذا مُدح أحدهم فأنّها يمدح بماثره لا بطول عمره، ومهما طال عمر الخليفة فإنّ أكثره إنقضى في الجاهليّة، بُعث النبي ﷺ للخليفة ثمان وثلاثون سنة وقد مرّ في الجزء الثالث ص ٢٢٠ أنّه ﷺ صلّى سبع سنين ولم يصلّ معه غير عليّ أمير المؤمنين. إذن فلاّبي بكر عند إسلامه خمس وأربعون عاماً و توفيّ وهو ابن ثلاث وستّين، فقد اشغل في الاسلام ثمان عشرة سنة، وهذه المدّة الأخيرة هي التي يمكن أن تزدان بشيء من المناقب فهل ازدانت أو لا؟

وفي الغابة أحسب أنّه ليس للقوم غاية يعتدّ بها في كبر السّرّ والاهتمام بذلك غير أنّهم جعلوا الحجر الأساسي للخلافة الراشدة أشياء منها: أنّ أبا بكر قدّم على أمير المؤمنين لأنّه شيخٌ محنك لا ترة لأحد عنده فيُبغض، وعلى هذا الأساس جعلوه تارة أكبر سنّاً من النبي ﷺ وقد عرفت حاله في صفحة ٢٧٠ وأخرى أنّه كان شيخاً يُعرف والنبيّ شابّاً لا يُعرف، وأوقفناك على حقيقة الحال في ص ٢٥٧. وآونة أنّه أسنّ الصحابة ليحسموا مادّة النقص بشيوخ في الصحابة كلّهم أكبر من الامام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام

وفيههم رؤساء وأعاضم، وما عرفوا أنَّ المستقبل الكشَّاف سيوقف الباحثين على أناس هم أكبر من الرجل سنّاً، وأوفر علماً، وأبلغ حُكْمةً، وأقدم شرفاً، وأسبق إسلاماً.

- ١٤ -

أبو بكر في كَفَّة الميزان

أخرج الخطيب في تاريخه ١٤ ص ٧٨ من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل عن الهذيل عن مطروح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن عليّ بن زيد ^(١) عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي امامة: قال: قال رسول الله ﷺ دخلت الجنة فسمعت فيها خشفة بين يديّ.

فقلت: ما هذا؟ قال بلال: فمضيت فإذا أكثر أهل الجنة فقراء المهاجرين وذريّة المسلمين ولم أر فيها أحداً أقلّ من الاغنياء والنساء « إلى أن قال »: ثمّ خرجنا من أحد أبواب الجنة الثانية فلمّا كنت عند الباب أتيت بكفّة فوضعت فيها ووضعت أمّتي في كفّة فرجحت بها، ثمّ أتى بأبي بكر فوضع في كفّة وجيء بجميع أمّتي فوضعوا في كفّة فرجع أبو بكر، ثمّ أتى بعمر فوضع في كفّة وجيء بجميع أمّتي فوضعوا فرجح عمر، ثمّ رُفِع الميزان إلى السماء. وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الاصول ص ٢٨٨.

(رجال الرواية)

١ - مطروح بن يزيد الكوفي قال الدوري عن ابن معين: ليس بشيء وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث وقال أبو حاتم: ليس بالقويّ ضعيف الحديث يروي أحاديث عن ابن زحر عليّ بن يزيد فلا أدري البلاء منه أو من عليّ بن يزيد. وقال الآجري عن أبي داود: زعموا أنَّ البليّة من قِبَل عليّ بن يزيد: وقال النسائي: ضعيفٌ ليس بشيء وقال ابن عدي: يجانب روايته عن ابن زحر والضعف على حديثه بيّن.

ميزان الاعتدال ٣: ١٧٤، تهذيب التهذيب ١٠ ص ١٧١.

٢ - عبيد الله بن زحر الأفرقي، مجعّ على ضعفه كما في الميزان. ضعفه أحمد: وقال ابن معين: ليس بشيء كلّ حديثه عندي ضعيفٌ. وقال ابن المديني: منكر الحديث. وقال الحاكم: لَيْسَ الحديث. وقال ابن عدي: يقع في أحاديثه ما لا يتابع عليه. وقال أبو مسهر: صاحب كل معضلة. وقال الدارقطني: ضعيفٌ، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن

١ - كذا والصحيح: يزيد.

الاثبات. فاذا روى عن علي بن يزيد بن أتي بالطامات وإذا إجتمع في إسناد خبر عبد الله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم بن عبد الرحمن لم يكن متن ذلك الخبر إلا ما عملته أيديهم^(١).

قال الأميني: هذه الرواية مما اجتمع فيه هؤلاء الثلاثة فهو مما عملته أيديهم.

٣ - علي بن يزيد الألهاني. قال ابن معين: علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة ضعاف كلها. وقال يعقوب: واهي الحديث كثير المنكرات. وقال الجوزجاني: رأيت غير واحد من الأئمة ينكر أحاديثه التي يرويها عنه عبيد الله بن زحر. وقال أبو زرعة: ليس بالقوي وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث أحاديثه منكروة، وقال البخاري: منكر الحديث ضعيف. وقال النسائي: ليس بثقة متروك الحديث. وقال الأزدي والدارقطني والبرقي: متروك. وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث. وقال الساجي: إتفق أهل العلم على ضعفه. وقال أبو نعيم: منكر الحديث. وقال ابن حجر: متهم.

ميزان الاعتدال ٢: ٢٤٠: تهذيب التهذيب ٧ ص ١٣، ٣٩٦.

٤ - القاسم بن عبد الرحمن الشامي. قال أحمد: هذه المناكير التي يرويها عنه جعفر وبشر ومطرح مناكير مما يرويها الثقات اتها من قبل القاسم. وقال الأثرم: حملها أحمد على القاسم. وقال: ما أرى هذا إلا من قبل القاسم. وقال الحراني: قال أحمد: ما أرى البلاء إلا من القاسم. وقال الغلابي منكر الحديث. وقال ابن حبان: يروي عن الصحابة المعضلات. ميزان الاعتدال ٢: ٣٤، تهذيب التهذيب ٨ ص ٣٢٣.

وهذا الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ٥٩ فقال: رواه أحمد و الطبراني وفيهما: مطرح بن زياد وعلي بن يزيد الألهاني وكلاهما مجمع على ضعفه.

قال الأميني: هذا شأن الرواية سنداً ورجاله كما ترى، واستدل الهيثمي على ضعفه بما في متنه راجع مجمع الزوائد ٩ ص ٥٩.

- ١٥ -

توسل الشمس بأبي بكر

قال النبي ﷺ: غرض علي كل شيء ليلة المعراج حتى الشمس فإني سلّمت عليها وسألتها عن كسوفها فأنطقها الله تعالى وقالت: لقد جعلني الله تعالى على عجلة

١ - تهذيب التهذيب ٧ - ١٣.

تجري حيث يريد فأنظر إلى نفسي بعين العجب فنزل بي العجلة فأوقع في البحر فأرى شخصين أحدهما يقول: أحد أحد. والآخر يقول: صدق صدق. فأتوسلّ بهما إلى الله تعالى فينقذني من الكسوف، فأقول: يا ربّ من هما؟ فيقول: الذي يقول: أحد أحد هو حبيبي محمد ﷺ. والذي يقول: صدق صدق هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

« نزهة المجالس ٢ ص ١٨٤ ».

أنا لا أحكم في هذه الرواية إلا علماء علم الفلك سواء في ذلك القدماء منهم والمحدثون. وقد تكلمنا في صحيفة ٢٣٨ عن العجلة التي حملت الشمس وبخشنا عنها بحثاً ضافياً، وليت الهيتيين درسوا هذه الرواية فأخذوا عنها علماً غزيراً، وعرفوا أنّ الكسوف يكون بغمس الشمس في البحر عقوبة على نظرها إلى نفسها بعين العجب وإنّ إنجلائها يتم بالتوسلّ، ولعلّ المستقبل الكشاف يأتي بمن يُعلم الأُمَّة بسرّ خسوف القمر وتتأتّى به للمجالس نزهة بعد نزهة. وهنا أسؤلة جمّة:

- ١ - ليس الكسوف يخصّ بهذه الأُمَّة فحسب، ولا بأيّام حياة أبي بكر خاصّة، فمن ذا الذي كان يقول: صدق صدق. قبل ميلاد أبي بكر؟ ومن ذا الذي يقولها بعد وفاته؟ وبمن كانت الشمس تتوسلّ قبل ذلك؟ وبمن تتوسلّ به بعده؟.
- ٢ - أين كان يقول أبو بكر: صدق صدق؟ أيقولها وهو في محلة بمرأى من الناس ومسمع فيسمعها الشمس بالاعجاز؟ أو كان يحضر على ذلك البحر الذي لم يحدّد بأيّ ساحل فيغيب عن الناس وتطوى له المسافة بخرق العادات؟ فلم لم يُحدّث عنه ذلك ولو مرّة واحدة؟ أو أنّه يذهب هو ويدع قلبه المثالي بين الناس فيحسبونه هو هو؟ أو أنّه يثبت في مكانه فيرسل قلبه ذلك فتحسبه الشمس أنّه هو؟
- ٣ - هب أنّ الشمس تحمل حياةً روحيةً فهل تحمل معها نفساً أمّارة بالسوء بها تعجب بنفسها؟ أنا لا أدري. وعلى فرض ثبوت النفس الأمّارة فما بالها تدأب على المعصية وهي ترى استمرار العقوبة مع كلّ عصيان؟ فهل هي تتوب بعد كلّ معصية ثمّ تعود إليها بنسيان العقاب أو غلبة الشهوة؟ ومن المعلوم أنّ الكسوف لم ينقطع ليلة المعراج فهو من الكائنات المتجدّدة إلى انقراض العالم فكأنّ الشمس حينئذ كانت

تخبر رسول الله ﷺ بتصميمها على الاستمرار على المعصية منذ كل كسوف فمتى تتوب هذه العاصية الشاعرة؟ أنا لا أدري. وفي ذمة الصفوري صاحب الكتاب الخروج عن عهدة هذه الأسئلة. فهل يخرج؟ أنا لا أدري، وهذا أيضاً من الغلو في الفضائل والحب المعمي والمصم.

- ١٤ -

كلبة من الجن مأمورة

عن أنس بن مالك قال. كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ أقبل إليه رجل من أصحابه وساقاه تشخبان دماً فقال النبي ﷺ! ما هذا؟ قال: يا رسول الله! مررت بكلبة فلان المنافق فنهشتني. فقال ﷺ: اجلس فجلس بين يدي النبي ﷺ، فلما كان بعد ذلك بساعة إذ أقبل إليه رجل آخر من أصحابه وساقاه تشخبان دماً مثل الأول فقال النبي ﷺ: ما هذا؟ فقال: يا رسول الله! إني مررت بكلبة فلان المنافق فنهشتني قال: فنهض النبي ﷺ: وقال لأصحابه: هلموا بنا إلى هذه الكلبة نقتلها فقاموا كلهم وحمل كل واحد منهم سيفه فلما أتوها وأرادوا أن يضربوها بالسيف وقعت الكلبة بين يدي رسول الله ﷺ وقالت بلسان طلق ذلق: لا تقتلني يا رسول الله! فإني مؤمنة بالله ورسوله فقال: ما بالك نخشت هذين الرجلين؟ فقالت: يا رسول الله! إني كلبة من الجن مأمورة أن أخش من سب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. فقال النبي ﷺ: يا هذين! أما سمعتما ما تقول الكلبة؟ قالوا: نعم يا رسول الله! إنا تابان إلى الله عز وجل « عمدة التحقيق للعبدي المالكي ص ١٠٥ ».

قال الأميني: ما أعظم شأن هذه الكلبة وأثبتها في ميدان البسالة حتى استدعى أمرها أن يتجهز لحربها النبي ﷺ ويحمل عليها أصحابه شاهرين السيوف؟ فهل هي كلبة أو أسد ضار؟ أو عفرني باسل؟ أو حشد همام؟ وأحسب أن الذين نهشتها كانا من هيابة الصحابة فإن شجعانهم ما كانوا يبالون بالضراغم فضلاً عن الكلاب. وأين كانت هذه الكلبة عمّن كان ينال من أبي بكر غير الرجلين في ذلك العهد و بعد العهد النبوي وهلم جرا؟ فلم تُشهد لها نخشة، ولا سمع لها عواء، فليتهياً صاحب عمدة التحقيق لتحليل هذه المسائل وذلك بعد الغض عن إسناده الموهوم.

ثمَّ ما أحرص ألسنة أولئك الصحابة الحضور يوم أطلق الله لسان تلك الكلبة الطلقة الذلقة عن بئ هذه الفضيلة الراحلة؟ ومثلها تتوفّر الدواعي لنقلها، وما أذهل الحقاظ وأئمة الحديث وأرباب السير عن روايتها؟ فلا يجدها الباحث في المسانيد والصحاح والفضائل ومعاجم السير وأعلام النبوة ودلائلها إلى أن بشر بها العبيدي آل الصديق بعد لأي من عمر الدهر وقذف بهذه الأكذوبة أنس بن مالك.

أهكذا تكون المغالاة في الفضائل؟.. لعلها تكون.

نعم لله كلابٌ مفترسة وأسوّد ضارية سلّطها الله على أعدائه بدعاء نبيّه الأعظم أو أحد من أولاده الصّادقين صلوات الله عليه وعليهم، منها: كلبٌ سلّطه الله على هب بن أبي هب بدعاء النبيّ الأقدس كما مرّ في الجزء الأوّل ص ٢٦١ ط ٢. ومنها، كلب. أخذ برأس عتبة بدعاء رسول الله ﷺ كما مرّ في ج ١ ص ٢٦١ ط ٢ قال الحلبي في السيرة النبويّة ١ ص ٣١٠: ووقع مثل ذلك لجعفر الصّادق قيل له: هذا فلان ينشد الناس هجاءكم يعني أهل البيت بالكوفة فقال لذلك القائل: هل علقت من قوله بشيء! قال: نعم. قال: فأنشد. فأنشد:

صلبنا لكم زيّداً على جذع نخلة ولم أر مهديّاً على الجذع يصلب
وقسّم بعثمان عليّاً سفاهة وعثمان خيرٌ من عليّ وأطيب

فعند ذلك رفع جعفر يديه وقال: أللّهم إن كان كاذباً فسلب عليه كلباً من كلابك فخرج ذلك الرجل فافترسه الأسد. وإثماً سميّ الأسد كلباً لأنّه يشبه الكلب في أنّه إذا بال رفع رجله.

قال الأميني: الشاعر المفترس هو الحكيم الأعور أحد الشعراء المنقطعين إلى بني أميّة بدمشق وقصّته هذه من المتسالم عليه غير أنّ في معجم الادباء كما مرّ في الجزء الثاني ص ١٩٧ ط ٢ من كتابنا هذا أنّ الداعي على الرّجل هو عبد الله بن جعفر. وأحسبه تصحيف أبي عبد الله جعفر، فعلى كلّ قد وقع من أهله في محله.

- ١٧ -

هبة أبي بكر الحبيّ

عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال عليّ رضي الله عنه: كنت جالساً مع رسول

الله ﷺ وليس معنا ثالثٌ إلا الله عزَّ وجلَّ فقال: يا عليُّ تريد أن أعْرِفَكَ بسَيِّدِ كهول أهل الجنَّة وأعظمهم عند الله قدراً ومنزلة يوم القيامة؟ فقلت: أي وعيشك يا رسول الله! قال: هذان المقبلان. قال عليُّ: فالتفتُ فإذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. ثم رأيت رسول الله ﷺ تبسَّم ثم قطب وجهه حتَّى ولجا المسجد فقال أبو بكر: يا رسول الله! لما قرنا من دار أبي حنيفة تبسَّمت لنا ثم قطبت وجهك فلم ذلك يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: لما صرنا لجانِب دار أبي حنيفة عارضكما إبليس ونظر في وجوهكما ثم رفع يديه إلى السَّماء أسمعُه وأراه وأنتما لا تسمعانه ولا تريانه وهو يدعو ويقول: أَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ أَنْ لَا تَعَذِّبَنِي بِعَذَابِ بَاغِضِي هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ.

قال أبو بكر: وَمَنْ هو الذي ييغضنا يا رسول الله! وقد آمنا بك وآزرنك وأقرنا بما جئت به من عند ربِّ العالمين؟ قال: نعم يا أبا بكر! قَوْمٌ يظهرون في آخر الزمان يقال لهم: الرافضة يرفضون الحقَّ، ويتأولون القرآن على غير صحَّته وقد ذكرهم الله عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز وهو قوله: يَحْرِفُونَ الكلم عن مواضعه (١) فقال: يا رسول الله! فما جزء من ييغضنا عند الله؟ قال يا أبا بكر! حسبك أن إبليس لعنه الله تعالى يستجير بالله تعالى أن لا يعذِّبه بعذاب باغضيكما. قال: يا رسول الله! هذا جزء من قد أبغض فما جزء من قد أحب؟ فقال رسول الله ﷺ: أن تهديا له هديَّة من أعمالكما. فقال: أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله أشهد الله وملائكته إنِّي قد وهبت لهم ربع أجري - أي عملي - منذ آمنت بالله إلى أن نلقاه. فقال عمر رضي الله عنه: وأنا مثل ذلك يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: فضعَا خطَّكما بذلك. قال عليُّ كرَّم الله وجهه: فأخذ أبو بكر زجاجة وقال له رسول الله ﷺ اكتب. فكتب:

بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يقول عبد الله عتيق بن أبي قحافة: إنِّي قد أشهدت الله ورسوله ومن حضر من المسلمين إنِّي قد وهبت ربع عملي لمحبي في دار الدنيا منذ آمنت بالله إلى أن ألقاه، وبذلك وضعت خطِّي.

قال: وأخذ عمر وكتب مثل ذلك فلمَّا فرغ القلم من الكتابة هبط الأمين جبريل عليه السلام وقال: يا رسول الله! الربُّ يقرئك السَّلَام ويخصُّك بالتحية والإكرام ويقول لك:

١ - سورة النساء آية: ٤٦. وسورة المائدة آية: ١٣.

هات ما كتبه صاحبك. فقال رسول الله ﷺ: هذا هو. فأخذه جبريل وعرج به إلى السماء ثم إنَّه عاد إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: أين ما أخذت يا جبريل مَيِّ؟ قال: هو عند الله تعالى وقد شهد الله فيه، وأشهد حملة العرش وأنا وميكائيل وإسرافيل وقال الله تعالى: هو عندي حتَّى يفي أبو بكر وعمر بما قالوا يوم القيامة.

عمدة التحقيق للعبدي المالكي ص ١٠٥ - ١٠٧.

قال الأميني: أنا لا أحاول إطناباً في تفنيد هذه الرواية الشبيهة بأساطير القصّاصين أو الروايات الخياليّة، فإنَّ كلّ فصل منها شاهد صدق على عدم صحّتها.

أنا لا أخذش في كهولة الشيخين بما مرَّ في الجزء الخامس ص ٣١٣ ط ٢ من القول المعزّو إلى رسول الله ﷺ: يا عليُّ أتحبُّ هذه الشيخين؟. ولا بما مرَّ في هذا الجزء ص ٢٤١ من أنَّ أبا بكر له شبيهة في الجنّة وليس لأحد حية هناك إلّا هو وإبراهيم الخليل ولا بما مرَّ ص ٢٤١ من أنَّ رسول الله كان يقبل شبيهة أبي بكر. ولا بما مرَّ في صفحة ٢٥٧ من أنَّ أبا بكر كان يوم هجرة النبيِّ ﷺ إلى المدينة شيخاً والنبيُّ شاباً. ولا بما مرَّ في ص ٢٧٠ من أنَّ أبا بكر كان أكبر من النبيِّ. ولا بما مرَّ في ص ٢٨٠ من أنَّه كان أسنَّ أصحاب النبيِّ.

ولا أتكلّم في عذاب باغضي أبي بكر وعمر وأنَّه ما الذي أربى به على عذاب من تكبّر وتجرّ تجاه المولى سبحانه وعانده وخالف أمره وهو من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم يغوي عباد الله ويضلّهم عن سبيل الحقِّ؟.

ولا أناقش في أنَّ إبليس كيف كان يصحُّ له أن يتعوّذ بالله من عذاب باغضيهما؟ أكان يحبّهما فلماذا هو؟ أو كان يبغضهما كما يبغض كلّ مؤمن بالله؟ فالدعاء لماذا؟ وما ذا ينتج له وهو يعلم عذاب مبغضيهما وهو يبغضهما ولا يزال يغري الناس ببغضهما؟.

ولا أمدُّ يراعي إلى الزجاجة المكتوبة فيها تلك الهبة الموهومة لئلاّ تنكسر فتحرم الأمة المرحومة من تلك البضاعة الغالية. ولا أسائل رواة هذه المهزأة عن تلك الشهادات من الله إلى حملة عرشه إلى أمين وحيه إلى ميكائيل وإسرافيل. لماذا هي كلّها؟ وما الذي أحوج المولى سبحانه إلى ذلك الاهتمام البالغ في استحكام ذلك الصلِّ؟ وما الذي أهمَّ إخاره عند الله حتى يفي أبو بكر و

عمر بما قالوا يوم القيامة؟

ولا أقول لماذا تركت الأئمة وحفاظ الحديث هذه الفضيلة العظيمة إلى قرن العبيدي المالكي - القرن الحادي عشر -
وفيها بشارة كبيرة لمحبي الشيخين وإرشاد للأمة إلى ما فيه نجاحهم ونجاحهم المثوبة الجزيلة بجزء ربعي أعمالهما؟ ولماذا شح
اولئك الحفظة على الأمة وسمع العبيدي؟

ولكن هلمّ معي إلى مفاد الآية الكريمة فهي في موضعين من القرآن الكريم:

١ - من الذين هادوا يجرّفون الكلم عن مواضعه، ويقولون سمعنا وعصينا سورة النساء آية ٤٦.

٢ - ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمتُم الصلاة وآتيتُم الزكاة
وآمنتم برسلي وعزّرتُمه وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفّرَنَّ عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنّات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر
بعد ذلك منكم فقد ضلّ سواء السبيل، فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يجرّفون الكلم عن مواضعه، ونسوا
حظاً ممّا ذكروا به. سورة المائدة ١٢، ١٣.

ألا تعجب من تحريف الكلم باسناد ما ناء به اليهود وبنو إسرائيل بنص القرآن الحكيم إلى قوم لم يأتوا بعد وسيضمنهم
الزمان في أخرياتهم؟ حاشا رسول الله ﷺ أن يقول ذلك، ولكنّها ورطات القالة، وأهواء وشهوات، حبّدت الوقعة في قوم
مؤمنين إتبعوا النبيّ الأمين، وهُدوا إلى الصراط المستقيم، وهُدوا إلى الطيّب من القول، وهُدوا إلى صراط الحميد، ومن يعتصم
بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم.

- ١٨ -

أبو بكر في قاب قوسين

بلغنا أنّ النبيّ ﷺ لمّا كان قاب قوسين أو أدنى أخذته وحشة فسمع في حضرة الله تعالى بصوت أبي بكر رضي الله
عنه فاطمناً قلبه استأنس بصوت صاحبه.

ذكره العبيدي المالكي في عمدة التحقيق ص ١٥٤ فقال: هذه كرامة للصديق إنفرد بها رضي الله تعالى عنه.

قال الأميني: لماذا تلك الوحشة؟ ولماذا ذلك الانس؟ وهو ﷺ في ساحة

القدس الربوبيّ، وكان لا يأنس إلا بالله، وكانت نفسه القدسيّة في كلّ آناته منعطفة إليها فهل هو يستوحش إذا حصل فيها؟ وهي أزلف مباءة إلى المولى سبحانه لا تقلّ غيره. حتّى أنّ جبرئيل الأمين إنكفى^(١) عنها فقال: إن تجاوزت احترقت بالنار. لما جذبه الله تعالى إليها وحفّته قداسة إلهية تركته مستعداً لتلقّي الفيض الأقدس، وهل هناك وحشة لمثله ﷺ يسكنها صوت أبي بكر؟ وهل كانت له ﷺ وهو في مقام الفناء لفتة إلى غيره جلّت عظمته حتّى يأنس بصوته؟ لا ها الله، وما كان قلب النبيّ ﷺ يقلّ غيره سبحانه فهو مستأنس به ومطمأنّ بآلائه، فلا مدخل فيه لأيّ أحد يطمأنّ به، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، ولقد رآه بالأفق المبين، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، أفتمارونه على ما يرى؟ ولقد رآه نزلةً أخرى عند سدرة المنتهى، ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى، ولم تبرح نفسه الكريمة مطمأنّة ببارئها حتّى خوطب بقوله سبحانه: يا أيّها النفس المطمأنّة ارجعي إلى ربّك راضيةً مرضيّةً.

هذا مبلغ الرواية من نفس الأمر لكن الغلوّ في الفضائل آثر أن يعدّوها من فضائل الخليفة وإن كانت مقطوعةً عن الإسناد.

- ١٩ -

الدين وسمعه وبصره

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لقد هممت أن أبعث إلى الآفاق رجالاً يُعلّمون الناس السنن والفرائض كما بعث عيسى بن مريم الحواريّين. قيل له: فأين أنت عن أبي بكر وعمر؟ قال: إنّه لا غني بي عنهما أئهما من الدين كالسمع والبصر.

أخرجه الحاكم في المستدرك ٣ ص ٧٤ فقال: هذا حديث تفرد به حفص بن عمر العدني عن مسعر. وقال الذهبي في تلخيصه: هو واه.

قال الأُميني: قال النسائي: حفص بن عمر ليس بثقة. وقال ابن عدي: عامّة حديثه غير محفوظة. وقال ابن حبّان: كان ممّن يُقلّب الأسانيد لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد.

١ - الكامل ٢: ٢١، السيرة الحلبية ١: ٤٣١.

وقال ابن معين: رجل سوء، ليس بثقة. وقال مالك بن عيسى: ليس بشيء، وقال العقيلي: يحدث بالباطيل، وقال أحمد: كان مع حماد^(١) في تلك البلايا، وقال أبو داود: منكر الحديث، وقال الدارقطني: ضعيف، ليس بقوي، متروك^(٢). هذا على ما فرّق جمع بينه وبين حفص بن عمر بن دينار اليلي وأما إن كان هو هو فقال ابن عدي: أحاديثه كلّها منكورة المتن والسند وهو إلى الضعف أقرب. وقال أبو حاتم: كان شيخاً كذاباً. وقال العقيلي: يحدث عن شعبة ومسعر ومالك بن مغول والأئمة بالبواطيل، وقال الساجي: كان يكذب، وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث^(٣). هذا شأن سند الرواية، وليت شعري أيّ سنة أو فريضة كان يعلمها الرجلان على فرض إرسالهما؟ وبماذا كان يفتيان في الكلالة وإرث الجدّ والجدة والتيمم وشكوك الصلاة إلى مسائل أخرى عرّفناك بعضها في الجزء السادس وجملة منها في هذا الجزء؟ وبماذا كانا يجيبان لو سألنا عن آيات القرآن وهما يتقاعسان عن معرفة بعض ألفاظها الغويّة فكيف بالغوامض والمعضلات؟

ثمّ بماذا كان غناء الرجلين لرسول الله ﷺ؟ وبماذا كانا من الدين كالسمع والبصر؟ أبصولاتهما في الحروب؟ أم بأياديهما في الجدوب؟ أم ببصائرها في الأمور؟ أم بعلمهما الناجع في الكتاب والسنة؟ أم بتوقّف الدعوة عليهما في عاصمة الاسلام؟ أم باناطة تنفيذ الاحكام بهما؟ إقرأ السير ثمّ استحف الخبر.

م - وقد مرّ في ج ٥ ص ٣٢٥ عن المقدسي: إنّ أبا بكر وعمر من الاسلام بمنزلة السمع والبصر من موضوعات الوليد بن الفضل الوضّاع، وذكر أبو عمر في الاستيعاب ١ ص ١٤٦ مرفوعاً لأبي بكر وعمر: هذان منّي بمنزلة السمع والبصر من الرأس وقال: إسناده ضعيف أخبرنا أبو عبد الله يعيش بن سعيد قال: نا أبو بكر بن محمّد بن معاوية: قال جعفر بن محمّد الفريابي: قال عبد السلام بن محمد الحرّاني؟ قال ابن أبي فديك، عن المغيرة بن عبد الرحمن عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه.

١ - أحد الكذّابين الوضّاعين.

٢ - ميزان الاعتدال ١: ٢٦٢، تهذيب التهذيب ٢ ص ٤١٠.

٣ - ميزان الاعتدال ١: ٢٦٣، لسان الميزان ٢ ص ٣٢٤.

عن جدّه أنّ النبيّ.... ليس له غير هذا الاسناد والمغيرة بن عبد الرحمن هذا هو الحزامي ضعيفٌ وليس بالمخزومي الفقيه صاحب الرأي (الخ) وقال في ج ١ ص ٣٤٨: حديث مضطرب الأسناد لا يثبت. وفي الاصابة ٢: ٢٩٩: حديث هذان السمع والبصر. في أبي بكر وعمر قال أبو عمر: حديث مضطرب لا يثبت. أقول في الاسناد المذكور غير واحد من المجاهيل والضعاف ولا ينحصر ضعفه بمكان المغيرة فحسب، وقال فيه ابن معين: إنّه ليس بشيء. وقال النسائي: ليس بالقويّ. تهذيب التهذيب ١٠: ٢٦٦.

- ٢٠ -

أبو بكر ومنزلته عند الله

عن ابن عبّاس قال. كان أبو بكر مع النبيّ ﷺ في الغار فعطش عطشاً شديداً فشكا إلى النبيّ ﷺ فقال له النبيّ ﷺ: إذهب إلى صدر الغار فاشرب. قال أبو بكر: فانطلقت إلى صدر الغار فشربت ماءً أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأذكى رائحة من المسك ثمّ عدت إلى النبيّ ﷺ فقال: شربت؟ قلت: نعم. قال: ألا أبشرك يا أبا بكر؟ قلت: بلى يا رسول الله! قال: إنّ الله تبارك وتعالى أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن اخرق نهرًا من جنة الفردوس إلى صدر الغار ليشرب أبو بكر فقلت: يا رسول الله! ولي عند الله هذه المنزلة؟ فقال النبيّ ﷺ: نعم وأفضل، والذي بعثني بالحقّ نبياً لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان له عمل سبعين نبياً.

الرياض النضرة ١ ص ٧١، مرقاة الوصول ص ١١٤.

قال الأميني: كيف تصحّ هذه الرواية قد ضرب عنها حقاظ الحديث وأئمة التاريخ والسير صفحا؟ مع ما فيها من نبأ عظيم وكرامة هامة وهي بين أيديهم وهم يهتمون بجمع دلائل النبوة ومعاجز الرسالة، فلم تخرج في أصل، ولم تذكر في سيرة، وإنّما ذكرها السيوطي في الخصائص ١ ص ١٨٧ فقال: أخرجه ابن عساكر بسند واهٍ.

ولماذا خصّت روايتها بابن عبّاس وقد ولد في شعب أبي طالب قبل الهجرة بقليل فكان يوم الغار ابن سنة أو سنتين ولم يسندها إلى أحد ولم يكن في الغار غير النبيّ ﷺ وصاحبه؟ فأين روايتهما إياها؟ وأين أولئك الصحابة عنها؟ أيحقّ لحكيم أو حافظ أن

يرسل مثل هذه الواهية إرسال المسلّم في عدّ الفضائل؟

نعم: للقوم في محبة أبي بكر وصاحبه روايات تشبه بالقصص الخيالية نسجتها يد الغلوّ في الفضائل وإليك منها:

١ - عن عبد الله بن عمر مرفوعاً، لَمَّا وُلِدَ أبو بكر في تلك الليلة أَطْلَعَ اللهُ على جَنَّةِ عَدْنٍ فقال: وعَزَّيَّ وجلالي لا أدخلك إلّا من أحبّ هذا المولود.

من موضوعات أحمد بن عصمة النيشابوري كما مرّ في ج ٥ ص ٣٠٠ ط ٢.

٢ - عن أبي هريرة مرفوعاً: إِنَّ في السَّمَاءِ الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله لمن أحبّ أبا بكر وعمر، وفي السَّمَاءِ الثانية ثمانون ألف ملك يلعون من أبغض أبا بكر وعمر.

من طامات أبي سعيد الحسن بن علي البصري كما أسلفنا في ج ٥: ٣٠٠ ط ٢.

٣ - عن أنس إنَّ يهودياً أتى أبا بكر فقال: والذي بعث موسى وكَلِمَةً تكليماً إِيَّيْ لأحبّك فلم يرفع أبو بكر رأسه تهاوناً باليهوديّ فهبط جبرئيل على النبيّ ﷺ وقال: يا مُحَمَّدُ إِنَّ العليّ الأعلى يقرأ عليك السَّلام ويقول لك: قل لليهوديّ: إِنَّ الله قد أحاد عنك النار. الحديث. اقرأ واحكم بعد قرائتك القرآن والتدبّر في الآي النازلة في عذاب الكفّار. من موضوعات أبي سعيد البصري راجع الجزء الخامس ص ٣٠١ ط ٢.

٤ - عن أنس مرفوعاً: إِنَّ الله تعالى في كلّ ليلة جمعة مائة ألف عتيق من النار إلّا رجلين فأتهمّما يدخلان في أمّتي وليس منهنّ، وإنَّ الله لا يعتقهما فيمن عتق منهم مع أهل الكبائر في طبقتهم، مصقّدين مع عبدة الأوثان: مبغضي أبو بكر وعمر، وليس هم داخلين في الإسلام وإنّما هم يهود هذه الأُمّة الخ.

من وضع أبي شاكر مولى المتوكّل كما مرّ في ج ٥ ص ٣٠٣ ط ٢.

٥ - عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: إِنَّ الله أمرني بحبّ أربعة: أبي بكر، وعمر، و عثمان، وعليّ. من بلايا السنجري كما مرّ ج ٥: ٣١٠ ط ٢.

٦ - عن أبي هريرة مرفوعاً قال لعليّ: أتحبّ هذين الشيخين؟ قال: نعم يا رسول الله! قال: أحبّهما تدخل الجنة. من صناعة الاشناني كما مرّ ج ٥: ٣١٣ ط ٢.

٧ - عن جابر مرفوعاً: لا يبغض أبا بكر وعمر مؤمن ولا يحبّهما منافق.

من موضوعات معلّى الطحان راجع ج ٥: ٣٢٣ ط ٢.

٨ - عن أبي هريرة مرفوعاً: هذا جبريل يخبرني عن الله: ما أحبّ أبا بكر و عمر إلّا مؤمن تقيّ، ولا أبغضهما إلّا منافقٌ شقيّ.

من موضوعات ابراهيم الأنصاري كما مرّ ج ٥ ص ٣٢٦ ط ٢.

٩ - عن أبي سعيد مرفوعاً، من أبغض عمر فقد أبغضني راجع ج ٥: ٣٢٩ ط ٢.

١٠ - عن عليّ مرفوعاً قد أخذ الله بكم الميثاق في أمّ الكتاب لا يحبّكم « يعني أبا بكر. وعمر. وعثمان. وعليّ » إلّا مؤمن تقيّ، ولا يبغضكم إلّا منافقٌ شقيّ.

من موضوعات ابراهيم الأنصاري كما مرّ ج ٥: ٣٢٦ ط ٢.

١١ - عن عليّ مرفوعاً في أبي بكر: من أحبّني فليحبّه، ومن أراد كرامتي فليكرمه مرّ في الجزء الخامس ص ٣٥٥ ط ٢.

١٢ - عن أنس مرفوعاً: إنّ لعرش الرّحمن ثلاثمائة وستين قائمة، كلّ قائمة كطباق الدنيا ستّين ألف مرّة، بين كلّ قائمتين ستّون ألف صخرة، كلّ صخرة مثل الدنيا ستّون ألف مرّة، في كلّ صخرة ستّون ألف عالم، كلّ عالم مثل الثقلين ستّون ألف مرّة.

قد ألهمهم الله تعالى الاستغفار لمن يحبّ أبا بكر وعمر، ويلعنون مبغضهما إلى يوم القيامة^(١).

كأنّ لعدد ستّين ألف خاصّة عند واضع هذه الخرافة فجعل سلسلة الأكوان الخياليّة على ذلك العدد، ليست هذه كلّها إلّا حلقة بلّاء جاءت بها رماة القول على عواهنه المغالون في الفضائل تجاه الحقائق الراهنة، غير أنّ لا نخدش العواطف ببسط القول في متونها، ونكل القضاء فيها إلى ضمير الباحث النابه الحرّ.

- ٢١ -

النبيّ مؤيّد بالشيخين

عن أبي أروى الدوسي قال كنت جالساً عند النبيّ ﷺ فاطّلع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال رسول الله ﷺ، الحمد الذي أيّدني بكما.

قال الأميني: أخرجه الحاكم في المستدرک ٣ ص ٧٤ من طريق ابن أبي فديك

١ - عمدة التحقيق للعبیدی المالکی ص ١٨٣ نقلاً عن كتاب العقائق.

وهو وإن وثَّقه ابن معين غير أنَّ ابن سعد قال: ليس بحجَّة، عن:

عاصم بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، ضعَّفه أحمد وابن معين وابن حاتم، وابن عدي، وقال الفروي: وليس بقويٍّ، وقال الجوزجاني: يضعف حديثه وقال البخاري: منكر الحديث، وقال الترمذي: متروكٌ ليس بثقة، وقال ابن حبان: يخطيء ويخالف وقال أيضاً: منكر الحديث جدًّا يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الاثبات، لا يجوز الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات، وقال ابن الجارود: ليس حديثه بحجَّة. وتكلَّم النسائي على أحمد بن صالح حيث وثَّقه. عن: سهيل بن أبي صالح قال ابن معين: حديثه ليس بحجَّة. وقال أبو حاتم: حديثه لا يُحتجُّ به، وقال ابن حبان يخطيء، وقال ابن أبي خيثمة عن يحيى: لم يزل أهل الحديث يتَّقون حديثه. وذكر العقيلي عن يحيى أنَّه قال: هو صويلح وفيه لين عن: محمَّد بن إبراهيم بن الحارث المدني وثَّقه غير واحد غير أنَّ امام الحنابلة أحمد قال: في حديثه شيءٌ يروي أحاديث مناكير أو منكراً^(١) والحديث ذكره ابن حجر في الإصابة ٤ ص ٥ وضعَّفه. هذا مجمل القول في رجال سند الرواية، وأمَّا متنه فكما ترى آيةً في الغلو.

- ٢٢ -

الأشباح الخمسة من ذرِّيَّة آدم

عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أخبرني جبريل أنَّ الله تعالى لما خلق آدم وأدخل الروح في جسده أمرني أن آخذ تفاحةً من الجنة فأعصرها في حلقة فعصرتها في فمه فخلقك الله من النقطة الأولى أنت يا محمَّد، ومن الثانية أبا بكر، ومن الثالثة عمر، ومن الرابعة عثمان، ومن الخامسة عليّ. فقال آدم: من هؤلاء الذين كرَّمتهم؟ فقال الله تعالى: هؤلاء خمسة أشباح من ذرِّيَّتكَ، وقال: هؤلاء أكرم عندي من جميع خلقي. قال: فلما عصى آدم ربَّه. قال: ربِّ بجرمة أولئك الأشباح الخمسة الذي فضَّلْتهم إلا تبت عليّ فتاب الله عليه.

١ - راجع ميزان الاعتدال ٢: ٤ و ١: ٤٣٢، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٦، ٦١ ج ٤ ٢٦٣، ج ٥ وبهذا الطريق أخرجه البزار كما في الصواعق ص ٤٧.

ذكره الحافظ محب الدين الطبري في الرياض النضرة ١ : ٣٠، وابن حجر في الصواعق ص ٥٠ نقلاً عن رياض المحب الطبري وقال: عهده عليه.

قال الأميني: ما أبعد المسافة بين من يجوز توسل آدم أول الأنبياء إلى الله تعالى باناس عاديّين في سياق توسله بأفضل الرسل والسيد الأوصياء عليهما وآلهما السلام، و بين من ينكر التوسل لأيّ أحد، بأيّ أحد، ولا يرى لتوسل آدم بالنبي الأعظم ﷺ أي قيمة وكرامة، فيعتقد الأول صحة مثل هذه الرواية التي حكم السيوطي بأنها كذب موضوع، وارتضاه ابن حجر في نقله عنه كما في كشف الخفاء، وإن عدّه في صواعقه من الفضائل زعماً منه بأن الدهر لم يأت بعده بمن يناقشه في الحساب، وصافقهما على التكذيب والوضع العجلوني فقال في كشف الخفاء ١ : ٢٣٣: قال ابن حجر الهيثمي نقلاً عن السيوطي: كذب موضوع.

ومتن الرواية أوضح شاهد على ذلك غير أنّ المغالات في الفضائل إختلقتها لمعارضة ما ورد في قوله تعالى: فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه « سورة البقرة »

أخرج الديلمي في مسند الفردوس كما في الدر المنثور ١ : ٦٠ باسناده عن عليّ قال سألت النبي ﷺ عن قول الله: فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه؟ فقال: إن الله أهبط آدم بالهند وحواء بجده - إلى أن قال - : حتى بعث الله إليه جبريل، وقال: يا آدم ألم أخلقك بيدي: ألم أنفخ فيك من روحي؟ ألم أسجد لك ملائكتي؟ ألم أزوجك حواء أمتي: قال: بلى. قال: فما هذا البكاء؟ قال وما يمنعني من البكاء؟ وقد أخرجت من جوار الرحمن. قال: فعليك بهؤلاء الكلمات فإن الله قابل توبتك، وغافر ذنبك. قل: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانه لا إله إلا أنت، عملت سوءً، وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم، فهؤلاء الكلمات التي تلقى آدم.

وأخرج ابن النجار عن ابن عباس قال: سألت رسول الله ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه؟ قال: سأل بحق محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليّ. فتاب عليه « الدر المنثور ١ : ٦٠ ».

وأخرجه الفقيه ابن المغازلي في المناقب كما في ينابيع المودة ص ٢٣٩.

وروى أبو الفتح محمد بن علي النطنزي المولود ٤٨٠ في كتابه: الخصائص عن ابن عباس أنه قال: لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس فقال: الحمد لله فقال له ربه: يرحمك ربك. فلما أسجد له الملائكة فقال: يا رب خلقت خلقاً هو أحب إليك مني؟ قال: نعم ولولاهم ما خلقتك قال: يا رب فأرنيهم فأوحى الله إلى ملائكة الحجب: أن ارفعوا الحجب. فلما رفعت إذا آدم بخمسة أشباح قدام العرش قال: يا رب من هؤلاء؟ قال: يا آدم هذا محمد نبيي، وهذا علي أمير المؤمنين ابن عم نبيي ووصيه وهذه فاطمة بنت نبيي، وهذان الحسن والحسين ابنا علي وولدا نبيي، ثم قال: يا آدم هم ولدك. ففرح بذلك فلما اقترب الخطيئة قال: يا رب أسألك بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين لما غفرت لي. فغفر الله له، فهذا الذي قال الله تعالى: فتلقى: آدم من ربه كلمات. إن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه: اللهم بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي. فتاب الله عليه.

وهذا الرجل يروي له بسند صحيح توسل عمر - أحد الأشباح المزعومة - بالعباس عم النبي ﷺ في الاستسقاء خرج يستسقي به وقد أجذب الناس فقال: اللهم إنا نستشفع إليك بعم نبيك أن تذهب عنا المحل، وأن تسقينا الغيث. فقال العباس: اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب، ولا يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا بالتوبة، وأنت الراعي لا تحمل الضالة، ولا تدع الكسير بدار مضیعة، فقد ضرع الصغير، ورق الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم فأغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فإنه لا يأس من رحمتك إلا القوم الكافرون.

فما تم كلامه حتى أرخت السماء مثل الحبال، فنشأت السحاب، وهطت السماء، فطفق الناس بالعباس يمسخون أركانهم ويقولون: هنيئاً لك ساقى الحرمين. فقال حسان بن ثابت:

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا	فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبي ووصنو والده الذي	ورث النبي بذلك دون الناس
أحيا الإله به البلاد فأصبحت	مخضرة الأجناد بعد الياس

وقال ابن عفيف النصري:

ما زال عبّاس بن شيبّة غايّة
رجلٌ تفتّحت السّماء لصوّته
فتحّت له أبوابها لمّا دعا
عمُّ النّبِيّ فلا كمن هو عمّه
عرفت قریش يوم قام مقامه
للبّاس عند تنكّر الأيّام
لمّا دعا بدعوة الإسلام
فيها بجند معلّمين كرام
ولد ولا كالعمّ في الأقوام
فبه له فضلٌ على الأقوام

وقال شاعر بني هاشم:

رسول الله والشهداء منّا
وعبّاس الذي بعج الغماما

وقال العبّاس بن عتبة بن أبي لهب:

بعّمي سقى الله الحجاز وأهله
توجّه بالعبّاس في الجذب دائماً
ومنّا رسول الله فينا تراثه
عشيّة يستسقي بشيبتة عمر
اليه فما إن دام حتى أتى المطر
فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر؟^(١)

فهلاً هذا الرجل هو المتوسّل به في حديث الأشباح - المختلق - الواقع في رديف صاحب الرسالة وسيّد الوصيّين صلّى الله عليهما وآلهما، وهو ومن معه أكرم خلق الله جميعاً باعتراف ممّن خلقهم وفي خلقه سبحانه الأنبياء وأولوا العزم من الرسل والأوصياء والملائكة والمقرّبون؟.

فهلاً هذا الرجل دعا الله بنفسه؟ وما محلّ توسّله بالعبّاس وهو أكرم عند الله منه ومن أبيه آدم وولده وهلمّ جراً؟ أو أنّه وجد استثناء في العبّاس فحسب فهو أكرم على الله منه ومن كلّ من هو أكرم على الله منه؟
أنا لا أدري ماذا أقول، ولك الفسحة والجمال لأن تقول الحقّ وما يحدوك

١ - صحيح البخاري كتاب الصلاة باب سؤال الناس الامام الاستسقاء، صحيح مسلم كتاب الصلاة، الأغاني ١٢: ٨١، اعلام الماوردي ٧٨، تاريخ ابن عساكر ٧: ٢٤٥ - ٢٤٨، مستدرک الحاكم ٣: ٣٣٤، تاريخ ابن كثير ٧: ٩٢، مرآة الجنان ١: ٧٢، طرح التثريب ١: ٦٣، فتح الباري ٢: ٣٩٨ وقال: يستفاد من القصة استحباب الاستسقاء بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة، عمدة القاري ٣ ص ٤٣٨، شذرات الذهب ١: ٢٩.

إليه ضميرك الحرّ تقول: كيف يكون المذكورون في الحديث - غير محمّد وصنوه - أكرم على الله من جميع خلقه وفيهم من ذكرنا هم من الأنبياء والرسل والأوصياء والأولياء والملائكة؟ وكيف يتوسّل أبو البشر النبيّ المعصوم بمثل أبي بكر وصاحبيه وهم هم؟ وسيرتهم بين يديك، وكيف يكونون رديف النبيّ الأعظم وصنوه المعصوم بنصّ الكتاب العزيز ونفسه المطهر الناطق به القرآن الكريم؟ وكيف يشاركون معهما في فضيلة الخلقة، وكرامة التوسّل؟ ولا أحسب أنّ احداً من شيعة القوم يصادق رواية هذه الأفيكة على هذه المزاعم، ولعلّهم يصادقونهم ويجعلونها على عهدتهم كما فعل ابن حجر إذ غلّوهم في الفضائل غير محدود.

وأما الرجل الثاني الذي أربكه التفريط وأسفّ به إلى هوّة الجهل فكالقصيمي الذي أنكر ما جاء في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا ربّ أسألك بحقّ محمّد لما غفرت لي فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟ قال: يا ربّ لأنّك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله فعلمت أنّك لم تضيف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك فقال الله: صدقت يا آدم! أنّه لأحبّ الخلق إليّ، ادعني بحقه قد غفرت لك. ولولا محمّد ما خلقتك.

أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١) والحاكم في المستدرک ٢: ٦١٥ وصحّحه، والطبراني في المعجم الصغير، وأبو نعيم في الدلائل، وابن عساكر كما في الخصائص، وأقرّ صحته السبكي في شفاء السقام ص ١٢٠، والقسطلاني في المواهب ١ ص ١٦، والسمهودي في وفاء الوفا ٢: ٤١٩، والزرقاني في شرح المواهب ١: ٦٢، والعزّامي في فرقان القرآن ص ١١٧، وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى عن عدّة من الحفاظ ج ١ ص ٦.

فقال القصيمي في الصّراع ٢: ٥٩٣ تبعاً أثر ابن تيمية في الردّ على هذه المأثرة النبويّة الصحيحة: والسؤال بحقّ النبيّ أو بحقّ غيره من الأنبياء والصالحين ليس له من القيمة العمليّة الدينيّة ما يوجب أن يكون عملاً صالحاً مبروراً فضلاً عن أن يكون أداة

١ - قال الذهبي في الثناء عليه: عليك به فكله هدى ونور.

غفران وعفو تامّ، وماذا في قول القائل: أسألك يا الله بحقّ فلان أو فلانة من عمل صالح يؤهّل قائله لأن يكون من المغفور لهم؟ وأنما يغفر للمستغفر.

وقال: وأنما الألفاظ المجردة فلا وزن لها عند الله ولا ينظر إليها فضلاً عن أن تكون عملاً تحطّ به الذنوب والخطايا الثقيلة، فما في قول القائل: أسألك بحقّ محمّد لما غفرت لي من الشأن والقيمة؟ حتّى يُقال له: وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك. وأجهل الناس وأرقهم ديناً وتقوى فضيلةً وأشدّهم بعداً عن الله وعن رضاه يقولون ذلك، ويلهجون به، وهم على رغمهم لا يجدر بهم الغفران ولا التجاوز والعفو والرضا بل وهو خليقون بالانتقام والطرّد والعذاب الأليم الموجه، ولن تجديهم هذه المقالة ولا هذا التوسّل قليلاً ولا كثيراً، فنحن لا نشكّ في أنّ آدم ما غفر له ذنبه إلّا لتوبته ولرجوعه إلى ربّه وإقلاعه عن ذنبه، وإلّا اعتذاره واستغفاره الصادرين عن جميع نفسه وقلبه وعقله، أمّا السؤال بالحقّ فلا قيمة ولا وزن له عند الله البتّة. اهـ.

نحن لا نقابل هذا المغفّل المستهتر البذيّ إلّا بالسّلام، هذا في هديانه هذا حذو شيخه ابن تيميّة، وقد ردّ عليه جمعٌ من أئمّة الحديث وحفاظه بكلمات ضافية تقتصر منا بكلام السبكي قال في شفاء السقام ص ١٢١، قال ابن تيميّة: أمّا ما ذكر في قصّة آدم من توسّله فليس له أصل، ولا نقله أحدٌ من النّبِيِّ ﷺ باسناد يصلح للاعتماد عليه ولا الاعتبار ولا الاستشهاد. ثمّ ادّعى ابن تيميّة أنّه كذبٌ وأطال الكلام في ذلك جدّاً بما لا حاصل تحته بالوهم والتخرّص، ولو بلغه أنّ الحاكم صحّحه لما قال ذلك، أو لتعرّض للجواب عنه، وكأنيّ به إن بلغه بعد ذلك يطعن في عبد الرّحمن ابن يزيد راوي الحديث، ونحن نقول: قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم، وايضاً عبد الرّحمن بن يزيد لا يبلغ في الضعف إلى الحديث الذي إدّعاه، وكيف يحلّ لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يردّه عقلٌ ولا شرعٌ؟ وقد ورد فيه هذا الحديث، وأمّا ما ورد من توسّل نوح وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء فذكره المفسّرون واكتفينا عنه بهذا الحديث لجودته وتصحيح الحاكم له: ولا فرق في هذا المعنى بين أن يعبّر عنه بالتوسّل أو الاستعانة أو التشفّع أو التجوّه. والداعي بالدعاء المذكور ما في معناه متوسّلٌ بالنّبِيِّ ﷺ لأنّه جعله وسيلةً لإجابة الله دعاءه أو مستغيثٌ به،

والمعنى أنه استغاث الله به على ما يقصده. الخ.
وقد أسلفنا الكلام حول الموضوع في الجزء الخامس ص ١٤٣ - ١٥٦ راجع.

- ٢٣ -

أبو بكر خير أهل السَّمَاوَات والأَرْض

عن أبي هريرة: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: أبو بكر وعمر خير أهل السَّمَاوَات والأَرْض، وخير الأولين والآخرين، إِلَّا النَّبِيِّينَ والمرسلين.

ذكره ابن حجر في الصَّوَاعِق ٤٥ نقلاً عن الحاكم وابن عدي، وأخرجه الخطيب في تاريخه ٥ ص ٢٥٣ وسكت عما في سنده من العلل « على عادته الجارية في مناقب الشيخين » وفيه: جبرون بن واقد الإفريقي والراوي عنه محمد بن داود القنطري، قال الذهبي في الميزان: جبرون متهم فأنه روى بقلة حياء عن سفيان، وروى عنه محمد بن داود القنطري، عن أبي هريرة مرفوعاً: أبو بكر وعمر خير الأولين. الحديث تفرد به وبالذي قبله وهما موضوعان. وزاد ابن حجر في اللسان ٢ ص ٩٤ عن ابن عدي أنه قال: لا أعرف له غير هذين الحديثين ولا أعلم يرويهما عنه غير محمد بن داود وهما منكران. وقال الذهبي في ترجمة محمد بن داود: عن جبرون الإفريقي بحديثين باطلين ذكرهما ابن عدي في ترجمة جبرون وقال تفرد بهما محمد.

وقال ابن حجر في اللسان ٥: ١٦١: أحسب الآفة في الحديث من جبرون وقد ساق المؤلف الحديثين في ترجمته وصرح بأتهما موضوعان وأشار إلى أن المشتهر بهما جبرون.

قال الأميني: ومن الحريّ لمثل هذين المبطلين أن يرويا باطلاً كمثل هذا الذي يرتأي مفتعله تفضيل الرجلين على الملائكة المقرّبين المعصومين من أهل السَّمَاوَات وفيهم سيّدهم أمين الوحي جبرئيل، وعلى من ثبتت زلفتهم وقربهم من أولياء الله وأصفياه وأوصياء الأنبياء، أنا لا أدري بماذا فضلاً عليهم أبعلمهما المتدقّق؟ وقد عرفت مبلغهما منه، أم بالعصمة عن الخطايا والذنوب؟ وأنت لا تقول بها، أو أن ما حفظه التاريخ من سيرتهما لا يدع أن تقول بها، لكن عصمة الملائكة ثابتة لا ريب فيها، وعصمة الأوصياء واجبة بالبرهنة الصحيحة، وزلفى المقرّبين كلقمان والخضر وذو القرنين

من القضايا التي قياساتها معها، أم ببأسهما المرهب في ذات الله وعنائهما في سبيل الدين وجهودهما الجبارة؟ لا يخفى على أحد حقُّ القول في ذلك كلّهُ، ضع يدك ها هنا على أيِّ فضيلة فأنك لا تجد فيهما منها ما يربي بهما على كثير من الصّحابة والتابعين هلمَّ جرّاً فضلاً عن مَنْ ذكرناهم، غير أنّ الغلوّ في الفضائل حدى صاحبه إلى أن يقول بذلك، فدعه يقول فإنّ الحقايق الثابتة غير قابلة للزوال والاصول الموضوعية يركن اليها على كلّ حال.

- ٢٤ -

ثواب النبي ﷺ وأبي بكر

عن عليّ بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبي بكر: يا أبا بكر! إنّ الله أعطاني ثواب من آمن به منذ خلق آدم إلى أن بعثني، وإنّ الله أعطاك ثواب من آمن بي منذ بعثني إلى أن تقوم الساعة. أخرجه الخلعي والملاّ كما في الرياض النضرة ١ ص ١٢٩، والخطيب البغدادي في تاريخه ٥ ص ٥٣ من طريق أحمد بن محمّد بن عبيد الله أبي الحسن التّمّار المقرئ فقال: كان غير ثقة روى أحاديث باطلة ذاكرت أبا القاسم الأزهري حال هذا الشيخ و قلت: أراه ضعيفاً لأنّ في حديثه مناكير. فقال: نعم هو مثل أبي سعيد العدوي. قال الأُميني: أبو سعيد العدوي هو الحسن بن علي العدوي البصري شيخ قليل الحياء كذاب يضع الحديث، أسلفنا ترجمته في سلسلة الكذّابين في الجزء الخامس ص ٢٢٤ ط ٢، فقول الأزهري في أبي الحسن التّمّار (أنّه مثل أبي سعيد) يومي إلى أنّه ايضاً كذاب وضاع. وفي الإسناد أبو معاوية الضرير وقد اشتهر عنه الغلوّ غلوّ التشيع، وقال يعقوب بن شيبة: ثقة ربما يدلّس « ميزان الاعتدال ٣ ص ٣٨٢ » وفيه أبو البختری عن عليّ قال سلمة بن كهيل: ما كان من حديث أبي البختری فهو حسن، وما كان عن فهو ضعيف « ميزان الاعتدال ٣ ص ٣٤٤ ». هذا شأن سند الرواية وأما متنه فضميرك الحرّ نعم الحکم فيه.

الحُبُّ والشكر الواجبان على الأمة

عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ حُبُّ أَبِي بَكْرٍ وشكره واجب على أُمَّتِي. أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ٥ ص ٤٥٣ من طريق عمر بن إبراهيم الكردي وقال: تفرَّد به عمر، وهو ذاهب الحديث. وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٢: ٢٤٩ فقال: الحديث منكَّرٌ جداً. ورواه الخطيب في تاريخه ٥: ٧٣ من طريق عمر الكردي أيضاً بلفظ: إِنَّ أَمَّنَّ النَّاسَ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، فَحُبُّهُ وشكره وحفظه واجبٌ على أُمَّتِي. قال الأُميني: هذه الرواية من موضوعات عمر الكردي قال الدارقطني: كَذَّابٌ خبيثٌ، وقال الخطيب: غير ثقة يروي مناكير من الإثبات. راجع ما مرَّ في سلسلة الكذَّابين في الجزء الخامس ص ٢٤٦ ط ٢. والعجب من الخطيب في تاريخه أنَّه مع قوله المذكور في ترجمة الكردي ترى عقدةً في لسانه لما يذكر الرواية فيسكت عمَّا فيها تارةً ولم يتكلَّم بذمَّة تُعرب عن وضعها، ويقتصر أخرى بقوله: تفرَّد بروايته عمر وغير عمر أوثق منه. كما قاله في الموضوع الثاني، وليست هذه كلُّها إلَّا لإغفال القراء عن جليَّة الحال، والتمويه على الحقائق الراهنة، فمن جزائرها يأبى الصفوري بعد حين ويذكر الرواية في نزهة المجالس ٢: ١٨٦ مرسلاً إيَّها إرسال المسلَّم.

أبو بكر في كَفَّة الميزان

أخرج الحكيم الترمذي كما في مرقاة الوصول ص ١١٢ قال: حدَّثنا رزق الله بن موسى الباجي البصري قال: حدَّثنا مؤمل بن إسماعيل - العدوي البصري - قال: حدَّثنا حماد بن سلمة قال: حدَّثنا سعيد بن جهمان البصري عن سفينة مولى أم سلمة قال: كان رسول الله ﷺ إذا صَلَّى الصبح أقبل على أصحابه فقال: أَيُّكُمْ رَأَى اللَّيْلَ

رؤيا؟ قال: فصلّى ذات يوم الصبح ثمّ أقبل على أصحابه فقال: أيُّكم رأى الليل رؤيا؟ فقال رجلٌ: أنا يا رسول الله رأيت كأنّ ميزاناً أدلي من السّماء فوضعت في كفّة الميزان أبو بكر في كفّة أخرى فرجحت بأبي بكر رفعت. وثُرك أبو بكر فجيء بعمر فوضع في الكفّة الأخرى فوزن بأبي بكر فرجح أبو بكر بعمر، وُرفع أبو بكر وترك عمر مكانه فجيء بعثمان فورع في الكفّة الأخرى فرجح عمر بعثمان، ورفع عمر وثُرك عثمان مكانه فجيء بعليّ فوضع في الكفّة الأخرى فرجح عثمان بعليّ وُرفع الميزان. فتغيّر وجه رسول الله ﷺ ثمّ قال: خلافة نبوة ثلاثين عاماً ثمّ تكون ملكاً.

(رجال إسناده)

١ - رزق الله البصري المتوفّى ٢٥٦ / ٦٠ قال الاندلسي: روى أحاديث منكراً وهو صالحٌ لا بأس به « تهذيب التهذيب ٣: ٢٧٣ ».

٢ - مؤمّل العدوي البصري المتوفّى ٢٠٦ قال أبو حاتم: صدوقٌ شديدٌ في السنّة كثير الخطأ. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال يعقوب بن سفيان: شيخٌ جليلٌ سَيِّ سمعت سليمان بن حرب يحسن الثناء - عليه - كان مشيختنا يوصون به إلّا أنّ حديثه لا يشبه حديث أصحابه، وقد يجب على أهل العلم أن يقفوا عن حديثه، فإنّه يروي المناكير عن ثقات شيوخه، وهذا أشدُّ فلو كانت هذه المناكير عن الضعفاء كلّنا نجعل له عذراً، وقال الساجي: صدوقٌ كثير الخطأ، وله أوهاّم يطول ذكرها، وقال ابن سعد والدارقطني: كثير الخطأ. وقال المروزي: إذا انفرد بحديث وجب أن يتوقّف ويتثبت فيه، لأنّه كان سيِّئ الحفظ كثير الغلط.

« ميزان الاعتدال ٢ ص ٢٢١، تهذيب التهذيب ١٠ ص ٣٨١ ».

٣ - سعيد بن جهمان البصري المتوفّى ١٣٦. قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يُحتجّ به. وقال الساجي: لا يُتابع على حديثه.

« ميزان الاعتدال ١: ٣٧٧ تهذيب التهذيب ٤: ١٤ ».

قال الأُميني: ويلٌ للمطقّفين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، ألا يظنّ أولئك أنّهم مبعوثون ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

هذه الميزان التي جاء بها البصريّون وأدليت من سماء البصرة في منجمها عينٌ، وفي إحدى كَفَّتِها شولٌ، وفي لسانها عوج. قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ قل هل يستوي الأعمى والبصير؟ أم هل تستوي الظلمات والنور؟ كيف يوزن في ميزان العدل والنصفة رسول الله ﷺ وهو هو مع ابن أبي قحافة الذي ليس إلا أبو بكر، أيّ خلايق كريمة: أيّ نفسيّات طاهرة؟ أيّ ملكات فاضلة؟ أيّ حكم علميّة أو عمليّة؟ أيّ عوارف ومعارف راقية: أيّ بصيرة نافذة؟ أيّ أيّ؟ جعلت في كَفّة جعل فيها أبو بكر. هل هذه الموازنة يقبلها الواجدان والمنطق حتّى يقال بالرجحان في إحدى كَفَّتِي الميزان؟ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً.

ثمّ كيف رجح أبو بكر بعمره إنّهما كانا عكمي بعير في الفضائل كلّها أيّام حياتهما غير أنّ فتوحات عمر وأياديه في سبط الإسلام في أرجاء العالم لا تُنسى، ولم تزل تذكر في صفحات التاريخ، فله فضيلة الرجحان على أبي بكر إن وزنا بميزان غير معيبة.

وكيف فصّل بين النبيّ الأعظم وبين أمير المؤمنين في الميزان؟ وهو نفسه بنصّ القرآن الكريم، وله العصمة بحكم الكتاب العزيز، وهو وارث علمه، وباب حكمته، وهو عدل القرآن وخليفة نبيّ الإسلام بقوله ﷺ: **إِنِّي مَخْلَفٌ فِيكُمْ** اثنين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي. وأيّ فضيلة راوية لعثمان جعلت في كَفّة الميزان ورجح بها على عليّ رديف رسول الله ﷺ في فضائله. أنا لا أدري.

ثمّ إن كان التعبير الذي عزوه إلى رسول الله ﷺ حقّاً فهو لا محالة بتقدير من الله تعالى ومشية منه رعاية للنظام الأصلح، فلماذا تغيّر وجهه ﷺ ممّا قدره المولى سبحانه وشاء وأحبّه؟ ولم تكن له غاية إلاّ الحصول على مرضاته والدعوة إليها وإيقاف الأئمة عليها. أو ليس هذا ممّا ينافي عصمته وبضادّ مقامه الأسمى؟ لكن الغلوّ في الفضائل قد يصحّ أمثال ذلك. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

- ٢٧ -

ما أسلم أبو مهاجر إلاّ أبو بكر
أخرج ابن مندة وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما أسلم أبو أحد

من المهاجرين إلّا أبو بكر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٣.

وروى المحبُّ الطبري في رياضه ١ ص ٤٧ عن الواحدي مراسلاً بلا إسناد عن عليّ بن أبي طالب أنّه قال في أبي بكر: أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من الصحابة المهاجرين أسلم أبواه غيره. وذكره القرطبي في تفسيره ١٦: ١٩٤. وأخذ غير واحد من المتأخّرين كالشبلنجي ونظرائه هذين الحديثين فعّدّوهما من فضائل أبي بكر المتسالم عليها. قال الأُميني: نحن نقدّس ساحة عليّ وعائشة عن مثل هذا الكذب الفاحش الذي ينادي التاريخ بخلافه، وتكذّبه سيرة الصحابة المهاجرين، وإنّما الحبُّ الدفين قد أعمى رواة هذه الأفيكة وأصمّهم عمّا في غضون الكتب، فأسرفوا في القول وتغالوا في الفضائل غير مكترئين لمغبّة قلوبهم، أهذا مبلغهم من العلم؟ أم يقولون على الله الكذب وهم يعلمون؟. هاجر بنو مظعون من بني جمح. وبنو جحش بن رثاب حلفاء بني اميّة. وبنو البكير من بني سعد بن ليث حلفاء بني عدي بن كعب. بأهليهم وأموالهم، وغلقت دورهم بمكة هجرةً ليس فيها ساكن كما في سيرة ابن هشام ٢: ٧٩، ١١٧. أكانت نساء تلكم الأسر الكبيرة أرامل أو عقائم؟ أو كانت أبنائها أيتاماً من الأبوين أيامي؟ أو كانت آباؤها رجالاً بلا أعقاب قاتل الله الحبّ كيف يُعَمي ويُصمّ.

وهلّمّ معي نقرأ صحيفة من تراجم المهاجرين هذا عمّار بن ياسر مهاجرٌ عظيمٌ وأبواه في الرعيل الأوّل من المعدّبين في الإسلام. قال مسدّد كما في تهذيب التهذيب ٧: ٤٠٨: لم يكن في المهاجرين من أبواه مسلمان غير عمّار بن ياسر. فهذا ينفي إسلام والدي أبي بكر ويكذب ذلك المختلق.

وهذا عبد الله بن جعفر هاجر أبوه ومعه عبد الله وأخواه محمّد وعون ومعهم أمّهم أسماء بنت عميس. وهذا عمرو بن أبان بن سعيد الأموي، من المهاجرين وأبوه شهد خيبراً مع رسول الله ﷺ وأُمّة فاطمة بنت صفوان مسلمة.

وهذا خالد بن أبان الأموي أخو عمرو بن أبان المذكور.

وهذا إبراهيم بن الحارث بن خالد التميمي، هاجر مع أبيه وأمه ريطة بنت الحارث بن جبلة.
وهذا الحاطب بن الحارث الجمحي من المهاجرين وهاجر معه أبوه وأمه فاطمة بنت المجلل.
وهذا الخطّاب بن الحارث الجمحي، هاجر مع أبيه وأمه وأخيه الحاطب ومعه امرأته فكيهة بنت يسار.
وهذا حكيم بن الحارث الطائفي، هاجر مع امرأته وبينه ومعه أبواه وهما مسلمان.
وهذا خزيم بن جهم بن قيس العبدي هاجر مع أبيه وأخيه عمرو ومعه أمّهم أمّ حرملة بنت عبد الأسود.
وهذا جابر بن سفيان بن معمر الجمحي هاجر هو وأبوه وأمه حسنة.
وهذا جنادة بن سفيان الجمحي هاجر ومعه أمّه حسنة وأخوه جابر المذكور.
وهذا سلمة بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، هاجر أبوه وهاجرت بعده أمّه أمّ سلمة زوج النبي ﷺ مع ابنها سلمة.

وهذا جناب بن الحارثة بن صخر العذري، هاجر إلى المدينة وأبوه قد أسلم.
وهذا الحارث بن قيس السهمي هاجر مع بنيه الحارث وبشر ومعه فهم مهاجرون و أبوهم الحارث قد أسلم وهاجر.
وهذا السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي. من المهاجرين وأبوه مهاجرٌ عظيمٌ.
وهذا سليط بن سليط بن عمرو العامري. قال عمر: دلّوني على فتى مهاجر هو و أبوه. فدّلّوه عليه.
وهذا عبد الرحمن بن صفوان بن قدامة. هاجر هو وأبوه.
وهذا عبد الله بن صفوان بن قدامة. هاجر هو وأبوه.
وهذا عامر بن غيلان بن سلمة الثقفي. هاجر إلى رسول الله وأبوه قد أسلم.
وهذا عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي. من المهاجرين ووالده صحابيٌّ عظيمٌ.
وهذا عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة مهاجر وهاجر أبوه وأسلم جدّه وجدّته أمّ الخير.

على زعم القوم وسيأتي الكلام في إسلامهما.

وهذا عبد الله بن عمر بن الخطاب. مهاجر وأبوه قد أسلم وهاجر.

وهذا محمد بن عبد الله بن جحش. أحد المهاجرين ومعه أبوه وأمه.

وهذا عبد الله بن المطلب بن أزهر. أحد المهاجرين وأبوه مهاجر.

وهذا معمر بن عبد الله بن نضلة. أحد المهاجرين ووالده مهاجر.

وهذا مهاجر بن قنفذ بن عمير القرشي التيمي. من المهاجرين السابقين إلى الاسلام وأبوه له صحبة.

وهذا موسى بن الحرث بن خالد القرشي التيمي. مهاجر ابن مهاجر.

وهذا النعمان بن عدي بن نضلة. مهاجر هو ووالده.

راجع سيرة ابن هشام ٢١، طبقات ابن سعد، تاريخ الطبري، الاستيعاب، أسد الغابة، كامل ابن الأثير، تاريخ ابن كثير، عيون الأثر لابن سيد الناس، الاصابة، تهذيب التهذيب، السيرة الحلبية.

ولعلَّ الباحث يقف في غضون السير وكتب التاريخ ومعاجم التراجم كثيراً من نظراء هؤلاء من المهاجرين الذين أسلم آبائهم أو آبائهم وأُمَّهاتهم. فما جاء به المحبُّ الطبري و السيوطي ومَن لَفَّ لَقَّهما من فضيلة إسلام والد أبي بكر أو والديه دون سائر الصحابة وعزوه إلى مولانا أمير المؤمنين ليس إلَّا مجهلة ومخرقة نشأت من الغلوِّ الفاحش في الفضائل.

(إسلام والدي أبي بكر)

هَلَمْ معي نحاسب إسلام والدي أبي بكر أحقَّاً هما أسلما؟ فضلاً عن أن يخصَّ بهما الإسلام من بين آباء المهاجرين وأُمَّهاتهم، أم لم ينبأ به خير؟ بل هو نبأ كنبأ إسلام والدي غيره من المهاجرين يناقش فيه وإنما ولَّده الغلوُّ في الفضائل. أمَّا إسلام أبي قحافة فيقال: إنَّه أسلم يوم الفتح وقد أتى به ابنه أبو بكر إلى رسول الله ﷺ ولم يؤثر إتيانه إلى رسول الله ﷺ طيلة حياته غير مرَّة واحدة في تلك السنة يوم ذاك. وها نحن نذكر جميع ما ورد في إتيانه ذاك، ونجعل تلکم الروايات المروية فيه قسمين: الأوَّل ما لم يذكر فيه إعاز إلى إسلامه. والثاني ما يوعز فيه إلى إسلامه.

(القسم الأول)

١ - أخرج الحاكم في المستدرک ٣: ٢٤٥ عن أبي عبد الله محمد بن أحمد القاضي ابن القاضي قال: حدّثني أبي ثنا محمد بن شجاع ثنا الحسين^(١) بن زياد عن أبي حنيفة عن يزيد بن أبي خالد عن أنس رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى لحية أبي قحافة كأنه ضرام عرّج من شدّة حمّته فقال رسول الله ﷺ: لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناها تکرمةً لأبي بكر. سكت الحاكم عمّا في سند هذه الرواية ولم يصحّحه على عادته في الكتاب، وتبعه في ذلك الذهبي في تلخيصه، كل ذلك تکرمةً لأبي بكر، وإن بخسا الحقّ والحقيقة فيه:

١ - محمد بن شجاع البغدادي أبو عبد الله ابن الثلجي الفقيه. قال أحمد إمام الحنابلة: مبتدع صاحب هوى. وقال عبد الله بن أحمد: سمعت القواريري قبل أن يموت بعشرة أيّام وذكر ابن الثلجي فقال هو كافّر. قال: فذكرت ذلك لإسماعيل القاضي فسكت، فقلت: ما أكفره إلّا بشيء سمعه منه قال: نعم. وقال زكريا الساجي: فأما ابن الثلجي فكان كذاباً إحتال في ابطال حديث رسول الله ﷺ ورّدّه نصرةً لمذهبه، وفي المنتظم: نصرةً لأبي حنيفة ورأيه.

وقال ابن عدي، كان يضع أحاديث في التشبيه وينسبها إلى أصحاب الحديث يلبسهم بذلك.

وقال الأزدي: كذابٌ لا تحلّ الرواية عنه لسوء مذهبه، وزيغه عن الدين.

وقال الجوزجاني: وقال موسى بن القاسم الأشيب: كان كذاباً خبيثاً^(٢) وفيه:

٢ - الحسن بن اللؤلؤي الكوفي. قال يحيى بن معين: كذابٌ.

وقال ابن المديني: لا يكتب حديثه.

وقال محمد بن عبد الله بن نمير: يكذب على ابن جريج.

وقال ابو داود: كذابٌ غير ثقة.

١ - الصحيح: الحسن بن زياد.

٢ - ميزان الاعتدال ٣: ٧١، المنتظم لابن الجوزي ٥: ٥٧، تهذيب التهذيب ٩: ٢٢٠.

وقال أبو حاتم: ليس بثقة. وقال الدارقطني: ضعيفٌ متروكٌ.
وقال نضر بن شميل لرجل كتب كُتِبَ الحسن: لقد جلبتَ إلى بلدك شراً.
وقال أبو ثور: ما رأيت أكذب من اللؤلؤي، كان على طرف لسانه: ابن جريج عن عطاء.
وقال أحمد بن سليمان: رأيت يوماً في الصَّلَاة وغيلاً أمرد إلى جانبه في الصفِّ فلَمَّا سجد مدَّ يده إلى خَدِّ الغلام فقرصه فقذفته فلا أُحْدِث عنه.

وقال ابن أبي شيبة: كان أبو أسامة يسمِّيهِ الحبيث.
وقال يعقوب بن سفيان، والعقيلي، والساجي: كذابٌ.
وقال النسائي: ليس بثقة ولا مأمون ^(١) إقرأ واحكم. أتخفى هذه كلها على الحاكم والذهبي؟ لا ها الله.
٢ - أخرج الحاكم في المستدرك ٣: ٢٤٤ عن أبي العباس محمد بن يعقوب قال: ثنا محمد بن اسحاق الصغاني ثنا حسين بن محمد المروزي ثنا عبد الله بن عبد الملك الفهري ثنا القاسم بن محمد بن أبي بكر عن أبيه عن أبي بكر رضي الله عنهم قال: جئت بأبي أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ فقال: هَلَّا تركت الشيخ حتى آتية؟ فقلت: بل هو أحقُّ أن يأتيك. قال: إنَّا لنحفظه لأيادي إبنه عندنا.

وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ٥٠ فقال: رواه البزار وفيه عبد الله ابن عبد الملك الفهري ولم أعرفه. وقال الذهبي في تلخيص المستدرك: عبد الله منكر الحديث.
وقال الذهبي في الميزان ٢: ٥٥، وابن حجر في لسانه ٢: ٣١١ قال ابن حبان: (عبد الله) لا يشبه حديثه حديث الثقات يروي العجائب. وقال العقيلي: منكر الحديث لا يتابع عليه، وقال أبو زرعة: هو ضعيفٌ يضرب على حديثه. وقال البرقاني: سألت أبا الحسن عنه قلت: ثقة؟ قال: لا ولا كرامة. إنتهى ما في الميزان ولسانه. وفي السند:
القاسم بن محمد عن أبيه عن أبي بكر، توفي القاسم بن محمد سنة ١٠٨ / ٩ وهو ابن ٧٠ / ٧٢ سنة كما في صفة الصفوة لابن الجوزي ٢ ص ٥٠ وتوفي والده محمد سنة

١ - ميزان الاعتدال ١: ٢٢٨، لسان الميزان ٢: ٢٠٨.

٣٨ فتكون ولادة القاسم سنة وفاة أبيه محمد، وإن أخذنا قول ابن سعد من أنَّ القاسم توفي سنة ١١٢ وهو ابن سبعين سنة فيكون القاسم عند وفاة والده ابن أربع سنين فأئني له الرواية عن أبيه.

وأما رواية محمد عن أبيه أبي بكر فلا يصحُّ إذ محمد ولد عام حجة الوداع سنة عشرة من الهجرة وتوفي والده في جمادى الآخرة عام ثلاثة عشر، فأين يكون مقيل هذه الرواية من الصحة؟ قال الذهبي في تلخيص المستدرک في تعقيب هذه الرواية: القاسم لم يدرك أباه ولا أبوه أبا بكر.

٣ - أخرج الحاكم في المستدرک ٣، ٢٤٤ عن القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن سالم بن الجعابي الحافظ ألا وحدَّثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني، بإسناده عن أنس قال: جاء أبو بكر رضي الله عنه يوم فتح مكة بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: لو اقررت الشيخ في بيته لأتيناها.

ليت شعري ما الذي دعا الذهبي إلى تسليم رواية الجعابي هذه وترك الغمز فيها وقد ترجمه في ميزانه ٣: ١١٣ وقذفه بقوله: إنه فاسق رقيق الدين، وقال الخطيب: كثير الغرائب، ومذهبه في التشيع معروف، ونسب إليه ابن الجوزي ما هو بريء منه، وحكي عن الحاكم أنه قال: قلت للدارقطني: بلغني إن ابن الجعابي تغير بعدنا. فقال: وأي تغير. فقلت: هذا فهمه في الحديث. قال: اي والله حدَّث عن الخليل بن أحمد صاحب العروض بعشرين حديثاً باسانيد ليس له فيها أصل. إلى آخر ما أتى به القوم في ترجمته، راجع تاريخ الخطيب ٣: ٢٦، المنتظم لابن الجوزي ٧: ٣٨، لسان الميزان ٥: ٣٢٢.

ثم كيف خفي عليه وعلى الحاكم أنَّ الجعابي ولد سنة ٢٨٥ وتوفي ٣٥٥ باتفاق المؤرخين فأئني تصحُّ روايته عن أبي شعيب عبد الله بن الحسن المتوفى ٢٩٢؟ كما أرَّخه الذهبي في ميزان الاعتدال، هذا أخذاً بما في لفظ الذهبي في تلخيصه من حذف حرف «ألاو» من السند وأما على ما في لفظ الحاكم من «ألاو» فيكون الراوى عن أبي شعيب المتوفى ٢٠٢ هو نفس الحاكم المولود سنة ٣٢١.

على أنَّ الذهبي قال في الميزان ٢: ٣٠: كان أبو شعيب غير متَّهم لكنه أخذ

الدرهم على الحديث، وحكى ابن حجر عن ابن حبان في لسان الميزان ٣: ٢٧١ إنَّه قال: كان يخطئ ويهم.

٤ - أخرج الحاكم في المستدرك ٣: ٢٤٤ عن أبي العباس محمد بن يعقوب ثنا بحر بن نصر ثنا عبد الله بن وهب أخبرني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر أنَّ عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي قحافة فأتى به النبي ﷺ فلما وقف به على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: غيروه (١) ولا تقربوه سوادا.

متن هذه الرواية يكذِّبه كلُّ ما ورد في إتيان أبي قحافة إلى النبي ﷺ فإنَّ في الجميع أنَّ الآتي به هو أبو بكر. ثمَّ مرَّ في حديث أنس أنَّه نظر إلى لحية أبي قحافة كأنَّه ضرام عرفج من شدَّة حرَّتْها، فما معنى ما ورد في هذا الرواية من قول رسول الله ﷺ: غيروه ولا تقربوه سوادا؟

وأما سندها ففيها عبد الله بن وهب قال ابن معين: ابن وهب ليس بذلك. وفي ابن جريج كان يستصغر. ميزان الاعتدال ٨٦: ٢.

وفيها أبو الزبير محمد بن مسلم الأسدي المكي ففي الميزان ٣ ص ١٢٥: يردُّ ابن حزم من حديث أبي الزبير ما يقول: عن جابر ونحوه، لأنَّه عندهم من يدَّلس فإذا قال. سمعت وأخبرنا أحتجَّ به. قال الأُميني: هذا الحديث ممَّا قال فيه أبو الزبير عن جابر فهو يُردُّ على ما قاله ابن حزم.

وقال أبو زرعة وأبو حاتم: أبو الزبير: لا يتحجُّ به وقال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي واحتجَّ عليه رجلٌ بحديث عن أبي الزبير فغضب وقال: أبو الزبير محتاج إلى دعامة. وعن ورقاء قال: قلت لشعبة: مالك تركت حديث أبي الزبير؟ قال: رأيته يزن ويسترجح في الميزان وقال شعبة: قدمت مكَّة فسمعت من أبي الزبير فبينما أنا جالسٌ عنده إذ جاءه رجلٌ يوماً فسأله عن مسألة فردَّ عليه فقلت له: يا أبا الزبير! تفتري على رجل مسلم قال: إنَّه أغضبني. قلت: من يغضبك تفتري عليه؟ لا رويت عنك حديثاً أبداً. وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٩: ٤٤٠ وحكى تضعيف أيُّوب وأحمد وغيرهما إياه. وعن أبي الزبير هذا أخرج الحاكم في المستدرك ٣: ٢٤٥ عن جابر أنَّه قال:

١ - قال الذهبي في تلخيص المستدرك: غيروه يعني الشيب.

أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ بِأَبِي قَحَافَةَ وَرَأْسَهُ وَلَحِيَّتَهُ كَالثَّغَامَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اخْضُبُوا لَحِيَّتَهُ.

٥ - أخرج ابن حجر من طريق محمد بن زكريا العلائي (١) عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهذلي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: جاء أبو بكر بأبي قحافة وهو شيخ قد عمى فقال رسول الله ﷺ: ألا تركت الشيخ حتى آتية؟ قال: أردت أن يؤجره الله، والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام أبي طالب مني بإسلام أبي، ألتمس بذلك قرّة عينك. الإصابة ٤: ١١٦.

(رجال الاسناد)

١ - محمد بن زكريا الغلابي البصري. قال الذهبي: ضعيف. وقال ابن حبان: يعتبر بحديثه وإذا روي عن ثقة. وقال ابن مندة: تكلم فيه. وقال الدارقطني يضع الحديث. وذكر الصولي باسناده حديثاً فقال: هذا كذب من الغلابي، ميزان الاعتدال ٣: ٥٨.

٢ - العباس بن بكار البصري. قال الدارقطني: كذاب. وقال العقيلي: الغالب على حديثه الوهم والمناكير. ميزان الاعتدال ٢: ١٨.

٣ - أبو بكر الهذلي البصري. قال الدوري ليس بشيء وقال أيضاً: ليس بثقة. وقال ابن معين: ليس بشيء. وقال غندر: كان يكذب وقال أبو زرعة ضعيف. وقال أبو حاتم: لئن الحديث يكتب حديثه ولا يُحتج بحديثه. وقال النسائي: ليس بثقة ولا يكتب حديثه. وقال ابن الجني: متروك الحديث. وقال ابن المديني: ضعيف ليس بشيء ضعيف جداً، ضعيف ضيف. وقال الجوزجاني: يضعف حديثه. وقال الدارقطني: منكر الحديث متروك. وقال يعقوب بن سفيان: ضعيف ليس حديثه بشيء. وقال المروزي: كان أبو عبد الله يضعف أمره. وقال ابن عمار: بصري ضعيف. وقال أبو إسحاق: ليس بحجة. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه. وقال الذهبي: ضعفه أحمد وغيره. وقال غندر وابن معين: لم يكن بثقة. وقال

١ - الصحيح: الغلابي.

يزيد بن زريع: عدلت عنه عمداً. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال البخاري: ليس بالحافظ عندهم.

راجع ميزان الاعتدال ٣: ٣٤٥، تهذيب التهذيب ١٢: ٤٦، وقال ابن حجر في الإصابة بعد ذكر الحديث: إسنادٌ واهٍ.

٦ - قال ابن حجر في الإصابة ٤: ١١٧: أخرج أبو قرة موسى بن طارق عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: جاء أبو بكر بأبي قحافة يقوده يوم فتح مكة فقال رسول الله ﷺ: ألا تركت الشيخ حتى تأتيه؟ قال أبو بكر: أردت أن يؤجره الله، والذي بعثك بالحق لأننا كنت أشد فرحاً بإسلام أبي طالب لو كان أسلم^(١) مني بأبي.

هذا الحديث كسابقه لا يدل على إسلام أبي قحافة وهو نظير قول عمر للعباس أنا بإسلامك إذا أسلمت أفرح مني بإسلام الخطاب يعني لو كان أسلم^(٢) وأما رجال إسناده ففيه:

١ - موسى بن طارق. قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يُحتج به كما قاله الذهبي في الميزان ٣: ٢١١. وفيه:

٢ - موسى بن عبيدة قال الذهبي: قال أحمد: لا يكتب حديثه. وقال النسائي وغيره: ضعيف. وقال ابن عدي: الضعف على روايته بئس. وقال ابن معين ليس بشيء. وقال مرة: لا يُحتج بحديثه. وقال يحيى بن سعيد: كنا نتقي حديثه. وقال يعقوب بن شيبة: صدوق ضعيف الحديث جداً. ميزان الاعتدال ٣: ٢١٤. وفيه:

٣ - عبد الله بن دينار. قال العقيلي: روى عنه موسى بن عبيدة ونظراؤه أحاديث مناكير الحمل فيها عليهم. تهذيب

التهذيب ٥: ٢٠٢.

(القسم الثاني)

لا يوجد في كتب الحديث ومعاجم التراجم ما يدل على إسلام أبي قحافة إلا ما

١ - هذه الجملة أعني (لو كان أسلم) دخيل من المتأخرين نظراء ابن حجر ولا توجد في الاصول القديمة راجع الرياض النضرة ١: ٤٥.

٢ - الإصابة ٤: ١١٧.

أخرجه أحمد في مسنده ٦: ٣٤٩ من طريق ابن اسحاق عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده: أي بنيةً اظهري بي على أبي قبيس، قالت: وقد كفّ بصره، قالت: فأشرفت به عليه فقال: يا بنيةً ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً. قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجالاً يسعى بين ذلك السواد مقبلاً ومدبراً قال: يا بنيةً ذلك الوازع يعني الذي يأمر الخليل و يتقدّم إليها ثم قالت: قد والله انتشر السواد. فقال: قد والله إذا دفعت الخيل فاسرعي بي إلى بيتي فانحطّت به وتلقّاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته وفي عنق الجارية طوقٌ لها من ورق فتلقّاه رجل فاقتلعه من عنقها قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة و دخل المسجد أتاه أبو بكر بأبيه يقوده فلما رآه رسول الله ﷺ قال: هلاًّ تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه؟ قال أبو بكر: يا رسول الله! هو أحقُّ أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه قال: فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال له: أسلم، فأسلم ودخل به أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ورأسه كأنه ثغامة فقال رسول الله ﷺ: غيروا هذا من شعره، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال: أنشد بالله وبالأسلام طوق أختي فلم يجبه أحدٌ، فقال: يا أختي: إحتسبي طوقك.

وفي لفظ المحبّ الطبري في الرياض ١، ٤٥: إحتسبي طوقك فوالله إنّ الأمانة في الناس اليوم قليل. قال الأميني: هذه الرواية لا تصحّ لمكان محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المدني نزيل العراق وليست هي إلّا من موضوعاته. قال سليمان التيمي: ابن إسحاق كذابٌ. وقال هشام بن عروة: كذابٌ.

وقال مالك: دجالٌ من الدجاجة.

وقال يحيى القطان: أشدُّ أنّ محمد بن إسحاق كذابٌ.

وقال الجوزجاني: الناس يشتهون حديثه، وكان يرمى بغير نوع من البدع.

وقال ابن نمير: يحدّث عن المجهولين أحاديث باطلة.

وقال أيوب بن اسحاق: سألت أحمد فقلت له: يا أبا عبد الله! إذا انفرد ابن اسحاق بحديث تقبله؟ قال: لا والله إلّا

رأيتّه يحدّث عن جماعة بالحديث الواحد

ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا.

وقال أبو داود: سمعت أحمد ذكر محمد بن اسحاق فقال: كان رجلاً يشتهي الحديث فيأخذ كتب الحديث فيضعها في كتبه، وكان يدلّس، وكان لا يبالي عمّن يحكي عن الكلبي وغيره.
وقال عبد الله بن أحمد: ما رأيت أبي أتقن حديثه قط، وكان يتتبعه بالعلو والنزل، قيل له: يحتجّ به؟ قال: لم يكن يحتجّ في السنن.

وقال ابن معين: ليس بذلك، ضعيف، ليس بقوي.

وقال النسائي: ليس بقوي.

وقال ابن المديني: كذّبه سليمان التيمي، ويحيى القطان، وهيب بن خالد وقال الدارقطني: لا يحتجّ به. وقال: اختلفت الأئمة فيه وليس بحجة إنما يعتبر به.

وقال هشام بن عروة: يحدث ابن إسحاق عن امرأتي فاطمة بنت المنذر والله إن رآها قط.

وقال وهيب: سألت مالكاً عنه فأثمه.

وقال أحمد: هو كثير التدليس جداً^(١).

وأخرج الحاكم في المستدرک ٣: من طريق الحديث الرابع المذكور عن عبد الله ابن وهب عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ هنا أبا بكر باسلام أبيه.

وفيه مضافاً إلى ما أسلفناه في الحديث الرابع: أنّ زيد بن أسلم توفي سنة ١٣٦ وعُدَّ من لقي ابن عمر^(٢) فلا تصحُّ روايته عن النبي ﷺ وقد ولد بعده بكثير.

على أنّ ابن حجر قال في تهذيب التهذيب ٣: ٣٩٧: ذكر ابن عبد البر في مقدّمة التمهيد ما يدلُّ على أنّه كان يدلّس. وقال في موضع آخر: لم يسمع من محمود بن لبيد وحكى عن ابن عيينة أنّه قال: كان زيد رجلاً صالحاً وكان في حفظه شيء. ونقل

١ - راجع ميزان الاعتدال ٣: ٢١ - ٢٢، تهذيب التهذيب ٩: ٣٨ - ٤٦.

٢ - تاريخ ابن كثير ١٠ ص ٦١، مرآة الجنان ١ ص ٢٨٤.

عن غيره قوله: لا أعلم به بأساً إلا أنه يفسر برأيه القرآن ويكثر منه، وفي ميزان الاعتدال ١ : ٣٦١: إنه كان يفسر القرآن برأيه.

هذا إسلام أبي قحافة وحديثه وليس إلا دعوى مجرّدة مدعومةً بالواهيات، ولا يثبت بها إسلام أيّ أحد، ويظهر من نفس رواية أحمد أنّ إتيانه إلى رسول الله ﷺ [على فرض تسليمه] لم يكن إلا لاسترداد ما أخذه المسلمون من إبنته من الطوق، ولو كان له إسلامٌ ثابتٌ وكان إتيانه للإسلام كان يعيد زيارته ﷺ مرّةً بعد أخرى، وكان ينتهز الفرص أيام إقامته تلك في مكّة ويستفيد من غير علمه، ويأخذ منه معالم دينه، وكان حقاً عليه أن يزوره في حجّة الوداع، ولو كان له إسلام لكان يروي عنه ﷺ ولو حديثاً واحداً، أو كان يروي عن أصحابه ولو عن واحد منهم، ولو كان قد أسلم لكان تُنقل عنه كلمة في الإسلام، أو قولٌ في الذبّ عنه، أو حرفٌ واحدٌ في الدعوة إليه أو كان له في التاريخ ذكرٌ عن أيّام إسلامه، ونبأ عن آثار إيمانه بالله وبرسوله، ولا أقلّ من روايته هو بحديث إسلامه.

ثم إن صحّ الخبر وقد أكرمه رسول الله ﷺ بقوله: هلا تركت الشيخ في بيته. الخ. وكان ذلك كما مرّ تكملةً لأبي بكر فما بال الصحابة تردّد شفاعته مثل هذا الرجل العظيم؟ الذي عظمه رسول الله ﷺ بتلك الكلمة القيّمة التي لم تُؤثر عنه ﷺ في أحد من الصحابة حتّى في أعمامه ﷺ وفيهم العباس الذي يستسقي به الغمام وهم يسمعونها منه ﷺ ما بالهم يصفحون عن شفاعته في والده باعادة الطوق إليه و هو شيخٌ كبيرٌ حديث العهد بالإسلام حرّياً بأن يُكرم؟ وما بال أبي بكر الذي أنفق جلّ ماله لرسول الله ﷺ على زعم القوم يأخذ بيد أخته ويأتي بها إلى مجتمع الثويلة وينشد الحضور بالله وبالإسلام ويسألهم ردّ طوقها إليها؟ وما الطوق وما قيمته والصحابة لم تقبل فيه شفاعته شيخهم يوم ذاك وخليفتهم في الغد؟ وكيف يستعظم أبو بكر أمر الطوق ويأمر أخته بالاحتساب ويرى الأمانة قليلة في الصحابة يوم ذاك مع حضور نبيّهم فيهم؟ فما كان محلّهم من الأمانة بعد يومهم ذاك بثلاث سنين وقد ارتحل النبي ﷺ من بين ظهرانيهم؟ وكيف صاروا بعد فقداهم نبيّهم عدولاً؟ أنا لا أدري.

إسلام أم أبي بكر

ليس إسلام أم الخير أم أبي بكر إلا كإسلام أبيه أبي قحافة، لا يُدعم بدليل و لا تقوّمه البرهنة.

أخرج الحافظ أبو الحسن خيثمة بن سليمان الاطرابلسي قال: حدّثنا عبيد الله بن محمّد بن عبد العزيز العمري قاضي المصيصة، حدّثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن اسحاق بن محمّد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدّثني أبي عبيد الله، حدّثني عبد الله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال: حدّثني أبي محمّد بن عمران عن القاسم بن محمّد بن أبي بكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما اجتمع اصحاب النبيّ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألحّ أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور فقال: يا أبا بكر إنّنا قليلٌ. فلم يزل أبو بكر يلحّ حتّى ظهر رسول الله ﷺ وتفرّق المسلمون في نواحي المسجد كلّ رجل في عشيرته وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ، جالس فكان أوّل خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرّفهما لوجهه، وأثر ذلك حتّى ما يُعرف أنفه من وجهه، وجاءت بنو تميم تتعادي فأجلوا المشركين عن أبي بكر وحملوا أبا بكر في ثوب حتّى أدخلوه بيته ولا يشكّون في موته، ورجع بني تميم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلنّ عتبة و رجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتّى أجابهم فتكلّم آخر. النهار: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فنالوه بالسنتهم وعدلوه ثمّ قاموا وقالوا لأم الخير بنت صخر: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه، فلمّا خلت به وألحّت جعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: والله ما أعلم بصاحبك. قال: فاذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه فخرجت حتّى جاءت إلى أم جميل فقالت: إنّ أبا بكر يسألك عن محمّد بن عبد الله. قالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمّد بن عبد الله، وإنّ تحيّي أن أمضي معك إلى ابنك فعلت؟ قالت: نعم فمضت معها حتّى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً فدنت منه أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: إنّ قوماً نالوا منك هذا لأهل فسق وإيّي لأرجو أن ينتقم الله لك قال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع

قال: فلا عين عليك منها قالت: سالمٌ صالحٌ. قال فأبى هو؟ قالت في دار الأرقم قال: فإنَّ لله عليَّ آليت أن لا أذوق طعاماً ولا شراباً أو آتي رسول الله ﷺ فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما حتى دخلتا على النبي ﷺ قال: فانكبت عليه فقبله وانكبت عليه المسلمون ورقاً له رسول الله ﷺ رقة شديدة فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي ليس بي إلا ما نال الفاسق من وجهي، هذه أُمِّي برة بوالديها وأنت مبارك فادعها إلى الله وأدع الله عز وجل لها عسى أن يستنقذها بك من النار. فدعاها رسول الله ﷺ فأسلمت (١).

قال الأُميبي: تفرَّد بهذا الحديث عبيد الله بن محمد العمري، رماه النسائي بالكذب، وحكاه عنه الذهبي وابن حجر (٢) وقال الدارقطني في حديث آخر تفرَّد به العمري ايضاً: ليس بصحيح تفرَّد به العمري وكان ضعيفاً. وبقية رجال السند كلهم تميميون فيهم عبد الله وعبيد الله من أولاد طلحة بن عبيد الله مجهولان لا يعرفان. وعبد الله ومحمد بن عمران من أولاد طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، أو: من أولاد طلحة بن عبيد الله ايضاً وهما مجهولان كسابقيهما

على أن أبا بكر لا يعدُّ من المعدِّبين في الاسلام، ولو كان له هذا الموقف في ذلك اليوم العصبوب وكانت على النبا مسحة من الصحة لكان يُذكر في صفحة كل تاريخ، ولم يكن يهمله أي مؤرخ، أمن المعقول أن يحفظ التاريخ في طياته تعذيب الموالي ولم يكن في صفحته ذكر عن مثل هذا الموقف لمثل أبي بكر؟.

ثم لو لم يكن الحفاظ عدوا هذه الرواية من موضوعات عبيد الله العمري وكان عندهم ثقة برجالها ولو بالعلاج ولو بقبيل قائل لما أعرضوا عنها في تلك القرون الخالية كلها، وكان يتلقاها حافظ عن حافظ وإمام عن إمام ولم تكن تخص روايتها بالمحب الطبري وابن كثير المتخصصين لذكر الموضوعات والأحاديث المفتعلة أو من يحدو حدوهما. وفي نفس الرواية ما يكذبها من شئ النواحي:

١ - إنَّ عائشة ولدت في السنة الرابعة أو الخامسة من البعثة (٣) والقضية على تسليم

١ - الرياض النضرة ١: ٤٦، تاريخ ابن كثير ٣: ٣٠.

٢ - ميزان الاعتدال ٢: ١٨٠، لسان الميزان ٤: ١١٢.

٣ - طرح التثريب ١: ١٤٧، الاصابة ٤: ٣٥٩.

قبولها قد وقعت في السادسة من البعثة فأين كانت عائشة يوم ذاك؟ أشاهدت موقف أبيها وهي على ثدي أمها بنت سنة أو سنتين؟ لماذا لم يُرو ذلك عن أبيها أو عن أمها أو عن أم جميل؟ لعل الرواية من ولائد القرون المتأخرة عنهم، ولدتها أم الفضائل بعد قضاء الدهر على حياة من خلقت لأجله.

٢ - إنَّ في لفظ الرواية: لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية و ثلاثين رجلاً. فعلى هذا لم يكن أبو بكر يوم ذاك مسلماً أخذاً بقول النبي ﷺ صلَّت الملائكة عليَّ وعلى عليّ سبع سنين لأنَّا كنا نصلِّي وليس معنا أحدٌ يُصلِّي غيرنا^(١)

وما مرَّت من الصحيحة عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لقد صلَّت مع رسول الله ﷺ قبل الناس بسبع سنين^(٢) وما أسلفنا من صحيحة الطبري: أنَّ أبا بكر أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً^(٣).

٣ - في الرواية: ألحَّ أبو بكر على رسول الله في الظهور فقال: يا أبا بكر! إنَّا قليلٌ فلم يزل أبو بكر يلحُّ حتَّى ظهر رسول الله ﷺ. إلخ. يكذِّبه ما في السير من أنَّ رسول الله ﷺ أظهر الدعوة قبل ذلك اليوم بثلاث سنين.

وروى ابن سعد وابن هشام والطبري وغيرهم: أنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر نبيَّه محمَّد ﷺ بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما جاءه منه، وأن ينادي الناس بأمره ويدعو إليه فقال له: فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين^(٤) وكان قبل ذلك في السنين الثلاث من مبعثه إلى أن أمر باظهار الدَّعوة إلى الله مستسراً مخفياً أمره ﷺ وأنزل عليه: وأنذر عشيرتكَ الأقربين، واخفض جناحك لمن اتَّبَعك من المؤمنين فإنَّ عصوك فقلَّ إلَيَّ بريءٌ ممَّا تعملون (سورة الشعراء ٢١٤ - ٢١٦)^(٥).

١ - راجع الجزء الثالث ص ٢٢٠ ط ٢.

٢ - راجع الجزء الثالث ص ٢٢١ ط ٢.

٣ - تاريخ الطبري ٢: ٢١٥.

٤ - سورة الحجر آية ٩٤.

٥ - تاريخ الطبري ٢: ٢١٦، طبقات ابن سعد ١: ١٨٣، سيرة ابن هشام ١: ٢٧٤. الكامل ٢: ٢٣، تفسير القرطبي ١٠: ٦٢، عيون الاثر لابن سيد الناس ١: ٩٩، تاريخ ابى الفدا ج ١: ١١٦، تفسير ابن كثير ٢: ٥٥٩، تفسير الخازن ٣: ١٠٩، تفسير الشوكاني ٣: ١٣٩.

فإظهار النبي ﷺ دعوته كان بأمر من المولى سبحانه من دون سبق أيّ إلحاح من أيّ أحد عليه من أبي بكر أو غيره سواء كان أسلم أبو بكر يوم ذاك أو لم يسلم.

على أنّ أبا بكر عُذِّمَ مَنْ كان يدعو سرّاً بعد ذلك اليوم بعد ظهور الدعوة من المسلمين فأين مقيّل إلحاحه على رسول الله في الظهور من الصّحة يوم ذاك؟ قال ابن سعد في طبقاته ١ : ١٨٥ : كان أبو بكر يدعو ناحية سرّاً، وكان سعد بن زيد مثل ذلك، وكان عثمان مثل ذلك، وكان عمر يدعو علانية وحمزة بن عبد المطلب بإسرار أبي بكر في الدعوة يوم إعلان عمر كان بعد ذلك اليوم، إذ أسلم عمر بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة. بعد أربعين رجلاً^(١) وقد مرّ في الرواية أنّ القضية وقعت والمسلمون ثمان وثلاثون نسمة.

وذكر الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ٢٥٩ حديثين في إسلام أمّ أبي بكر أحدهما عن ابن عبّاس قال أسلمت أمّ أبي بكر وأمّ عثمان وأمّ طلحة وأمّ الزبير وأمّ عبد الرحمن بن عوف وأمّ عمّار فقال:

فيه: خازم بن الحسين وهو ضعيف. وقال الذهبي في الميزان ١ : ٣١٥ : قال ابن معين: خازم ليس بشيء. وقال أبو داود: روى مناكير وقال ابن عدي: عاثة ما يرويه لا يتابع عليه.

والحديث الثاني للهيثم عن طريق الهيثم بن عدي قال: هلك أبو بكر فورثاه أبواه جميعاً وكانا أسلموا. ثمّ قال: إسناده منقطع.

قال الأُميني: كأنّ الحافظ الهيثمي يوهّم بكلمته الأخيرة أنّ علّة الحديث هي انقطاعه فحسب ولم يذكر بقيّة رجاله حتّى تقف عليها نظارة التنقيب غير أنّ في ذكر الهيثم بن عدي الكذاب كفاية. قال البخاري: ليس بثقة كان يكذب. وقال أبو داود: كذاب. وقال النسائي وغيره متروك الحديث. وقالت جارية الهيثم: كان مولاي يقوم عاثة الليل يصلّي فإذا أصبح جلس يكذب، وقال النسائي أيضاً: منكر الحديث و ذكر حديثاً وعدّه من إفتراء الهيثم على هشام بن عروة. وقال أبو حاتم، متروك الحديث وقال أبو زرعة: ليس بشيء. وقال العجلي: كذابٌ وقد رأيته وقال الساجي: سكن

١ - الاستيعاب هامش الإصابة ٢ : ٤٥٩، تأريخ ابن كثير ٣ : ٣١.

مَكَّةَ وكان يكذب. وقال إمام الحنابلة أحمد: كان صاحب أخبار وتدليس. وقال الحاكم النقاش: حدَّث عن الثقات بأحاديث منكورة. وعدَّ البيهقي والنقاش والجوزجاني الحديث من الموضوعات لكون الهيثم فيه. وقال أبو نعيم: يوجد في حديثه المناكير ^(١).

فاسلام أم أبي بكر كاسلام والده أبي قحافة قطُّ لا يثبت. والذي ذكر إسلامهما من المؤرِّخين كأبن كثير والديار بكري والحلبي وغيرهم لا يعوّل على قولهم بعد ما عرفت الحال في مستند أقوالهم، فلا قيمة للدعوى المجردة والتقول بلا دليل. ويُعرب عن جليّة الحال بقاء أم الخير « أم أبي بكر » في حباله أبي قحافة في مَكَّة، وقد أسلمت هي على قول من يقول بإسلامها في السادسة من البعثة وأسلم أبو قحافة في الثامن من الهجرة سنة الفتح كما سمعت فتخلّلت بين إسلامهما ثلاثة عشر عاماً، فبأيّ كتاب أم بآية سنّة بقيت تلك المسلمة أم مثل أبي بكر تلك السنين المتطاوله في نكاح أبي قحافة الذي لم يسلم بعد؟ وما الذي جمع بينهما؟ والفراق بينهما كان أوّل شعار الإسلاميّة. فأين إسلامهما؟ وبماذا يثبت والحال هذه؟

(أبو بكر وأبواه في القرآن)

لعبت أيدي الهوى بكتاب الله، وحرّفت الكلم عن مواضعها، وجاء من يؤلّف في التفسير وقد أعماه الحبُّ وأصمّه يخبط خبط عشواء، فتراه كحاطب ليل يروي في كتابه أساطير السلف الأوّلين من الوضّاعين مراسلاً إيّاها ارسال المسلم من دون أيّ تحقيق وتثبت وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، ومع ذلك يرون أنفسهم أئمة وقادة في علم القرآن العزيز. حتّى يرون أنّ قوله تعالى في الأحقاف ١٥: «ووصّينا الانسان بوالديه حسناً حملته أمّه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتّى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذرّيّتي إيّيتني إليك وإنيّ من المسلمين». نزلت في أبي بكر.

ويروون عن عليّ أمير المؤمنين وابن عبّاس أنّ الآية نزلت في أبي بكر الصديق وكان حمله وفصاله ثلاثين شهراً، حملته أمّة تسعة أشهر وأرضعته إحدى وعشرين

١ - ميزان الاعتدال ٣: ٢٦٥، لسان الميزان ٦: ٢٠٩، الغدير ٥: ٢٧٠ ط ٢.

شهرًا، أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه وغيره. فأوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده. فلما بُسِّئ رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة صدَّق أبو بكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ وهو ابن ثمانية وثلاثين سنة فلما بلغ أربعين سنة قال: ربِّ أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ، واستجاب الله له فأسلم والداه وأولاده كلُّهم.
الكشاف ٣: ٩٩، تفسير القرطبي ١٦: ١٩٣، ١٩٤، الرياض النضرة ١: ٤٧، مرقاة الوصول ص ١٢١، تفسير الخازن ٤: ١٣٢، تفسير النسفي هامش الخازن ٤: ١٣٢، تفسير الشوكاني ٥: ١٨.

ألا مسائل هؤلاء الأعلام المغفلين عن أن كون مدَّة الحمل والفصال ثلاثين شهرًا هل يخصُّ أبي بكر فحسب حتى يُخصَّ بالذكر؟ أم هو مطرَّد في خلق الله، إمَّا بكون مدَّة الحمل ستة أشهر ومدَّة لارضاع حولين كاملين، وإمَّا بكون الحمل تسعة أشهر والارضاع واحدًا وعشرين شهرًا؟ وإنَّ الحريَّ بالذكر هو الأوَّل شذوذه عن العادة المطرَّدة.

ثمَّ إنَّ كان هذا من خاصَّة أبي بكر وحكايةً لحمله وفصاله فكيف يصحُّ لمولانا أمير المؤمنين وابن عباس الاستدلال بالآية مع ما في سورة لقمان على كون أقلِّ الحمل ستة أشهر كما مرَّ في الجزء السادس ص ٩٣ - ٩٥ ط ٢ فالآية الكريمة لا تبين إلَّا ما هو السائر الدائر بين البشر بأحد الوجهين المذكورين وبهذا يتمُّ الاستدلال. وفيه قال ابن كثير في تفسيره ٤: ١٥٧: وهو استنباطٌ قويٌّ صحيحٌ ووافقه عليه عثمان وجماعةٌ من الصحابة رضي الله عنهم. وابن كثير مع اكثاره بنقل الموضوعات لم يوعز إلى نزول الآية في أبي بكر لما يرى في نقله من الفضيحة على نفسه.

ثمَّ إنَّ في نصِّ الآية: إنَّ ذلك الانسان قال ما قاله وقد بلغ أشدَّه وبلغ من عمره أربعين عاماً. وأبو بكر لم يكن مسلماً يوم ذاك لا هو ولا أبوه ولا أمه، أمَّا هو فقد قدَّمنا أنَّه أسلم بعد سبع من البعثة بنصوص مرَّت في الجزء الثالث ص ٢٢٠ - ٢٢٣ ط ٢.

وأما أبوه فقد أسلم « إن أسلم » يوم الفتح في السنة الثامنة من الهجرة وكان لأبي بكر يومئذ ست وخمسون سنة أو أكثر.

وأما أمُّه فقد أسلمت « إن أسلمت » في السنة السادسة من البعثة وأبو بكر يوم ذاك ابن أربع وأربعين سنة أو أكثر منها.

فبماذا أنعم الله عليه وعلى والديه يوم قال: ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ. وكلّهم غير مسلمين؟ والجملة دعائيّة بالنسبة إلى إلهام الشكر على ما أنعم الله به عليه وعلى والديه فحسب، وأما بالنسبة إلى كونهم من المنعم عليهم فخيريّة تقتضي سبق تلك النعمة على ظرف الدعاء، فالقول بأنّ الله سبحانه استجاب له فأسلم والداه وأولاده كلّهم مهزأة غير مدعومة بشاهد.

على أنّ أخبار إسلام والديه « بعد تسليمها والغضّ عمّا فيها » تدلّ على أنّ إسلام أمِّه كان بدعاء رسول الله ﷺ لها بالإسلام، وإسلام أبيه من بركة مسحه ﷺ يده على صدره، فأين دعاء أبي بكر؟ وأما ما في ذيل الرواية ممّا عزي إلى أمير المؤمنين عليه السلام من أنّه لم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غير أبي بكر. فحاشا أمير المؤمنين بقول مثل ذلك، وقد عرّفناك ص ٣١٠ - ٣١٢ زرافات من المهاجرين أسلموا هم وآبائهم وأمّهاتهم ويقدمهم هو سلام الله عليه بالأوليّة والأولويّة.

(آية أخرى في أبي بكر وأبيه)

وردت في قوله تعالى من سورة المجادلة: ٢٢: لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروحٍ منه ويدخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون.

من طريق ابن جريج: أنّ أبا قحافة سبّ النبي ﷺ فصكّه أبو بكر ابنه صكّة فسقط منها على وجهه، ثمّ أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: أو فعلته لا تعدّ إليه فقال والذي بعثك بالحق نبياً لو كان السيف ممّي قريباً لقتلته. فنزلت قوله: لا تجد قوماً. الآية.

تفسير القرطبي ١٧: ٣٠٧ تفسير الزمخشري ٣: ١٧٢، مرقاة الوصول حاشية نوادر

الأصول ص ١٢١، تفسير الألوسي ٢٨ : ٣٦.

قال الأميني: أصفق رجال التفسير على أنّ سورة الأحقاف التي مرّت فيها الآية الأولى مكيّة، وعلى أنّ سورة المجادلة مدنيّة، وعلى أنّ هذه الآية نزلت بعد ربح من الزمن من نزول الأحقاف، ويظهر من تفسير القرطبي وابن كثير والرازي أنّها نزلت بعد بدر وأحد فيقع نزولها على هذا في السنة الرابعة من الهجرة تقريباً، فما وجه الجمع بين الآيتين على تقدير تسليم نزولهما في أبي بكر، والأولى منهما كما مرّ نصّ على أنّ أبا قحافة ممّن أنعم الله عليه يوم كان لأبي بكر أربعون سنة، ولمّا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال: ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ. وهذه الآية كما ترى نصّ في أنّ أبا قحافة يوم نزولها - وكان يوم ذاك لأبي بكر ثلث و خمسون سنة تقريباً - كان ممّن حادّ الله ورسوله.

والذي يهوّن الخطب أنّ متن هذه الرواية كالرواية السابقة الواردة في الآية الأولى يكذب نفسها، إذ الآية كما سمعت نزلت بالمدينة، وظاهر الرواية وقوع القصّة بها، و يوم ذاك كان أبو قحافة بمكة، فأين وائى اجتمع أبو بكر مع أبيه وصكّه؟ ثمّ هل يشترط وجوب قتل من سبّ رسول الله ﷺ بقرب السيف ممّن سمعه؟ أو شرّع هذا الحكم بعد القصيّة؟ أو حُصّ أبو قحافة منه بالدليل، سل من أعماه الغلوّ في الفضائل وأصمّه، إنهم ليقولون منكرّاً من القول وزوراً، ويقولون هو من عند الله، و ما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون.

(الغاية للقالة)

أحسب إنَّ القوم لم ينسجوا هذا الإفك على نول الجهل بتراجم الرجال فحسب، ولا أنَّ لهم مأرباً في آباء المهاجرين أسلموا أو لم يسلموا، أو أنَّ لهم غاية في اسلام أبوي أبي بكر، لكنَّهم زعموا لما لم يزل لهم فيه مكاءً وتصديةً من تكفير سيّد الأباطح شيخ الأئمة أبي طالب والد مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليهما، وذلك بعد أن عجزوا عن الوقعة في الولد فوجَّهوها إلى الوالد أو إلى الوالدين كما فعله الحافظ العاصمي في زين الفتى. وكان من تهويلهم في تخفيف تلکم الوطأة أن جرَّوا ذلك إلى والدي النبيِّ المعظم ﷺ وعليهما حتى قال العاصمي في زين الفتى عند بيان وجه الشبه بين النبيِّ والمرضى صلى الله عليهما وآلهما: أمَّا تشبيه الأبوين في الحكم والتسمية فإنَّ النبيَّ في كثره ما انعم الله تعالى عليه ووفور احسانه اليه لم يرزقه اسلام أبويه، وعلى هذا جمهور المسلمين ^(١) إلا شردمة قليلون لا يلتفت اليهم، فكذلك المرضى فيما اكرمه الله به من الأخلاق والخصال وفنون النعم والافضال لم يرزقه اسلام أبويه اهـ.

فلم تفتأ لهم في ذلك جلبة ولغط مكابرين فيهما المعلوم من سيرة شيخ الأبطح وكفالتة لصاحب الرسالة، ودرعه عنه كلّ سوء وعادية، وهتافه بدينه القويم، وخضوعه لمناموسه الإلهي في قوله وفعله وشعره ونثره، ودفاعه عنه بكلِّ ما يملكه من حول وطول.

ولو لا أبو طالب وابنه	لما مثل الدّين شخصاً وقاماً
فذاك بمكّة آوى وحامى	وهذا بيثرب جسّ الحماما
تكفّل عبد مناف بأمر	وأودى فكان عليّ تماماً
فقل في ثبير مضى بعد ما	قضى ما قضاه وأبقى شماماً

١ - كما فعله الحافظ العاصمي في زين الفتى.

٢ - أفك الرجل على جمهور المسلمين، فان الامامية والزيدية على بكرة أبيهم ومن هذا حذوهم من محققى اهل السنة ذهبوا الى اسلام والدي النبي الاقدس، ومن شدّ عنهم فلا يأبه به ولا يلتفت اليه.

فَلِّلَّهُ ذَا فَاتِحًا لِلْهَدَى وَلِلَّهِ ذَا لِلْمَعَالِي خَتَامَا
وَمَا ضَرَّ مَجْدَ أَبِي طَالِبٍ جَهْلًا لَغَا أَوْ بَصِيرًا تَعَامِي
كَمَا لَا يَضُرُّ إِيَابَ الصُّبَا حَ مِّنْ ظَنِّ ضَوْءِ النَّهَارِ الظَّلَامَا (١)
وهناك طرقٌ لا يمكن التوسُّل إلى الإذعان بنفسيات أيٍّ أحدٍ إلَّا بها ألا وهي:

١ - إستنباطها ممَّا يلفظ به من قول.

٢ - أو ممَّا ينوء به من عمل.

٣ - أو ممَّا يروي عنه آله وذووه، فإنَّ أهل البيت أدرى بما فيه.

٤ - أو ممَّا أسنده إليه مَنْ لا ث به وبجمع له.

- ١ -

أما أقوال أبي طالب سلام الله عليه فإليك عقوداً عسجديةً من شعره الرائق مثبتة في السير والتواريخ وكتب الحديث. أخرج الحاكم في المستدرك ٢: ٦٢٣ باسناده عن ابن اسحاق قال: قال ابو طالب أبياتاً للنجاشي يحضُّهم على حسن جوارهم والدفع عنهم - يعني عن المهاجرين إلى الحبشة من المسلمين -:

لِيَعْلَمَ خِيَارَ النَّاسِ أَنَّ مُحَمَّدًا وَزِيرُ لِمُوسَى وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ
أَنَا بِهَدْيٍ مِثْلَ مَا أَتَى بِهِ فَكُلُّ بَأْمَرِ اللَّهِ يَهْدِي وَيَعْصِمُ
وَأَنْتُمْ تَتْلُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ بِصَدَقِ حَدِيثٍ لَا حَدِيثَ الْمَرْجُمِ
وَأَنْتَ مَا تَأْتِيكَ مِنْهَا عَصَابَةٌ بِفَضْلِكَ إِلَّا أَرْجِعُوا بِالتَّكْرُمِ
وقال سلام الله عليه من قصيدة:

فَبَلِّغْ عَنِ الشَّحْنَاءِ أَفْنَاءَ غَالِبٍ لَوْيًّا وَتِيْمَاءً عِنْدَ نَصْرِ الْكَرَائِمِ
لَأَنَا سَيُوفُ اللَّهِ وَالْمَجْدُ كُلُّهُ إِذَا كَانَ صَوْتُ الْقَوْمِ وَجِي الْغَمَائِمِ
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الْقُطَيْعَةَ مَأْتُمْ وَأَمْرَ بِلَاءٍ قَاتِمٍ غَيْرِ حَازِمٍ؟
وَأَنَّ سَبِيلَ الرِّشْدِ يُعْلَمُ فِي غَدٍ وَأَنَّ نَعِيمَ الدَّهْرِ لَيْسَ بِدَائِمِ
فَلَا تَسْفَهَنَّ أَحْلَامَكُمْ فِي مُحَمَّدٍ وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الْغَوَاةِ الْأَشْهَائِمِ

١ - ذكرها ابن أبي الحديد لنفسه في شرحه ٣: ٣١٧.

تَنِيَّتُمْ أَنْ تَقْتُلُوهُ وَإِنَّمَا
وَإِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَا تَقْتُلُونَهُ
وَلَمْ تَبْصُرُوا الْأَحْيَاءَ مِنْكُمْ مَلَأَ
وَتَدْعُو بِأَرْحَامِ أَوَاصِرٍ بَيْنَنَا
زَعَمْتُمْ بَأَنَّا مُسْلِمُونَ مُحَمَّداً
مِنَ الْقَوْمِ مَفْضَالُ أَبِي عَلَى الْعَدَى
أَمِينٌ حَيِّبٌ فِي الْعِبَادِ مَسْوومٌ
يَرَى النَّاسَ بَرَهَاناً عَلَيْهِ وَهَيْبَةً
نَبِيٌّ أَتَاهُ الْوَحْيُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ
تَطْيِيفٌ بِهِ جَرْتُومَةٌ هَاشِمِيَّةٌ

ديوان أبي طالب ص ٣٢، شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣١٣:

ومن شعره في أمر الصحيفة التي سنوقفك على قصتها قوله:

أَلَا أبلغَا عَنِّي عَلَى ذَاتِ بَيْنِهَا
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّداً
وَأَنَّ عَلَيْهِ فِي الْعِبَادِ مَحَبَّةً
وَأَنَّ الَّذِي رَقَّشْتُمْ فِي كِتَابِكُمْ
أَفِيقُوا أَفِيقُوا قَبْلَ أَنْ تَحْفَرِ الزُّبَى (٣)
وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الْغَوَاةِ وَتَقْطَعُوا
وَتَسْتَجْلِبُوا حَرْباً عَوَاناً (٤) وَرَبَّمَا
فَلَسْنَا وَبِيتِ اللَّهُ نُسْلُكُمْ أَحْمَداً

أَمَّا نِيَّتُكُمْ هَذَا كَأَحْلَامِ نَائِمٍ
وَلَمَّا تَرَوْا قُطِفَ اللَّحَا وَالْغَلَاصِمِ (١)
تَحْمُومٍ عَلَيْهَا الطَّيْرُ بَعْدَ مَلَأَمِ
فَقَدْ قَطَّعَ الْأَرْحَامَ وَقَعَ الصَّوَارِمِ
وَلَمَّا نَقَّاذِفَ دُونَهُ وَنَزَّاحِمِ
تَمَكَّنَ فِي الْفَرَعَيْنِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
بِحِجَابِ رَبِّ قَاهِرٍ فِي الْخِوَاتِمِ
وَمَا جَاهِلٌ فِي قَوْمِهِ مِثْلُ عَالِمِ
وَمَنْ قَالَ: لَا يَقْرَعُ بِهَا سِنَّ نَادِمِ
تُذَيِّبُ عَنْهُ كُلَّ عَادَةٍ وَظَالِمِ

لَوِيّاً وَخَصّاً مِنْ لَوِيٍّ بَنِي كَعْبٍ
رَسُولاً كَمُوسَى خُطٌّ فِي أَوَّلِ الْكُتُبِ؟
وَلَا حَيْفَ فَيَمْنُ خَصَّه اللَّهُ بِالْحَبِّ
يَكُونُ لَكُمْ يَوْماً كِرَاغِيَةَ السَّقْبِ (٢)
وَيَصْبِحُ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْباً كَذِي ذَنْبٍ
أَوَاصِرْنَا بَعْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ
أَمَرَ عَلَى مَنْ ذَاقَهُ حَلَبُ الْحَرْبِ
لِعِزَّاءٍ مِنْ عَضِّ الزَّمَانِ وَلَا كَرْبِ (٥)

١ - في رواية: والجماجم. الغلاصم ج الغلصمة: اللحم بين الرأس والعنق.

٢ - في رواية: ابن هشام:

وان الذي الصقتم من كتابكم
رقش: كتب واطر الراغية من الرغاء: أصوات الابل. السقب: ولد الناقة.

٣ - في سيرة ابن هشام: الثرى بدل الزبي.

٤ - الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد اخرى. اشد الحروب.

٥ - العزاء السنة الشديدة عض الزمان: شدته وكلبه.

لكم كائن نحسا كراغية السقب

وَلَمَّا تَبَيَّنَ مَنَّا وَمِنْكُمْ سَوَالِفٌ
بِمُعْتَرِكِ ضَنْكٍ تَرَى كَسْرَ الْقَنَا
كَأَنَّ مَجَالِ الْخَيْلِ فِي حَجَرَاتِهِ
أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شَدَّ أَرْزَهُ
وَلَسْنَا نَمْلُ الْحَرْبِ حَتَّى تَمْلَنَّا
وَلَكِنَّا أَهْلَ الْحَفَائِظِ وَالنُّهَى

وَأَيْدٍ أَتَرَّتْ ^(١) بِالْمَهْئِدَةِ الشَّهْبِ
بِهِ وَالضَّبَاعِ الْعَرَجِ تَعَكَّفَ كَالشَّرْبِ ^(٢)
وَمَعْمَعَةِ الْأَبْطَالِ مَعْرَكَةِ الْحَرْبِ
وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطَّعَانِ وَبِالضَّرْبِ؟
وَلَا نَشْتَكِي مِمَّا يَنْوِبُ مِنَ النُّكْبِ
إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكُمَاةِ مِنَ الرَّعْبِ

سيرة ابن هشام ١: ٣٧٣، شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣١٣، بلوغ الارب ١: ٣٢٥، خزانة الأدب للبغدادي ١: ٢٦١،
الروض الانف ١: ٢٢٠، تاريخ ابن كثير ٣، ٨٧، أسنى المطالب ص ٦: ١٣، طلبة الطالب ص ١٠.
ومن شعره قوله:

أَلَا مَا لَهُمْ آخِرَ اللَّيْلِ مَعْتِمِ
طَوَانِي وَقَدْ نَامَتِ عَيُونٌ كَثِيرَةٌ
لَأَحْلَامٍ أَقْوَامٍ أَرَادُوا مَحْمَدًا
سَعَوْا سَفْهًا وَاقْتَادَهُمْ سُوءُ أَمْرِهِمْ
رَجَاةَ أُمُورٍ لَمْ يَنَالُوا نِظَامَهَا
يَرْجُونَ مَنَّا خَطَّةً دُونَ نِيلِهَا
يَرْجُونَ أَنْ نَسْخِيَ بِقَتْلِ مُحَمَّدٍ
كَذَبْتُمْ وَبَيَّتَ اللَّهُ حَتَّى تَفْلَقُوا
وَتُقْطَعَ أَرْحَامٌ وَتَنْسَى حَلِيلَةٌ
وَيَنْهَضَ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ
هُمْ الْأُسْدُ أَسَدُ الزَّارَتَيْنِ إِذَا غَدَتِ
فِيَا بَنِي فَهْرٍ أَفَيْقُوا وَلَمْ تُقْمِ

طَوَانِي وَأُخْرَى النِّجْمِ لَمَّا تَقَحَّمِ
وَسَامِرُ أُخْرَى قَاعِدٌ لَمْ يُنَوِّمِ
بِظْلَمٍ وَمَنْ لَا يَتَّقِي الْبَغْيَ يُظْلَمِ
عَلَى خَائِلٍ مِنْ أَمْرِهِمْ غَيْرِ مُحْكَمِ
وَإِنْ نَشَدُوا فِي كُلِّ بَدْوٍ وَمَوْسَمِ
ضُرَابٍ وَطَعْنٍ بِالْوَشْيِجِ الْمُقْوَمِ
وَلَمْ تَخْتَضِبِ سَمَرَ الْعَوَالِي مِنَ الدَّمِ
جَمَاجِمِ ثُلُقَى بِالْحَمِيمِ وَزَمْزَمِ
حَلِيلًا وَيَغْشَى مُحَرَّمٌ بَعْدَ مُحَرَّمِ
يَذَبُّونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ كُلَّ مُجْرِمِ
عَلَى حَنْقٍ لَمْ تَخْشِ إِعْلَانِ مَعْلَمِ
نَوَائِحِ قَتْلَى تَدْعَى بِالتَّسَدِّمِ ^(٣)

١ - تبن: تنفصل. السوالف: صفحات الاعناق. اترت: قطعت.

٢ - ضنك: ضيق. الضباع العرج مر ص ٥٨ الشرب: الجماعة من القوم يشربون. والشرط الثاني في سيرة ابن هشام: به والنسور الطخم يكفن كالشرب.

٣ - التسدم من السدم: الهم مع الندم. الغيظ مع الحزن.

على ما مضى من بغيكم وعقوقكم
وظلم نبيٍّ جاء يدعو إلى الهدى
فلا تحسبونا مسلميه ومثله
فهذي معاذيرٌ وتقدمة لكم
وغشيانكم في أمرنا كلٍّ ما ثم
وأمر أتى من عند ذي العرش قيِّم^(١)
إذا كان في قوم فليس بمسلم
لكيلا تكون الحرب قبل التقدم

ديوان أبي طالب ص ٢٩: شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣١٢

وله قوله مخاطباً للنبيِّ الأعظم ﷺ :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
ودعوتني وعلمتُ أنَّك ناصحي
ولقد علمتُ بأنَّ دين محمدٍ
حتى أوسَّد في التراب دفينا
وابشر بذلك وقرَّ منك عيونا
ولقد دعوتُ كنتَ ثمَّ أمينا^(٢)
من خير أديان البرِّيَّة دينا

رواها الثعلبي في تفسيره وقال: قد اتَّفَق على صحَّة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب مقاتل، وعبد الله بن عباس، والقسم بن محضرة، وعطاء بن دينار. راجع خزانة الأدب للبغدادى ١: ٢٦١، تاريخ ابن كثير ٣: ٢٢، شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٠٦ تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٢٠، فتح الباري ٧: ١٥٣، ١٥٥ الاصابة ٤: ١١٦، المواهب اللدنيَّة ١: ٦١، السيرة الحلبية ١: ٣٠٥، ديوان أبي طالب ص ١٢، طلبة الطالب ص ٥ بلوغ الأرب ١: ٣٢٥، السيرة النبويَّة لزيني دحلان هامش الحلبية ١: ٩١، ٢١١، وذكر البيت الأخير في أسنى المطالب ص ٦ فقال: عدَّه البرزنجي من كلام أبي طالب المعروف. لفت نظر: زاد القرطبي وابن كثير في تاريخه على الأبيات:

لولا الملاممة أو حذارى سبَّة لوجدتني سمحاً بذاك مينا

قال السيّد أحمد زيني دحلان المطالب ص ١٤: فقل: إنَّ هذا البيت موضوعٌ أدخلوه في شعر أبي طالب وليس من كلامه.

١ - في رواية شيخ الطائفة: مبرم.

٢ - وفي رواية القسطلاني:

ودعوتني وزعمت أنَّك ناصحي ولقد صدقت وكننت ثمَّ أمينا

قال الأميني: هب أنّ البيت الأخير من صُلب ما نظمه أبو طالب عليه السلام فإنّ أقصى ما فيه أنّ العار والسبّة الذين كان أبو طالب عليه السلام يحذرهما خيفة، أن يسقط محلّه عند قريش فلا تتسبّى له نصرة الرسول المبعوث صلى الله عليه وآله وسلم إنّما منعه عن الابانة والإظهار لاعتناق الدين، وإعلان الإيمان بما جاء به النبيّ الأمين، وهو صريح قوله: لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً، أي مظهرأً، وأين هو عن إعتناق الدين في نفسه، والعمل بمقتضاه من النصرة والدفاع؟ ولو كان يريد به عدم الخضوع للدين لكان تهافتاً بيّناً بينه وبين أبياته الأولى التي ينصّ فيها بأنّ دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم من خير أديان البريّة ديناً، وأنّه صلى الله عليه وآله وسلم صادقٌ في دعوته أمينٌ على أمّته.

ومن شعره قوله قد غضب لعثمان بن مظعون حين عدّته قريش ونالت منه:

أُمن تذكّر دهر غير مأمونٍ	أصبحت مكتئباً تبكي كمحزونٍ
أم من تذكّر أقوامٍ ذوي سفهٍ	يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين؟!
ألا تـــــــرون أذلّ الله جمعكـــــــم	إنّا غضبنا لعثمان بن مظعون؟
ونمنع الضميم من يغني مضيئنا	بكلّ مطّرد في الكفّ مسنونٍ
ومرهفات كأنّ الملح خالطها	يُشفى بها الداء من هام المجانين
حتّى تقرّ رجالٌ لا حلوم لها	بعد الصعوبة بالأسمّاح واللين
أو تؤمنوا بكتابٍ مُنزلٍ عجيبٍ	على نبيّ كموسى أو كذي النون ^(١)

ومن شعره يمدح النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

لقد أكرم الله النبيّ محمّداً	فأكرم خلق الله في الناس أحمداً
وشقّ له من اسمه ليجلّه	فدو العرش محمودٌ وهذا محمّداً

أخرجه البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن يزيد، وأبو نعيم في دلائل النبوة ١ ص ٦، وابن عساكر في تاريخه ١: ٢٧٥، وذكره له ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٣١٥، وابن كثير في تاريخه ١ ص ٢٦٦، وابن حجر في الإصابة ٤: ١١٥، القسطلاني في المواهب اللدنيّة ١: ٥١٨ نقلاً عن تاريخ البخاري، والديار بكري في تاريخ الخميس ١ ص ٢٥٤ فقال: أنشأ أبو طالب في مدح النبيّ أبياتاً منها هذا البيت

١ - شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣١٣.

وشقَّ له من اسمه ليجلَّه
وحسَّان بن ثابت ضمَّن شعره هذا البيت فقال:

ألم تَر أنَّ الله أرسل عبده
بآياته وأعلى وأمجُّد

وشقَّ له من اسمه ليجلَّه
والزرقاني في شرح المواهب ٣: ١٥٦ وقال: توارد حسَّان معه أو ضمنه شعره وبه جزم في الخميس، أسنى المطالب ص

١٤.

ومن شعره المشهور كما قاله ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٣١٥:

أنت النبيُّ محمدٌ
قـرمُ أغـرُ مسـوودٌ

لمسـوودٍ دين أكرام
طابوا وطاب المولودُ

نعم الأرومة أصلها
عمرو الخضم الأوحـدُ

هشيم الربـكة في الجفـا
ن وعـيش مـكـة أنـكـدُ

فجـرت بـذلك سـنة
فيها الخـبـيرة تـثـردُ

ولنا السـقاية للحـجـيـ
جـ بـها يـمـات العنـجـدُ

والمأزـمـان (١) ومـاحوت
عرفانها والمسـجـدُ

أنتي تُضام ولم أمـت
وأنا الشـجـاع العـربـدُ

وبطـاح مـكـة لا يُـرى
فيها نـجـع أسـودُ

وبنـوا أيـمـك كـأهم
أسـد العـرـين توفـدوا

ولقد عهـدتك صـادقاً
في القـول لا يـتـزـدُ

ما زلت تنطق بالصـوا
ب وأنـت طفـل أمـردُ

جاء أبو جهل بن هشام إلى رسول الله ﷺ وهو ساجد وبيده حجر يريد أن يرميه به فلمَّا رفع يده لصق الحجر بكفه

فلم يستطع ما أراد فقال أبو طالب:

أفيقوا بني غالب! وانتهوا
عن الغيِّ من بعض ذا المنطقِ

وإلا فـانـي إـذن خـائفٌ
بوائـق في داركم تلتقي

تكون لغـيركم عـبرة
وربَّ المغـارب والمـشـرقِ

١ - المأزمان: موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة وهو شعب بين جبلين.

كما نال مَنْ لَانِ مِنْ قَبْلِكُمْ
غُدَاةَ أَتَاهُمْ بِهَا صِرْصِرٌ
فَحَلَّ عَلَيْهِمْ بِهَا سَخَطُهُ
غُدَاةَ يَعْرِضُ بِعَرْقِهَا
وَأَعْجَبَ مِنْ ذَاكَ فِي أَمْرِكُمْ
بَكْفٍ الَّذِي قَامَ مِنْ خَبْثِهِ
فَأَثْبَتَهُ اللَّهُ فِي كَفِّهِ
أَحْيَمَقَ مَخْزُومَكُمْ إِذْ غَوَى
ثَمُودٌ وَعَادٌ وَمَاذَا بَقِيَ
وَنَاقَةُ ذِي الْعَرْشِ قَدْ تَسْتَقِي
مَنْ اللَّهَ فِي ضَرْبَةِ الْأَزْرِقِ
حَسَاماً مَنْ الْهَنْدُ ذَا رَوْقِ
عَجَائِبَ فِي الْحَجَرِ الْمَلْصَقِ
إِلَى الصَّابِرِ الصَّادِقِ الْمُتَّقِي
عَلَى رَغْمِهِ الْجَائِرِ الْأَحْمَقِ
لَغِيٍّ الْغَوَاةَ وَلَمْ يَصْدَقِ

ديوان أبي طالب ص ١٣، شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣١٤.

قال ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٣١٤: قالوا وقد اشتهر عن عبد الله المأمون رحمه الله إنه كان يقول: أسلم أبو طالب والله بقوله:

نصرت الرسول رسول المليك
أذُبُّ وَأَحْمِي رَسُولَ الْإِلَهِ
وَمَا إِنْ أَدَبٌ لِأَعْدَائِهِ
وَلَكِنْ أَزِيرُ لَهُمْ سَامِيًا
بِيضٌ تَالًا كَلَمَعَ الْبُرُوقِ
حَمَايَةَ حَامٍ عَلَيْهِ شَفِيقِ
دَيْبِ الْبَكَارِ حَذَارِ الْفَنِيْقِ^(١)
كَمَا زَارَ لَيْثٌ بَغِيلَ مَضِيقِ
وتوجد هذه الأبيات مع بيت زائد في ديوانه ص ٢٤.

ولسيدنا أبي طالب أبياتٌ كتبها إلى النجاشي بعد ما خرج عمرو بن العاص إلى بلاد الحبشة ليكيد جعفر بن أبي طالب وأصحابه عند النجاشي. يحرض النجاشي على إكرام جعفر والإعراض بما يقول عمرو منها:

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ فِي النَّاسِ جَعْفَرُ
وَهَلْ نَالَ أَحْسَنَ النَّجَاشِيِّ جَعْفَرًا
تَعْلَمُ أَيْبَتَ اللَّعْنِ أَتُكُّ مَا جَدُّ
وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ زَادَكَ بَسْطَةً
وَعَمْرُو وَأَعْدَاءُ النَّبِيِّ الْأَقَارِبُ
وَأَصْحَابُهُ أَمْ عَاقَ عَنْ ذَاكَ شَاغِبُ؟
كَرِيمٌ فَلَا يَشْقَى إِلَيْكَ الْمَجَانِبُ
وَأَسْبَابُ خَيْرِ كُلِّهَا بِكَ لَازِبُ

تاريخ ابن كثير ٣: ٧٧، شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣١٤.

١ - الفنيق: الفحل المكرم لا يؤذى ولا يركب لكرامته ج فق وأفناق.

قال ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٣١٥: ومن شعره المشهور أيضاً قوله يخاطب محمداً، ويسكن جأشه، ويأمره باظهار الدعوة:

لا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ حَقِّ تَقْوَم بِهِ أَيَدُ تَصُول وَلَا سَلْقُ بِأَصَوَاتِ
فَإِنَّ كَفَّكَ كَفَّى إِنْ مَلَيْتَ بِهِمْ وَدُونَ نَفْسِكَ نَفْسِي فِي الْمَلَمَّاتِ

قال ابن هشام: ولما خشي أبو طالب دهاء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتوَدَّد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله ﷺ، ولا تاركه لشيء أبداً، حتى يهلك دونه فقال أبو طالب:

خَلِيلِي مَا أُذِنِي لِأَوَّلِ عَاذِلٍ بَصْغَوَاءِ فِي حَقِّ وَلَا عِنْدَ بَاطِلٍ
وَلَمَّا رَأَيْتَ الْقَوْمَ لَا وُدَّ فِيهِمْ وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ
وَقَدْ صَارَحُونَا بِالْعِدَاوَةِ وَالْأَذَى وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمَزَايِلِ
وَقَدْ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظْنَةً ^(١) يَعْضُّونَ غِيظًا خَلَفْنَا بِالْأَنَامِلِ
صَبَرْتَ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمَاءٍ سَمْحَةٍ وَأَيُّضَ عَضْبٍ مِنْ تَرَاثِ الْمَقَاوِلِ ^(٢)
أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مُلْحِحٍّ بِبَاطِلٍ
وَمَنْ كَاشَحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعْيَةٍ وَمَنْ مُلْحَقٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ نَحَاوِلِ
وَتُورٍ وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ وَرَاقٍ لِيَرْقِي فِي حَرَاءٍ وَنَازِلِ ^(٣)
وَبِالْبَيْتِ حَقَّ الْبَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ وَبِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لِلَّيْسِ بِغَافِلِ
وَبِالْحَجَرِ الْمَسْجُودِ إِذْ يَمْسُحُونَهُ إِذَا اكْتَنَفُوهُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نَتْرَكَ مَكَّةَ وَنَضَّعْنَا إِلَّا أَمْرَكُمْ فِي بِلَابِلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نَبْزِي مُحَمَّدًا وَلَمَّا نَطَاعْنَا دُونَهُ وَنَنَاضِلِ
وَنَسْلَمَهُ حَتَّى نُصْرَعَ حَوْلَهُ وَنُذْهِلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ

١ - اظنة جمع ظنين: المتهم.

٢ - سمراء سمحة: أراد بها قناة لينة تسمح بالانعطاف عند هزها. العضب: القاطع، المفاول أراد بها السادات.

٣ - ثور وثبير وحرأ جبال في مكة.

وينهض قومٌ بالحديد إليكم
وحيتي نرى ذا الصّغن يركب ردعه
وإنّا لعمر الله إن جدّ ما أرى
بكفّي فتى مثل الشهاب سميع
شهوراً وأياماً وحولاً مجزماً^(٣)
وما ترك قوم - لا أباً لك - سيّداً
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
بميزان قسط لا يخيس شعيرة
لقد سفّحت أحلام قوم تبذلوا
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم
وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا
فبعد مناف أنتم خير قومكم
ألم تعلموا أنّ ابننا لا مكذب
أشَمّ من الشّمّ البهاليل ينتمي

نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل^(١)
من الطعن فعل الأنكب المتحامل^(٢)
للتبس أسـيافنا بالأماثل
أخي ثقة حامي الحقيقة باسل
علينا وتأتي حجّة بعد قابل
يحوط الدمار غير ذرٍ مأكلي^(٤)
ثمّال اليتامى عصمة للأراملي
فهم عنده في رحمة وفواضل
له شاهد من نفسه غير عائل^(٥)
بني خلف قيصاً بنا والغياطلي^(٦)
وآل قصي في الخطوب الأوائلي
علينا العدا من كل طملي وخاملي^(٧)
فلا تشركوا في أمركم كلّ واغلي^(٨)
لدينا ولا نعبأ بقول الأباطلي؟
إلى حسب في حومة المجد فاضلي

- ١ - الروايا: الابل التي تحمل الماء، واحدها: روية. الصلاصل ج الصلصلة: الصوت وذات الصلاصل: المزدادات التي فيها بقية من الماء يسمع لها صوت حين تسير الابل.
- ٢ - يقال: ركب ردعه، أى خرّ صريعاً لوجهه، الانكب: الذى يمشي على شق.
- ٣ - حولاً مجزماً: أى مكملًا يقال: تجرّمت السنة اذا كملت وانقضت.
- ٤ - الدمار: ما يلزمك أن تحميه. ذوب: فاسد. مأكلي: يتكل على غيره.
- ٥ - لا يخيس من قولهم: خاس بالعهد اذا نقضه وأفسده ويروى « لا يخسّ » أى لا ينقص عائل: جائر.
- ٦ - قيصاً بنا: عوضاً ممّا تقول: قاضه بكذا أى عوضه به. الغيطلة: من بني مرة بن عبد مناة إخوة مدلج بن مرة وهى ام الغياطل فقيّل لولدها: الغياطل وهم من بني سهم بن عمرو بن هصيص.
- ٧ - الطمل: الرجل الفاحش لا يبالي ما صنع اللئيم، الاحق. اللص الفاسق.
- ٨ - كل واغل، أراد كل ملصق ليس من صميم، وأصل الواغل الداخل على القوم وهم يشربون من غير أن يدعى.

لعمري لقد كلفت جداً بأحمد وأحبيته حبَّ الحبيب المواصل
فلا زال في الدُّنيا جمالاً لأهلها وزيناً لمن والاه ربُّ المشاكيل
فأصبحَ فينا أحمدٌ في اروممة تقصّر عنه سورة المتطاول
حدبت بنفسي دونَه وحِمّيته ودافعت عند بالذرا والكلاكل^(١)
فأيّـده ربُّ العباد بنصره وأظهر ديناً حقّه غير باطل

هذه القصيدة ذكر منها ابن هشام في سيرته ١ ص ٢٨٦ - ٢٩٨، اربعة وتسعين بيتاً وقال: هذا ما صحَّ لي من هذه القصيدة. وذكر ابن كثير من اثنين وتسعين بيتاً في تاريخه ٣ ص ٥٣ - ٥٧، وفي رواية ابن هشام ثلاثة أبيات لم توجد في تاريخ ابن كثير وقال: ص ٥٧ قلت: هذه قصيدة عظيمةً بليغةً جداً لا يستطيع يقولها إلّا من نُسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعاً، وقد أوردها الأُمويّ في مغازيه مطوّلة بزيادات أخر والله أعلم.

وذكرها أبو هفان العبدي في ديوان أبي طالب ص ٢ - ١٢ في مائة وأحد عشر بيتاً ولعلّها تمام القصيدة.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣١٥ بعد ذكر جملة من شعر أبي طالب: فكلّ هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر لأنّه إن لم يكن أحادها متواترة فمجموعها يدلُّ على أمر واحد مشترك وهو تصديق محمد ﷺ ومجموعها متواتر كما أنّ كلّ واحدة من قتلات عليّ ؑ الفرسان منقولةً أحاداً ومجموعها متواتر يفيدنا العلم الضروريّ بشجاعته، وكذلك القول فيما روي من سخاء حاتم وحلم الأحنف ومعاوية وذكاء إياس وخلاعة أبي نواس وغير ذلك. قالوا: وتركوا هذا كلّ جانباً ما قولكم في القصيدة اللاميّة التي شهرتها كشهرة قفا نبك. وإن جاز الشكُّ فيها أو في شيء من أبياتها جاز الشكُّ في قفا نبك وفي بعض أبياتها.

وقال القسطلاني في إرشاد الساري ٢: ٢٢٧: قصيدةٌ جليّةٌ بليغةٌ من بحر الطويل وعدّة أبياتها مائة وعشرة أبيات قالها لما تمالأ قريش على النّبّي ﷺ ونفروا عنه من يريد الاسلام.

١ - حديث: عطفت ومنعت * الذرا جمع ذرة: أعلى ظهر البعير. الكلاكل جمع كلكل: معظم الصدر.

وذكر منها في المواهب اللدنية ١ : ٤٨ ، أبياتاً فقال: هي أكثر من ثمانين بيتاً قال ابن التين: إنَّ في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنَّه كان يعرف نبوة النبي ﷺ قبل أن يبعث لما أخبره به « بحيرا » وغيره من شأنه. وقال العيني في عمدة القاري ٣ : ٤٣٤ : قصيدة طنانة وهي مائة بيت وعشرة أبيات أولها:

خليلي ما أذني لأوّل عاذلٍ بصغواء في حقّ ولا عند باطلٍ
ذكر منها البغدادي في خزانة الأدب ١ : ٢٥٢ - ٢٦١ إثني وأربعين بيتاً مع شرحها وقال أولها:

خليلي ما أذني لأوّل عاذلٍ بصغواء في حقّ ولا عند باطلٍ
خليلي أنّ الرأي ليس بشركة ولا نهنه عند الأمور البلابل
ولمّا رأيت القوم لا ودّ عندهم وقد قطعوا كلّ العرا والوسائل

وذكر الآلوسي عدّة منها في بلوغ الأرب ١ ص ٢٣٧ وذكر كلمة ابن كثير المذكورة وقال: هي مذكورة مع شرحها في كتاب لبّ لباب لسان العرب.

وذكر منها السيّد زيني دحلان أبياتاً في السيرة النبوية هامش الحليّة ١ ص ٨٨ فقال: قال الإمام عبد الواحد (١) السفاقي في شرح البخاري: إنَّ في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنَّه كان يعرف نبوة النبي ﷺ قبل أن يبعث لما أخبره به « بحيرا » الراهب وغيره من شأنه مع ما شاهدته من أحواله ومنها الإستسقاء به في صغره ومعرفة أبي طالب بنبوته ﷺ جاءت في كثير من الأخبار زيادة على أخذها من شعره.

قال الأميني: أنا لا أدري كيف تكون الشهادة والاعتراف بالنبوة إن لم يكن منها هذا الأساليب المتنوعة المذكورة في هذه الأشعار؟ ولو وُجد واحدٌ منها في شعر أيّ أحد أو نشره لأصفق الكلُّ على إسلامه، لكن جميعها لا يدلُّ على إسلام أبي طالب. فاعجب واعتبر.

هذه جملة من شعر أبي طالب عليه السلام الطافح من كلّ شطره الإيمان الخالص، والاسلام الصحيح قال العلامة الأوحدي ابن شهر آشوب المازندراني في كتابه متشابهات القرآن عند قوله تعالى (ولينصرنَّ الله من ينصره) في سورة الحج: إنَّ أشعار أبي طالب

١ - هو ابن التين المذكور في كلام القسطلاني.

الدالة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت يكشف فيها من يكشف النبي ﷺ و يصحح نبوته ثم ذكر جملة ضافية ومما ذكر له قوله في وصيته:

أوصي بنصر نبي الخير أربعة إني علياً وشيخ القوم عباساً
وحمزة الأسد الحامي حقيقته وجعفرأ أن تذودا دونه الناسا
كونوا فداءً لكم أقي وما ولدت في نصر أحمد دون الناس أتراساً^(١)

- ٢ -

ما ناء به من عمل بار وقول مشكور

أمّا ما ناء به سيّد الأباطح أبو طالب سلام الله عليه من عملٍ بارٍ وسعي مشكور في نصره النبي ﷺ وكلايته والذب عنه والدعوة إليه وإلى دينه الحنيف منذ بدء البعثة إلى أن لفظ أبو طالب نفسه الأخير وقد تخلّل ذلك جملٌ من القول كلّها نصوصٌ على اسلامه الصحيح، وإيمانه الخالص، وخضوعه للرسالة الإلهية، فإلى الملتقى. روى القوم:

- ١ -

قال ابن اسحاق: أنّ أبا طالب خرج في ركب إلى الشام تاجراً فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير هبّ له رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته وقال: يا عمّ إلى من تكلمي لا أب لي ولا أمّ لي؟ فرقّ له أبو طالب وقال: والله لأخرجنّ به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً. قال: فخرج به معه فلما نزل الركب « بصري » من أرض الشام وتهيأ راهب يُقال له: بحيرا. في صومعة له وكان أعلم أهل النصرانية ولم يزل في تلك الصومعة راهب إليه يصير علمهم من كتاب فيهم كما يزعمون يتوارثونه كائناً عن كائن، فلما نزلوا ذلك العام ببخيرا وكانوا كثيراً ما يمرّون عليه قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يتعرّض لهم حتّى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريباً من صومعته فصنع لهم طعاماً كثيراً وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله ﷺ من بين القوم. ثمّ أقبلوا حتّى نزلوا بظلّ شجرة قريباً منه فنظر إلى الغمامة حتّى أظلت

١ - في النسخة المطبوعة من متشابهات القرآن تصحيف وتحريف في الابيات راجع ج ٢ ص ٦٥.

الشجرة وتحصّرت يعني تدلّت أغصانها على رسول الله ﷺ حتّى استظلّ تحتها فلمّا رأى « بحيرا » ذلك نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثمّ أرسل إليهم فقال: إيّي قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش! وأنا أحبُّ أن تحضروا كلّكم صغيركم وكبيركم وحرّكم وعبدكم فقال له رجلٌ منهم: يا بحيرا! إنّ لذلك اليوم لشأناً ما كنت تصنع هذا فيما مضى وقد كنّا نمرُّ بك كثيراً فما شأنك اليوم؟ فقال له بحيرا: صدقت قد كان ما تقولون ولكنكم ضيوف فأحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً تأكلون منه كلّكم، فاجتمعوا إليه وتخلّف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنّه في رحال القوم تحت الشجرة فلمّا نظر « بحيرا » في القوم لم ير الصفة التي يعرفها وهي موجودة عنده فقال: يا معشر قريش! لا يتخلّف أحدٌ عنكم عن طعامي هذا فقالوا: يا بحيرا! ما تخلّف عنك أحدٌ ينبغي أن يأتيك إلاّ غلامٌ هو حدث القوم سنّاً تخلّف في رحالهم قال: فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقال رجلٌ من قريش: واللّات والعزّى إنّ لهذا اليوم نبأ. أليق أن يتخلّف ابن عبد الله عن الطعام من بيننا؟ ثمّ قام إليه فاحتضنه ثمّ أقبل به حتّى أجلسه مع القوم فلمّا رثاه « بحيرا » جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفته حتّى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرّقوا قام « بحيرا » فقال له: يا غلام أسألك باللّات والعزّى إلّا أخبرتني عمّا أسألك عنه. فقال رسول الله ﷺ: لا تسألني باللّات والعزّى شيئاً قطّ، فقال بحيرا: فبالله إلّا ما أخبرتني عمّا أسألك عنه. فقال: سلني عمّا بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من نومه وهيئته واموره ورسول الله يخبره فيوافق ذلك ما عند « بحيرا » من صفته ثمّ نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده. الحديث فقال أبو طالب في ذلك.

إنّ ابن آمنة النبيّ محمّداً	عندي يفوق منازل الأولاد
لَمّا تعلّق بالزمّام رحمته	والعيس قد قلّصن ^(١) بالأزواد
فارفض من عينيّ دمع ذارف	مثل الجمّان مفرّق الأفراد

١ - قلص القوم: اجتمعوا فساروا. قلصت الناقة: استمرت في مضيّها. تقلص: انضم وانزوى. تداني.

راعيثُ فيه قرابةً موصولةً
وأمرته بالسير بين عمومة
ساروا لأبعد طيئة معلومة
حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا
حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً
قومٌ يهودٌ قد رأوا لَمَّا رأى
ثاروا لقتل محمد فنهالهم
فثنى زبيراً من مُحيراً فانثنى
ونهى دريساً فانتهى عن قوله
وقال ايضاً:

ألم ترني من بعدهم همته
بأحمد لمّا أن شددت مطيّي
بكي حزناً والعيس قد فصلت بنا
ذكرت أباه ثم رقرقت عبرة
فقلت: ترخّل راشداً في عمومة
فجاء مع العير التي راح ركبها
فلمّا هبطنا أرض بصرى تشرفوا
فجاء مُحيراً عند ذلك حاشداً
فقال: اجمعوا أصحابكم لطعامنا
يتيم فقال: ادعوه إنّ طعامنا
فلولا الذي خبرتم عن محمد

وحفظت فيه وصيّة الأجداد
بيض الوجوه مصالت أنجاد^(١)
فلقد تباعد طيئة^(٢) المرتاد
لاقوا على شرك من المرصاد
عنه وردّ معاشر الحساد
ظلّ الغمام وعنّ ذي الأكباد^(٣)
عنه وجاهد أحسن التجهاد
في القوم بعد تجاول وبعاد
حبر يوافق أمره برشاد

بفرقة حرّ الوالدين حرام
برحلي وقد ودّعته بسلام
وأخذت بالكفين فضل زمام
تجود من العينين ذات سجام
مواسير في البأساء غير لئام
شامي الهوى والأصل غير شام
لنا فوق دور ينظرون جسام
لنا بشرابٍ طيّب وطعام
فقلنا: جمعنا القوم غير غلام
كثيرٌ عليه اليوم غير حرام
لكنتم لدينا اليوم غير كرام

١ - مصالت: الماضي في الحوائج، الصلت الجبين: الواضح. أنجاد ج النجد: الضابط للامور يذلّل المصائب. الشجاع الماضي فيما يعجز غيره. سريع
الاجابة الى ما دعى اليه.

٢ - في الموضعين في رواية: طبة. بالوحدة مؤنث الطبّ بفتح الطاء: الناحية.

وفي رواية: قوم يهود قد رأوا ما قد رأوا ظلّ الغمامة ناغري الاكباد

فلَمَّا رآه مقبلاً نحو داره
 حنا رأسه شبه السجود وضمه
 وأقبل ركباً يطلبون الذي رأى
 فثار إليهم خشيةً لعرامهم^(١)
 دريس وتمام وقد كان فيهم^(٢)
 فجاءوا وقد همّوا بقتل محمد
 بتأويله التوراة حتى تيقنوا
 أتبعون قتلاً للنبي محمد؟
 وإن الذي تختاره منه مانع
 فذلك من أعلامه وبيانه

يوقيه حرّ الشمس ظلّ غمام
 إلى نحره والصدر أيّ ضمام
 بحيرا من الأعلام وسط خيام
 وكانوا ذوي بغى لنا وعرام
 زبير وكلّ القوم غير نيام
 فردّهم عنه بحسن خصام
 وقال لهم: رمتم أشدّ مرام
 خصصتم على شؤم بطول أنام
 سيكفيه منكم كيد كلّ طغام
 وليس نهاراً واضح كظلام

ديوان أبي طالب ص ٣٣ - ٣٥، تاريخ ابن عساكر ١: ٢٦٩ - ٢٧٢، الروض الانف ١: ١٢٠.

وذكر السيوطي الحديث من طريق البيهقي في الخصائص الكبرى ١: ٨٤ فقال في ص ٨٥: وقال أبو طالب في ذلك أبياتاً منها:

فما رجعوا حتى رأوا من محمد
 وحتى رأوا أحبار كلّ مدينة
 زبيراً وتامماً وقد كان شاهداً
 فقال لهم قولاً بحيرا وأيقنوا
 كما قال للرهبّ الذين تهوّدوا
 فقال ولم يترك له النصّح: رُدّه
 فإني أخاف الحاسدين وإنّه

أحاديث تجلو غمّ كلّ فؤاد
 سجوداً له من عصبية وفرد
 دريساً وهُمّوا كلّهم بفساد
 له بعد تكذيب وطول بعاد
 وجاهدوهم في الله كلّ جهاد
 فإنّ له إرصاد كلّ مصاد
 لفي الكتب مكتوبٌ بكلّ مداد

- ٢ -

استسقاء أبي طالب بالنبي ﷺ

أخرج ابن عساكر في تاريخه عن جلهمة بن عرفطة قال: قدمت مكّة وهم في قحط

١ - العرام: الشراسة والاذى.

٢ - دريس، وتمام، وزير - في بعض النسخ: زدير أحبار من اليهود.

فقلت قريش: يا أبا طالب! أفتحط الوادي، وأجذب العيال، فهلّم واستسق فخرج أبو طالب ومعه غلامٌ كأنَّه شمس دجن تجلّت عنه سحابةٌ قتماء وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولأذّ باصبعة الغلام، وما في السماء قزعة ^(١) فأقبل السحاب من ها هنا وها هنا وأغدق واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب البادي والنادي ففي ذلك يقول أبو طالب:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمّ اليتامى عصمة للأرامِلِ
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضِلِ
وميزان عدل لا يخيس شعيرة ووژان صدق وزنه غير هائلِ

شرح البخاري للقسطلاني ٢: ٢٢٧، المواهب اللدنية ١: ٤٨، الخصايص الكبرى ١: ٨٦، ١٢٤، شرح بهجة المحافل ١: ١١٩، السيرة الحلبية ١: ١٢٥، السيرة النبوية لزيني دحلان هامش الحلبية ١: ٨٧، طلبة الطالب ص ٤٢.

ذكر الشهرستاني في الملل والنحل بهامش الفصل ٣: ٢٢٥ سيّدنا عبد المطلب وقال: ومّا يدلّ على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة أن أهل مكّة لما أصابهم ذلك الجذب العظيم وأمسك السحاب عنهم سنتين أمر أبا طالب ابنه أن يحضر المصطفى عليه الصّلاة والسّلام وهو رضيعٌ في قماط فوضعه على يديه واستقبل الكعبة ورماه إلى السّماء وقال: يا ربّ بحقّ هذا الغلام. ورماه ثانياً وثالثاً وكان يقول: بحقّ هذا الغلام إسقنا غيثاً مغيثاً دائماً هاطلاً. فلم يلبث ساعة ان طبّق السحاب وجه السّماء وأمطر حتّى خافوا على المسجد وأنشد أبو طالب ذلك الشعر اللّامي الذي منه:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمّ ان اليتامى عصمة للأرامِلِ

ثمّ ذكر أبياتاً من القصيدة، ولا يخفى على الباحث أنّ القصيدة نظمها أبو طالب عليه السلام أيّام كونه في الشعب كما مرّ.

فاستسقاء عبد المطلب وابنه سيّد الأبطح بالنبيّ الأعظم يوم كان ﷺ رضيعاً و يافعاً يُعرب عن توحيدهما الخالص، وإيمانهما بالله، وعرفانهما بالرسالة الخاتمة، وقداسة صاحبها من أوّل يومه، ولو لم يكن لهما إلّا هذين الموقفين لكفياهما كما يكفيان

١ - القزعة: القطعة من السحاب.

الباحث عن دليل آخر على إعتناقهما الايمان.

- ٣ -

أبو طالب في مولد أمير المؤمنين عليه السلام

عن جابر بن عبد الله قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ميلاد علي بن أبي طالب فقال: لقد سألتني عن خير مولود ولد في شبيهه المسيح عليه السلام إن الله تبارك وتعالى خلق علياً من نوري وخلقني من نوره وكلانا من نور واحد، ثم إن الله عز وجل نقلنا من صلب آدم عليه السلام في أصلاب طاهرة إلى أرحام زكية فما نقلت من صلب إلا ونقل عليّ معي فلم نزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي آمنة. واستودع علياً خير رحم وهي فاطمة بنت أسد. وكان في زماننا رجلٌ زاهدٌ عابدٌ يقال له المبرم بن دعيب بن الشقبان قد عبد الله تعالى مائتين وسبعين سنة لم يسأل الله حاجةً فبعث الله إليه أبا طالب فلما أبصره المبرم قام إليه وقبّل رأسه وأجلسه بين يديه ثم قال له: من أنت؟ فقال: رجلٌ من قحاة. فقال: من أيّ قحاة؟ فقال: من بني هاشم. فوثب العابد فقبّل رأسه ثم قال: يا هذا إنّ عليّ الأعلى ألهمني إلهاماً. قال أبو طالب: وما هو؟ قال: ولدٌ يولد من ظهرك وهو وليّ الله عز وجل، فلما كان الليلة التي ولد فيها عليّ أشرقت الأرض فخرج أبو طالب وهو يقول: أيّها الناس ولد في الكعبة وليّ الله فلما أصبح دخل الكعبة وهو يقول:

يا ربّ هذا الغسق الدجّي	والقمر المنـبلج المضـيّ
بين لنا من أمرك الخفيّ	ماذا ترى في اسم ذا الصبيّ؟

قال: فسمع صوت هاتف يقول:

يا أهل بيت المصطفى النبيّ	خصصتم بالولد الزكيّ
إنّ اسمه من شامخ العليّ	عليّ اشتهق من العليّ

أخرجه الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص ٢٦٠ وقال: تفرّد به مسلم بن خالد الزنجي وهو شيخ الشافعي، وتفرّد به عن الزنجي عبد العزيز بن عبد الصمد وهو معروفٌ عندنا.

بدء أمر النبي وأبو طالب

أخرج فقيه الحنابلة ابراهيم بن علي بن محمد الدينوري في كتابه - نهاية الطلب وغاية السؤل في مناقب آل الرسول - (١) باسناده عن طاوس عن ابن عباس في حديث طويل: إن النبي ﷺ قال للعباس رضي الله عنه: إن الله قد أمرني باظهار أمري وقد أنبأني واستنبأني فما عندك؟ فقال له العباس رضي الله عنه: يا بن أخي تعلم أن قريشاً أشد الناس حسداً لولد أبيك، وإن كانت هذه الخصلة كانت الطامة الطماء والداھية العظيمة ورمينا عن قوس واحد وانتسفونا نسفاً، صلنا ولكن قرب إلى عمك أبي طالب فإنه كان أكبر أعمامك إن لا ينصرك لا يخذلك ولا يسلمك، فأتياه فلما رآهما أبو طالب قال: إن لكما لظنّه وخبراً ما جاء بكما في هذا الوقت؟ فعرفه العباس ما قال له النبي ﷺ وما أجابه به العباس فنظر إليه أبو طالب وقال له: أخرج ابن أبي فأنك الرفيع كعباً، والمنيع حزباً، والأعلى أباً، والله لا يسلكك لسان إلا سلقته ألسن حداد، واجتذبتة سيوف حداد، والله لتذلل لك العرب ذلّ البهم لحاضنها، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً ولقد قال: إن من صلي لنبياً لوددت إني أدركت ذلك الزمان فآمنت به فمن أدركه من ولدي فليؤمن به.

قال الأميني: أترى أن أبا طالب يروي ذلك عن أبيه مطمئناً به؟ فلينشيط رسول الله ﷺ هذا التنشيط لأوّل يومه، ويأمره باشهار أمره والإشادة بذكر الله وهو محبّ بآئه هو ذلك النبي الموعود بلسان أبيه والكتب السالفة، ويتكهن بخضوع العرب له، أتراه سلام الله عليه يأتي بهذه كلّها ثم لا يؤمن به؟ إن هذا إلا اختلاق.

أبو طالب وفقده النبي ﷺ

ذكر ابن سعد الواقدي في الطبقات الكبرى ص ١٨٦ ج ١ ط مصر وص ١٣٥ ط ليدن حديث ممشى قريش إلى أبي طالب في أمره ﷺ إلى أن قال: فاشمأزوا ونفروا منها (يعني من مقالة محمد) وغضبوا وقاموا وهم يقولون: اصبروا على أهلكم، إن

١ - راجع الطرائف لسيدنا ابن طاوس ص ٨٥، وضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف.

هذا لشيء يُراد، ويقال: المتكلم بهذا: عقبة بن أبي معيط. وقالوا: لا نعود إليه أبداً، وما خير من أن نغتال محمداً، فلما كان مساء تلك الليلة فقد رسول الله ﷺ وجاء أبو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه، فجمع فتیاناً من بني هاشم وبني المطلب ثم قال، ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة، ثم ليتبعني إذا دخلت المسجد، فلينظر كل فتى منكم فليجلس إلى عظيم من عظمائهم فيهم: ابن الحنظلية - يعني أبا جهل - فأنه لم يرغب عن شر إن كان محمداً قد قُتل، فقال الفتیان: نفعل، فجاء زيد بن حارثة فوجد أبا طالب على تلك الحال، فقال: يا زيد! أحسست ابن أخي؟ قال: نعم كنت معه آنفاً. فقال أبو طالب: لا أدخل بيتي أبداً حتى أراه، فخرج زيد سريعاً حتى أتى رسول الله ﷺ وهو في بيت عند الصفا ومعه أصحابه يتحدثون، فأخبره الخبر، فجاء رسول الله ﷺ إلى أبي طالب، فقال: يا ابن أخي! أين كنت؟ أكنت في خير؟ قال: نعم. قال: ادخل بيتك، فدخل رسول الله ﷺ فلما أصبح أبو طالب غداً على النبي ﷺ فأخذ بيده فوقف به على أندية قريش ومعه الفتیان الهاشميون والمطلبون فقال: يا معشر قريش! هل تدرون ما هممت به! قالوا: لا: فأخبرهم الخبر، وقال للفتیان: اكشفوا عما في أيديكم. فكشفوا، فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة. فقال: والله لو قتلتموه ما بقيت منكم أحداً. حتى نتفانى نحن وأنتم، فانكسر القوم وكان أشدُّهم إنكساراً أبو جهل.

(لفظ آخر)

وأخرج الفقيه الحنبلي إبراهيم بن علي بن محمد الدينوري في كتابه - نهاية الطلب^(١) بإسناده عن عبد الله بن المغيرة بن معقب قال: فقد أبو طالب رسول الله ﷺ فظنَّ أنَّ بعض قريش إغتاله فقتله فبعث إلى بني هاشم فقال: يا بني هاشم أظنُّ أنَّ بعض قريش إغتال محمداً فقتله فليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة وليجلس إلى جنب عظيم من عظماء قريش فاذا قلت: أبغي محمداً. قتل كل منكم الرجل الذي إلى جانبه، وبلغ رسول الله ﷺ جمع أبي طالب وهو في بيت عند الصفا فأتى أبا طالب وهو في المسجد فلما رآه أبو طالب أخذ بيده ثم قال: يا معشر قريش! فقدت محمداً فظننت أنَّ بعضكم إغتاله

١ - راجع الطوائف لسيدنا ابن طاووس ص ٨٥.

فأمرت كل فتى شهد من بني هاشم أن يأخذ حديدَةً ويجلس كلُّ واحد منهم إلى عظيم منكم فإذا قلت: أبغي محمّداً: قتل كل واحد منهم الرجل الذي إلى جنبه، فاكشفوا عمّا في أيديكم يا بني هاشم! فكشف بنو هاشم عمّا في أيديهم فنظرت قريش إلى ذلك فعندها هابت قريش رسول الله ﷺ ثم أنشأ أبو طالب:

ألا أبلغ قريشاً حيث حلّت	وكل سرائر منها غرور
فإني والضوايح عادات (١)	وما تتلو السفاسرة الشهور (٢)
لآل محمّد راعٍ حفـيـظ	وودّ الصـدر مـيـي والضـمير
فلسـت بقـاطع رحـمي وولـدي	ولو جرّت مظالمها الجـزور
أيأمر جمعهم أبناء فهـر	بقتل محمّد والأمر زور
فلا وأبيك لا ظفـرت قـريش	ولا أمّـت رشـاداً إذ تشـير
بني أخي ونوط القلب مـيـي	وأبيض مـاء غـدق كـثـير
ويشرب بعـده الولـدان رياءً	وأحمد قد تضـمّنه القـبور
أيا ابن الانف أنف بني قـصي (٣)	كأنّ جبينك القـمر المنـير

(لفت نظر) قال شيخنا لعلاّمة المجلسي في البحار ٩: ٣١ روى جامع الديوان - يعني ديوان أبي طالب - نحو هذا الخبر مرسلًا ثم ذكر الأشعار هكذا فذكر الأشعار وفيها زيادة عشرين بيتاً على ما ذكر وهي لا توجد في الديوان المطبوع لسيدنا أبي طالب.

(لفظ ثالث)

وقال السيّد فخار بن معد في كتابه «الحجّة» ص ٦١: وأخبرني الشيخ الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن محمّد بن الجوزي المحدّث البغدادي (وكان ممّن يرى كفر

١ - في تاج العروس ٣، ٢٧٢ «فائي والسوايح كلّ يوم» وفي ص ٣٢٠ «فائي والضوايح كلّ يوم».

٢ - السفاسرة: أصحاب الاسفار وهو الكتب. الشهور: العلماء ج الشهر. كذا فسر البيت كما في تاج العروس ٣: ٢٧٢، ٣٢٠.

٣ - الانف: السيد.

أبي طالب ويعتقده) بواسطة العراق سنة إحدى وتسعين وخمسمائة بإسناد له إلى الواقدي قال: كان أبو طالب بن عبد المطلب لا يغيب صباح النبي ولا مساءه، ويجرسه من أعدائه ويخاف أن يغتالوه، فلما كان ذات يوم فقدته فلم يره وجاء المساء فلم يره وأصبح الصباح فطلبه في مظاته فلم يجده فلزم أحشائه وقال: وا ولداه وجمع عبيده ومن يلزمه في نفسه قال لهم: إنَّ محمداً قد فقدته في أمسنا ويومنا هذا ولا أظنُّ إلَّا أنَّ قريشاً قد إغتالته وكادته وقد بقي هذا الوجه ما جئته وبعيداً أن يكون فيه واختار من عبيده عشرين، رجلاً، فقال: امضوا وأعدوا سكاكين وليمض كلُّ رجل منكم وليجلس إلى جنب سيّد من سادات قريش فان أتيت ومحمّد معي فلا تحدّثن أمراً وكونوا على رسلكم حتّى أقف عليكم، وإن جئت وما محمّد معي فليضرب كلُّ منكم الرجل الذي إلى جانبه من سادات قريش فمضوا وشحذوا سكاكينهم حتّى رضوها، ومضى أبو طالب في الوجه الذي أراه ومعه رهطه من قومه فوجده في أسفل مكّة قائماً يصلي إلى جنب صخرة فوق عليه وقبله وأخذ بيده وقال: يا بن أخ! قد كدت أن تأتي على قومك، سر معي، فأخذ بيده وجاء إلى المسجد وقريش في ناديهم جلوس عند الكعبة فلما رأوه قد جاء ويده في يد النبي ﷺ قالوا: هذا أبو طالب قد جاءكم بمحمّد إنَّ له لشأناً، فلما وقف عليهم والغضب في وجهه قال لعبيده: أبرزوا ما في أيديكم فأبرز كلُّ واحد منهم ما في يده فلما رأوا السكاكين قالوا: ما هذا يا أبا طالب؟ قال: ما ترون، إنّي طلبت محمداً فلم أره منذ يومين فخفت أن تكونوا كدتموه ببعض شأنكم فأمرت هؤلاء أن يجلسوا حيث ترون وقلت لهم: إن جئت وليس محمّد معي فليضرب كلُّ منكم صاحبه الذي إلى جنبه ولا يستأذني فيه ولو كان هاشمياً فقالوا: وهل كنت فاعلاً؟ فقال: أي وربّ هذه وأومى إلى الكعبة، فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وكان من أحلافه: لقد كدت تأتي على قومك؟ قال: هو ذلك. ومضى به وهو يقول:

إذهب بُنيّ فما عليك غضاضةٌ	إذهب وقرّ بذاك منك عيونا
والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتّى أوسّد في التراب دفيننا
ودعوتني وعلمت أنّك ناصحي	ولقد صدقت وكنّت قبل أميننا

وذكرت ديناً لا محالة إنَّه من خير أديان البرِّيَّة ديناً^(١)

فرجعت قريش على أبي طالب بالعتب والإستعفاف وهو لا يحفل بهم ولا يلتفت إليهم.
قال الأُميئي: هذا الشيخ الأبطح يروقه أن يُضحِّي كلِّ قومه دون نبيِّ الاسلام وقد تأهَّب لأن يطأ القومِيَّات كلَّها والأواصر المتَّشجة بينه وبين قريش بأخص الدين. فحيَّاه الله من عاطفة إلهيَّة، وآصرة دينيَّة هي فوق أواصر الرِّحم.

- ٤ -

أبو طالب في بدء الدعوة

لما نزلت: وانذر عشيرتكَ الأقربين^(٢). خرج رسول الله ﷺ فصعد على الصفا فهتف: يا صباحاه. فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أنَّ خيلاً تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدِّقي؟ قالوا: نعم ما جرَّبنا عليك كذباً. قال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبّاً لك، أما جمعنا إلَّا لهذا؟ ثمَّ احضر قومه في داره فبادره أبو لهب وقال: هؤلاء هم عمومتك وبنو عمِّك فتكلَّم ودع الصبأة^(٣) و اعلم أنَّه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وإنَّ أحقَّ من أخذك فحبسك بنو أبيك و إن أقمت ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن ينبَّ لك بطون قريش، وتمدَّهم العرب فما رأيت أحداً جاء على بني أبيه بشرٍ ممَّا جئتم به. فسكت رسول الله ﷺ: ولم يتكلَّم.

ثمَّ دعاهم ثانية وقال: الحمد لله أحمدته وأستعينه واومن وأتوكَّل عليه وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له.
ثمَّ قال: إنَّ الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلَّا هو إني رسول الله إليكم خاصَّة وإلى الناس عامَّة، والله لتموتنَّ كما تنامون، ولتبعثنَّ كما تستيقظون، ولتحاسبنَّ بما تعملون، وأنَّما الجنَّة أبدأ والنار أبدأ.

فقال أبو طالب: ما أحبُّ إلينا معاوتتك، واقلبنا لنصيحتك، واشدَّ تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وأنما أنا أحدهم غير إني أسرعهم إلى ما تحبُّ، فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أنَّ نفسي لا تُطاوعني على

١ - راجع ما اسلفناه ص ٣٣٤.

٢ - مرَّ حديثها في الجزء الثاني ص ٢٧٨ ط ٢.

٣ - الصبأ: الخروج من دين الى دين آخر.

فراق دين عبد المطلب (١).

قال الأميني لم يكن دين عبد المطلب سلام الله عليه إلا دين التوحيد والايمان بالله ورسله وكتبه غير مشوب بشيء من الوثنيّة، وهو الذي كان يقول في وصاياه: إنّه لن يخرج من الدنيا ظلومٌ حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة. إلى أن هلك ظلومٌ لم تصبه عقوبة. فقل له في ذلك ففكر في ذلك فقال: والله أنّ وراء هذه الدار دارٌ يجزى فيها المحسن باحسانه، ويعاقب المسيء باساءته، وهو الذي قال لأبرهة: أنّ لهذا البيت ربّاً يذبُّ عنه ويحفظه، وقال وقد صعد أبا قبيس:

لا هُـمَّ أنّ المـرء يـمنـع	حلّـه فـامـنـع حـلـالـك
لا يغلـبـنّ صـلـيـهـم	ومحـالـهـم عـدّـوا محـالـك
فانصـر عـلـى آل الصـلـيـب	وعابـديـه الـيـوم آلـك
إن كنت تاركهـم وكـعـ	بـتـنا فأمـرّ مـا بـدا لـك (٢)

ويعرب عن تقدّمه في الايمان الخالص والتوحيد الصّحيح انتماء رسول الله ﷺ اليه ومباهاته به يوم حنين بقوله:

أنا النـبـيُّ لا كـذـب أنا ابـن عبـد المـطـلـب (٣)

وقد أجاد الحافظ شمس الدين بن ناصر بن الدمشقي في قوله:

تنقّل أحمد نوراً عظيماً	تـلـالـا في جـبـاه السـاجـديـنا
تقلّب فيهم قرناً فقرناً	إلى أن جاء خير المرسلينا (٤)

وهذا هو الذي أراد أبو طالب سلام الله عليه بقوله: نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب. وهو صريح بقيّة كلامه، وقد أراد بهذا السياق التعمية على الحضور لئلا يناصره العدا بمفارقتهم، وهذا السياق من الكلام من سنن العرب في

١ - الكامل لابن الاثير ٢: ٢٤.

٢ - الملل والنحل للشهرستاني هامش الفصل ٣: ٢٢٤، الدرج المنيفة للسيوطي ص ١٥، مسالك الحنفاء ٣٧.

٣ - طبقات ابن سعد ط مصر رقم التسلسل ص ٦٦٥، تاريخ الطبري ٣: ١٢٩.

٤ - مسالك الحنفاء للسيوطي ص ٤٠، الدرج المنيفة ص ١٤.

محاورتهم، قد يريدون به التعمية، وقد يراد به التأكيد للمعنى المقصود كقول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

ولو لم يكن لسيدنا أبي طالب إلا موقفه هذا لكفى بمفرده في إيمانه الثابت، وإسلامه القويم، وثباته في البدء.

قال ابن الأثير: فقال أبو لهب: هذه والله السوء خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم، فقال أبو طالب: والله لنمنعه ما

بقينا، وفي السيرة الحلبية ١: ٣٠٤: إن الدعوة كانت في دار أبي طالب.

قال عقيل بن أبي طالب: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي كعبتنا وفي ديارنا

ويُسمعنا ما نكره فإن رأيت أن تكفّ عنا فافعل. فقال لي: يا عقيل! التمس لي ابن عمك فأخرجته من كبس من كباس أبي

طالب فجاء يمشي معي يطلب الفيء يطأ فيه لا يقدر عليه حتى انتهى إلى أبي طالب فقال: يا ابن أخي! والله لقد كنت لي

مطيعاً جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديتهم فتؤذيهم وتُسمعهم ما يكرهون، فإن رأيت أن تكفّ عنهم.

فحلق بصره إلى السماء وقال: والله ما أنا بقادر أن أردّ ما بعثني به ربّي، ولو أن يشعل أحدهم من هذه الشمس ناراً. فقال

أبو طالب: والله ما كذب قط فارجعوا راشدين.

قال الأميني: هكذا أخرجه البخاري في تاريخه باسناد رجاله كلّهم ثقات، وبهذا اللفظ ذكره المحب الطبري في ذخاير

العقبى ص ٢٢٣. غير أن ابن كثير لما رأى لكلمة: راشدين. قيمة في إيمان أبي طالب فحذفها في تاريخه ٣ ص ٤٢. حيّا الله

الأمانة.

وأخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى ١: ١٧١ حديث الدعوة عن عليّ وفيه: ثم قال لهم ﷺ: من يؤازرني على ما

أنا عليه ويجيئني على أن يكون أخي وله الجنة؟ فقلت: أنا يا رسول الله، وإني لأحدثهم سنّاً، وأحمشهم ساقاً.

وسكت القوم، ثم قالوا: يا أبا طالب! ألا ترى ابنك؟ قال: دعوه فلن يألو^(١) ابن عمّه خيراً.

وروى أبو عمرو الزاهد الطبري عن تغلب عن ابن الأعرابي إنّه قال في لغة - العور - أنّه الرديّ من كلّ شيء قال: ومن

العور ما في رواية ابن عبّاس. ثم ذكر حديث

١ - يألو: قصر.

عليّ عليه السلام بطوله إلى أن قال: قال: فلما أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يتكلّم اعترضه أبو لهب فتكلّم بكلمات وقال: قوموا فقاموا وانصرفوا. قال: فلما كان من الغد أمرني فصنعت مثل ذلك الطعام والشراب ودعوتهم فأقبلوا ودخلوا فأكلوا وشربوا فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليتكلّم فاعترضه أبو لهب فقال له أبو طالب: اسكت يا أعور! ما أنت وهذا؟ ثم قال: لا يقومنّ أحدٌ. قال: فجلسوا ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: قم يا سيدي فتكلّم بما تحبّ وبلغ رسالة ربك فأنك الصادق المصدّق. وإلى هذا الحديث وكلمة أبي طالب - اسكت يا أعور! ما أنت وهذا؟ - وقع الإيعاز في النهاية لابن الأثير ٣: ١٥٦، والفائق للزمخشري ٢: ٩٨ نقلا عن ابن الأعرابي، وفي لسان العرب ٦: ٢٩٤، تاج العروس ٣: ٤٢٨. قال الأميني: أيّ كافر طاهر هذا سلام الله عليه وهو يدافع عن الاسلام المقدّس بكلّ حوله وطوله، ويسلق رجال قومه بلسان حديد، ويحضّ النبي الأعظم على الدّعوة وتبليغ رسالته عن ربّه، ويراه الصّادق المصدّق؟.

- ٧ -

قول أبي طالب لعلّي: إلزم ابن عمّك

قال ابن إسحاق: ذكر بعض أهل العلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا حضرت الصّلاة خرج إلى شعاب مكّة وخرج معه عليّ بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصلّيان الصّلوات فيها فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثمّ إنّ أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يُصلّيان فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا ابن أخي! ما هذا الدين الذي اراك تدين به؟ قال: أي عمّ! هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم. وذكروا أنّه قال لعلّي: أي بني! ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت آمنت بالله وبرسول الله وصدّقته بما جاء به، وصلّيت معه لله وأتبعته، فزعموا أنّه قال له: أما أنّه لم يدعك إلّا إلى خير، فالزمه. وفي لفظ عن عليّ: إنّهُ لما أسلم قال له أبو طالب: إلزم ابن عمّك. سيرة ابن هشام ١: ٢٦٥، تاريخ الطبري ٢: ٢١٤، تفسير الثعلبي، عيون الأثر

١: ٩٤، الإصابة ٤: ١١٦، أسنى المطالب ص ١٠.

وفي شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣١٤: روي عن عليّ قال: قال أبي: يا بنيّ ألزم ابن عمّك فانّك تسلم به من كلّ بأس عاجل وآجل ثمّ قال لي:

إنّ الوثيقة في لزوم محمّد فاشدد بصحبته علىّ يديكا
فقال: ومن شعره المناسب لهذا المعنى قوله:

إنّ عليّاً وجعفاً ثقيّاً عند ملّم الزمان والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخوي لأمي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبيّ ولا يخذله من بنيّ ذو حسب

هذه الأبيات الثلاث توجد في ديوان أبي طالب ايضاً ص ٣٦ وذكرها العسكري في كتاب الأوايل قال: إنّ أبا طالب مرّ بالنبيّ ﷺ ومعه جعفر فرأى رسول الله ﷺ يصليّ وعليّ معه فقال لجعفر: يا بنيّ! صلّ جناح ابن عمّك.

فقام إلى جنب عليّ فأحسّ النبيّ فتقدّمهما وأقبلوا على أمرهم حتّى فرغوا فانصرف أبو طالب مسروراً وأنشأ يقول:
إنّ عليّاً وجعفاً ثقيّاً عند ملّم الزمان والنوب
وذكر أبياتاً لم يذكرها ابن أبي الحديد ومنها:

نحن وهذا النبيّ نصّره نضرب عنه الأعداء كالشهب

وأخرج أبو بكر الشيرازي في تفسيره: إنّ النبيّ ﷺ لما انزل عليه الوحي أتى المسجد الحرام وقام يصليّ فيه فأجتاز به عليّ عليه السلام وكان ابن سبع سنين فناده: يا عليّ! إليّ أقبل، فأقبل اليه ملتبساً فقال له النبيّ: إني رسول الله اليك خاصّة وإلى الخلق عامّة فقف عن يميني وصلّ معي فقال: يا رسول الله! حتّى أمضي وأستأذن أبا طالب والدي، فقال له: إذهب فانّه سيأذن لك، فانطلق إليه يستأذنه في إتباعه، فقال: يا ولدي: نعلم أنّ محمّداً أمين الله منذ كان، إمض اليه واتّبعه ترشد وتفلح. فأتى عليّ عليه السلام ورسول الله ﷺ قائمٌ يصليّ في المسجد فقام عن يمينه يُصليّ معه فاجتاز أبو طالب بهما وهما يصليّان. فقال: يا محمّد ما تصنع؟ قال: أعبد إله السّماوات والأرض ومعّي أخي عليّ يعبد ما أعبد وأنا أدعوك إلى عبادة الواحد القهّار فضحك أبو طالب حتّى بدت نواجذه وأنشأ يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتّى أغيب في التراب دفيناً

إلى آخر الأبيات التي أسلفناها ص ٣٣٤.

- ٨ -

قول أبي طالب: صل جناح ابن عمك

أخرج ابن الأثير: إنَّ أبا طالب رأى النَّبيَّ ﷺ وعليَّاً يصلِّيان وعليَّ على يمينه فقال لجعفر رضي الله تعالى عنه: صل جناح ابن عمك، وصلَّ عن يساره، وكان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه عليٍّ بقليل. وقال أبو طالب:

فصبراً أبا يعلَى على دين أحمد وكن مظهرًا للدين وُقِّت صابرا
وحطَّ مَنْ أتى بالحقِّ من عند ربِّه بصدقٍ عزم لا تكن حمزُ كافرا
فقد سرَّني إذ قلت: إنَّك مؤمنٌ فكُن لرسول الله في الله ناصرا
وباد قريشاً بالذي قد أتته جهاراً وقل: ما كان أحمد ساحرا

أسد الغابة: ١ : ٢٨٧، شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٣١٥، الاصابة ٤ : ١١٦، السيرة الحلبية ١ : ٢٨٦، أسنى المطالب ص ٦ وقال: قال البرزنجي: تواترت الأخبار أنَّ أبا طالب كان يُحبُّ النَّبيَّ ﷺ ويحوطه وينصره ويعينه على تبليغ دينه ويُصدِّقه، فيما يقوله ويأمر أولاده كجعفر وعليٍّ باتِّباعه ونصرته.

وقال في ص ١٠: قال البرزنجي: هذه الأخبار كلها صريحة في أنَّ قلبه طافحٌ وممتلئٌ بالآيمان بالنبيِّ ﷺ.

- ٩ -

أبو طالب وحنوه على النَّبيِّ ﷺ

قال أبو جعفر محمَّد بن حبيب رحمه الله في أماليه: كان أبو طالب إذا رأى رسول الله ﷺ أحياناً يبكي ويقول: إذا رأيتَه ذكرت أخي، وكان عبد الله أخاه لأبويه وكان شديد الحبِّ والحنوِّ عليه، وكذلك كان عبد المطلب شديد الحبِّ له، وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله ﷺ البيات إذا عرف مضجعه فكان يقيمه ليلاً من منامه ويضع إبهه عليَّاً مكانه، فقال له: عليُّ ليلة: يا أبتِ إنِّي مقتولٌ. فقال له:

أصبرن يا بني فالصبر أحجى كلُّ حيٍّ مصيره لشعوبِ
قد بذلتك والبلاء شديد لفداء الحبيب وابن الحبيبِ

قُبِّ والباع والكريم النجيب
فمصيبٌ منها وغيّر مصيب
أخذٌ من مذاقها بنصيب

لفداء الأغرّ ذي الحسب الثا
إن تصبّك المنون فالنبيل تبرى^(١)
كلُّ حيٍّ وإن تملّني بعمري^(٢)
فأجاب عليّ بقوله:

ووالله ما قلت الذي قلت جازعا
وتعلم أيّ لم أزل لك طائعا
نبيّ الهدى المحمود طفلاً ويافعاً

أتأمّرني بالصبر في نصر أحمد؟
ولكنّني أحببت أن تر نصرتي
سأسمي لوجه الله في نصر أحمد

وذكره ابن أبي الحديد نقلاً عن الأمالي ٣: ٣١٠ وهناك تصحيحٌ في البيت الثاني والثالث من أبيات أبي طالب صحّحناه من طبقات السيّد عليّ خان الناقل عن شرح ابن أبي الحديد المخطوط، وذكر القصّة أبو عليّ الموضح العمري العلوي كما في كتابه (الحجّة) ص ٦٩.

قال الأميني: إنّ القرابة والرحم تبعثان إلى المحاماة إلى حدّ محدود، لكنّه إذا بلغت حدّ التضحية بولد كأمر المؤمنين هو أحبّ العالمين إلى والده فهناك يقف التفاني على موقفه، فلا يستسهل الوالد أن يعرض ابنه على القتل كلّ ليلة فينيمه على فراش المفدّى، ويستعوض منه ابن أخيه، إلّا أن يكون مندفعاً إلى ذلك بدافع دينيٍّ وهو معنى إعتناق أبي طالب بالدين الحنيف، وهو الذي تعطيه المحاورّة الشعريّة بين الوالد والولد فتريّ الولد يسارع بالنبوة فلا ينكر عليه الوالد بأنّ هذا التهالك ليس إلّا بدافعٍ قوميٍّ غير فاتر عن حضّ ابنه على ما يبتغيه من النصرة ولا متشبّط عن النهوض بها (فسلام الله على والد وما ولد).

- ١٠ -

أبو طالب وابن الزبير

قال القرطبي في تفسيره ٤٠٦: روى أهل السير قال: كان النبيّ ﷺ قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصليّ، فلمّا دخل في الصلّة قال أبو جهل - لعنه

١ - في بعض المصادر: ترى.

٢ - في مصادر مخطوطة عتيقة: كل حيٍّ وان تناول عمراً.

الله -: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟ فقام ابن الزبير فأخذ فرثاً ودماً. فلطخ به وجه النبي ﷺ، فانفتل النبي ﷺ من صلاته، ثم أتى أبا طالب عمه فقال: يا عم! ألا ترى إلى ما فعل بي؟ فقال أبو طالب: من فعل هذا بك؟! فقال النبي ﷺ عبد الله بن الزبير. فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون، فقال أبو طالب: والله لئن قام رجلٌ لجللته بسيفي فقعدوا حتى دنا إليهم، فقال: يا بُني من الفاعل بك هذا؟ فقال: عبد الله ابن الزبير، فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم، وأساء لهم القول.

حديث موقف أبي طالب هذا يوجد في غير واحد من كتب القوم وقد لعبت به أيدي الهوى وسنوفك إنشاء الله على حق القول فيه تحت عنوان [أبو طالب في الذكر الحكيم].

- ١١ -

سيّدنا أبو طالب وقريش

قال ابن إسحاق: لما بادی رسول الله ﷺ قومه بالاسلام، وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردّوا عليه فيما بلغني حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافه عداوته، إلا من عصم الله تعالى منهم بالاسلام وهم قليلٌ مستخفون، وحديب (١) على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهراً لأمره، لا يردّه عنه شيء.

وقال: إنّ قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي! إنّ قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، فابق عليّ وعلى نفسك، ولا تحمليّ من الأمر ما لا أطيق، قال: فظنّ رسول الله ﷺ أنّه قد بدا لعمّه فيه بداء، وأنّه خاذله ومسلمه، وأنّه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، قال: فقال رسول الله ﷺ: يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته. قال: ثمّ استعبر رسول الله

١ - حديب: عطف عليه ومنع له.

ﷺ فبكى ثم قام، فلما ولي ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا بن أخي! قال: فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: إذهب يا بن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.

ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له: يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذ فلك عقله ونصره وأخذ ولداً فهو لك وأسلم إلينا ابن أخيك، هذا الذي قد خالفك دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، فأنما هو رجلٌ برجل، قال: والله لبئس ما تسوموني، أعطوني إبنكم أغذوه لكم وأعطيكم إبنى تقتلونهم؟! هذا والله ما لا يكون أبداً. قال: فقال المطعم بن عدي بن نوفل: والله يا أبا طالب! لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً، فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ فاصنع ما بدا لك أو كما قال.

قال: فحقب الأمر، وحميت الحرب، وتنابد القوم، وبأدى بعضهم بعضاً، فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدي ويعم من خذله من عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سأله وما تباعد من أمرهم:

- | | |
|-------------------------------|---|
| ألا قل لعمرو والوليد ومطعم | ألا ليت حظي من حياطتكم بكر ^(١) |
| من الخور حبّابٌ كثيرٌ رُغَاؤه | يُرش على الساقين من بوله قطر ^(٢) |
| تخلف خلف الورد ليس بلا حق | إذا ما علا الفيفاء قيل له: وبر ^(٣) |
| أرى أخويننا من أبيننا وإمننا | إذا سُئلا قالوا: إلى غيرنا الأمر |
| بلى لهما أمرٌ ولكن ترجمنا | كما جرمت من رأس ذي علق صخر ^(٤) |

١ - البكر: القتي من الابل.

٢ - الخور ج أخور: الضعيف حبّاب بالمهملتين: القصير. ويروى بالجيمين المعجمتين: الكثير الكلام. ويروى بالخاء المعجمة ومعناه: الضعيف.

٣ - الفيفاء الارض القفر. وبر: دويبة على قدر الهرة.

٤ - ترجمنا: سقطوا وانحدروا، يقال: ترجم الشيء اذا سقط. ذو علق: جبل في ديار بني اسد.

أَخَصَّ خُصُوصاً عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفِلاً
هَمَّا أَغْمَرَا لِلْقَوْمِ فِي أَخَوِيهِمَا
هَمَّا أَشْرَكَا فِي الْمَجْدِ مَنْ لَا أَبَا لَهُ
وَتَيْمٌ مَخْزُومٌ وَزَهْرَةٌ مِنْهُمْ
فَوَاللَّهِ لَا تَنْفَكُ مَنَا عِدَاوَةٌ
فَقَدْ سَفَهْتَ أَحْلَامَهُمْ وَعَقُولَهُمْ
هَمَّا نَبَذَانَا مِثْلَ مَا يَنْبِذُ الْجَمْرُ
فَقَدْ أَصْبَحَا مِنْهُمْ أَكْفَهُمَا صَفْرُ
مَنْ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُرْسَ لَهُ ذِكْرُ (١)
وَكَانُوا لَنَا مَوْلَى إِذَا بُنِيَ النُّصْرُ
وَلَا مِنْهُمْ مَا كَانَ مِنْ نَسْلِنَا شَفْرُ (٢)
وَكَانُوا كَجَفْرِ بئسَ مَا صَنَعْتَ جَفْرُ

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذع فيهما. قال الأُمياني: حذف ابن هشام منها ثلاثة أبيات لا تخفى على أيِّ أحد غايته الوحيدة فيه، وإنَّ الانسان على نفسه بصيرة و لو ألقى معاذيره. ألا وهي:

وَمَا ذَاكَ إِلَّا سَوْدٌ خَصَّصْنَا بِهِ
رَجَالٌ تَمَالَوْا حَاسِدِينَ وَبَغْضَةً
وَلَيْدٌ أَبَوْهُ كَانَ عَبْدًا لَجْدَنَا
إِلَى عَلِجَةِ زَرْقَاءَ جَالٍ بِهَا السَّحَرُ

يريد به الوليد بن المغيرة وكان من المستهزئين بالنبيِّ الأعظم ومن الذين مشوا إلى أبي طالب ﷺ في أمر النبيِّ وقد نزل فيه قوله تعالى: ذرني ومن خلقت وحيداً (٣) وكان يسمَّى: الوحيد. في قومه.

ثمَّ قام أبو طالب - حين رأى قريش يصنعون ما يصنعون - في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه فاجتمعوا إليه و قاموا معه، وأجابوه ما دعاهم إليه إلا ما كان من أبي هب عدوِّ الله الملعون. فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرّه في جهدهم معه وحدهم عليه، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم، ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم، ومكانه منهم، ليشدَّ لهم رأيهم، وليحدبوا معه على أمره، فقال:

١ - يرسّ له ذكر: يذكر ذكراً خفيفاً. رسّ الحديث: حدث به في خفاء.

٢ - شفر. أحد. يقال: ما بالدار شفر، أي ما بها أحد.

٣ - الروض الانف ١: ١٧٣، تفسير البيضاوي ٢: ٥٦٢، الكشف ٣: ٢٣٠، تاريخ ابن كثير ٤: ٤٤٣، تفسير الخازن ٤: ٣٤٥.

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمفخرٍ فعبد منافٍ سرّها وصميمها (١)
فإنّ حصّلت أشراف عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها
إن فخرت يوماً فإنّ محمّداً هو المصطفى من سرّها وكرمها
تدعت قريشٌ غثّها وسمينها علينا فلم تظفر وطاشت حلومها (٢)
وكنّا قديماً لا تقرُّ ظلامه إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها (٣)
ونحمي حماها كلّ يوم كرهية ونضرب عن أحجارها من يرومها
بنا انتعش العود الدّواء وأمّا بأكنافنا تندى وتتمى ارومها (٤)

سيرة ابن هشام ١: ٢٧٥ - ٢٨٣، طبقات ابن سعد ١: ١٨٦، تاريخ الطبري ٢: ٢١٨ - ٢٢١، ديوان أبي طالب ص ٢٤، الروض الانف ١: ١٧١، ١٧٢، شرح ابن أبي الحديد ٣، ٣٠٦، تاريخ ابن كثير ٢: ١٢٦، ٢٥٨، و ج ٣: ٤٢، ٤٨، ٤٩، عيون الأثر ١: ٩٩، ١٠٠ تاريخ أبي الفدا ج ١: ١١٧، السيرة الحلبية ١: ٣٠٦، أسنى المطالب ص ١٥ فقال: هذه الأبيات من غرر مدائح أبي طالب للنبي ﷺ الدالة على تصديقه إياه، طلبة الطالب ص ٥ - ٩.

- ١٢ -

سيّد الأباطح وصحيفة قريش

اجتمع قريش وتشاوروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا إليهم، ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يتبايعوا، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً، و لا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل، ويخلوا بينهم وبينه، وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة، أو بخط بغيض بن عامر، أو بخط النضر بن الحرث، أو بخط هشام بن عمرو، أو بخط طلحة ابن أبي طلحة، أو بخط منصور بن عبد، وعلّقوا

١ - سرّها وصميمها: خالصها وكرمها. يقال: فلان من سرّ قومه. أي: من خيارهم ولباجم وأشرفهم.

٢ - طاشت حلومها: ذهبت عقولها.

٣ - ثنوا: عطفوا. صعر ج أصعر: المائل. يقال: صعر خده. أي أماله الى جهة كما يفعل المتكبر.

٤ - انتعش: ظهرت فيه الخضرة. الدّواء: اليايس. الاكناف: النواحي. الارومة: الاصل.

منها صحيفة في الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة وكان إجتماعهم بخيف بني كنانة وهو المحصب فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب ودخلوا معه في الشعب إلا أبا لهب فكان مع قريش فأقاموا على ذلك سنتين وقيل ثلاث سنين وإتّهم جهدوا في الشعب حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر.

قال ابن كثير: كان أبو طالب مدّة إقامتهم بالشعب يأمره ﷺ فيأتي فراشه كلّ ليلة حتى يراه من أراد به شرّاً وغائلة فاذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوانه أو بني عمّه أن يضطجع على فراش المصطفى ﷺ ويأمر هو أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها.

ثم إنّ الله تعالى أوحى إلى النبي ﷺ أنّ الأرضة أكلت جميع ما في الصحيفة من القطيعة والظلم فلم تدع سوى اسم الله فقط فأخبر النبي ﷺ عمّه أبا طالب بذلك فقال: يا ابن أخي! أرى أنك أخبرك بهذا؟ قال نعم. قال: والثواب ما كذبتني قطّ فانطلق في عصاية من بني هاشم والمطلب حتى أتوا المسجد فأنكر قريش ذلك وظنّوا أنّهم خرجوا من شدّة البلاء ليسلموا اليهم رسول الله ﷺ فقال أبو طالب: يا معشر قريش جرت بيننا وبينكم أمور لم تذكر في صحيفتكم فأتوا بها لعلّ أن يكون بيننا وبينكم صلح، وإنّما قال ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها فأتوا بها وهم لا يشكّون أنّ أبا طالب يدفع اليهم النبي ﷺ فوضعوها بينهم وقبل أن تفتح قالوا لأبي طالب: قد آن لكم أن ترجعوا عمّا أحدثتم علينا وعلى أنفسكم؟ فقال: أتيتكم في أمر هو نصف بيننا وبينكم إنّ ابن أخي أخبرني ولم يكذبني: إنّ الله قد بعثت على صحيفتكم دابة فلم تترك فيها إلا اسم الله فقط، فإن كان كما يقول؟ فأفريقوا عمّا أنتم عليه، فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا. وإن كان باطلاً دفعناه إليكم فقتلتكم أو استحييتكم؟ فقالوا: رضينا. ففتحوها فوجدوها كما قال ﷺ. فقالوا: هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغياً وعدواناً.

وإنّ أبا طالب قال لهم بعد أن وجدوا الأمر كما أخبر به ﷺ: علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبيّن أنّكم أولى بالظلم والقطيعة؟ ودخل هو ومن معه بين أستار الكعبة وقال: اللهم انصرنا على من ظلمنا، وقطع أرحامنا، واستحلّ ما يحرم عليه منّا.

وعند ذلك مشى طائفة من قريش في نقض تلك الصحيفة فقال أبو طالب:

ألا هل أتى بحريتنا ^(١) صنع ربنا
 فيخبرهم: أن الصـحيفة مُزقت
 تراوحها إفلك وسحر مجمّع
 تداعى لها من ليس فيها بقرقر
 وكانت كفاءً وقعةً بأثيمةٍ
 ويطعن أهل المكتّنين فيهربوا
 ويترك حرّاثٌ يقلّب أُمّره
 وتصعد بين الأخشاب كتيبةٌ
 فَمَنْ ينشُ من حصّار مكّة عُرّه
 نشأنا بها والناس فيها قلائلٌ
 ونُطعم حتّى يترك الناس فضلهم
 جرى الله رهطاً بالحجون تتابعوا
 فعوداً لدى خطم الحجون كأثمّ
 أعان عليها كلُّ صقرٍ كأثمه
 ألا إنّ خير الناس نفساً ووالداً
 نبيّ الإله والكريم بأصله
 جرىء على جُلّى الخطوب كأثمه

على نأيهم؟ والله بالناس أروء ^(٢)
 وأن كلّ ما لم يرضه الله مفسدٌ
 ولم يلفّ سحر آخر الدهر يصعدُ
 فطائرهما في رأسها يتردّد ^(٣)
 ليقطع منها ساعداً ومقلداً
 فرائصهم من خشية الشرّ ترعدُ
 أيّتهم فيها عند ذالك ويُجد ^(٤)
 لها حُدجٌ سهمٌ وقوسٌ ومرهّد ^(٥)
 فعزّتنا في بطن مكّة أتلد ^(٦)
 فلم ننفكك نزداد خيراً ونحمدُ
 إذا جعلت أيدي المفيضين ترعدُ ^(٧)
 على ملاّ يهدي لحزمٍ ويُرشدُ
 مقاولةً ^(٨) بل هم أعزُّ وأجودُ
 إذا ما مشى فر رفرف الدرع أحرد ^(٩)
 إذا عدّ سادات البريّة أحمّدُ
 أخلاقه وهو الرشيد المؤيّدُ
 شهابٌ بكفّي قاسب يتوقّد ^(١٠)

١ - يريد به من كان هاجر من المسلمين الى الحبشة في البحر.

٢ - أروء: أرفق.

٣ - القرقر: اللين السهل. وقال السهيلي: من ليس فيها بقرقر: أى ليس بذليل. وطائرها: أى حظها من الشؤم والشرّ وفي التنزيل: ألزمناه طائره في عنقه.

٤ - الحراث: المكتسب. يتهم: يأتي تامة. ينجد: يأتي نجداً.

٥ - الاخشبان: جبلان بمكة. المرهد: الرمح اللين.

٦ - ينش: أى ينشأ بحذف الهمزة على غير قياس. أتلد: أقدم.

٧ - المفيضين: الضاربون بقداح الميسر. يريد سلام الله عليه: اثم يطعمون اذا بخل الناس.

٨ - المقاوله: الملوك.

٩ - رفرف الدرع: ما فصل منها. أحرد: بطيء المشى لثقل الدرع.

١٠ - وفي رواية:

شهاب بكفّي قاسب يتوقّد

حزيم على جل الامور كأثمه

من الأكرمين من لويّ بن غالب
طويل النجاد (٢) خارج نصف ساقه
عظيم الرماد سيّد وابن سيّد
وييني لأبناء العشيرة صالحاً
ألظّ (٣) بهذا الصلح كلّ مبرأ
قضوا ما قضوا في ليلهم ثمّ أصبحوا
هم رجّعوا سهل بن بيضاء راضياً
متى شرك الأقوام في جُلّ أمرنا
وكنّا قديماً لا نُقرُّ ظلاماً
فيال قصي هل لكم في نفوسكم؟
فائي وإياكم كما قال قائل:

إذا سيم خسفاً وجهه يترّبّد (١)
على وجهه يُسقى الغمام ويسعد
يخضّ على مقرى الضيوف ويحشد
إذا نحن طُفنا في البلاد ويمهد
عظيم اللواء أمره ثمّ يحمد
على مهلٍ وسائر الناس رُقّقد
وسرّ أبو بكر بها ومحمد
وكنّا قديماً قبلها نتودّد
ونُدرك ما شئنا ولا نتشدد
وهل لكم فيما يجيء به غد؟
لديك البيان لو تكلمت اسود (٤)

طبقات ابن سعد ١: ١٧٣، ١٩٢، سرة ابن هشام ١: ٣٩٩ - ٤٠٤، عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ١٥١، تاريخ
اليعقوبي ٢: ٢٢، الاستيعاب ترجمة سهل بن بيضاء ٢: ٥٧٠، صفة الصفوة ١: ٣٥، الروض الانف ١: ٢٣١، خزنة
الأدب للبغدادي ١: ٢٥٢، تاريخ ابن كثير ٣: ٨٤، ٩٦، عيون الأثر ١: ١٢٧، الخصائص الكبرى ١: ١٥١. ديوان
أبي طالب ص ١٣، السيرة الحلبية ١: ٣٥٧ - ٣٦٧، سيرة زيني دحلان هامش الحلبية ١: ٢٨٦ - ٢٩٠، طلبة الطالب
ص ٩، ١٥، ٤٤، أسنى المطالب ص ١١ - ١٣

وذكر ابن الأثير قصّة الصحفية في الكامل ٢: ٣٦ فقال: قال أبو طالب في أمر الصحيفة وأكل الأرضة ما فيها من ظلم
وقطيعة رحم أبياتاً منها:

١ - سيم - بالبناء للمجهول -: كلف. الخسف: الذل. يترّبّد: يتغير الى السواد.

٢ - التجاد: حائل السيف.

٣ - الظّ: ألح ولزم.

٤ - أسود: جبل، قتل فيه قتيل فلم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول: لديك البيان لو تكلمت اسود. فذهب مثلاً. توجد في ديوان أبي طالب أبيات من
هذه القصيدة غير ما ذكر لم نجدّها في غيره.

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة متى ما يُخبر غائب القوم يعجب
محى الله منها كفرهم وعقوقهم وما نتموا من ناطق الحق مُعرب
فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً ومن يخلق ما ليس بالحق يكذب

- ١٣ -

وصية أبي طالب عند موته

عن الكلبي قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال: يا معشر قريش! أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، فيكم السيد المطاع، و فيكم المقدم الشجاع، الواسع الباع، وأعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه، ولا شرفاً إلا أدركتموه، فلکم بذلك على الناس فضيلة، ولهم به اليك الوسيلة، والناس لكم حربٌ وعلى حربكم إلب، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية (يعني الكعبة) فإن فيها مرضاة للرب، وقواماً للمعاش، وثباتاً للوطأة، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل، وزيادة في العدد، واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكة القرون قبلكم، أجيئوا الداعي، واعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والممات، وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة فإن فيهما محبة في الخاص، ومكرمة في العام.

وإني أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، و هو الجامع لكل ما أوصيتكم به، وقد جاءنا بأمر قبله الجنان، وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وأيم الله كأي أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناً بآ، ودورها خراباً، وضعفوا أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، وأصفت له فؤادها، وأعطته قيادها، دونكم يا معشر قريش! ابن أبيكم، كونوا له ولاةً ولحزبه حماةً والله لا يسلك أحد سبيله إلا رُشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة وفي أجلي تأخير، لكففت عنه الهزاهز، ولدافعت عنه الدواهي.

الروض الانف ١ : ٢٥٩، المواهب ١ : ٧٢، تاريخ الخميس ١ : ٣٣٩، ثمرات الأوراق هامش المستطرف ٢ : ٩، بلوغ الارب ١ : ٣٢٧، السيرة الحلبية ١ : ٣٧٥، السيرة لزيني دحلان هامش الحلبية ١ : ٩٣، أسنى المطالب ص ٥. قال الأميني: في هذه الوصية الطافحة بالايمان والرشاد دلالة واضحة على أنه عليه السلام إنما أرجأ تصديقه باللسان إلى هذه الآونة التي يأس فيها عن الحياة حذار شنان قومه المستتبع لأنثياهم عنه، المؤدي إلى ضعف المنة وتفكك القوى، فلا يتسنى له حينئذ الذب عن رسول الله ﷺ وإن كان الايمان به مستقرّاً في الجنان من أوّل يومه، لكنه لما شعر بأزوف الأجل وفوات الغاية المذكورة أبدى ما أجنته أضالعه فأوصى بالنبي ﷺ بوصيته الخالدة.

- ١٤ -

وصية أبي طالب لبني أبيه

أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى: أنّ أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمّد، وما أتبعتم أمره، فأتبعوه و أعينوه ترشدوا. وفي لفظ: يا معشر بني هاشم! أطيعوا محمّداً وصدّقوه تفلحوا وترشدوا. وتوجد هذه الوصية في تذكرة السبط ص ٥، الخصائص الكبرى ١ : ٨٧، السيرة الحلبية ١ : ٣٧٢، ٣٧٥، سيرة زيني دحلان هامش الحلبية ١ : ٩٢، ٢٩٣، أسنى المطالب ص ١٠، ورأى البرزنجي هذا الحديث دليلاً على إيمان أبي طالب و نعمًا هو، قال: قلت: بعيدٌ جدًّا أن يعرف أن الرشاد في إتباعه ويأمر غير بذلك ثم يتركه وهو. قال الأميني: ليس في العقل السليم مساعٍ للقول بأنّ هذه المواقف كلّها لم تنبعث عن خضوع أبي طالب للدين الحنيف وتصديقه للمصادع به ﷺ، وإلاّ فماذا الذي كان يحذوه إلى مخاشنة قريش ومقاساة الأذى منهم وتعكير الصفو من حياته لا سيّما أيّام كان هو والصفوة من فتنه في الشعب، فلا حياة هنيئة، ولا عيش رغد، ولا أمن يطمأنُّ به، ولا خطرٌ مدروء، يتحمّل الجفاء والقطيعة والقسوة المؤلمة من قومه؟ فماذا

الذي أقدمه على هذه كَلِّها؟ وماذا الذي حصره وحبسه في الشعب عدَّة سنين تجاه أمر لا يقول بصدقه ولا يخبت إلى حقيقته؟ لا ها الله لم يكن كلُّ ذلك إلَّا عن إيمانٍ ثابت، وتصديقٍ وتسليم وإذعان بما جاء به نبيُّ الاسلام، ويظهر ذلك للقارئ المستشفِّ لجزئيات كلِّ من هذه القصص، ولم تكن القرابة والقوميَّة بمفردها تدعوه إلى مقاساة تلکم، المشاقِّ كما لم تدع أبا لهب أخاه، وهب أنَّ القرابة تدعوه إلى الذبِّ عنه ﷺ لكنَّها لا تدعو إلى المصارحة بتصديقه وأنَّ ما جاء به حقُّ، وأنَّه نبيُّ كموسى خطَّ في أوَّل الكتب، وأنَّ من إقتصَّ أثره فهو المهتدي، وأنَّ الضالَّ من إزورَّ عنه وتخلَّف، إلى أمثال ذلك من مصارحات قالها بملأ فمه، ودعا اليه ﷺ فيها بأعلى هتافه.

- ١٥ -

حديث عن أبي طالب

ذكر ابن حجر في الإصابة ٤: ١١٦ من طريق اسحاق بن عيسى الهاشمي عن أبي رافع قال: سمعت أبا طالب يقول: سمعت ابن أخي محمَّد بن عبد الله يقول: إنَّ ربَّه بعثه بصلة الأرحام، وأنَّ يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره، ومحمَّد الصدوق الأمين.

وذكره السيِّد زيني دحلان في أسنى المطالب ص ٦ وقال: أخرجه الخطيب و أخرجه السيِّد فخار بن معد في كتاب الحجَّة ص ٢٦ من طريق الحافظ أبي نعيم الاصبهاني. وباسناد آخر من طريق أبي الفرج الاصبهاني. وروى الشيخ ابراهيم الحنبلي في نهاية الطلب عن عروة الثقفي قال: سمعت أبا طالب رضي الله عنه يقول: حدَّثني ابن أخي الصادق الأمين وكان والله صدوقاً: إنَّ ربَّه أرسله بصلة الأرحام، وإقام الصلَّاة، وإيتاء الزكاة. وكان يقول: أشكر ترزق، ولا تكفر تُعذَّب.

ما يروي عنه آله وذووه

من طرق العامة فحسب

أما رجال آل هاشم، وأبناء عبد المطلب، وولد أبي طالب، فلم يؤثر عنهم إلا الهتاف بإيمانه الثابت، وإنَّ ما كان يؤثره في نصرته النبيُّ الأقدس ﷺ كان منبعثاً عن تدين بما صدع به ﷺ وأهل البيت أدري بما فيه، قال ابن الأثير في جامع الأصول ما أسلم من أعمام النبيِّ ﷺ غير حمزة والعبّاس وأبي طالب عند أهل البيت عليهم السّلام. هـ.

نعم: هتفوا بذلك في أجيالهم وأدوارهم بمأ الأفواه وبكلِّ صراحة وجبهوا من خالفهم في ذلك.

إذا قالــــت حــــذاً فصــــدّقــــوها فإنّ القــــول ما قالــــت حــــذاً

قال ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٣١٢: روي بأسانيد كثيرة بعضها عن العبّاس بن عبد المطلب وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة: إنّ أبا طالب ما مات حتى قال: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله والخبر مشهور أنّ أبا طالب عند الموت قال كلاماً خفياً فأصغى إليه أخوه العبّاس ^(١) وروي عن عليّ عليه السلام أنّه قال ما مات أبو طالب حتّى أعطى رسول الله ﷺ من نفسه الرضا.

وذكر أبو الفدا والشعراني عن ابن عبّاس: أنّ أبا طالب لما اشتدّ مرضه قال له رسول الله ﷺ: يا عمّ! قلها استحلّ لك بها الشفاعة يوم القيامة يعني الشّهادة فقال له أبو طالب: يا ابن أخي! لولا مخافة السبّة وإن تظنّ قريش إنّما قتلها جزعاً من الموت لقلتها فلما تقارب من أبي طالب الموت جعل يحرك شفّتيه فأصغى إليه العبّاس باذنه وقال:

١ - راجع سيرة ابن هشام ٢: ٢٧، دلائل النبوة للبيهقي، تاريخ ابن كثير ٢: ١٢٣، عيون الاثر لابن سيد الناس ١: ١٣١، الاصابة ١١٦، المواهب اللدنية ١: ٧١، السيرة الحلبية ١: ٣٧٢، السيرة الدحلانية هامش الحلبية ١: ٨٩، أسنى المطالب ص ٢٠.

والله يا بن أخي لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها. فقال رسول الله ﷺ: أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ يَا عَمَّ! (١).

وقال السيد أحمد زيني دحلان في السيرة الحلبية ١: ٩٤: نقل الشيخ السحيمي في شرحه على شرح جوهرة التوحيد عن الإمام الشعراني والسبكي وجماعة أنَّ ذلك الحديث أعني حديث العباس ثبت عند بعض أهل الكشف وصحَّ عندهم إسلامه.

قال الأميني: ذكرنا هذا الحديث مجارةً للقوم وإلا فما كانت حاجة أبي طالب مسيسة عند الموت إلى التلقُّظ بتينك الكلمتين اللتين كرَّس حياته الثمينة بالهتاف بمفادهما في شعره ونثره، والدعوة إليهما، والذبَّ عَمَّنْ صدع بهما، ومعاناة الأهوال دونهما حتى يومه الأخير؟ ما كانت حاجة أبي طالب مسيسة عندئذ إلى التفوُّه بهما كأمر مستجد؟ فمتى كفر هو؟ ومتى ضلَّ؟ حتَّى يؤمن ويهتدي بهما، أليس من الشهادة قوله الذي أسلفناه ص ٣٣١:

لـيـعـلـم خـيـار النـاس أنَّ مَحْمَـداً	وزير لموسى والمسيح ابن مريم
أَنا بهدي مثل ما أتيا به	فكلُّ بأمر الله يهدي وبعضهم
وإنَّكم تتلونـه في كتابكم	بصدق حديث لا حديث مبرجم

وقوله في ص ٣٣٢:

أَمِينٌ حبيب في العباد مسوِّمٌ	بحاتم ربِّ قاهر في الخواتم
نبيُّ أتاه الوحي من عند ربِّه	ومن قال: لا يقرع بها سنٌّ نادِم

وقوله في ص ٣٣٢:

ألم تعلموا أنَّنا وجدنا محمَّداً	رسولاً كموسى خُطَّ في أوَّل الكتب
----------------------------------	-----------------------------------

وقوله في ص ٣٣٤:

وظلم نبيَّ جاء يدعو إلى الهدى	وأمرٌ أتى من عند ذي العرش قيِّم
-------------------------------	---------------------------------

وقوله في ص ٣٣٤:

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة	وابشر بذاك وقرَّ منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنَّك ناصحي	ولقد دعوت وكنـت ثمَّ أميننا

١ - تاريخ أبي الفدا ج ١: ١٢٠، كشف الغمة للشعراني ٢: ١٤٤.

ولقد علمتُ بأنَّ دينَ مُحَمَّدٍ
وقوله في ص ٣٣٥:

أو تؤمنوا بكتابٍ مُنزلٍ عجبٍ
وقوله في ص ٣٣٧:

نصرت الرسول رسول المليك
أذبُ وأحمي رسول الاله
وقوله في ص ٣٤٠:

فأبى الله ربُّ العباد بنصره
وقوله في ص ٣٥٦:

والله لا أخذل النبي ولا
نحن وهذا النبي نصره
وقوله في ص ٣٤٥:

أتبغون قتلاً للنبي مُحَمَّدٍ
وقوله في ص ٣٥٧:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد
وحط من أتى بالحق من عند ربه
فقد سررتني إذ قلت: إنك مؤمن
وقوله وقد رواه أبو الفرج الاصبهاني:

زعمت قريش إنَّ أحمد ساحر
ما زلت أعرفه بصدق حديثه

وقوله المرويُّ من طريق أبي الفرج الاصبهاني كما في كتاب (الحجة) ص ٧٢ ومن طريق الحسن بن محمد بن جرير كما في تفسير أبي الفتوح ٤: ٢١٢.

قل لمن كان من كنانة في العرِّ
: قد أتاكم من المليك رسولٌ

من خير أديان البرية ديناً

على نبيِّ كموسى أو كذي النون

بييض تاللاً كلمع البروق
حماية حامٍ عليه شفيق

وأظهر ديناً حقاً غير باطل

يخذه من بني ذو حسب
نضرب عنه الأعداء بالشهب

خصصتم على شؤم بطول أتام

وكن مظهرًا للدين وفقت صابرا
بصدق وعزم لا تكن حمز كافرا
فكن لرسول الله في الله ناصرا

كذبوا وربَّ الراقصات إلى الحرم^(١)
وهو الأمين على الحرائب والحرم

وقوله المرويُّ من طريق أبي الفرج الاصبهاني كما في كتاب (الحجة) ص ٧٢ ومن طريق الحسن بن محمد بن جرير كما في تفسير أبي الفتوح ٤: ٢١٢.

وأهل الندى وأهل المعالي
فأقبلوه بصالح الأعمال

١ - أراد بالراقصات الى الحرم: الابل الراكضات. رقص الجمل اذا ركض.

وانصروا أحمداً فإنَّ من الله رداً عليه غير مـدال
وقوله من أبيات في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣١٥:

فخـير بـني هاشـم أحمـد رسول الإلهـه على فـترة^(١)

ولو كان يؤثر أقل من هذا عن أحد من الصحابة لطبل له، وزمر من يتشبث بالطحلب في سرد الفضائل لبعضهم مغلاةً فيهم، لكَيَّ أجد إسلام أبي طالب مستعصياً فهمه على هؤلاء ولو صرخ بألف هتاف من ضرائب هذه. لماذا؟ أنا لا أدري.

- ٢ -

أخرج ابن سعد في طبقاته ١: ١٠٥ عن عبيد الله بن أبي رافع عن عليّ قال: أخبرت رسول الله ﷺ بموت أبي طالب فبكى ثم قال: إذهب فأغسله وكفّنه وواره غفر الله له ورحمه.

وفي لفظ الواقدي: فبكى بكاء شديداً ثم قال: إذهب فأغسله. الخ.

وأخرجه ابن عساكر كما في أسنى المطالب ص ٢١، والبيهقي في دلائل النبوة، وذكره سبط ابن الجوزي في التذكرة ص ٦، وابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٣١٤، والحلي في السيرة ١: ٣٧٣، والسيد زيني دحلان في السيرة هاشم الحلبية ١: ٩٠، والبرزنجي في نجات أبي طالب وصحّحه كما في أسنى المطالب ص ٣٥ وقال: أخرجه أيضاً أبو داود وابن الجاود وابن خزيمة. وقال: إنما ترك النبي ﷺ المشي في جنازته إتقاءً من شرِّ سفهاء قريش، وعدم صلاته لعدم مشروعيتها صلاة الجنازة يومئذ.

عن الأسلمي وغيره: توفي أبو طالب للنصف من شوال في السنة العاشرة من حين نُبئ رسول الله ﷺ، وتوفيت خديجة بعده بشهر وخمسة أيام فاجتمعت على رسول الله ﷺ عليها وعلى عمّه حزناً شديداً حتى سمي ذلك العام عام الحزن.

طبقات ابن سعد ١: ١٠٦، الامتاع للمقريزي ٢٧، تاريخ ابن كثير ٣: ١٣٤، السيرة الحلبية ١: ٣٧٣، السيرة لزيني دحلان هاشم الحلبية ١: ٢٩١، أسنى المطالب ص ١١.

١ - اشار الى قوله تعالى: قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل. وتوجد الايات في كتاب الحجة للسيد فخار سلام الله عليه ص ٧٤.

(لفت نظر) عيّن ابن سعد لوفاة أبي طالب يوم النصف من شوال كما سمعت وقال أبو الفدا في تاريخه ١ : ١٢٠ توفي في شوال، وأوعز القسطلاني في المواهب ١ : ٧١ موته في شوال إلى القليل، وقال المقرئ في الإمتاع ص ٢٧: توفي أوّل ذيقعدة وقيل: النصف من شوال، وقال الزرقاني في شرح المواهب ١ : ٢٩١: مات بعد خروجهم من شعب في ثامن عشر رمضان سنة عشر، وفي الاستيعاب: خرجوا من الشعب في أوّل سنة خمسين وتوفي أبو طالب بعده بستة أشهر فتكون وفاته في رجب. هـ. وهذا الاختلاف موجود في تأليف الشيعة أيضاً.

- ٣ -

أخرج البيهقي عن ابن عباس: إنّ النبي ﷺ عاد من جنازة أبي طالب فقال: وصلتكم رحم، وجزيت خيراً يا عمّ! وفي لفظ الخطيب: عارض النبي جنازة أبي طالب فقال: وصلتكم رحم جزاك الله خيراً يا عمّ! دلائل النبوة البيهقي، تاريخ الخطيب البغدادي ١٣ : ١٩٦، تاريخ ابن كثير ٣ : ١٢٥، تذكرة السبط ص ٦، نهاية الطلب للشيخ إبراهيم الحنفي كما في الطرائف ص ٨٦، الإصابة ٤ : ١١٦، شرح شواهد المغني ص ١٣٦. وقال اليعقوبي في تاريخه ٢ : ٢٦: لما قيل لرسول الله: إنّ أبا طالب قد مات عظم ذلك في قلبه واشتدّ له جزعه ثمّ دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرّات وجبينه الأيسر ثلاث مرّات، ثمّ قال: يا عمّ! ربّيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عني خيراً، ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: وصلتكم رحم، وجزيت خيراً.

- ٤ -

عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث قال: قال العباس: يا رسول الله! أترجو لأبي طالب؟ قال: كلّ الخير أرجو من ربّي. أخرجه ابن سعد في الطبقات ١ : ١٠٦ بسند صحيح رجالهم كلّهم ثقات رجال الصّحاح وهم: عقّان بن مسلم. وحمّاد بن سلمة. وثابت البنائي. وإسحاق بن عبد الله. وأخرجه ابن عساكر كما في الخصائص الكبرى ١ : ٨٧. والفقهاء الحنفي الشيخ

ابراهيم الدينوري في نهاية الطلب كما في الطرائف ص ٦٨. وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٣١١، والسيوطي في التعظيم والمثنة ص ٧ نقلاً عن ابن سعد.

- ٥ -

وعن انس بن مالك قال: أتى أعرابيُّ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! لقد أتيناك وما لنا بغير يئط، ولا صبيُّ يصطبح، ثم أنشد:

اتيناك والعذراء يئدي لبانها	وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقى بكفيهِ الصبي استكانة	من الجوع ضعفاً ما يمر ولا يحلي
ولا شيء ممّا يأكل الناس عندنا	سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا إلا إليك فرارنا	وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام رسول الله ﷺ يجرّ رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: اللَّهُمَّ أسقنا غيثاً مغيثاً سحاً طبقاً غير رايت، تنبت به الزرع، وتملأ به الضرع، وتحيي به الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون.

فما استتمّ الدعاء حتى التقت السماء بروقها، فجاء أهل البطالة يضحّون: يا رسول الله! الغرق فقال: حوالينا ولا علينا. فانجاب السحاب عن المدينة كالأكليل، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: لله درُّ أبي طالب لو كان حياً لقرّت عيناه، من الذي ينشدنا شعره؟ فقال عليُّ بن أبي طالب كرم الله وجهه يا رسول الله! كأنك أردت قوله:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه	ثمّ اليتامى عصمة للأرامل
----------------------------	--------------------------

قال: أجل فأنشده أبياتاً من القصيدة ورسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر ثمّ قام رجل من كنانة وأنشد:

لك الحمد والحمد ممّن شكر	سقيناه بوجهه النبي المطر
دعوا الله خالقَه دعوة	وأشخص معه إلى البصر
فلم يك إلا كالقأ الردى	وأسرع حتى رأينا الدرر
دفاق العزالي جمّ البعاق (١)	أغاث به الله علينا مضر

١ - راجع ص ٤ من الجزء الثاني من هذا الكتاب.

فكان كما قاله عثمه أبو طالب أبيض ذو غرر
 به الله يسقي صيوب الغمام وهذا العيان لئذا الخبر
 فقال رسول الله ﷺ: إن يك شاعراً يحسن فقد أحسنت.

أعلام النبوة للماوردي ص ٧٧، بدايع الصنائع ١: ٢٨٣، شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣١٦، السيرة الحلبية، عمدة القاري ٣: ٤٣٥، شرح شواهد المغني للسيوطي ص ١٣٦، سيرة زيني دحلان ١: ٨٧، أسنى المطالب: ص ١٥، طلبة الطالب ص ٤٣.

قال البرزنجي كما في أسنى المطالب: فقول النبي ﷺ: لله درُّ أبي طالب يشهد له بأنه لو رأى النبي وهو يستسقي على المنبر لسره ذلك، ولقرت عيناه فهذا من النبي ﷺ شهادة لأبي طالب بعد موته أنه كان يفرح بكلمات النبي ﷺ وتقر عينه بها، وما ذلك إلا لسرِّه وقر في قلبه من تصديقه بنبوته وعلمه بكلماته. اهـ.
 قال الأميني: وذكر جمعٌ هذا الحديث في استسقاء النبي ﷺ: وحذف منه كلمة [لله درُّ أبي طالب] وأنت أعرف مني بالغاية المتوخاة في هذا التحريف، ولا يفوتنا عرفانها.

- ٤ -

قال ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٣١٦: ورد في السير والمغازي أنَّ عتبة بن ربيعة أو شيبة لما قطع رجل أبي عبيدة بن الحارث بن المطلب يوم بدر أشبل عليه عليٌّ وحمة فاستنقذه منه وخبطاً عتبة بسيفهما حتى قتلاه واحتملا صاحبهما من المعركة إلى العريش فألقياه بين يدي رسول الله ﷺ وأنَّ مخَّ ساقه ليسيل فقال: يا رسول الله لو كان أبو طالب حيّاً لعلم أنَّه قد صدق في قوله:

كذبتهم وبيت الله تحلي محمداً ولمّا نطاعن دونه ونناضل
 وننصره حتّى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل
 فقالوا: إنَّ رسول الله ﷺ استغفر له ولأبي طالب يومئذ.

- ٧ -

عن رسول الله ﷺ: إنَّه قال لعقيل بن أبي طالب: يا أبا يزيد! إني أُحبُّك حبّاً لقرابتك مني، وحبّاً لما كنت أعلم من حبِّ عمِّي أبي طالب إليك.

أخرج أبو عمر في الاستيعاب ٢: ٥٠٩، والبغوي، والطبراني كما في ذخاير العقبي ص ٢٢٢، وتاريخ الخميس ١: ١٦٣، وعماد الدين يحيى العامري في بهجة المحافل ١: ٣٢٧، وذكره والهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ٢٧٣ وقال: رجاله ثقات. هذا شاهد صدق على أنَّ النبي ﷺ كان يعتقد إيمان عمه وإلا فما قيمة حبِّ كافر لأيِّ أحد حتى يكون سبباً لحبه ﷺ أولاده. م - وقول رسول الله ﷺ هذا لعقيل كان بعد إسلامه كما نصَّ عليه الامام العامري في بهجة المحافل وقال: وفيها إسلام عقيل بن أبي طالب الهاشمي، ولما أسلم قال له النبي ﷺ يا أبا يزيد. إلخ. وقال جمال الدين الأشعر اليميني في شرح البهجة عند شرح الحديث: ومن شأن المحبِّ محبة حبيب الحبيب. ألا تعجب من حبِّ رسول الله ﷺ أبا طالب إن لم يك معتقفاً بدينه - العياذ بالله - ومن إعرابه عنه بعد وفاته. ومن حبه عقيلاً لحبِّ أبيه إياه؟!].

- ٨ -

أخرج أبو نعيم وغيره عن ابن عباس وغيره قالوا: كان أبو طالب يحبُّ النبي ﷺ حباً شديداً لا يحبُّ أولاده مثله، ويقدمه على أولاده، ولذا كان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرجه معه حين يخرج. ولما مات أبو طالب نالت قريشُ منه من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيهٌ من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وتبكي ورسول الله ﷺ يقول لها: يا بنية لا تبكي فإنَّ الله مانعُ أبائك، ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب.

وفي لفظ: ما زالت قريش كاعين (أي جبانين) حتى مات أبو طالب.

وفي لفظ: ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب.

تاريخ الطبري ٢: ٢٢٩، تاريخ ابن عساكر ١: ٢٨٤، مستدرک الحاكم ٢: ٦٢٢، تاريخ ابن كثير ٣: ١٢٢، ١٣٤، الصفوة لابن الجوزي ١: ٢١، الفائق للزمخشري ٢:

٢١٣، تاريخ الخميس ١: ٢٥٣، السرة الحليّة ١: ٣٧٥، فتح الباري ٧: ١٥٣، ١٥٤، شرح شواهد المغني ص ١٣٦ نقلاً عن البيهقي، أسنى المطالب ص ١١، ٢١، طلبة الطالب ص ٤، ٥٤.

- ٩ -

عن عبد الله قال: لما نظر رسول الله ﷺ يوم بدر إلى القتلى وهم مصرعون قال لأبي بكر: لو أنّ أبا طالب حيّ لعلم أنّ أسيفنا قد أخذت بالأماثل يعني قول أبي طالب:

كـذبتـم وبيـت الله إن جـدّ ما أرى لتلتبـسـن أسـيـفـنا بالأـمـاثـل

الأغاني ١٧: ٢٨، طلبة الطالب ص ٣٨ نقلاً عن دلائل الإعجاز.

- ١٠ -

أخرج الحافظ الكنجي في الكفاية ص ٦٨: من طريق الحافظ ابن فنجويه عن ابن عباس في حديث مرفوعاً قال لعليّ: لو كنت مستخلفاً أحداً لم يكن أحد أحقّ منك لقدمتك في الإسلام، وقرابتك من رسول الله، وصهرك عندك فاطمة سيدة نساء المؤمنين وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب، أتاني حين نزل القرآن وأنا حريصٌ أن أرعى ذلك في ولده بعده.

قال الأميني: إنّ شيئاً من مضامين هذه الأحاديث لا يتفق مع كفر أبي طالب فهو ﷺ لا يأمر خليفته الإمام عليّاً بتكفين كافر ولا تغسيله، ولا يستغفر له ولا يترحم عليه، كما في الحديث الثالث، ولا يرجو له بعض الخير فضلاً عن كلّ كما في الحديث الرابع، ولا يستدّر له الخير كما في حديث الاستسقاء، ولا يستغفر له كما في الحديث السادس، ولا يحبّ عقياً لحبّه إيّاه، فإنّ الكفر يزغ المسلم عن بعض هذه فكيف بكلّها فضلاً عن نبيّ الاسلام ﷺ وهو الصادق بقول الله العزيز: لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم. سورة المجادلة:

وقوله تعالى: يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحقّ. سورة الممتحنة ٦٠.

وقوله تعالى: يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. سورة التوبة ٢٣.

وقوله تعالى: ولو كانوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ. سورة المائدة: ٨١. إلى آيات أخرى.

الكلم الطيب

أخرج تمام الرازي في فوائده بإسناده عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأُمِّي وعمِّي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهليَّة.

ذخائر العقبي ص ٧، الدرج المنيفة للسيوطي ص ٧، مسالك الحنفا ص ١٤، وقال فيه: أخرجه أبو نعيم وغيره وفيه التصريح بأنَّ الأخ من الرضاعة، فالطرق عدَّة يشدُّ بعضها بعضاً فإنَّ الحديث الضعيف يتقوَّى بكثرة طرقه وأمثلة حديث ابن مسعود فإنَّ الحاكم صحَّحه.

وفي تاريخ يعقوبي ٢: ٢٦ روي عنه ﷺ: قال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وعدني في أربعة في أبي وأُمِّي وعمِّي وأخ كان لي في الجاهليَّة.

أخرج ابن الجوزي بإسناده عن عليّ بن أبي طالب مرفوعاً: هبط جبرئيل عليه السلام عليّ فقال: إِنَّ اللَّهَ يقرئك السَّلام ويقول: حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، أمَّا الصلب فعبد الله، وأمَّا البطن فآمنة، وأمَّا الحجر فعمه يعني أبا طالب و فاطمة بنت أسد. التعظيم والمنَّة للحافظ السيوطي ص ٢٥.

وفي شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣١١ قال رسول الله ﷺ: قال لي جبرائيل: إِنَّ اللَّهَ مشقَّعك في ستَّة: بطن حملتك آمنة بنت وهب. وصلب أنزلك عبد الله بن عبد المطلب. وحجر كفلك أبو طالب. وبيت آواك عبد المطلب. وأخ كان لك في الجاهليَّة. الخ.

(رثاء أمير المؤمنين والده العظيم)

ذكر سبط ابن الجوزي في تذكرته ص ٦ أنَّ علياً عليه السلام قال في رثاء أبي طالب:

أبا طالب عَصَمَـة المسـتَجِيرِ وَغِيـثَ المَحْـوْلِ وَنُورَ الظُّلُمِ

فصلني عليك ولي النعم
فقد كنت للطهر من خير عم

لقد هددك أهل الحفاظ
ولقناك رؤسك رضوانه

هذه الأبيات توجد في ديوان أبي طالب أيضاً ص ٣٦، وذكرها أبو علي الموضح كما في كتاب الحجّة ص ٢٤ للسيد
فخار ابن معد المتوفى ٦٣٠، وقال ابن أبي الحديد: قال أيضاً:

يذكرني شجواً عظيماً مجّداً
جواداً إذا أصدر الأمر أورا
ولست أرى حيّاً يكون مخلّداً
ستوردهم يوماً من الغيّ مورا
وأن يفترى قدما عليه ويجحدا
صدور العوالي والحسام والمهّدا
وإما تروا سلم العشيرة أرشدا
بني هاشم خير البريّة محتدا

أرقت لطيّر آخر الليل غردا
أبا طالب مأوى الصعاليك ذا لندي
فأمست قريش يفرحون بموته
أرادوا أموراً زينتها خلومهم
يُرْجّون تكذيب النبيّ وقتله
كذبتهم وبيت الله حتى نذيقكم
فإمّا تبيدونا وإمّا نبيدكم
وإلا فلا فإنّ الحبيّ دون محمّد

هذه الأبيات توجد في الديوان المنسوب إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام مع تغيير يسير وزيادة وإليك نصّها:

يذكرني شجواً عظيماً مجّداً
وذا الحلم لأ خلفاً ولم يك فعددا
بنو هاشم أو يستباح فيهمدا
ولست أرى حيّاً لشيء مخلّدا
ستوردهم يوماً من الغيّ مورا
وأن يفترى بهتاً عليه ويجحدا
صدور العوالي والصفوح المهّدا
إذا ما تسربلنا الحديد المسردا
وإما تروا سلم العشيرة أرشدا
بنو هاشم خير البريّة محتدا

أرقت لنوح آخر الليل غردا
أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندي
أخا الملك خلّى ثلثة سيسدّها
فأمست قريش يفرحون بفقدّه
أرادت أموراً زينتها حلومهم
يُرْجّون تكذيب النبيّ وقتله
كذبتهم وبيت الله حتى نذيقكم
ويبدؤ منّا منظر ذو كريهة
فإمّا تبيدنا وإمّا نبيدكم
وإلا فلا فإنّ الحبيّ دون محمّد

وإنَّ له فيكم من الله ناصراً
ولست بلاقٍ صاحب الله أوحداً
نبيُّ أتى من كلِّ وحي بحظه
فسمّاه ربي في الكتاب محمّداً
أغرّ كضوء البدر صورة وجهه
جلا الغيم عنه ضوؤه فتوقّداً
أمينٌ على ما استودع الله قلبه
وإن كان قولاً كان فيه مسدّداً

(كلمة الإمام السجّاد)

قال ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٣١٢: روي أنّ علي بن الحسين عليه السلام سئل عن هذا - يعني عن إيمان أبي طالب - فقال: واعجبا إنّ الله تعالى نهى رسوله أن يقرّ مسلمة على نكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الاسلام ولم تنزل تحت أبي طالب حتّى مات.

(كلمة الإمام الباقر)

سئل عليه السلام عمّا يقوله الناس أنّ أبا طالب في ضحضاح من نار فقال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفّة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفّة الأخرى لرجح إيمانه ثمّ قال: ألم تعلموا أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام كان يأمر أن يحجّ عن عبد الله وابنه وأبي طالب في حياته ثمّ أوصى في وصيّته بالحجّ عنهم؟

شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣١١.

(كلمة الإمام الصادق)

روي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ أصحاب الكهف أسروا الايمان وأظهروا الكفر فأثامهم الله أجره مرّتين وإنّ أبا طالب أسرّ الايمان وأظهر الشرك فأثامه الله أجره مرّتين.

شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣١٢.

قال الأميني: هذا الحديث أخرجه ثقة الاسلام الكليني في اصول الكافي ص ٢٤٤ عن الإمام الصادق غير مرفوع ولفظه: إنّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الايمان وأظهروا الشرك فأثامهم الله أجرهم مرّتين. وبلفظ ابن أبي الحديد ذكره السيّد ابن معد في كتابه (الحجّة) ص ١٧ من

طريق الحسين بن أحمد المالكي وزاد فيه: وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة.

(كلمة الإمام الرضا)

كتب أبان بن محمود إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام: جعلت فداك إني قد شككت في إسلام أبي طالب. فكتب إليه: ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين. الآية: وبعدها إنك إن لم تقرّ بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار.

قصارى القول

في سيد الأبطح عند القوم

إنّ كلاً من هذه العقود الذهبية بمفرده كافٍ في إثبات الغرض فكيف بمجموعها ومن المقطوع به أنّ الأئمة من ولد أبي طالب عليه السلام أبصر الناس بحال أبيهم، وأنهم لم ينوّهوا إلّا بمحض الحقيقة، فإنّ العصمة فيهم رادعة عن غير ذلك، ولقد أجاد مفتي الشافعية بمكة المكرمة في (أسنى المطالب) حيث قال في ص ٣٣:

هذا المسلك الذي سلكه العلامة السيّد محمد بن رسول البرزنجي في نجات أبي طالب لم يسبقه إليه أحدٌ فجزاه الله أفضل الجزاء، وسلكه هذا الذي سلكه يرتضيه كلُّ من كان متّصفاً بالانصاف من أهل الايمان، لأنّه ليس فيه إبطال شيء من النصوص ولا تضعيف لها، وغاية ما فيه أنّه حملها على معان مستحسنة يزول بها الإشكال ويرتفع الجدل، ويحصل بذلك قرّة عين النبي صلّى الله عليه وآله، والسّلامة من الوقوع في تنقيص أبي طالب أو بغضه، فإنّ ذلك يؤذي النبي صلّى الله عليه وآله وقد قال الله تعالى: إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً. وقال تعالى: والذين يؤذون رسول الله لهم عذابٌ أليم.

وقد ذكر الإمام أحمد بن الحسين الموصلي الحنفي المشهور بابن وحشي في شرحه على الكتاب المسمّى بشهاب الأخبار للعلامة محمد بن سلامة القضاعي المتوفى ٤٥٢: إنّ بغض أبي طالب كفرٌ. ونصّ على ذلك ايضاً من أئمة المالكية العلامة عليّ الأجهوري في فتاويه، والتلمساني في حاشيته على الشفاء فقال عند ذكر أبي طالب: لا

ينبغي أن يذكر إلا بحماية النبي ﷺ لأنه حماه ونصره بقوله وفعله، وفي ذكره بمكروه أذية للنبي ﷺ ومؤذي النبي ﷺ كافر، والكافر يقتل، وقال أبو طاهر: من أبغض أبا طالب فهو كافراً.

ومما يؤيد هذا التحقيق الذي حققه العلامة البرزنجي في نجات أبي طالب إن كثيراً من العلماء المحققين وكثيراً من الأولياء العارفين أرباب الكشف قالوا بنجاة أبي طالب منهم: القرطبي والسبكي والشعراني وخلائق كثيرون وقالوا: هذا الذي نعتقده وندين الله به، وإن كان ثبوت ذلك عندهم بطريق غير الطريق الذي سلكه البرزنجي، فقد إتفق معهم على القول بنجاته، فقول هؤلاء الأئمة الأئمة بنجاته أسلم للعبد عند الله تعالى لا سيما مع قيام هذه الدلائل والبراهين التي أثبتتها العلامة البرزنجي. ١ هـ.

وذكر السيد زيني دحلان في أسنى المطالب ص ٤٣ قال: والله در القائل:

قفا بمطلع سعد عزّ ناديمه	وأملينا شرح شوقي في مغانيه
واستقبلا مطلع الأنوار في أفق	الحجون واحترسا أن تبهرا فيه
مغنى به وابل الرضوان منهمر	ونائبرات الهدى دلّت مناديمه
قفا فذا بلبل الأفراح من طرب	يروى بديع المعاني في أماليه
واستمليا لأحاديث العجائب عن	بحر هنالك بديع في معانيه
حامي الذمار مجير الجار من كرم	منه السجايا فلم يفخر مباريه
عمّ النبي الذي لم يثنه حسد	عن نصره فتغالى في مرضيه
هو الذي لم يزل حصناً لحضرته	موفقاً لرَسُول الله يحميه
وكل خير ترجّاه النبي له	وهو الذي قطّ ما خابت أمانيه
فيا مَنْ أمّ العلا في الخالدات غدا	أغث للهفافه واسعف مناديمه
قد خصّك الله بالمختار تكلؤه	وتستعزّ به فخرراً وتطريه
عني بالحبّ في طه ففزت به	ومن ينل حبّ طه فهو يكفيه
كم شمت آيات صدق يستضاء بها	وتملاً القلب إيماناً وترويه؟
من الذي فاز في الماضين أجمعهم	بمثل ما فزت من طه وباريه؟
كفلت خير الوري في يتمه شغفاً	وبت بالروح والأبناء تفدييه

عضدته حين عادته عشيرته
نصرت من لم يشم الكون رائحة
إنّ الذي قمت في تأييد شوكته
إنّ الذي أنت قد أحبت طلعتة
لله دُرْك من قنّاص فرصته
يهنيك فوزك أن قدّمت منكم يداً
من يسد أحسن معروف لأحسن من
ومن سعى لسعيد في مطالبه
فيا سعيد المساعي في متاجره
مستمطراً منك مزن الخير معترفاً
ثم قال: في ص ٤٢ وقيل أيضاً:

إنّ القلوب لتبكي حين تسمع ما
فإن يكن أجمع الأعلام إنّ له
أمّا إذا اختلفوا فالرأي أن تردا
تتابع المثبتي الإيمان من زمر
وهم عدولٌ خيارٌ في مقاصدهم
لا تزدريهم أتدري من همو فهمو
هم السيوطي والسبكي مع نفر (٣)
وأهل كشف وشعرائهم وكذا

وكننت حائطه من بغى شانيه
الوجود لو لم يقدر كونه فيه
هو الذي لم يكن شيء يساويه
حيب من كل شيء في أياديه
مذ شمت برق الأماني من نواحيه
إلى ملهى في جوازيه
جازى ينل فوق ما نالت أمانيه
فهو الحرى بأن تحظى أماليه
قد جئت ربك أستهمي غواديه
بأن غرس المنى يعنى بصافيه الخ

أبدى أبو طالب في حق من عظما
ناراً فلله كل الكون يفعل ما (١)
موارداً يرتضيها عقل من سلما
في معظم الدين تابعتهم فكما (٢)
فلا نقل: إنهم لن يبلغوا عظما
هو عرى الدين قد أضحوا به زعما
كعدّة النقباء حفاظ أهل حما
القرطبي والسحيمي الجميع كما (٤)

١ - أى يفعل ما يشاء.

٢ - أى كما تابعتهم في معظم الدين نتابعهم في هذا.

٣ - للسيوطي كتاب (بغية الطالب لإيمان أبي طالب وحسن خاتمه) توجد نسخته في مكتبة « قوله » بمصر ضمن مجموعة رقم ١٦، وهي بخط السيد محمود فرغ من الكتابة سنة ١١٠٥. راجع الذريعة لشيخنا الطهراني ٢: ٥١١.

٤ - أى كما ترى في الوثيقة.

ما أسنده اليه من لاث به وبخع له

هؤلاء شيعة أهل البيت عليهم السّلام لا يشكُّ أحدٌ منهم في إيمان أبي طالب عليه السلام ويرونه في أسمى مراقبه وعلى صهوته العليا آخذين ذلك يداً عن يد حتى ينتهي الدور إلى الصحابة منهم والتابعين لهم باحسان، ومذعنين في ذلك بنصوص أثمّتهم عليهم السّلام بعد ما ثبت عن جدّهم الأقدس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال المعلّم الأكبر شيخنا المفيد في (أوائل المقالات) ص ٤٥: إنفقت الإماميّة على أنّ آباء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لدن آدم إلى عبد الله مؤمنون بالله عزّ وجلّ موحّدون (إلى أن قال): واجمعوا على أنّ أبا طالب مات مؤمناً، وأنّ أمانة بنت وهب كانت على التوحيد. الخ.

وقال شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في التبيان ٢: ٣٩٨: عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السّلام أنّ أبا طالب كان مسلماً، وعليه إجماع الإماميّة لا يختلفون فيه، ولها على ذلك أدلّة قاطعة موجبة للعلم.

وقال شيخنا الطبرسي في مجمع البيان ٢: ٢٨٧: قد ثبت إجماع أهل البيت على إيمان أبي طالب وإجماعهم حجّة لأئمّ أحد الثقلين الدين النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بهما بقوله: إن تمسّكنم بهما لن تضلّوا.

وقال سيّدنا ابن معد الفخار: لقد يكفيننا من الإستدلال على إيمان أبي طالب عليه السلام إجماع أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم أجمعين وعلماء شيعتهم على إسلامه وإتفاقهم على إيمانه، ولو لم يرد عنه من الأفعال التي لا يفعلها إلّا المؤمنون، والأقوال التي لا يقولها إلّا المسلمون، ما يشهد له بصحّة الاسلام وتحقيق الايمان، إذ كان إجماعهم حجّة يعتمد عليها ودلالة يصمد إليها. كتاب الحجّة ص ١٣.

وقال شيخنا الفتّال في روضة الواعظين ص ١٢٠: أعلم أنّ الطائفة المحقّة قد أجمعت على أنّ أبا طالب، و عبد الله بن المطلب، وأمانة بنت وهب، كانوا مؤمنين وإجماعهم حجّة.

وقال سيّدنا الحجّة ابن طاوس في الطرائف ص ٨٤: إنني وجدت علماء العترة

مجمعين على إيمان أبي طالب. وقال في ص ٨٧: لا ريب أنَّ العترة أعرِف بباطن أبيطالب من الأُجانب، وشيعة أهل البيت مجمعون على ذلك، ولهم فيه مصنّفات وما رأينا وما سمعنا أنَّ مسلماً أحوجه ما أحوجهم في إيمان أبيطالب، والذي نعرفه منهم أنَّهم يثبتون إيمان الكافر بأدنى خبر واحد وبالتلويح، وقد بلغت عداوتهم لبني هاشم الى إنكار إيمان أبي طالب مع ثبوت ذلك بالحجج الثواقب إنَّ هذا من جملة العجائب.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٣١١: إختلف الناس في أبي طالب فقالت الإمامية وأكثر الزيدية: ما مات إلّا مسلماً، وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك منهم الشيخ أبو القاسم البلخي وأبو جعفر الاسكافي وغيرهما. وقال العلامة المجلسي في البحار ٩: ٢٩: قد أجمعت الشيعة على إسلامه وأنّه قد آمن بالنبّي ﷺ في أوّل الأمر ولم يعبد صنماً قطُّ بل كان من أوصياء إبراهيم عليه السلام واشتهر إسلامه من مذهب الشيعة حتى أنَّ المخالفين كلّهم نسبوا ذلك إليهم و تواترت الأخبار من طرق الخاصّة والعامة في ذلك، وصنّف كثيرٌ من علمائنا ومحدّثينا كتاباً مفرداً^(١) في ذلك كما لا يخفى على من تتبّع كتب الرجال.

ومستند هذا الإجماعات إنّما هو ما جاء به رجالات بيت الوحي في سيّد الأبطح واليك أربعون حديثاً:
١- أخرج شيخنا أبو علي الفتال وغيره عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام على النبي ﷺ فقال: يا محمّد! إنّ ربّك يقرئك السّلام ويقول: إيّي قد حرّمت النار على صُلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك. فالصّلب صلب أبيه عبد الله بن عبد المطلب. والبطن الذي حملك آمنة بنت وهب. وأمّا حجر كفلك فحجر أبي طالب. وزاد في رواية: وفاطمة بنت أسد^(٢). روضة الواعظين ص ١٢١.

راجع الكافي لثقة الاسلام الكليني ص ٢٤٢ معاني الأخبار للصدوق، كتاب الحجّة السيد فخار بن معد ص ٨، ورواه شيخنا المفسّر الكبير أبو الفتوح الرازي في تفسيره ٤: ٢١٠ ولفظه: إنّ الله عزّ وجلّ حرّم على النار صُلباً حملك، وبطناً حملك،

١ - ستوافيك عدّة ممن أفرد التأليف في إيمان أبي طالب عليه السلام.

٢ - راجع ما اسلفناه ص ٣٧٩.

وثدياً أرضعك، وحجراً كفلك.

٢ - عن أمير المؤمنين قال: قال رسول الله ﷺ: هبط عليّ جبرئيل فقال: لي يا محمد إن الله عز وجل مشفقك في سنة: بطن حملتك آمنة بنت وهب. وطلب أنزلك عبد الله بن عبد المطلب. وحجر كفلك أبو طالب. وبیت آواك عبد المطلب وأخ كان لك في الجاهلية. وثدي أرضعك حليلة بنت أبي ذؤيب.
رواه السيّد فخار بن معد في كتاب الحجّة ص ٨.

٣ - روى شيخنا المعلّم الأكبر الشيخ المفيد باسناد يرفعه قال: لما مات أبو طالب أتى أمير المؤمنين رسول الله ﷺ فأذنه بموته فتوجّع توجّعاً عظيماً وحزن حزناً شديداً ثم قال لأمر المؤمنين عليّاً: إمض يا عليّ فتولّ أمره، وتولّ غسله و تحنيطه وتكفينه، فإذا رفعته على سريريه فأعلمني ففعل ذلك أمير المؤمنين عليّاً فلما رفعه على السرير اعترضه النبي ﷺ فرّق وتحزّن وقال: وصلتك رحم وجزيت خيراً يا عمّ! فلقد ربّيت وكفلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً، ثمّ أقبل على الناس وقال: أم والله لأشفعنّ لعبيّ شفاعة يعجب بها أهل الثقلين.

وفي لفظ شيخنا الصدوق: يا عمّ كفلت يتيماً، وربّيت صغيراً، ونصرت كبيراً فجزاك الله عنيّ خيراً^(١).
راجع تفسير علي بن ابراهيم ص ٣٥٥، أمالي ابن بابويه الصدوق، الفصول المختارة لسيدنا الشريف المرتضى ٨٠، الحجّة على الزاهب إلى تكفير أبي طالب ص ٦٧، بحار الأنوار ٩ ص ١٥، الدرجات الرفيعة لسيدنا الشيرازي، ضياء العالمين.

٤ - عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنّه سأل رسول الله ﷺ فقال: ما ترجو لأبي طالب؟ فقال: كلّ الخير أرجو من ربّي عز وجلّ.

كتاب الحجّة ص ١٥، الدرجات الرفيعة رجع ما أسلفناه ص ٣٧٣.

٥ - عن رسول الله ﷺ أنّه قال لعقيل بن أبي طالب: أنا أحبُّك يا عقيل! حبّين: حبّاً لك وحبّاً لأبي طالب لأنّه كان يحبُّك^(٢).

١ - راجع ما مرّ في صفحة ٣٧٤.

٢ - راجع ما أسلفناه ص ٣٧٧.

علل الشرايع لشيخنا الصدوق. الحجّة ص ٣٤، بحار الأنوار ٩: ١٦.

٦ - عن رسول الله ﷺ قال: لو قمت المقام المحمود لشفعت في أبي وأمي و عمّي وأخ لي مواخياً في الجاهليّة. تفسير علي بن إبراهيم ص ٣٥٥، ٤٩٠، تفسير البرهان ٣: ٧٩٤. راجع ما أسلفناه في صفحة ٣٧٨.

٧ - عن الامام السبط الحسين بن عليّ عن والده أمير المؤمنين إنّ كان جالساً في الرحبة والناس حوله فقام اليه رجلاً فقال له: يا أمير المؤمنين! إنّك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك معذبٌ في النار فقال له: مه فضّ الله فاك، والذي بعث محمّداً بالحقّ نبياً لو شفع أبي في كلّ مذنب على وجه الأرض لشقّعه الله، أأبي معذبٌ في النار وابنه قسيم الجنة والنار؟ والذي بعث محمّداً بالحقّ إنّ نور أبي طالب يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلائق إلّا خمسة أنوار: نور محمّد ونور فاطمة ونور الحسن والحسين ونور ولده من الأئمّة، ألا إنّ نوره من نورنا خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام.

المناقب المائة للشيخ أبي الحسن ابن شاذان^(١) كنز الفوائد للكراچكي ص ٨٠، أمالي ابن الشيخ ص ١٩٢، إحتجاج الطبرسي كما في البحار، تفسير أبي الفتوح ٤: ٢١١، الحجّة ص ١٥، الدرجات الرفيعة، بحار الأنوار ٩: ١٥، ضياء العالمين، تفسير البرهان ٣: ٧٩٤.

٨ - عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: والله ما عبَدَ أبي ولا جدّي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قطُّ. قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يُصلّون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به.

رواه شيخنا الصدوق بإسناده في كمال الدين ص ١٠٤، والشيخ أبو الفتوح في تفسيره ٤: ٢١٠، والسيد في البرهان ٣: ٧٩٥.

٩ - عن ابي الطفيل عامر بن واثلة قال: قال عليّ عليه السلام إنّ أبي حين حضره الموت شهدته رسول الله ﷺ فأخبرني عنه بشيء خير لي من الدنيا وما فيها.

رواه بإسناده السيد فخار بن معد في كتاب الحجّة ص ٢٣، وذكره

١ - محمد بن احمد القمي الفامي احد مشايخ شيخ الطائفة الطوسي والكراچكي والكتاب مخطوط موجود عندنا.

الفتوني في ضياء العالمين.

١٠ - عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه الرضا. تفسير علي بن ابراهيم ص ٣٥٥، كتاب الحجّة ص ٢٣، الدرجات الرفيعة، ضياء العالمين.

١١ - عن الشعبي يرفعه عن أمير المؤمنين أنه قال: كان والله أبو طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتُم لإيمانه مخافةً على بني هاشم أن تنابذها قريش
قال أبو علي الموضح: ولأُمير المؤمنين في أبيه يرثيه:

أبا طالب عَصَمَ المَسْتَجِير	وغيث المحول ونور الظلم
لقد هَدَّ فَقَدَكَ أَهْلَ الحِفاظ	فصلى عليك وليُّ النعم
ولَقَّـاك رُبُّكَ رَضوانه	فقد كنت للمصطفى خير عم ^(١)

كتاب الحجّة ص ٢٤.

١٢ - عن الأصبغ بن نباتة قال، سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفر من قريش وقد نحروا جزوراً وكانوا يسمّونها الفهيرة ويدبجونها على النصب فلم يسلم عليهم فلمّا انتهى إلى دار الندوة قالوا: يمرُّ بنا يتيم أبي طالب فلا يسلم علينا فأيتكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه؟ فقال عبد الله بن الزبعرى السهمي: أنا أفعل، فأخذ الفرث والدم فأنتهى به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ساجدٌ فملاً به ثيابه ومظاهره فانصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أتى عمّه أبا طالب فقال: يا عمّ من أنا؟ فقال: ولم يا ابن أخي؟ فقصّ عليه القصّة فقال: وأين تركتهم؟ فقال: بالأبطح فنأدى في قومه: يا آل عبد المطلب! يا آل هاشم! يا آل عبد مناف! فاقبلوا إليه من كلّ مكان ملّين فقال: كم أنتم؟ قالوا: نحن أربعون قال: خذوا سلاحكم. فأخذوا سلاحهم وانطلق بهم حتى إنتهى إلى أولئك النفر فلمّا رأوه أرادوا أن يتفرّقوا فقال لهم: وربّ هذه البنيّة لا يقوم منكم أحدٌ إلّا جللته بالسيف. ثمّ أتى إلى صفاة كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات حتى قطعها ثلاثة أفهار ^(٢) ثمّ قال: يا محمّد! سألتني من أنت؟ ثمّ أنشأ يقول

١ - راجع ما أسلفناه ص ٣٧٨.

٢ - ثلاثة أفهار: ثلاث قطع كل منها تملأ الكف.

ويومي بيده إلى النبي ﷺ :

أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ قَرَّمَ أَعْرَ مَسْرُودٌ

إلى آخر ما مرَّ في ص ٣٣٦ ثمَّ قال: يا مُحَمَّد! أَيُّهُمْ الفاعل بك؟ فأشار النبي ﷺ إلى عبد الله بن الزبير السهمي الشاعر فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتَّى أدماها ثمَّ أمر بالفرث والدم فأمرَّ على رؤس الملائكة ثمَّ قال: يا ابن أخ أَرْضِيَتْ؟ ثمَّ قال: سألتني من أنت؟ أنت مُحَمَّد بن عبد الله ثمَّ نسبَّه إلى آدم ﷺ ثمَّ قال: أنت والله أشرفهم حسباً، وأرفعهم منصباً، يا معشر قريش! من شاء منكم يتحرَّك فليفعل أنا الذي تعرفوني^(١).

رواه السيّد ابن معد في الحجّة ص ١٠٦ وذكر لدة هذه القضية الصفوري في نزهة المجالس ٢: ١٢٢ وفي طبع ص ٩١، وابن حجّة الحموي في ثمرات الأوراق بهامش المستطرف ٢: ٣ نقلاً عن كتاب الأعلام للقرطبي.

١٣ - ذكر ابن قتيّاض في كتابه شرح الأخبار: إنّ عليّاً ﷺ قال في حديث له: إنّ أبا طالب هجم عليّ وعلى النبي ﷺ ونحن ساجدان فقال: أفعلتماها؟ ثمَّ أخذ بيدي فقال: انظر كيف تنصره، وجعل يرغبني في ذلك ويحضني عليه. الحديث.

راجع ضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف الفتوي:

١٤ - روي أنّ أمير المؤمنين عليّاً ﷺ قيل له: من كان آخر الأوصياء قبل النبي ﷺ؟ فقال: أبي.

« ضياء العالمين للفتوي ».

١٥ - عن الإمام السّجاد زين العابدين عليّ بن الحسين بن علي عليهم السّلام أنّه سُئل عن أبي طالب أكان مؤمناً؟ فقال عليّاً ﷺ: نعم. فقليل له: إنّ هاهنا قوماً يزعمون أنّه كافر. فقال عليّاً ﷺ: واعجباً كلّ العجب أيطعنون على أبي طالب أو على رسول الله ﷺ؟ وقد نجاه الله تعالى أن يقَرَّ مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن ولا يشكُّ أحدٌ أنّ فاطمة بنت أسد رضي الله تعالى عنها من المؤمنات السابقات، فإنّها لم تزل تحت أبي طالب حتّى مات أبو طالب رضي الله عنه. راجع ما مرَّ ص ٣٨٠، وكتاب الحجّة ص ٢٤، والدرجات الرفيعة، ضياء العالمين فقال: قيل إنّها متواترة عندنا.

١ - راجع ما اسلفناه ص ٣٥٩ ويأتي في الجزء الثامن في الايات ما يأيّد هذه القصة.

١٦ - عن أبي بصير ليث المرادي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: سيدي إن الناس يقولون: إن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه. فقال عليه السلام: كذبوا والله إن إيمان أبي طالب لو وُضع في كفة الميزان وإيمان هذا الخلق في كفة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم. إلى آخر ما مرَّ ص ٣٨٠، رواه السيّد في كتاب الحجّة ص ١٨ من طريق شيخ الطائفة عن الصدوق، والسيّد الشيرازي في الدرجات الرفيعة، والفتوني في ضياء العالمين.

وروى السيّد ابن معد في كتاب الحجّة ص ٢٧ من طريق آخر عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلماً مؤمناً. الخ.

١٧ - عن الإمام الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام قال: إنَّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الايمان وأظهروا الشّرك فآتاهم الله أجرهم مرّتين.

راجع الكافي لثقة الإسلام الكليني ص ٢٤٤، أمالي الصدوق ص ٣٦٦، روضة الواعظين ص ١٢١، كتاب الحجّة ص ١١٥، وفي ص ١٧ ولفظه من طريق الحسين بن أحمد المالكي:

قال عبد الرحمن بن كثير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ الناس يزعمون أنَّ أبا طالب في ضحضاح من نار فقال: كذبوا، ما بهذا نزل جبريل على النبي ﷺ قلت: وبما نزل؟ قال: أتى جبرائيل في بعض ما كان عليه فقال: يا محمد إنَّ ربك يقرئك السّلام ويقول لك إنَّ أصحاب الكهف أسروا الايمان وأظهروا الشّرك فآتاهم الله أجرهم مرّتين، وإنَّ أبا طالب أسرّ الايمان وأظهر الشّرك فآتاه الله أجره مرّتين، وما خرج من الدنيا حتّى أتته البشارة من الله تعالى بالجنّة، ثمَّ قال: كيف يصفونه بهذا؟ وقد نزل جبرائيل ليلة مات أبو طالب فقال: يا محمد اخرج من مكة فمالك بها ناصرٌ بعد أبي طالب.

وذكره العلامة المجلسي في البحار ٩: ٢٤، والسيّد في الدرجات الرفيعة، والفتوني في ضياء العالمين، وروى شيخنا أبو الفتوح الرازي هذا الحديث في تفسيره ٤ ص ٢١٢.

١٨ - أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي ص ٢٤٤ بالإسناد عن إسحاق ابن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: قيل له: أنّهم يزعمون أنَّ أبا طالب كان كافراً، فقال:

كذبوا، كيف وهو يقول؟:

ألم تعلموا أننا محمدٌ نبياً كموسى خُطَّ في أوَّل الكتب؟

وذكره غير واحد من أئمة الحديث في تأليفهم رضوان الله عليهم أجمعين.

١٩ - أخرج ثقة الإسلام الكليني في أصول الكافي ٢٤٢ عن الإمام الصادق قال: كيف يكون أبو طالب كافراً وهو

يقول؟:

لقد علموا أن ابننا لا مكدَّبٌ لدينا ولا يعبأ بقبل الأباطيل

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثم اليتامى عصمة للأرامل

وذكره السيد في البرهان ٣: ٧٩٥، وكذلك غير واحد من أعلام الطائفة أخذاً عن الكليني.

٢٠ - روى شيخنا أبو علي الفتال في روضة الواعظين ص ١٢١ عن الامام الصادق عليه السلام قال: لما حضر أبا طالب

رضي الله عنه الوفات جمع وجوه قريش فأوصاهم فقال: يا معشر قريش! أنتم صفوة الله من خلقه، وقلب العرب، وأنتم خزنة

الله في أرضه وأهل حرمة، فيكم السيد المطاع، الطويل الذراع، وفيكم المقدام الشجاع، الواسع الباع، إعلموا أنكم لم تتركوا

للعرب في المفاخر نصيباً إلا حزمته، ولا شرفاً إلا أدركتموه، فلکم على الناس بذلك الفضيلة، ولهم به اليكم الوسيلة، والناس

لكم حرب إلى آخر ما مرَّ في ص ٣٦٦ من مواقف سيدنا أبي طالب المشكورة المروية من طرق أهل السنة، وذكر هذه

الوصية شيخنا العلامة المجلسي في البحار ٩: ٢٣.

٢١ - حدَّث شيخنا أبو جعفر الصدوق في إكمال الدين ص ١٠٣ بالاسناد عن محمد بن مروان عن الإمام الصادق

عليه السلام: إنَّ أبا طالب أظهر الكفر وأسرَّ الإيمان فلما حضرته الوفاة أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى رسول الله ﷺ: أخرج منها

فليس لك بها ناصر. فهاجر إلى المدينة.

وذكره سيدنا الشريف المرتضى في الفصول المختارة ص ٨٠ فقال: هذا يبرهن عن إيمانه لتحقيقه بنصرة رسول الله ﷺ

وتقوية أمره.

وذيل الحديث رواه السيد الحجة ابن معد في كتابه «الحجة» ص ٣٠ وقال في ص ١٠٣: لما قبض أبو طالب اتفق

المسلمون على أنَّ جبرئيل عليه السلام: نزل على النبي ﷺ وقال

له: رُبُّكَ يقرءُ السَّلامَ ويقول لك: اِنَّ قومك قد عولوا على أن يُبيِّتوك وقد مات ناصرُك فأخرج عنهم وأمره بالمهاجرة. فتأمل إضافة الله تعالى أبا طالب رحمه الله إلى النبي ﷺ و شهادته له أنَّه ناصرُه، فإنَّ في ذلك لأبي طالب أوفى فخر وأعظم منزلة وقريش رضيت من أبي طالب بكونه مخالطاً لهم مع ما سمعوا من شعره وتوحيده وتصديقه للنبي ﷺ ولم يمكنهم قتله والمنازمة له لأنَّ قومه من بني هاشم وإخوانهم من بني المطلب بن عبد مناف وأحلافهم ومواليهم وأتباعهم، كافرهم مؤمنهم كانوا معه، ولو كان نابذ قومه لكانوا عليه كافَّةً، ولذلك قال أبو لهب لما سمع قريشاً يتحدثون في شأنه و يفيضون في أمره: دعوا عنكم هذا الشيخ فأنَّه مغرَّمٌ بابن أخيه، والله لا يُقتل محمَّدٌ حتَّى يُقتل أبو طالب، ولا يقتل أبو طالب حتَّى تُقتل بنو هاشم كافَّةً، ولا تُقتل بنو هاشم حتَّى تُقتل بنو عبد مناف، ولا تقتل بنو عبد مناف حتَّى تُقتل أهل البطحاء، فامسكوا عنه وإلَّا ملنا معه فخاف القوم أن يفعل فكفُّوا، فلمَّا بلغت أبا طالب مقالته طمع في نصرته فقال: يستعطفه ويرقِّقه.

عجبت لحلم يا بن شيبه حادث وأحلام أقوام لـديك ضعاف
إلى آخر أبيات ذكرها ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٣٠٧ مع زيادة خمسة أبيات لم يذكرها السيّد في الحجّة. وذكرها ابن شجري في حماسه ص ١٦.

فقال السيّد: فلمَّا أبطأ عنه ما أراد منه قال يستعطفه أيضاً:

وإنَّ امرءاً من قومه أبو معتب (١) لفي منعة من أن يسام المظالم
أقول له وأين منه نصيحتي : أبا معتب تبت سوادك قائماً
إلى أبيات خمسة. وقد ذكرها ابن هشام في سيرته: ١: ٣٩٤ مع زيادة أربعة أبيات غير أن البيت الأوّل فيه:
إنَّ امرءاً أبو عتيبة عُمُّه لفي روضة ما إن يسام المظالم
وذكرها ابن أبي الحديد في الشرح ٣: ٣٠٧، وابن كثير في تاريخه ٣: ٩٣.

٢٢ - عن يونس بن نباتة عن الإمام الصادق ﷺ قال: يا يونس! ما يقول الناس في أبي طالب؟ قلت: جعلت فداك يقولون: هو في ضحضاح من نار يغلي منها

١ - يعنى به ابا لهب.

أم رأسه فقال: كذب أعداء الله، إنَّ أبا طالب من رفقاء النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

كنز الفوائد لشيخنا الكراجكي ص ٨٠، كتاب الحجّة ص ١٧، ضياء العالمين.

٢٣ - روى الشريف الحجّة ابن معد في كتاب الحجّة ص ٢٢ من طريق شيخنا أبي جعفر الصّدوق عن داود الرقي قال دخلت علي أبي عبد الله عليه السلام ولي على رجل دين وقد خفت نواه فشكوت ذلك إليه فقال عليه السلام: إذا مررت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن أبي طالب طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن عبد الله طوافاً وصلّ عنه ركعتين. وطف عن آمنة طوافاً وصلّ عنها ركعتين، وعن فاطمة بنت أسد طوافاً وصلّ عنها ركعتين. ثمّ ادع الله عزّ وجلّ أن يرزقك مالك. قال: ففعلت ذلك ثمّ خرجت من باب الصفا فإذا غريمي واقف يقول: يا داود! جئني هناك فاقض حقّك. وذكره العلامة المجلسي في البحار ٩: ٢٤.

٢٤ - أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي ص ٢٤٤ بالإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: بينا النبي ﷺ في المسجد الحرام وعليه ثيابٌ له جدد فألقى المشركون عليه سلا (١) ناقة فملؤا ثيابه بها فدخله من ذلك ما شاء الله فذهب إلى أبي طالب فقال له: يا عمّ! كيف ترى حسبي فيكم؟ فقال له: وما ذاك يا بن أخي؟ فأخبره الخبر فدعا أبو طالب حمزة وأخذ السيف وقال لحمزة: خذ السلا ثمّ توجّه إلى القوم والنبي ﷺ معه فأتى قريشاً وهم حول الكعبة، فلمّا رأوه عرفوا الشرّ في وجهه ثمّ قال لحمزة: أمر السلا على أسبلتهم (٢) ففعل ذلك حتّى أتى على آخرهم ثمّ التفت أبو طالب إلى النبيّ فقال: يا بن أخي هذا حسبك فينا.

وذكره جمع من الأعلام وأئمة الحديث في تأليفهم.

٢٥ - أخرج أبو الفرج الأصبهاني بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام قال كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروي شعر أبي طالب عليه السلام وأن يدوّن وقال: تعلّموه وعلمّوه

١ - السلا: الجلدة التي يكون فيها الولد.

٢ - وفي بعض النسخ: سبّاهم ج السبلة: مقدمة اللحية. وما على الشارب من الشعر.

أولادكم فإنه كان على دين الله وفيه علم كثير .

كتاب الحجّة ص ٢٥، بحار الأنوار ٩ ص ٢٤، ضياء العالمين للفتوي.

٢٦ - روى شيخنا الصدوق في أماليه ص ٣٠٤ بالإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: أول جماعة كانت إن رسول الله ﷺ كان يصلي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب معه إذ مرّ أبو طالب به وجعفر معه قال: يا بني صل جناح ابن عمك فلما أحسّه رسول الله تقدّمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول:

إِنَّ عَلِيًّا وَجَعْفَرًا ثَقَاتِي عِنْدَ مَلِكِ الزَّمَانِ وَالْكَرْبِ

إلى آخر أبيات مرّت صحيفة ٣٥٦ وتأتي في ص ٣٩٧، والحديث رواه الشيخ أبو الفتوح في تفسيره ٤: ٢١١.

٢٧ - أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي ص ٢٤٢ بإسناده عن درست بن أبي منصور أنّه سأل أبا الحسن الأوّل - الإمام الكاظم - عليه السلام: أكان رسول الله ﷺ محجوجاً بأبي طالب؟ فقال: لا. ولكنّه كان مستودعاً للوصايا فدفعها إليه فقال: قلت: فدفع اليه الوصايا على أنّه محجوجٌ به؟ فقال: لو كان محجوجاً به ما دفع اليه الوصيّة قال: قلت: فما كان حال أبي طالب: قال: أقرّ بالنبيّ وبما جاء به ودفع إليه الوصايا ومات من يومه.

قال الأميني: هذه مرتبة فوق مرتبة الايمان فإنّها مشفوعة بما سبق عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام تثبت لأبي طالب مرتبة الوصاية والحجّة في وقته فضلاً عن بساط الايمان، وقد بلغ ذلك من الثبوت إلى حدّ ظنّ السائل أنّ النبيّ ﷺ كان محجوجاً به قبل بعثته، فنفي الإمام عليه السلام ذلك، وأثبت ما ثبت له من الوصاية وأنّه كان خاضعاً بالابراهيميّة الحنيفيّة، ثمّ رضخ للمحمدية البيضاء، فسلم الوصايا للصاعد بها، وقد سبق إيمانه بالولاية العلوية الناهض بها ولده البار صلوات الله وسلامه عليه.

٢٨ - أخرج شيخنا أبو الفتوح الكراچكي ص ٨٠ بإسناده عن أبان بن محمّد قال كتبت إلى الإمام الرضا علي بن موسى الرضا عليهما السلام: جعلت فداك. إلى آخر ما مرّ في ص ٣٨١، وذكره السيّد في كتاب الحجّة ص ١٦، والسيّد الشيرازي في الدرجات الرفيعة،

والعلامة المجلسي في بحار الأنوار ص ٣٣، وشيخنا الفتوني في ضياء العالمين.

٢٩ - روى شيخنا المفسر الكبير أبو الفتوح في تفسيره ٤: ٢١١، عن الإمام الرضا سلام الله عليه وقال روى عن آبائه بعدة طرق: أنّ نقش خاتم أبي طالب عليه السلام كان: رضيت بالله ربّا، وبابن أخي محمّد نبياً، وبابني عليّ له وصياً.

ورواه السيّد الشيرازي في الدرجات الرفيعة، والإشكوري في محبوب القلوب.

٣٠ - أخرج الشيخ أبو جعفر الصدوق باسناد له: أنّ عبد العظيم بن عبد الله العلوي الحسيني المدفون بالري كان مريضاً فكتب إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام: عرّفني يا بن رسول الله عن الخبر المرويّ: أنّ أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه. فكتب إليه الرضا عليه السلام.

بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد: فإنّك إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى التار.

كتاب الحجّة ص ١٦، ضياء العالمين لأبي الحسن الشريف.

٣١ - أخرج شيخنا الفقيه أبو جعفر الصدوق بالاسناد عن الإمام الحسن بن علي العسكري عن آبائه عليهم السلام في حديث طويل: إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى رسوله ﷺ: إنّني قد أيدتكم بشيعة: شيعة تنصرك سرّاً، وشيعة تنصرك علانية، فأما التي تنصرك سرّاً فسيدهم وأفضلهم عمك أبو طالب، وأما التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم ابنه عليّ بن أبي طالب. ثمّ قال: وإنّ أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه.

كتاب الحجّة ص ١١٥، ضياء العالمين لأبي الحسن الشريف.

٣٢ - أخرج شيخنا الصدوق في أماليه ص ٣٦٥ من طريق الأعمش عن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: قال أبو طالب لرسول الله ﷺ: يا بن أخي! الله أرسلك؟ قال: نعم. قال: فأرني آية. قال: ادع لي تلك الشجرة. فدعاها فأقبلت حتّى سجدت بين يديه ثمّ انصرفت، فقال أبو طالب: أشهد أنّك صادق، يا علي صل جناح ابن عمك.

ورواه أبو علي القتال في روضة الواعظين ص ١٢١، ورواه السيّد ابن معد في الحجّة ص ٢٥ ولفظه: قال أبو طالب للنبيّ

ﷺ بمحضر من قريش ليريهام فضله: يا بن أخي الله

أرسلك؟ قال: نعم. قال: إِنَّ لِلنَّبِيَّاءِ مَعْجِزاً وَخَرَقَ عَادَةَ فَأَرْنَا آيَةً. قال: ادع تلك الشجرة وقل لها: يقول لك مُحَمَّد بن عبد الله: اقبلي بأذن الله. فدعاها فأقبلت حتى سجدت بين يديه ثُمَّ أمرها بالإنصراف فانصرفت، فقال أبو طالب: أشهد أنّك صادق. ثُمَّ قال لابنه عليّ عليه السلام: يا بنيّ إلزم ابن عمّك.

وذكره غير واحد من أعلام الطائفة.

٣٣ - أخرج أبو جعفر الصّدوق قدس الله سرّه في الأمالي ص ٣٦٦ باسناده عن سعيد بن جبیر عن عبد الله بن عباس أنّه سأله رجل فقال له: يا بن عمّ رسول الله! أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلماً؟ قال: وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل؟.

وقد علموا أنّ ابننا لا مكذب لدينا ولا يعبأ بقيل الأباطيل
إنّ أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف حين أسروا الايمان وأظهروا الشّرك فأتاهم الله أجراً مرتين.
ورواه السيّد ابن معد في (الحجّة) ص ٩٤، ١١٥، وذكره غير واحد من أئمة الحديث.

٣٤ - أخرج شيخنا أبو علي الفتّال النيسابوري في روضة الواعظين ص ١٢٣ عن ابن عباس قال: مرّ أبو طالب ومعه جعفر ابنه برسول الله عليه السلام وهو في المسجد الحرام يصليّ صلاة الظهر وعليّ عليه السلام عن يمينه فقال أبو طالب لجعفر: صلّ جناح ابن عمّك فتقدّم جعفر وتأخّر عليّ واصطفا خلف رسول الله عليه السلام حتّى قضى الصّلاة وفي ذلك يقول أبو طالب:

إنّ عليّاً وجعفرّاً ثِقَتِي عند ملئم الزمان والنوب^(١)
أجعلهم عرضة العدا إذا اتّرك ميتاً
لا تخذلا وانصرا ابن عمّكا أخِي لأُمِّي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النّبيّ ولا يخذله من بنيّ ذو حسب^(٢)

وأخرج سيّدنا ابن معد في كتاب الحجّة ص ٥٩ باسناده عن عمران بن الحصين

١ - وفي نسخة: عند احتدام الهموم والكرب.

٢ - راجع فيما اسلفناه ص ٣٩٤.

الخزاعي قال: كان والله إسلام جعفر بأمر أبيه، وذلك: مرَّ أبو طالب ومعه ابنه جعفر برسول الله وهو يُصلي وعليَّ عليٌّ عن يمينه فقال أبو طالب لجعفر: صل جناح ابن عمِّك ف جاء جعفر فصلَّى مع النبي ﷺ، فلمَّا قضى صلاته قال له النبي ﷺ يا جعفر! وصلت جناح ابن عمِّك، إنَّ الله يعوِّضك من ذلك جناحين تطير بهما في الجنَّة. فأنشأ أبو طالب رضوان الله عليه يقول:

عند ملِّم الزمان والنوب	إنَّ عليّاً وجعفرأ ثقتي
أخي لا ممي من بينهم وأبي	لا تخذلا وانصرا ابن عمِّكا
ليس أبو معتب بذئ حدب ^(١)	إنَّ أبا معتب قد أسلمنا
يخذله من بني ذو حسب	والله لا أخذل النبي ولا
منا ومنكم هناك بالقضب	حتى ترون الرؤوس طايحة
نضرب عنه الأعداء كالشهب	نحن وهذا النبي أسرته
فنحن في الناس ألام العرب	إن نلتموه بكل جمعكم

ورواه شيخنا أبو الفتح الكراجكي بطريق آخر عن أبي ضوء بن صلصال قال: كنت أنصر النبي ﷺ مع أبي طالب قبل إسلامي، فأتني يوماً لجالس بالقرب من منزل أبي طالب في شدَّة القيظ إذ خرج أبو طالب إليَّ شبيهاً بالملهوف فقال لي: يا أبا الغضنفر هل رأيت هذين الغلامين؟ يعني النبي وعليّاً عليهما السَّلام فقلت: ما رأيتهما مُذ جلست فقال: قم بنا في الطلب لهما فلست آمن قريشاً أن تكون اغتالهما قال: فمضينا حتَّى خرجنا من أبيات مكَّة ثمَّ صرنا إلى جبل من جبالها فاسترقيناها إلى قلَّته فإذا النبي ﷺ وعليٌّ عن يمينه وهما قائمان بازاء عين الشمس يركعان ويسجدان فقال أبو طالب لجعفر ابنه وكان معنا: صل جناح ابن عمِّك. فقام إلى جنب عليٍّ فأحسَّ بهما النبي ﷺ فتقدَّمهما وأقبلوا على أمرهم حتَّى فرغوا ممَّا كانوا فيه ثمَّ أقبلوا نحونا فرأيت السرور يتردَّد في وجه أبي طالب ثمَّ انبعث يقول الأبيات.

٣٥ - عن عكرمة عن ابن عباس قال قال: أخبرني أبي أنَّ أبا طالب رضي الله عنه شهد عند الموت أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله.

(ضياء العالمين).

١ - أبو معتب كنية أبي لهب كما مرَّ. ذي جدب: ذي تعطف.

٣٦ - في تفسير الوكيل من طريق أبي ذر الغفاري أنه قال: والله الذي لا إله إلا هو ما مات أبو طالب رضي الله عنه حتى أسلم بلسان الحبشة قال لرسول الله ﷺ: أتفقه الحبشة؟ قال: يا عم! إن الله علّمني جميع الكلام. قال: يا محمد! اسدن لمصافقا قاطا لاها، يعني أشهد مخلصاً لا إله إلا الله، فبكى رسول الله ﷺ وقال: إن الله أقرّ عيني بأبي طالب. ضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف.

أحبّ سيّد الأبطح الشهادة بلغة الحبشة في موقفه هذا بعد ما أكثرها بلغة الضّاد وبغيرها كما فصل القول فيها شيخنا الحجّة ابو الحسن الشريف الفتوي المتوفى ١١٣٨ في كتابه القيم الضخم « ضياء العالمين » وهو أثن كتاب ألف في الإمامة. ٣٧ - روى شيخنا أبو الحسن قطب الدين الراوندي في كتابه - الخرائج والجرائح - عن فاطمة بنت أسد أنّها قالت: لما توفي عبد المطلب أخذ أبو طالب النبي ﷺ عنده لوصيّة أبيه به وكنت أخدمه وكان في بستان دارنا نخلات وكان أول إدراك الرطب و كنت كلّ يوم ألتقط له حفنة من الرطب فما فوقها وكذلك جاريتي فاتّفق يوماً أن نسيت أن التّقط له شيئاً ونسيت جاريتي ايضاً، وكان محمد نائماً ودخل الصبيان وأخذوا كلّما سقط من الرطب وانصرفوا فنمت ووضعت الكم على وجهي حياءً من محمد ﷺ اذا انتبه فانتبه محمد ﷺ ودخل البستان فلم ير رطبةً على وجه الأرض فأشار إلى نخلة وقال: أيتها الشجرة أنا جائع. فرأيت النخلة قد وضعت أغصانها التي عليها الرطب حتى أكل منها ما أراد ثم ارتفعت إلى موضعها، فتعجّبت من ذلك وكان أبو طالب رضي الله عنه غائباً فلما أتى وقرع الباب عدوت إليه حافية وفتحت الباب وحكيت له ما رأيت فقال: هو إنّما يكون نبياً وأنّ تلدين له وزيراً بعد يأس. فولدت عليّاً عليه السلام كما قال.

٣٨ - روى شيخنا الفقيه الأكبر ابن بابويه الصدوق في أماليه ص ١٥٨ بالاسناد عن أبي طالب سلام الله عليه قال قال عبد المطلب: بينا أنا نائم في الحجر إذ رأيت رؤياً هالتي فأتيت كاهنة قريش وعليّ مطرف خزّ وجمّتي تضرب منكبي، فلمّا نظرت إليّ عرفت في وجهي التغيّر، فاستوت وأنا يومئذ سيّد قومي فقالت: ما شأن سيّد العرب متغيّر اللون؟ هل رابه من حدثان الدهر ريب؟ فقلت لها: بلى إني رأيت الليلة أنا نائم في الحجر كأنّ شجرة قد نبتت على ظهري قد نال رأسها السّماء وضربت بأغصانها الشرق

والغرب، ورأيت نوراً يظهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً، ورأيت العرب والعجم ساجدة لها، وهي كل يوم تزداد عظماً ونوراً، ورأيت رهطاً من قريش يريدون قطعها فإذا دنوا منها أخذهم شابٌ من أحسن الناس وجهاً وأنظفهم ثياباً فيأخذهم ويكسّر ظهورهم ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لأتناول غصناً من أغصانها فصاح بي الشابُ وقال: مهلاً ليس لك منها نصيبٌ، فقلت: لمن النصيب والشجرة مَيّ؟ فقال: النصيب لهؤلاء الذين قد تعلّقوا بها وسيعود إليها، فانتبهت مذعوراً فزعاً متغيّراً اللون، فرأيت لون الكاهنة قد تغيّر ثمّ قالت: لئن صدقت ليخرجنّ من صُلبك ولدٌ يملك الشرق والغرب وينبأ في الناس. فتسرّى عني غمي، فانظر أبا طالب لعلّك تكون أنت، وكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبيّ ﷺ قد خرج ويقول: كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين.

٣٩ - قال السيّد الحجة في كتابه (الحجة) ص ٦٨: ذكر الشريف النّسابة العلوي العمري المعروف بالموضح بإسناده: أنّ أبا طالب لمّا مات لم تكن نزلت الصّلاة على الموتى فما صلّى النبيّ عليه ولا على خديجة، وإنّما اجتازت جنازة أبي طالب والنبيّ ﷺ وعليّ وجعفر وحمة جلوس فقاموا وشيّعوا جنازته واستغفروا له فقام قوم: نحن نستغفر لموتانا وأقاربنا المشركين ايضاً ظناً منهم أنّ أبا طالب مات مشركاً لأنّه كان يكتّم إيمانه فنفى الله عن أبي الشرك ونزّه نبيّه ﷺ والثلاثة المذكورين عليهم السّلام عن الخطأ في قوله: ما كان للنبيّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى، فمن قال بكفر أبي طالب فقد حكم على النبيّ بالخطأ والله تعالى قد نزّهه عنه في أقواله وأفعاله.. الخ.

وأخرج أبو الفرج الاصبهاني بالاسناد عن محمّد بن حميد قال: حدّثني أبي قال: سئل أبو الجهم بن حذيفة: أصلي النبيّ ﷺ عليّ أبي طالب؟ فقال: وأين الصّلاة يومئذ؟ إنّما فرضت الصّلاة بعد موته، ولقد حزن عليه رسول الله ﷺ وأمر عليّاً بالقيام بأمره وحضر جنازته وشهد له العبّاس وأبو بكر بالإيمان وأشهد على صدقهما لأنّه كان يكتّم إيمانه ولو عاش إلى ظهور الإسلام لأظهر إيمانه.

٤٠ - عن مقاتل: لمّا رأت قريش يعلو أمر النبيّ ﷺ قالوا: لا نرى محمّداً

يزداد إلا كبيراً وإن هو إلا ساحرٌ أو مجنونٌ، فتعاقدوا لئن مات أبو طالب رضي الله عنه ليجمعنَّ القبائل كلها على قتله، فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وأحلافهم من قريش فوصّاهم بالنبي ﷺ وقال: ابن أخي كلّمَا يقول أخبرنا بذلك آبائنا وعلمائنا، وأنَّ محمداً نبيٌّ صادقٌ، وأميرٌ ناطقٌ، وإنَّ شأنه أعظم شأن، ومكانه من ربّه أعلى مكان، فأجيبوا دعوته واجتمعوا على نصرته، وراموا عدوّه من وراء حوضته، فأنّه الشرف الباقي لكم طول الدهر ثمّ أنشأ يقول:

أوصي بنصر النبيّ الخير مشهده	عليّاً ابني وعمّ الخير عبّاسا
وحمة الأسد المخشبيّ صولته	وجعفرأ أن يذودا دونه الناسا
وهاشمأ كلّها أوصي بنصرته	أن يأخذوا دون حرب القوم أمراسا
كونوا فداءً لكم أمي وما ولدت	من دون أحمد عند الروع أتراسا
بكلّ أبيض مصقول عوارضه	تخاله في سواد الليل مقباسا (١)

وقال الأميني: هذه جملة ممّا أوقفنا السير عليه من أحاديث رواة الحقّ والحقيقة وصفحنا ممّا يربو على الأربعين روماً للاختصار، فأنت إذا أضفت إليها ما أسلفناه ممّا يروي عن آل أبي طالب وذويه، واشفعتها بما مرّ من أحاديث مواقف سيّد الأباطح، وجمعتها مع ما جاء من الشهادات الصريحة في شعره تربوا الأدلّة على إيمانه الخالص و إسلامه القويم على مائة دليل، فهل من مساعٍ لذي مسكة أن يصفح عن هذه كلّها؟ وكلّ واحد منها يحقّ أن يستند إليه في إسلام أيّ أحد، نعم: إنّ في أبي طالب سرّاً لا يثبت إيمانه بألف دليل، وإيمان غيره يثبت بقليل مجهول ودعوى مجرّدة، إقرأ واحكم وقد فصلّ القول في هذه الأدلّة جمعٌ من أعلام الطائفة كشيخنا العلامة الحجّة المجلسي في بحار الأنوار ٩: ١٤ - ٣٣، وشيخنا العلم القدوة أبي الحسن الشريف الفتوي في الجزء الثاني من كتابه القيم الضخم ضياء العالمين (والكتاب موجودٌ عندنا) وهو أحسن ما كتب في الموضوع كما أنّ ما ألّفه السيّد البرزنجي ولخصه السيّد أحمد زيني دحلان أحسن ما ألّف في الموضوع بقلم أعلام أهل السنّة، وأفرد ذلك إلى ألف آخرون منهم:

١ - ضياء العالمين لشيخنا الفتوى.

- ١م - سعد بن عبد الله ابو القاسم الأشعري القميّ المتوفى ٢٩٩ / ٣٠١، له كتاب فضل أبي طالب وعبد المطلب وعبد الله أبي النبي ﷺ « رجال النجاشي ص ١٢٦ ».
- ٢ - أبو علي الكوفي أحمد بن محمد بن عمار المتوفى ٣٤٦، له كتاب إيمان أبي طالب كما في فهرست الشيخ ص ٢٩، ورجال النجاشي ص ٧٠.
- ٣ - أبو محمد سهل بن أحمد بن عبد الله الدياجي سمع منه التلعكبري سنة ٣٧٠ له كتاب إيمان أبي طالب، ذكره النجاشي في فهرسته ص ١٣٣.
- ٤ - أبو نعيم عليّ بن حمزة البصري التميمي اللغوي المتوفى ٣٧٥ له كتاب إيمان أبي طالب، توجد نسخته عند شيخنا الحجّة ميرزا محمد الطهراني ^(١) في سامراء المشرفة. نقل عنه بعض فصوله الحافظ ابن حجر في الاصابة في ترجمة أبي طالب وأنهم مؤلفه بالرفض.
- ٥ - أبو سعيد محمد بن أحمد بن الحسين الخزاعي النيسابوري جدّ المفسّر الكبير الشيخ أبي الفتوح الخزاعي لأُمّه، له كتاب (منى الطالب في إيمان أبي طالب) رواه الشيخ منتخب الدين كما في فهرسته ص ١٠ عن سبطه الشيخ أبي الفتوح عن أبيه عنه.
- ٦ - أبو الحسن عليّ بن بلال بن أبي معاوية المهلب الأزدي له كتاب (البيان عن خيرة الرحمن) في إيمان أبي طالب وآباء النبي ﷺ ذكره له الشيخ في فهرسته ص ٩٦. والنجاشي ص ١٨٨.
- ٧ - أحمد بن القاسم، له كتاب إيمان أبي طالب، رآه النجاشي (كما في فهرسته ص ٦٩) بخطّ الحسين بن عبيد الله الغضائري.
- ٨ - أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن طرخان الكندي الجرجاني صديق النجاشي المتوفى ٤٥٠، ذكر له النجاشي في فهرسته ص ٦٣ كتاب إيمان أبي طالب.
- ٩ - شيخنا الأكبر أبو عبد الله المفيد محمد بن محمد بن النعمان المتوفى ٤١٣ له كتاب إيمان أبي طالب كما في فهرست النجاشي ص ٢٨٤.
- ١٠ - أبو علي شمس الدين السيّد فخار بن معد الموسوي المتوفى ٦٣٠، له كتاب (الحجّة على الذهاب إلى تفكير أبي طالب) قرّظه العلامة السيّد محمد

١ - توفي قدس الله سرّه وابقى له آثاراً ومآثر تذكر مع الابد وتشكر.

صادق بحر العلوم بقوله:

بشــــراك (فخــــار) بمــــا أولا	ك الخــــالق في يــــوم المحشــــر
نزهــــت بحجّــــتك الغــــرا	شــــيخ البطحــــاء أبا حيــــدر
عمّــــا نسبوه إليــــه من الــــ	كفر المــــردود دعوــــة الشــــر
أتى وبــــه قــــام الاســــلا	م فنــــال بعليــــه المفقــــر
قســــماً بــــولاء (أبي حســــن)	لــــولاه الــــدين لمــــا أزهر
فعليــــه مــــن الله الرضــــوا	ن ولأعــــدا نازّ تســــعر

١١ - سيّدنا الحجّة أبو الفضائل أحمد بن طاوس الحسيني المتوفّى ٦٧٣هـ، له كتاب إيمان أبي طالب، ذكره في كتابه بناء المقالة العلويّة لنقض الرسالة العثمانيّة، وهو كتاب في الامامة ألفه في الردّ على رسالة أبي عثمان الجاحظ.

١٢ - السيّد الحسين الطباطبائي اليزدي الحائري الشهير بالواعظ المتوفّى ١٣٠٧هـ له كتاب (منية الطالب في إيمان أبي طالب) فارسيّ مطبوع.

١٣ - المفتي الشريف السيّد محمد عباس التستري الهندي المتوفّى ١٣٠٦هـ، له كتاب (بغية الطالب في إيمان أبي طالب) أحمد شعراء الغدير تأني ترجمته في القرن الرابع عشر انشاء الله تعالى.

١٤ - شمس العلماء ميرزا محمّد حسين الكركاني له كتاب (مقصد الطالب في إيمان آباء النبيّ وعمّه أبي طالب) فارسيّ طبع في بمبي سنة ١٣١١هـ.

١٥ - الشيخ محمّد علي بن ميرزا جعفر علي الفصيح الهندي نزيل مكّة المعظّمة له كتاب (القول الواجب في إيمان أبي طالب).

١٦ - شيخنا الحجّة الحاج ميرزا محسن بن العلامة الحجّة ميرزا محمّد التبريزي.

١٧ - السيّد محمّد علي آل شرف الدين العاملي^(١) له كتاب (شيخ الأبطح أو أبو طالب) طبع في بغداد سنة ١٣٤٩هـ في ٩٦ صفحة وقد جمع فيه فأوعى، ولم يبق في القوس منزعا.

١ - انتقل الى دار البقاء سنة ١٣٧٢هـ وأبقى لهفة وجوى في قلوب امّة كبيرة كانت تعرفه بفضائله وفواضله.

١٨ - الشيخ ميرزا نجم الدين ابن شيخنا الحجّة ميرزا محمد الطهراني، له كتاب (الشهاب الثاقب لرجم مكّفر أبي طالب).

١٩ - الشيخ جعفر بن الحاج محمد النقدي «المرحوم» له كتاب (مواهب الواهب في فضائل أبي طالب) طبع في النجف الأشرف سنة ١٣٤١ في ١٥٤، صفحة فيه فوائد جمّة وطرائف ونوادر.

وقد نظم ذلك كثيرون من أعاضم الشيعة في قريضهم ومّا يسعنا إثباته ها هنا قول السيّد أبي محمد عبد الله بن حمزة الحسيني الزيدي من قصيدة:

حمّاه أبونا أبو طالب	وأسلم والناس لم تسلم
وقد كان يكمّتم إيمانه	وأما الولاء فلم يكمّتم

وقول الشريف العلامة السيّد علي خان الشيرازي ^(١) في الدرجات الرفيعة:

أبو طالب عمّ النبيّ محمّد	به قام أزر الدين واشتدّ كاهله
ويكفيه فخراً في المفاخر أنّه	مما وازره دون الأنام وكافلّه
لئن جهلت قومّ عظيم مقامه	فما ضرّ ضوء الصبح من هو جاهله
ولولاه ما قلت لأحمد دعوة	ولا انجاب ليل الغي وانزاح باطله
أقرّ بدين الله سرّاً لحكمة	فقال عدوّ الحقّ ما هو قائله
وماذا عليه وهو في الدين هضبة	إذا عصفت من ذي العناد أباطله؟
وكيف يحلّ الذمّ ساحة ماجد	أواخره محمودّة وأوائله
عليه سلام الله ما ذرّ شارق	وما تليت أحسابه وفضائله

وعن قصيدة للشريف الأجلّ سيّدنا آية الله السيّد ميرزا عبد الهادي الشيرازي ^(٢):

ولي ندحة في مدحة النذب والد	أئمة أعدل الكتاب أولي الأمر
هو العلم الهادي أزين بمدحه	شعوري ويزهو في مآثره شعري
أبو طالب حامي الحقيقة سيّد	تزان به البطحاء في البرّ والبحر
أبو طالب والخيّل والليل واللو	له شهدت في ملتقى الحرب بالنصر

١ - أحد شعراء الغدير تأتي ترجمته انشاء الله تعالى.

٢ - أحد شعراء الغدير يأتي ذكره وترجمته في شعراء القرن الرابع عشر انشاء الله.

أبو الأوصياء الغرّ عمُّ محمَّد
لقد عرفت منه الخطوب محنكاً
كما عرفت منه الجدوب أخا ندى
فذا واحد الدنيا وثنان له الحيا
وأنيّ يحيط الوصف عُـرَّ خصاله
حمى المصطفى في باس ندب ومدجج
فلولاه لم تنجح لطاهها دعاية
وآمن بالله المهـيـمن والـوـرى
وجابه أسراب الضلال مصدقاً
كفى مفخراً شيخ الأباطح أنّه
وصلّى عليه الله ما هبّت الصبا
وقال العلامة الحجّة شيخنا الاوردبادي^(١):

بشيخ الأبطحين فشا الصّـلاخ
بـراه الله للتوحيد عضباً
وعـمّ المصطفى لولاه أضـحى
نضال للدين منه صفيح عزم
وأشـرع للهـدى بأساً مريعاً
وأصـحر بالحقيقة في قـريض
صريخة هاشم في الخطب لكن
أخـو الشرف الصراح أقام أمراً
فـلا عابـاً يدبّسـه ولكن
فـعلـم زانـه خلـق كـريم
ومنه الغيث إمّا عمّ جدب
مناقـب أعيـت البـلاء مدحاً

تضوع به الأحساب عن طيّب النجر
تدرع يوم الزحف بالبأس والحجر
دوين سداه الغمر ملتطم البحر
وقل في سناه ثالث الشمس والبدر
وقد عجزت عن سردها صاغة الشعر
تذلّ له الأبطال في موقف الكرّ
ولا كان للاسلام مستوسق الأمر
لهم وثبات من يعوق إلى نسر
نبيّ الهدى إذ جاء يصعد بالأمر
أبو حيدر المنسوب في شدّة الضرّ
بريّا ثنا شيخ الأباطح في الدهر

وفي أنواره زهت البطـاخ
يلين به من الشرك الجمـاخ
حمى الاسلام نخباً يستباح
عنت لمضائه القضب الصفاخ
تحطّـم دونـه السـمر الرماخ
عليه الحقّ يطفح والصلـاخ
تـزم لنيلـه الابل الطـلاخ
حداه لمثله الشرف الصـراخ
غرائز ما برحن به سـجـاخ
ودين فيـه مشـفوع سمـاخ
وفيه الغوث إن عن الصـباخ
وتنفد دونها الكلم الفصـاخ

١ - من شعراء الغدير يأتي ذكره في شعراء القرن الرابع عشر انشاء الله تعالى.

وصفوا القول إنَّ أبا عليٍّ
ولكن لابنه نصبوا عداءً
فقالوا من أبيه وما المعالي
وضوء البدر أبلج لا يوارى
(وهبني قلت: إنَّ الصبح ليلاً)
فدع بمتاهة التضليل قوماً
فذا شيخ الأباطح في هداه
أبو الصيد الأكارم من لويٍ
لهم كأبيهم إن جال سهمٌ

له الدين الأصيل ولا براخ
وما عن حيدر فضل يزاح
لكلِّ محاولٍ قصداً تُباح
وإن يك حوله كثر النباح
فهل يخفى لذي العين الصباح؟
بمرتبك الهوى لهم التباح
تصافقه الإمامة والنجاح
مقاديم جحاحه وضاح
لأهل الفضل فائزة قداح

وقال العلامة الأوحّد الشيخ محمّد تقي صادق العاملي من قصيدة يمدح بها أهل البيت عليهم السّلام:

بسيف عليٍّ قد أشيدت صروحه
أبو طالب أصل المعالي ورمزها
توحد في جمع الفضائل والنّهى
وتنحطّ عنه رفعة هامة الشّهى
حمى الخائف اللاجي ومربع أمنه
تخلّق في جمع المكارم نفسه
أصاخ إلى الدين الحنيف مليّاً
وباع باعزاز الشريعة نفسه

كما بأبيه قام قدماً بنائه
ومبدء عنوان الهدى وانتهائه
وضمّ جميع المكرمات رداً
ويأرج في عرف الخزامى ثنائيه
وكعبه قصد المرتجى وغنائيه
ويسمو به للنيرين إباءيه
لدعوتيه لمّا أتاه ندائيه
فبورك قدراً بيعه وشرائه

وقال العلامة الشريف المجلّ السّيد علي النقي اللكهنوي^(١):

زهدت أمّ القري بأبي الوصيِّ
وقام بنصرة الاسلام فرداً
يذبُّ عن الهدى كيد الأعادي
وأبصر رشده من دين طاهراً

غداة غدا يذود عن النبيِّ
يراغم كلّ مختال غويِّ
بأضوى من ذباب المشركيِّ
فجأهر فيه بالسرّ الخفيِّ

١ - أحد شعراء الغدير يأتى في شعراء القرن الرابع عشر انشاء الله.

وَأَمِّنْ بِالْإِلَهِ الْحَقِّ صَدَقاً
بَنِي لِلسُّودِّ الْعَرَبِيِّ صَرْحاً
تَلَقَّى الرِّشْدَ عَنْ آبَاءِ صَدَقٍ
كَأَنَّ الْأَمْهَاتَ لَهُمْ أَبَتْ أَنْ
فَكَانَ عَلَى الْهَدَى كَأَيْيَهُ قَدَمَا
وَكُنَّ بِهِ رِوَاءُ الشَّعْرِ بَدْءاً

بِقَلْبٍ مَوْجِدٍ بَرِّ تَقِيٍّ
مَحَاطِئاً بِالْفَخَارِ الْهَاشِمِيِّ
تَوَارَثَهُ صَفِيّاً عَنْ صَفِيٍّ
تَلَدَنَ سَوَى نَبِيِّ أَوْ وَصِيٍّ
وَلَمْ يَبْرَحْ عَلَى السَّبْحِ السَّوِيِّ
وَتَمَّ بِنَجْلِهِ الزَّاكِي عِلْيَ

وقال العلامة الفاضل الشيخ محمد السماوي (١) من قصيدة نشرت في آخر كتاب الحجّة ص ١٣٥ مطلعها:

فَرَادِي بِالْغَادَةِ الْكَاعِبِ
كَأَنَّيَّ بِدَائِرَةِ مَنْ هَوَى
بَلَيْتَ بِمَنْ ضَرَبَتْ خَدْرَهَا
بِحَيْثُ الصَّفَاحِ وَحَيْثُ الرَّمَا
لَهَا مَنَعَةٌ فِي ذَرَى قَوْمِهَا
فَخَارَ الْأَبِّيَّ وَعَمُّ النَّبِيِّ
وَأَمْنَعُ لَا يَرْتَقِي أَجْدَلُ
إِذَا الرَّافِعُ الطَّرْفَ يَرْزُو لَهُ
تَهَلَّلَ طَلَعَتُهُ لِلْعِيُو
أَقَامَ عِمَادَ الْعُلَى سَامِكاً
بِمَثَلِ (عَلِيٍّ) إِلَى (جَعْفَرِ)
أَوَّلُكَ لَازِمَعَاتِ الرَّجَا
وَمَنْ ذَا كَعْبَدَ مِنْافٍ يَطْوُ
حَمَى الْبَدِينِ فِي سَيْفِهِ فَاَنْبَرَى
وَأَمَّنَ بِاللَّهِ فِي سَبْعَةِ
وَصَدَّقَ (أَحْمَدُ) فِي وَحْيِهِ

غَدَاكُورَةً فِي يَدِي لَاعِبِ
فَمَنْ طَالَعَ لِي وَمَنْ غَارِبِ
بِمَنْقَطِ النَّظَرِ الصَّائِبِ
حَ فَمَنْ مَشَرَفِيَّ إِلَى رَاغِبِي
كَأَنَّ أَبَاهَا (أَبُو طَالِبِ)
وَشَيْخَ الْأَبَاطِحِ مَنْ غَالِبِ
إِلَى ذُرْوَةِ مَنْعِهِ أَوْ غَارِبِ
يَعُودُ بِتَنْحِيَةِ النَّاصِبِ
نَ كَمَا جَرَّدَ الْغَمْدَ عَنْ قَاضِبِ
بِأَرْبَعَةِ كَالسَّنَا الثَّاقِبِ
وَمَثَلِ (عَقِيلِ) إِلَى (طَالِبِ)
لَ مَنْ قَالَصَ الذَّيْلَ أَوْ سَاحِبِ
لَ عَلَى رَاجِلِ ثَمَّ أَوْ رَاكِبِ
بِمَكَّةَ مَمْتَنَعِ الْجَانِبِ
لَأَمْرٍ جَلِيٍّ عَلَى الطَّالِبِ
وَقَامَ بِمَا كَانَ مِنْ وَاجِبِ

١ - احد شعراء الغدير يأتي ذكره انشاء الله. توفي رحمه الله في يوم الاحد ٢ محرم سنة ١٣٧٠.

فكم بين مخفٍ لتصديقه
لنعم ملاذ الهدى والنقى
ومعتصم السدين في مكنة
وما نح حوزة أهل الهدى
فلولاه ما طفق (المصطفى)
ولم يعيب الشرك مستظهاً
وآخر مبدٍ له كاذبٍ
ومنتجع الوافد الراغب
إذا السدين منفرد الصاحب
مدى العمر من وثبة الوائب
ينادي على المنهج اللاحب
بيوم يضيق على العائب

وللبحثة الفاضل صاحب التأليف القيمة الشيخ جعفر بن الحاج محمد النقدي^(١) من قصيدة ذكرها في كتابه (مواهب الواهب في فضائل أبي طالب) المطبوع في النجف الأشرف في ١٥٤ صفحة مطلعها:

برق ابتسامك قد أضاء الوادي
وحيا خدودك فيه ريُّ الصادي
قوله:

مهما تراكمت الخطوب فأنهما
عبد المناف الطهر عمُّ محمد
غيث المكارم ليث كلِّ ملّة
شيخ الأباطح من بصرم عزمه
دانست لديه المكرمات رقابها
جدُّ الأئمة شيخ أئمة أحمد
سيفٌ له المجد الأثيل حمائل
داعي الورى للرشد في عصر به
ولله قریش كم رأت من معجز
كرضاعه خير البرية أحمداً^(٢)
تجلى متى بأبي الوصي أنادي
الطاهر الآباء والأجداد
غوث المنادي بدر أفق الناد
بلغ الأنام لخطّة الإرشاد
واليه ألقى الدهر فضل قياد
ربيع الأماني مربع الوقاد
وله الفخار غدى حلّي نجاد
لا يعرفون الناس نهج رشاد
عرفوه فيه واحد الأحاد
وقبول دعوته لسقي الوادي^(٣)

١ - من شعراء الغدير يأتي تفصيل ترجمته في شعراء القرن الرابع عشر انشاء الله، ارتحل الى رحمة ربّه الودود يوم السبت ٨ محرم ١٢٨٠ بالكاظمية ونقل جثمانه إلى النجف الاشرف.

٢ - أخرج حديث هذه المكرمة شيخنا ثقة الاسلام الكليني في اصول الكافي ص ٣٤٤.

٣ - راجع ما أسلفناه صفحة ٣٤٥.

وبشارة الأسد المصـور بنجله
وكلامه بالوحي قبل صدوره
وبيوم مولد أحمد إخباره
وله على الاسلام من سنن غدت
كفل النبي المصطفى خير الوري
رباه طفلاً واقتفاه يافعاً
ولأجله عادى قريشاً بعد ما
ورآهم متعاضدين ليقتلوا
فسطاً بعزم ناله من معشر
وانصاع يفدي أحمداً في نفسه
وأقام ينصره إلى أن أصـبحت
أفديه من صـادٍ لواءٍ للهدى
قد كان يعلم أنه المختار من
ولقد روى عن أنبياء جدوده
وعلى به عيناً على كل الوري
: (إن ابن آمنة النبي محمداً
راعى فيه قرابة موصولة
يا والد الكرار والطيار والـ
كم معجز أبصرته من أحمد
من لصق أحجار ومزق صحيفة
لا فخر إلا فخر السامي الذي

وشفائه بدعا النبي الهادي^(١)
وله انفجار الأرض اذ هو صادي
عن حيدر الكرار بالميلاد^(٢)
للمسلمين قلائد الأجياد
ورعى الحقوق له بصدق وداد
وحماه كهلاً من أذى الأضداد
سلكوا سبيل الغي والافساد
خير البرية سيد الأجداد
شم الأنوف مصالت أنجاد
والجـاه والأمـوال والأولاد
ترهبوا شريعته بكل بلاد
يحمي لأفصح ناطق بالضاد
رب السماء عميد كل عماد
فيه حديثاً واضح الاسناد
إذ قال فيه بمطرب الأنشاد
عندي يفوق منازل الأولاد^(٣)
وحفظت فيه وصية الأجداد
أطهار أبناء النبي الهادي
باهلت فيه معاشر الحساد
ونزول أمطار ونطق جماد^(٤)
فقئت به أبصار أهل عناد

١ - يوجد حديثه في غير واحد من كتب الفريقين.

٢ - راجع ما مر في صفحة ٣٤٨، ٤٠٠.

٣ - راجع ما أسلفناه ص ٣٤٤.

٤ - أشار شاعرنا (النقدى) بهذا البيت الى اربع مكرمات لرسول الله صلى الله عليه و آله شاهدها شيخ الابطح ابو طالب، مرّ حديثها صفحة ٣٣٦،

٣٦٢، ٣٤٥، ٣٩٦.

إِنَّ الْمَكْرَامَ لَو رَأَتْ أَجْسَادَهَا عَيْنَ رَأْتِكَ الْوُحُودَ لِلْأَجْسَادِ
 شَكَرَ الْإِسْلَامُ فَعَالَكَ الْغُرَّ الَّتِي فَرَحْتَ بِهَا أَمْلاكُ سَبْعِ شَدَادِ
 لِلَّهِ هَمَّتْكَ الَّتِي خَضَعَتْ لَهَا مِنْ خَوْفِ بِأَسْكَ شَامِخِ الْأَطْوَادِ
 لِلَّهِ هَيْبَتِكَ الَّتِي رَجَفَتْ بِهَا أَعْدَاءُ مَجْدِكَ عَصَبَةِ الْإِلْحَادِ
 لِلَّهِ كُفُّكَ كَمْ بِهَا مِنْ مَعْدَم أَحْيَيْتَ فِي الْإِصْدَارِ وَالْإِيرَادِ الْخ

وله قصيدة ٤٣ بيتاً يمدح بها شيخ الأباطح أبا طالب سلام الله عليه توجد في كتابه مواهب الوهاب ص ١٥١ مستهلها:

بِاللَّهِ يَا قَاصِدَ الْأَطْلَالِ فِي الْعَلَمِ سَلِمْتَ سَلَمَ عَلَى سَلَمِي بِذِي سَلَمِ

ها هنا نجعجع بالقلم عن الافاضة في القول لأنَّ نطاق الجزء

ضاقَ عن التبسُّط فترجئُ تكملة البحث إلى أوليات

الجزء الثامن إنشاء الله تعالى

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

تقاريض منصّدة

أتانا شعر كثير في تقريظ الكتاب من الأساتذة والشعراء نظراء العلامة الشيخ قاسم محيي الدين، والنطاسي المحنّك ميرزا محمّد الخليلي مؤلف كتاب - معجم ادباء الأطباء - والخطيب الهاشمي السيد علي مؤلف كتاب - محمّد بن الحنفية - والفاضل الفدّ الشيخ علي السماوي، والخطيب المغفور له الشيخ محسن أبي الحب الحائري طاب ثراه، والاستاذ الفاضل الشيخ أسد حيدر النجفي، ونحن نشكر الجميع نرجئ ذكر قريضهم إلى تراجمهم الآتية في شعراء القرن الرابع عشر انشاء الله تعالى، ونقتصر الآن - مشفوعاً بالشكر - على ما جاءت به قريحة العلويّ الشاعر السيّد رؤف جمال الدين، وشاعر أهل البيت المكثر الشيخ محمّد رضا الخالصي، والاستاذ عبد الصاحب الدجيلي صاحب كتاب شعراء العراق - قال السيّد آل جمال الدين:

- ١ -

(بنت الحقيقة في كتاب الغدير)

بنت الحقيقة أسفرت عن وجهها	ما بين أسطره وشعّ سناها
أبدت محياها الجميل وقبله	كانت غياها بباطل تغشاها
تلك الحقيقة في « الغدير » فحيها	إن كنت ذا عقلٍ وخذ بهداها
كانت محجّبةً يشقُّ حصولها	واليوم قد برزت لمن يهواها
برزت برغم (حسودها) وضّاءة	أعظم (بمن) في جهده أبداها
كم معولٍ للحقدِ رامَ بنائها	هدماً فلم يفلح بهدم بناها
سبعون ألفاً ضيّعوا ميثاقها	تبّاً لهم من جهلهم معناها
سدلوا عليها الستر من أحقادهم	سفهاً. وهل تخفى ذكاء ضاياها؟
ويل التعصّب كم به حقّ خبت	أنواره أو بدعة أحيائها
لا منصفٌ يعطي الحقيقة مالها	في ذمّة الوجدان أو يرضاها

بنيت الحقيقة في علو مقامها
يهوي الحقيقة منصفاً لا يتثني
مثل (ابن أحمد) من غدا متجاهراً
بذل النفس لوجهها لا ينبغي
إيهاً حليف الحق كم بدعة
أظهرتها بين الملاكبي يعرفوا
ذاك (الغدير) وقد تضمّن معجزاً
فاهناً بذكر لا يزول وفي غدٍ

جدلانة في فعل من والاهما
عن حبها أو يعشقن سواها
في نصرها لا يحذر عداها
أجراً فنال الفوز في إحياءها
كانت محببة كشفت غطاها
أين الهدى ثاو وأين عماها
يقي مدى الأعوام لا يتناها
دار النعيم تفوز في سكونها

- ٢ -

وقال الشيخ الخالصي:

إنّ (الأميني) شئاً من مضى
آيات فضل الله قد فصلت
عليه علم لم يزل مده
لله مفضل بتأليفه
لا يبلغ المعشار من فضله
ولا يوفي الكيل في مدحه
لا خيب السرحن آماله
قد أزهد الباطل إرشاده

بسعيه المشكور بين السورى
رتلها في الناس من أبصرا
يطفح حتى أخرجل الأبحرا
حاز العلى والمجد والمفخرا
مادحه ما عاش أو أكثرا
الشاعر إن عمّر ما عمّرا
وكلمما في القلب قد أضمر
والحق للنظار قد أسفرا

* * *

غديره السادس بحر طمى
سفر حوى أسرار قدس بها
من ذا الذي ممن قضى قبله
روضه آداب بأزهارها
وكلمها قلبت أو راقته

فيه من اللؤلؤ ما أبهر
أصبح منهج الهدى نيرا
كمثل ما حرّر قد حرّرا؟
والله (عصر النور) قد عطّرا
شممت من أوراقه عنبرا

كتاب تاريخ لأهل الحجى
ما سرح الطرف به كامل
أسأل ربي أن يُريني الذي
وثامن الأجزاء من بعده
وأتحف الله بنعمائه
دامت أياديهِ وأيامه
أدامه الله لنا مرجعاً
لله من فدد بانواره
أوضح للضلال نهج الهدى
أصدر أسفاراً بأصدارها
لله من مجته نيقه

عن سير الماضين قد أخبرا
إلا لعينيه به أسهرا
بعدد ويأتي بالهدى مشعرا
وما يليه بعده أن أرى
جامعه المفاضل بين الورى
ما بلغت السحب أديم الثرى
وللخفايا بيننا مظهره
أشرق وجهه الشرق مستبشرا
وكان بالتمويه قد ستره
أصبح من قد ضلّ مستبصرا
أبدع والله بما أصدره

القصيدة

- ٣ -

وقال الاستاد الدجيلي:

ألا خيّت من فدد ضليع
تغوص على العاني الغرّ فرداً
تُحدّثنا - وأنت بنا أمين -
كتابك في الغدير (غدير خم)
وما يوم « الغدير » سوى شعاع
تمرّ به القرون وما سواه

سديد الرأي منقطع القرين
لتلقى الناس بالدرّ الثمين
لذاك دُعيت بالخير « الأميني »
تضمّ به البحور من الفنون
سرى لينير في دنيا ودين
جدير بالخلود مدى القرون

لفت نظر

كلّ فصل وكلمة وجملّة توجد في المتن أو التعليق مرموزة بـ م
في هذا الجزء وبقية أجزاء الكتاب فهي من ملحقات الطبعة
الثانية وزياداتها، تبدأ بـ م وتنتهي بثؤيس تتلوها.

٣	 (شعراء الغدير) ٧١ ابن العرندس الحلبي
٩	 (ما يتبع الشعر)
١٣	 (الشاعر)
٢٤	 ٧٣ ابن داغر الحلبي
٢٧	 (الشاعر)
٣٣	 ٧٤ الحافظ البرسي الحلبي (الشاعر)
٣٧	 تأليفه القيّمة
٣٨	 شعره الرائق
٦٩	 (المغلاة في الفضائل)
٧٣	 (الغلو في أبي بكر)
٨٢	 كلمتنا حول هذه الخطبة
٨٣	 (لفت نظر)
٨٧	 ١ - (فضائله المأثورة)
٩٥	 ٢ - ملكاته ونفسيّاته
١٠٢	 الخليفة في الاسلام
١٠٤	 الكلالة
١٠٨	 تقدّم الخليفة في السنّة
١١٢	 أما الحديث الثاني:
١١٣	 أما الحديث الثالث أما الحديث الرابع: انما حرّ جهنم على امّتي مثل الحمام
١١٥	 غاية جهد الباحث
١٢٠	 ١ - - ٢ -
١٢١	 (لفظ آخر):
١٢٩	 ٣ - - ٤ -

١٣١	- ٥ -
١٣٦	الخلافة عند القوم كلمة الباقلاني
١٣٩	كلمة التفتازاني
١٤٠	كلمة القاضي الايجي ^(١) كلمة أبي الشاء ^(٤)
١٤١	ما تنعقد به الامامة
١٤٢	كلمة الماوردي م كلمة الجويني
١٤٣	كلمة القرطبي
١٤٤	رأى الخليفة الثاني
١٤٥	نظرة في الخلافة التي جاء بها القوم
١٥٣	- ٦ -
١٥٥	- ٧ - - ٨ -
١٥٦	- ٩ -
١٥٨	- ١٠ -
١٦١	نظرة في القضية
١٦٥	الناحية الثانية
١٧٠	- ١١ -
١٧٤	الثلاثة الوسطى
١٧٥	الثلاثة الاخر
١٧٨	تحفظ على كرامة - ١٢ -
١٧٩	- ١٣ -
١٨١	(هلمَّ معي إلى الغلو)
١٨٤	مظاهر علم الخليفة
١٨٦	(المظهر الثالث)
١٩٠	(المظهر الرابع)
١٩٤	(لفت نظر)
١٩٧	التمسك بالافائك

٢٠٠	٢ - شجاعة الخليفة
٢٠٧	حجاج بالعريش
٢١٣	الغريق يتشبث بكلّ حشيش
٢١٦	٣ - ثبات الخليفة على المبدء
٢١٩	٤ - تهالك الخليفة في العبادة
٢٢٣	٥ - تبرُّز الخليفة في الأخلاق
٢٢٨	(إعتذار الخليفة إلى الصديقة)
٢٣١	نظرة في كلمة قارصة
٢٣٧	أحاديث الغلو أو قصص الخرافة - ١ -
٢٣٩	٢ -
٢٤٤	٣ - ٤ -
٢٤٧	٥ - ٦ -
٢٤٩	٧ -
٢٥١	٨ -
٢٥٣	٩ -
٢٥٧	١٠ -
٢٦٢	(الانصار في البعتين)
٢٦٦	نبأ الهجرة
٢٧٠	١١ -
٢٧١	١٢ -
٢٧٥	(رجال الرواية)
٢٧٨	(نظرة في حديث كعب)
٢٨٠	١٣ -
٢٨٦	١٤ - (رجال الرواية)
٢٨٧	١٥ -
٢٨٩	١٦ -

٢٩٠	١٧ -
٢٩٣	١٨ -
٢٩٤	١٩ -
٢٩٦	٢٠ -
٢٩٨	٢١ -
٢٩٩	٢٢ -
٣٠٥	٢٣ -
٣٠٦	٢٤ -
٣٠٧	٢٥ - - ٢٦ -
٣٠٨	(رجال إسناده)
٣٠٩	٢٧ -
٣١٢	(إسلام والدي أبي بكر)
٣١٣	(القسم الأول)
٣١٧	(رجال الاسناد)
٣١٨	(القسم الثاني)
٣٢٦	(أبو بكر وأبواه في القرآن)
٣٢٨	(آية أخرى في أبي بكر وأبيه)
٣٣٠	(الغاية للقاله)
٣٣١	١ -
٣٤٢	٢ - ما ناء به من عمل بار وقول مشكور - ١ -
٣٤٥	٢ -
٣٤٧	٣ -
٣٤٨	٤ - - ٥ -
٣٤٩	(لفظ آخر)
٣٥٠	(لفت نظر) (لفظ ثالث)
٣٥٢	٦ -

٣٥٥	٧ -
٣٥٧	٨ - - ٩ -
٣٥٨	١٠ -
٣٥٩	١١ -
٣٦٢	١٢ -
٣٦٦	١٣ -
٣٦٧	١٤ -
٣٦٨	١٥ -
٣٦٩	٣ - ما يروي عنه آله وذووه - ١ -
٣٧٢	٢ -
٣٧٣	(لفت نظر) - ٣ - - ٤ -
٣٧٤	٥ -
٣٧٥	٦ - - ٧ -
٣٧٦	٨ -
٣٧٧	٩ - - ١٠ -
٣٧٨	الكلم الطيب (رثاء أمير المؤمنين والده العظيم)
٣٨٠	(كلمة الامام السجّاد) (كلمة الإمام الباقر) (كلمة الإمام الصادق)
٣٨١	(كلمة الإمام الرضا) قصارى القول
٣٨٤	٤ - ما أسنده اليه من لاث به وبجع له
٤١٠	تقاريض منصّدة - ١ -
٤١٠	(بنت الحقيقة في كتاب الغدير)
٤١١	٢ -
٤١٢	٣ - لفت نظر
٤١٣	الفهرس